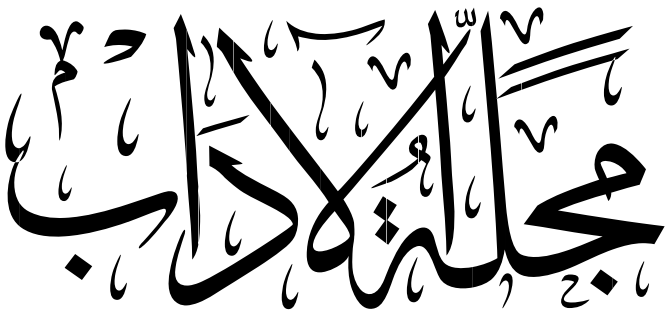

دورية علمية محكمة
تصدر عن جامعة الملك سعود

المجلد الثلاثون –العدد الأول
ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / يناير ٢٠١٨م

http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts
arts-mag@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

الهيئة الاستشارية

أ.د. بسيوني حمادة
جامعة القاهرة

أ.د. حسين عبد العزيز الواد
جامعة تونس

أ.د. سليمان بن صالح العقلا
جامعة الملك سعود سابقاً

عبد الله العوينة
جامعة محمد الخامس

فوزية بنت عبد الله أبو خالد
جامعة الملك سعود

أ.د. ماري ليون
جامعة وسكنسون

رئيس التحرير

أ.د. عبد الله بن أحمد الطاهر

مدير التحرير

أ.د. خالد بن عبدالكريم بسندي

هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن سعد الجاسر

أ.د. عبدالوهاب محمد أبا الخيل

أ.د. مها بنت صالح الميمان

أ.د. نايف بن ثنيان آل سعود

أ.د. عبدالله بن محمد المطوع

سكرتير المجلة

أ. حمود السحيمي

أ. حبيب حسين الصالح

أ. مختار جواد الصالح

المراجعة والإخراج

د. ماجد محمد البحر

عبد الله كامل الربابعة

تعتذر دار جامعة الملك سعود للنشر عن عدم وضوح بعض الصور والأشكال لعدم وضوحها من المصدر

© ٢٠١٨ (١٤٣٩هـ) جامعة الملك سعود

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخة بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

دورية علمية محكمة، تصدر ثلاث مرات في السنة في (يناير – مايو– سبتمبر) عن كلية الآداب، بجامعة الملك سعود. تنشر المواد العلمية التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، وتشمل: البحوث، والمراجعات، وتقارير المؤتمرات والندوات العلمية، وملخصات الرسائل الجامعية، في حقول: الإعلام، والتاريخ، والجغرافيا، والدراسات الاجتماعية، واللغتين العربية والإنجليزية وآدابهما، وعلوم المكتبات والمعلومات.

صدر المجلد الأول من المجلة بعنوان «مجلة كلية الآداب» في العام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، واستمرت سنوية إلى أن تحولت إلى نصف سنوية منذ المجلد الحادي عشر عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م صدرت بعنوان: «مجلة جامعة الملك سعود: الآداب». وفي العام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م صارت مجلة الآداب، وأصبحت تصدر ثلاث مرات في السنة.

الـرؤيـــــة

تسعى المجلة أن تكون رائدة ومميزة في مجال النشر العلمي في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وتصنَّف ضمن أشهر أوعية النشر العربية والعالمية، وضمن قواعد المعلومات العالمية.

الـرسـالة

الإسهام العلمي من خلال نشر البحوث والدراسات المحكمة في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وفق معايير مهنية عالمية متميزة.

الأهـــداف

١- أن تكون المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

٢- تلبية حاجة الباحثين في حقول الآدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية للنشر.

٣- تطوير المعرفة الأدبية والاجتماعية والإنسانية والإسهام في تقدم المجتمع.

للمراسلـــــة

«مجلة الآداب» ص. ب . ٢٤٥٦ – الرياض ١١٤٥١

كلية الآداب- جامعة الملك سعود- الرياض- المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٧٥٤٠٨ -٠١١ فاكس ٠١١-٤٦٧٥٤٠٢

البريد الإلكتروني arts-mag@ksu.edu.sa

الموقع الإلكتروني http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts

الاشتراك والتبادل

دار جامعة الملك سعود للنشر، جامعة الملك سعود، ص. ب. ٦٨٩٥٣، الرياض ١١٥٣٧، المملكة العربية السعودية.

سعر النسخة الواحدة: ١٥ ريالاً سعودياً، أو ما يعادله بالعملة الأجنبية، يضاف إليها أجور البريد.

قـواعـد الـنـشـر

تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل الآداب والعلوم الإنسانية، وتشمل بالتحديد: الإعلام، والتاريخ، والجغرافيا، والدراسات الاجتماعية، واللغتين العربية والإنجليزية وآدابهما، وعلوم المكتبات والمعلومات.

و تُصَنَّف المواد التي تقبلها المجلة للنشر إلى الأنواع الآتية:

- **بـحـث:** ويشتمل على عمل المؤلف في مجال تخصصه، ويجب أن يحتوي على إضافة للمعرفة.
- **مداخلة:** وهي مقالة علمية موجزة يشارك بها كاتبها في الموضوعات الخاصة التي تعلن المجلة عنها في حينها وتنشرها ضمن «ملف العدد».
- **مراجعة نقدية:** وهي القراءة التي تتوجه بالتقويم لكتاب أو بحث أو مقال علمي، أو بالعرض له والتعليق عليه.
- **تـقـريـر:** وهي تقارير المؤتمرات والندوات العلمية وما يشبهها من أحداث علمية.
- **ملخص رسالة جامعية:** وتستقبل المجلة ملخصات الماجستير والدكتورة في حقول اختصاصها وتنشر منها ما يمتاز بقيمة لافتة في منهجيته ونتائجه.

● ● ●

تعليمات للباحثين:

١- لا يتجاوز عدد صفحات البحث متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع (١٠,٠٠٠ كلمة).

٢- أما المراجعات والتقارير وملخصات الرسائل فلا تجاوز (١٥ صفحة).

٣- يرفق مع كل مادة مقدمة للنشر ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية، على ألا تجاوز كلمات كل منهما (٢٠٠ كلمة).

٤- تكتب بيانات الباحث (الاسم، الرتبة العلمية، التخصص، المؤسسة التعليمية: «القسم، الكلية، الجامعة، وعنوان المراسلة») باللغتين العربية والإنجليزية، في صفحة مستقلة في أول البحث ثم تتبع بصفحات البحث مفتتحة بعنوان البحث.

٥- لا يرد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث أو هوامشه أو قائمة مراجعه، صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وتستخدم بدلاً من ذلك كلمة «الباحث» أو «الباحثين».

٦- يضع الباحث كلمات مفتاحية Keywords تعبِّر عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، وذلك بعد بيانات الباحث وقبل الملخص في نسختيه العربية والإنجليزية، ولا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

٧- تُستَخدَم اختصارات عناوين الدوريات العلمية كما هو وارد في The World List of Scientific Periodicals وتستخدم الاختصارات المقننة دولياً، مثل: سم، مم، م، كم، سم٢، مل، مجم، كجم، ق، ٪ ...الخ.

٨- يتم الإشارة إلى المراجع بنظام الاسم والتاريخ (name, date) داخل المتن ولا يقبل نظام ترقيم المراجع داخل المتن. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً بقائمة مستقلة والمراجع الأجنبية بقائمة مستقلة أخرى أسفل منها ولا ترقم المراجع في قائمة المراجع نهائياً. ويكون ترتيب البيانات الببليوجرافية على النحو التالي:

أ) يشار إلى الكتب في المتن داخل قوسين بالاسم والتاريخ ورقم الصفحة. أما في قائمة المراجع، فيكتب الاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة) ثم الاسم الأول ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها بالخط الأسود. فعنوان الكتاب ببنط مائل ثم بيان الطبعة. فمدينة النشر: ثم الناشر، ثم سنة النشر.

مثال: المصري، وحيد عطية. مقدمة في هندسة العمليات الحيوية. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

ب) يشار إلى الدوريات في المتن بنظام الاسم والتاريخ بين قوسين على مستوى السطر. أما في قائمة المراجع فيبدأ بذكر الاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة) ثم الاسم الأول ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها بالخط الأسود. فعنوان البحث كاملاً بين شولتين « ». فاسم الدورية مختصراً ببنط مائل، فرقم المجلد، ثم رقم العدد بين قوسين، ثم سنة النشر بين قوسين.

مثال: فقيها، أنيس بن حمزة. «نمذجة تقطير خليط ذي نسبة تطاير عالية». مجلة جامعة الملك سعود (العلوم الهندسية)، مجلد١٥، العدد (١)، (٢٠٠٣م)، ١٣-٢٧.

ج) إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): فترتب في قائمة المراجع بذكر الاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى: فعنوان الرسالة، فدرجة الرسالة (رسالة ماجستير/دكتوراه)، فمكانها: البلد، القسم، الكلية، الجامعة، فالسنة).

مثال: الكناني، ظافر مشبب: الذات في النقد العربي القديم، رسالة دكتوراة، السعودية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ.

د) تستخدم الحواشي لتزويد القارئ بمعلومات توضيحية، ويشار إليها في المتن بأرقام مرتفعة عن السطر. وترقم التعليقات متسلسلة داخل المتن. وعند الحاجة، يمكن الإشارة إلى مرجع داخل الحاشية عن طريق استخدام كتابة الاسم والتاريخ بين قوسين وبالطريقة نفسها المستخدمه في المتن، وتوضع الحواشي أسفل الصفحة التي تخصها والتي ذكرت بها وتفصل بخط عن (المتن).

٩- يتأكد الباحث من سلامة لغة بحثه، وخلوه من الأخطاء المطبعية واللغوية وكذلك خضوعها لإجراءات النشر وضوابطه المشار إليها أعلاه قبل إرساله، وأي إخلال بهذه الشروط، يترتب عليه إرجاع البحث لصاحبه دون النظر فيه من هيئة التحرير.

١٠- المواد المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي جامعة الملك سعود.

١١- يرسل للباحث نسخة إلكترونية وورقية واحدة فقط من عدد المجلة تتضمن بحثه المنشور .

● ● ●

- يرسل الباحث بحثه إلى موقع المجلة، وذلك بالضغط على «طلب نشر بحث» من القائمة، ثم تعبئة النماذج واتباع الإجراءات المطلوبة، ولا تقبل المجلة البحوث المطلوب نشرها عبر إيميل المجلة ولا بالبريد الورقي.
- يُعد إرسال الباحث بحثه إلى موقع المجلة الإلكتروني تعهداً من الباحث/الباحثين بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
- لهيئة تحرير المجلة حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- تخضع جميع البحوث، بعد إجازتها من هيئة التحرير، للتحكيم العلمي على نحو سري.
- يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المختصين في موضوعه فإن اختلف رأيهما، أرسل إلى ثالث ويكون رأيه حاسماً.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد لأصحابها لإجراء التعديلات.
- عند قبول البحث للنشر، لا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقي أو إليكتروني، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- يبلغ أصحاب البحوث المرفوض نشرها دون إبداء الأسباب.

مجلة الآداب

كلمة رئيس التحرير

تسعد هيئة تحرير مجلة الآداب أن تقدم لقرائها العدد الأول من المجلد الثلاثين في حقل الآداب والعلوم الإنسانية الذي جاء غنيًّا وثريًّا بما ضَمّه من أبحاث متخصصة، أسهم فيها الباحثون في إثراء مجالات المعرفة، فجاء هذا العدد متنوعًا في قسميه العربي والإنجليزي، فقد احتوى على عشرة بحوث في حقل التخصص.

ففي حقل اللغة العربية تضمن العدد ثمانية بحوث، هي:

١- الإطراء فعلًا كلاميًّا: دراسة في الأبنية التركيبيّة والأساليب التعبيريّة المستعملة في الفيسبوك.

٢- «آسف جدًا يا صديقي»: أساليب الاعتذار لدى متعلمي اللغة العربية.

٣- تجليات النزعة الخيامية في قصيدة «الطلاسم» لإلياء أبي ماضي.

٤- تجليات نظرية نحو النص عند المفسرين: دراسة تطبيقية على أسلوب الحال في النظم القرآني.

٥- التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام.

٦- جهود «يوسف الخال» في حركة الحداثة النقدية.

٧- «النّخلة والجمل»: قراءة نقديّة .

٨- نداء الآخر في المقابلات الإعلامية في ضوء نظرية تحليل المحادثة.

وفي حقل الإعلام تضمن العدد بحثًا واحدًا بعنوان : دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين لعام ٢٠١٤.

وفي حقل اللغة الإنجليزية احتوى العدد على بحثٍ واحد هو: الاحتكاكية في الأصوات الساكنة والاشتقاقات الفونولوجية في اللهجة السبزوارية الفارسية: الطبقية أو التوازي في النظرية التفاضلية.

وجاءت هذه الأبحاث بصورتها الحالية بعد قراءة واعية ومتأنية من المحكمين والباحثين، الذين حرصوا على أن تكون فيها الإضافة العلمية المنشودة.

ولا يسعني هنا إلا أن أقدم شكري خالصًا لجميع الباحثين الذين وثقوا بالمجلة والمحكمين الذين أثروا هذه الأبحاث العلمية بملحوظاتهم النيرة والدقيقة، وأحكامهم السديدة، وأشكر زملائي في هيئة التحرير، كما أشكر أبنائي الموظفين والعاملين وجميع القائمين على أعمال المجلة، وأشكر إدارة الجامعة على دعمها المستمر للمجلات العلمية، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والبركة.

رئيس هيئة تحرير مجلة الآداب

أ. د. عبدالله بن أحمد الطاهر

مجلة الآداب

المحتويات

أبحاث العدد

القسم العربي

- **الإطراء فعلًا كلاميًّا: دراسة في الأبنية التركيبيّة والأساليب التعبيريّة المستعملة في الفيسبوك**

ذكرى القبيلي و حاتم عبيد ٣–٢٩

- **«آسف جدًا يا صديقي»: أساليب الاعتذار لدى متعلمي اللغة العربية**

محمد ناصر الرياشي ٣١–٦٦

- **تجلّيات النزعة الخياميّة في قصيدة «الطّلاسم» لإيليا أبي ماضي**

أبو الحسن أمين مقدسي وصبري أحمديان و أبو بكر محمودي ٦٧–٨٨

- **تجليات نظرية نحو النَّص عند المفسرين: دراسة تطبيقية على أسلوب الحال في النَّظم القرآني**

علي سلامة عبدالحليم أبوشريف ٨٩–١١٢

- **التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام**

حورية محمد العتيبي ١١٣–١٣٩

- **جهود «يوسف الخال» في حركة الحداثة النقدية**

عدنان علي محمد الشريم ١٤١–١٦٠

- **«النّخلة والجمل»: قراءة نقديّة**

عمر بن عبد العزيز السيف ١٦١–١٩٥

- **نداء الآخر في المقابلات الإعلامية في ضوء نظرية تحليل المحادثة**

عبدالرحمن الفهد ١٩٧–٢١٨

- **دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين لعام ٢٠١٤**

علي أحمد عبدالله و شعيب عبدالمنعم ٢١٩–٢٥٨

القسم الإنجليزي

- **الاحتكاكية في الأصوات الساكنة والاشتقاقات الفونولوجية في اللهجة السبزوارية الفارسية: الطبقية أو التوازي في النظرية التفاضلية (الملخص العربي)**

مفلح القحطاني ٢

أبحاث العدد

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص٣-٢٩، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

الإطراء فعلًا كلاميًّا: دراسة في الأبنية التركيبيّة والأساليب التعبيريّة المستعملة في الفيسبوك

ذكرى القبيلي(*) و حاتم عبيد(**)

(*) أستاذ اللسانيات المشارك بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب، جامعة الملك سعود؛

(**) أستاذ اللسانيات بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ٢٨/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٩/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : فعل كلاميّ، الأفعال الكلاميّة الإفصاحيّة، الإطراء، التعابير الإطرائيّة، التأدّب.

ملخص البحث: يتناول الباحثان في إطار تداوليّ ـ الإطراءَ بوصفه فعلًا كلاميّا يواظب المتكلّمون في أثناء التفاعل وفي مختلف الثقافات على إنتاجه واستهلاكه. وينطلق الباحثان من استعراض نتائج دراسات مهمّة تناولت هذا الفعل الكلاميّ في ثقافات غرْبيّة مختلفة من جهة الوظائف التي يُحقّقها، والأبنية التركيبيّة التي يجري فيها والمواضيع التي يدور عليها، والعوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في إنتاجه وتلقّيه، وأنواع الأجوبة التي يُردّ بها عليه.

ويُفرد الباحثان القسم المهمّ من البحث لاقتفاء أثر الإطراء في العربيّة، استنادًا إلى واحد من أبرز مواقع التواصل الاجتماعيّ، نعني بذلك الفيسبوك الذي يُعدّ ـ في تقدير الباحثيْن ـ ساحةً حيّةً مكّنتهما من رصد المستعمل من التعابير الإطرائيّة، وتبيّن مختلف أصنافه وأبنيته التركيبيّة وأساليبه التعبيريّة. وينتهي الباحثان إلى أنّ للناشطين على شبكة الفيسبوك طرائقَ يعبّرون بها عن إعجابهم بالعربيّة لا تخلو من تنوّع وإبداع، على خلاف ما بدت عليه الملفوظات الإطرائيّة في دراسات غربيّة غير قليلة- من اقتراب إلى الصيغ المنمّطة، لنزوع العبارة والتركيب، في تلك الملفوظات، إلى التشابه والتنميط.

The Speech Act of Compliment: A Study of Syntactic Constructions and Expressional "Styles Used on Facebook standard science"

Hatem Obid ; Zekra Al kabeli
The Department of Arabic and its Literature - College of Arts ,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 28/1/1438H; Accepted for publication 19/5/1438H)

Keywords: speech act, expressives, compliment, expressions of compliment, politeness.

Abstract: The researchers have dealt with compliment alternately, describing it speech act that speakers are keen on producing and using in interactions across different cultures. The researchers began with exposing the outcomes of interesting studies which examined this speech act in variety of western cultures in term of the function that it fulfills, the structural constructions that scaffold it, the topics that it revolves around, and the types of responses that answer it.

The researchers dedicated the important section of the research paper to track the behaviour of compliment in the Arabic language, based on the most important social media, Facebook, which is considered by the researchers as a dynamic arena that enabled to spot the used expressions of compliment and to figure out the variety of its genres, structural constructions, and expressional styles.

The researchers concluded that Face bookers have their own ways to express their appreciation using Arabic, which proved to be eclectic and creative contrary to what the expressions of compliment seem to be, in numerous western studies, nearly as clichés viewing the proclivity of the terms and structures in those expressions toward sameness and typology.

١ ـ الإطراء في الدراسات الغربيّة

(١,١) منزلة الإطراء في نظريّة الأفعال الكلاميّة ونظريّة التأدّب:

يصنّف أوستن (Austin) الأفعال القريبة من الإطراء في باب السلوكيّات (behabitives)، التي يعبّر القائل من خلالها عن موقف تجاه سلوك الآخرين وآرائهم. ويضرب مثالًا على ذلك عددًا غير قليل من الأفعال، شأن (اعتذرَ، وشَكر، وهنّأَ، ورحّبَ)، (Searle, 1976 : ٧). أمّا سيرل (Searle)، فمكان الإطراء في القسمة البديلة التي يقترحها نوع من الأفعال الكلاميّة اصطلح عليه بالإفصاحيّات (expressives)، التي يكون مدار القوّة المضمّنة فيها على تعبير القائل عن حالة نفسيّة أو إفصاحه عن مشاعره تجاه واقعة مّا يستلزمها مضمون الفعل الكلاميّ. ويدرج سيرل في جدول الأفعال الإفصاحيّة عددًا من الأفعال لا نجد ضمنها الفعل أطرى، ولكن نجد أفعالًا أخرى قريبة منه، نعني بذلك (شَكرَ، وهنّأَ، واعتذرَ، وعزّى، واستنكرَ، ورحّبَ).

وينبّه سيرل إلى أنّنا لا نجد في هذا الصنف من الأفعال الكلاميّة اتّجاهًا تسير نحوه الملاءمة التي يسعى القائل إلى إيجادها بين اللّغة والعالم الخارجيّ. فالقائل حين ينجز عملًا من هذه الأفعال الكلاميّة لا يسعى إلى أن يجعل العالم يطابق كلامه، شأن ما يحدث في الوعديّات (commissives). وليس من غايته أيضًا أن يجعل كلامه يطابق العالم، مثلما هو الحال في التمثيليّات (representatives). والأقرب إلى حقيقة هذا الصنف من الأفعال الكلاميّة أنّنا نفترض مسبقًا صدق القضيّة المعبّر عنها. فأنا حين أعتذر لك عن دوسي إصبع قدمك، ليس من غرضي أن أدّعي أنّ إصبعك تمّ الدوس عليها. لا، وليس من غايتي أن أجعل الأمر كذلك. (Ibid: 12).

والإطراء عند ليتش (Leech) يكون بسبب من التأدّب غير أنه لم يقدّم لنا تعريفًا دقيقًا له، "بل اكتفى بالإشارة إلى وجود شكل من التأدّب سلبيّ يقوم على التقليل من التعابير التي يعتقد أنّها من قلّة التأدّب والتي لا تخدم السامع، وشكل آخر من التأدّب إيجابيّ مداره على الترفيع من التعابير التي يعتقد أنّها من باب اللّباقة والتأدّب والتي تكون في صالح السامع" (عبيد، ٢٠١٤: ١٥ ـ ١٦). فالإطراء إذن من التأدّب الإيجابيّ. وهو عند ليتش في صنف الأفعال البهيجة (convivial acts)، التي يمثّل لها بالتهنئة. وهذه الأفعال البهيجة تحمل في حدّ ذاتها مقصدًا يطابق المقصد الاجتماعيّ من التفاعل المتمثّل في إيجاد قدر من الاحترام المتبادل بين المتكلّمين، ومن ثمّ الإسهام في أن يجري التفاعل بين المتكلّمين في كنف الودّ والتفاهم. ويقابل هذا الصنف من الأفعال عند ليتش صنف ثان يطلق عليه مصطلح الأفعال التنافسيّة (competitive acts)، شأن الأمر والسؤال والطلب والاعتذار. وهي أفعال يكون

التعارض واضحًا بين القوّة المضمّنة فيها والمقصد الاجتماعيّ الذي تجري إليه عمليّة التواصل. وهو ما يقتضي من المتكلّم تهذيب تلك الأفعال للتقليص من الفظاظة الموجودة فيها (Leech, G. N., 1983: 105).

والإطراء في منوال براون وليفنسون واحد من أفعال كلاميّة كثيرة تحمل في طبيعتها خطرًا يهدّد إمّا وجه السامع وإمّا وجه المتكلّم. وهو إن نظرنا إليه من جهة أنواع ماء الوجه المستهدفة، ألفيناه مذكورًا في قائمة الأفعال التي تهدّد ماء وجه السامع السلبيّ على وجه التحديد، لما تعبّر عنه من رغبة المتكلّم في شيء يمتلكه السامع. فالمتكلّم يُطري سامعه للتعبير عن إعجابه به أو ليغبطه عن شيء يمتلكه. وهو إشارة من بعيد يلتقطها السامع ليحمي ذاك الشيء الذي يرغب فيه المتكلّم، أو ليتنازل له عنه Brown & Levinson, (1987: 66).

والإطراء في كتاب أوروكيوني الدائر على "الأفعال الكلاميّة صلب الخطاب"، فعل كلاميّ ذو خطورة عالية، سواء نظرنا إليه مِن جهة مَن يُنتجه، أي المُطري أو مِن جهة مَن يتقبّله، أي الممدوح. ففي إنجاز هذا الفعل الكلاميّ معادلة صعبة نلخّصها في السؤال الآتي: كيف تُطري مخاطَبك، من غير أن تُشعره بأنّ في إطرائك تملّقًا أو مصلحة تكمن وراء ذلك العمل. وحرج الممدوح مضاعف. والمعادلة التي يُواجهها صعبة أيضًا: فقبولك الإطراء يعني ـ من جملة ما يعني ـ أنّك تخرق قاعدة التواضع، وتسمح لمن يُطريك بأن يخترق الفضاء الخاصّ بك. وفي رفضك الإطراء إيقاع فعل كلاميّ ربّما يُلحق إساءة بالـمُطري الذي يتأذّى من كونك رددتَ عليه هديّته (orecchioni, C., ـ kerbrat 77: 2003 ـ 78).

وقد تناولت أوروكيوني الإطراء في كتاب "الخطاب التفاعليّ" من زاوية أخرى (orecchioni, C., ـ kerbrat 196: 2005). إذ جاء حديثها عنه في إطار نقد منوال التأدّب عند براون وليفنسون والدعوة إلى "توسيع حدود هذا المنوال، حتّى نفسح فيه مكانًا لنوع آخر من الأفعال الكلاميّة التي لا تشكّل بطبعها خطرًا على ماء الوجه، بقدر ما هي معزّزة له كالشكر، والتهنئة، والإطراء. وقد رأت أوركيوني من الضرورة بمكان أن تضيف إلى منوال (B&L)، مصطلحًا جديدًا لتعيين هذه الأفعال، ألا وهو مصطلح الأفعال المطرية ماء الوجه (face flattering acts)، والمقصود بالإطراء في هذا المصطلح معنى التثمين الذي يقترب من مصطلحات أخرى جرّدها باحثون آخرون، من قبيل الأفعال المعزّزة ماء الوجه (face enhancing acts)، والأفعال الرافعة من قدر ماء الوجه (face boosting acts). وهكذا لم يعد منوال التأدّب قائمًا على قدم واحدة، بل أمسى هناك معادلٌ إيجابيّ للأفعال التي تهدّد ماء الوجه، وتوازنٌ بين تأدّب سلبيّ مداره على تلطيف الأفعال التي تهدّد ماء الوجه والتعبير عنها بطريقة

خفيّة من جهة، وتأدّب إيجابيّ يتمثّل في القيام بأفعال تعزّز ماء الوجه واستعمال أدوات تسم تلك الأفعال وتشـــدّد عليها من جهـــة أخرى (عبيد، ٢٠١٤: ٤٠-٤١).

(١, ٢) في تعريف الإطراء:

تعرّف هولمز الإطراء بأنّه فعل كلاميّ يحتوي صراحة أو ضمنيًّا على إسناد مفخرة من المفاخر إلى شخص آخر غير المتكلّم يكون في الغالب هو المخاطَب. وتكون علّة ذلك الإسناد خصلة (شيء يمتلكه المخاطَب، خصـــائص يمتاز بها، مهارة يتمتع بها...)، يقدّرها كلٌّ من المتكلّم والمخاطَب تقديرًا إيجابيًّا. والمخاطَـــب يظلّ هو المعنيّ بالإطراء، حتّى في الحالات التي يبدو فيها الإطراء مُحيلًا على طرف غائب. وهاكم المثال الذي تضربه هولمز:

(١) أ ـ المتكلّم: يا له من صبيّ مهذّب!

ـ المخاطَب: شكرًا جزيلًا. ها نحن نبذل ما في وسعنا.

ففي هذا الملفوظ مفخرة أُسندت على نحو غير مباشر إلى المخاطَب، إذ فيها إشارة إلى أنّه عرف كيف يُحسن تربية طفله، ومن ثمّ كان أبًا صالحًا. وهذا سبب كافٍ لكي يُحمل هذا الملفوظ على أنّه إطراء للمخاطَب (Holmes, 1988a: 485).

وقد استوحت أوروكيوني من هذا التعريف تعريفًا غير بعيد عنه. فالإطراء عندها يشمل كلّ تقرير تقويميّ إيجابيّ مداره على صفة من صفات المخاطَب أو خاصّية من خصائصه. فهو وفق هذا التصوّر ضرب من المدح موجّه إلى الشخص المعنيّ بالأمر. ولا تستبعد أوروكيوني بدورها وجود حالات يمكن أن يكون مدار ذلك العمل التقويميّ فيها على إحدى صفات شخص آخَر بينه وبين المخاطب علاقة قد تكون وثيقة، وربّما لا تكون كذلك (Kerbrat ـ Orecchioni, 2002).

والمستخلص من هذين التعريفين، أنّ من طبيعة هذا الفعل الكلاميّ ـ نعني الإطراء ـ كونه إيجابيًّا. فأنتَ حين تمدح شخصًا، تُثمّن وجهه الإيجابي، لأنّك تُقيم له الدليل على أنّك تهتمّ به وتُتابع ما يصنعه من فعل وما ينتجه من قول وما يتركه من أثر، وتلاحظ ما يطرأ على مظهره وهيأته من تغيّر. من هذ المنطلق اعتُبر الإطراء "هبة لغويّة" يَتّخذ منها المتكلّم أداة يُفاوض بها العلاقات الاجتماعيّة التي تربطه بمخاطَبيه. ويكون ذلك ـ أكثر ما يكون ـ في حالات التقرّب والتودّد من أشخاص بعيدين عنه، أو في حالات التطبيع وتمتين صلات قائمة، مثلما يكون ذلك حين يُظهر المتكلّم للآخرين أنّه يشاركهم أذواقهم واختياراتهم. وحتّى في الحالات التي يصدر فيها الإطراء عن شخص ذي مكانة عالية إلى من هو دونه مكانة، فالغالب على هذا الفعل الكلاميّ، أن يكون إشارةً يُرسلها المادح لغاية

تقليص المسافة وتجسير الفجوة، شأن ما يحصل أحيانًا بين مدير المؤسّسة وأحد العمّال. أمّا إذا كان اتّجاه الإطراء من اليد السفلى إلى اليد العليا، فالغالب على هذا الفعل الكلاميّ التملّق والمجاملة والهدف من ورائه التودّد والتقرّب.

(١, ٣) في وظائف الإطراء:

للإطراء وظيفة أساسيّة يتّفق عليها الدارسون، ألا وهي تمتين عرى الصلة بين المتخاطبين على النحو الذي يشعرون فيه بأنّهم متكافلون ومتضامنون. فتعبير المتكلّم عن استحسانه مظهرًا من مظاهر السامع أو عن إعجابه بشيء يمتلكه، من العوامل التي تقوّي علاقته بذلك السامع. ولذلك اعتبرت هولمز الإطراء من الأفعال الكلاميّة ذات الأثر الإيجابيّ التي تستهدف المخاطَب والتي تصلح في الغالب لتعزيز العلاقة بين المتكّلم ومخاطَبه (Holmes, 1988a: 486). وللإطراء وظائف أخرى لا تقلّ أهمّية عن وظيفته الأساسيّة؛ فهو يرسّخ السلوك المرغوب فيه، ويُغري الأفراد به، حتّى يُقبلوا عليه، شأن ما يقوم به الأستاذ في القسم، حين يُطري أحد تلاميذه، ويهدف من وراء الإطراء إلى تحبيب صنيع ذلك التلميذ إلى زملائه، حتّى ينسجوا على منواله.

والإطراء طريقة يستعملها المتكلم إمّا لتعضيد فعل كلاميّ آخر وإمّا لتعويضه. ويكون ذلك أكثر ما يكون في أفعال كلاميّة أخرى، كالاعتذار، والشكر، والتحيّة، والترحيب. ومن استعمالات الإطراء الشائعة أن يكون طريقة يُخفّف بها المتكلّم حدّة النقد الذي يوجّهه إلى مخاطَبه. وفي مثل هذه الاستعمالات يرد الإطراء مشفوعًا بعبارات أو أدوات تفيد الاستدراك، ويُستشفّ منها أنّ الفعل الكلاميّ الذي يجيء بعد الاستدراك هو العمل الأساسيّ، وما الإطراء الذي سبقه إلا تمهيد يُراد به تلطيف النقد، حتّى لا يكون لاذعًا وموجعًا.

(٢) ـ أنت تُبلي بلاء حسنًا، ولكنّك تنسف جهود من سبقك.

والإطراء أيضًا من الوسائل التي يستعين بها المتكلّم على استدراج أحد الأفراد إلى أن ينخرط معه في محادثة. وفي هذه الحالة يكون الإطراء أسلوبًا ذكيًّا يفتح به المتكلم شهيّة المخاطَب للحديث. ولا تستبعد والفسون وجود سياقات يُستخدم فيها الإطراء أداة للسخريّة والتهكّم (Wolfson, 1983: 86 ـ 93). ومثل ذلك قول المعلّم لتلميذ غبيّ:

(٣) ـ ذكاؤك فاق الحدود.

وإذا كان الإطراء في الوظائف الإيجابيّة السابقة، يُحمل على أنّه من إستراتيجيّات التأدّب الإيجابيّ التي تقوم على إظهار العناية برغبات المخاطب واهتماماته، ومن ثمّ تعزّز ماء وجهه الإيجابي، فإنّه في سياقات أخرى يمكن أن يندرج في إستراتيجيّات التأدّب

السلبيّ، عندما يُستخدم بطريقة يشعر فيها المخاطَب أنّ الإطراء عرقل حرّيته وأجبره على عمل من الأفعال (Brown & Levinson, 1987: 70). فقد يُحمل قول تلميذ لصديقه:

(٤) ـ تُعجبني الأقلام التي تكتب بها.

على أنّه طلب، إذا أعقبه ردّ فعل، من نحو أن يأخذ التلميذ المخاطَب أحد أقلامه، ويهب صديقه إيّاه. ففي مثل هذه الحالة، فُهم الإطراء على أنّه تعبير المتكلّم عن رغبته في شيء يمتلكه السامع. وهو ما قد يجعل السامع يفكّر في القيام بفعل يذود به عن حوضه، ومن ثمّ يحمي ذلك الشيء الذي مثّل موضوع رغبة السامع (Brown & Levinson, 1987: 66).

من هذا المنطلق، رأت هولمز أن الإطراء قد يترتّب على إنتاجه خطر يهدّد ماء وجه السامع، لما يمكن أن ينطوي عليه من رغبة دفينة تسكن المادح، وتفضحها العبارة المُطرية التي تشير إلى أنّ هناك شيئًا يمتلكه السامع، ويريد المتكلّم أن يستحوذ عليه (Holmes, 1988a: 486). فالإطراء في هذه الحالة، مزعج للسامع، وهو ضرب من التدخّل في شؤون الآخرين الخاصّة بهم. ولا يمكن للإطراء حين يكون من هذا القبيل إلّا أن يُسهم في عرقلة سير المحادثة.

وقد اعتبرت أوروكيوني الإطراء في بعض السياقات ضربًا من "الهديّة المسمومة" (un cadeau empoisonné)، أو قلْ هو دسّ للسمّ في العسل على حدّ العبارة العربيّة. فهذا الفعل الكلاميّ لا يخلو من خطر، سواء على من يُنتجه، أو على من يتلقّاه. والممدوح في مناسبات غير قليلة يراه ديْنا وضعه المادح في رقبته، ومن ثمّ لا يستطيع أن يكون في حِلٍّ منه، إلاّ إذا كافأ المادح بمثل هديّته أو بأحسن منها. فالإطراء من تلك الهدايا التي تُحرج مَن يتلقّونها، سواء نظر الممدوح إليه على أنّه ديْن أو على كونه تملّقا ينشُد من ورائه المادح مصلحة شخصيّة، أو وطرًا يريد أن يقضيَه (Kerbrat ـ Orecchioni, 2005: 227).

(١ , ٤) مناويل الإطراء التركيبيّة:

يمكن الانطلاق ههنا من الدراسة الميدانيّة التي أجرتها الباحثتان والفسون وماينز والتي تناولتا فيها الإطراء عند عدد من المتكلّمين الذين تعدّ الإنجليزية الأمريكيّة لغتهم الأمّ. فقد كشفت هذه الدراسة عن نزوع عدد من الإطراءات التي يُنتجها أولئك المتكلّمون في سياقات متنوّعة إلى التشابه من حيث المعجم والتراكيب (Manes & Wolfson, 1981). وكان من أكثر المناويل التركيبيّة تواترًا في الأمثلة التي جمعتاها، ثلاثة مناويل يمكن أن نمثّل لها بالملفوظات الآتية:

(٥) أ ـ منزلك جميل.

ب ـ تُعجبني فصاحتك.

ج ـ إنّها تحفة هذه السيّارة.

ومن النتائج التي خلصت إليها المؤلّفتان، رجوع الإطراءات في الإنجليزيّة الأمريكيّة إلى فئتين كبريين: فئة نعتيّة وأخرى فعليّة. وقد لاحظت المؤلّفتان أنّ هناك خمسة نعوت تتكرّر في أكثر من ثلثي الفئة الأولى. وهذه النعوت هي: لطيف، وجيّد، وجميل، وحسن، ورائع. أمّا الأفعال الأكثر تواترًا في الفئة الثانية، فاثنان هما: أُحبّ ويُعجب [ني]. وقد التمست الباحثتان لاتّسام ملفوظات الإطراء بقلّة في التنوّع، مقابل جنوح إلى التشابه والتنميط في مستوى المعجم والتركيب، أسبابًا من أبرزها انتماء هذا اللّون من الأفعال الكلاميّة، نعني الإطراء إلى ما يُعرف بالصيغ المنمّطة، شأن صيغ التحيّة وتعابير الشكر والاعتذار. فالذي يبرّر نزوع هذه الصيغ إلى التنميط، شيوعها في المحادثات التي تجري أحيانًا بين متكلّمين قد تكون لهم خلفيّات مختلفة. ولولا ذلك التشابه والتعاود في الصيغ، لما تسنّى لهم التعرّف إليها بيسر، ومن ثمّ الاهتداء إلى معانيها. فانتماء الإطراء إلى فصيلة الصيغ المنمّطة، يُسرّع عمليّة فهم المتكلّمين بعضهم بعضًا، ومن ثمّ يُسهم في التفاعل الحاصل بينهم.

(١ ,٥) الموضوعات التي يدور عليها الإطراء

ترى والفسون وماينز أنّ الإطراء ـ إن نظرنا إليه من جهة ما يتمّ إسناده إلى السامع من حسن الصفات وطيّب الأفعال ـ ينقسم إلى نوعين: فهناك ما يدخل في باب التعليق على المظاهر التي تُبرز جهدًا بذله الممدوح، كي يظهر في معرض حسن شأن تسريحة شعره، والزينة التي يتّخذها. أمّا النوع الثاني فمداره على إطراء المهارات التي يمتلكها الممدوح (Manes & Wolfson, 1981). وقد جاءت دراسة هولمز التي تناولت فيها الإطراء في نيوزيلندا، تُثبّت هذه القسمة. إذ رأت الباحثة، استنادًا إلى البيانات والمعطيات التي تجمّعت عندها، أنّ معظم الإطراءات تدور في فلك عدد قليل من المواضيع التي تكون محلّ تعليق نعني بذلك: المظاهر والمهارات والأداء الجيّد والممتلكات وملمح من ملامح الشخصيّة وحُسن المعشر (Holmes, 1988b). ولا تكاد المواضيع التي يدور عليها الإطراء في ما يُنتجه المتكلّمون الإسبان حسب دراسة أخرى ـ تخرج عن هذه القائمة. فجزء كبير من الإطراء عند هؤلاء المتكلّمين دائر على صفات ظاهرة في الممدوح. وأكثر تلك الصفات التي يدور عليها التعليق ما كان طبيعيّا، أو قلْ خلْقيا، شأن زرقة العينين ورشاقة القدّ وكمال الجسم.

(١ ,٦) العوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في الإطراء

انتبه الدارسون إلى أنّ إنجاز هذا الفعل الكلاميّ، بسبب عدد من المؤثّرات الاجتماعيّة،

كالجنس ونوع العلاقة القائمة بين من يُنتجه ومن يتلقّاه. فقد لاحظت ولفسون وماينز أنّ أغلب الإطراءات تتّجه إلى أفراد يشتركون والمتكلّم في الجنس وفي المنزلة، وأنّ معظم الإطراءات التي يُنجزها في أثناء التفاعل أفراد ذوو منزلة عالية، ويكون المقصودون بها أفرادًا دونهم منزلة، تدور أكثر ما تدور على مهارة السامع، وقلّ أن تتناول مظهرًا من مظاهره أو شيئًا يمتلكه. أمّا إذا كان مُنتج الإطراء دون متلقّيه منزلة فعلى الأرجح أن يتعلّق بالمظاهر والممتلكات (Manes & Wolfson, 1981).

والنساء حسب الدراسة السابقة يأتين قبل الرجال سواء في إنتاج الإطراء أو في تلقّيه في أثناء التفاعلات، ولاسيّما حين يتعلّق الإطراء بالملابس والمظاهر. نعم، إنّ حجم الإطراء الذي تُنتجه النساء وحجم ما يتلقّينه منه، أكثر ممّا هو موجود عند الرجال. وهو عندهنّ طريقة يعبّرن بها عن تضامنهنّ، وعن اللّحمة الموجودة بينهنّ. أمّا الذكور فلا يرون في الإطراء الأداة المثلى للتعبير عن تماسكهم. ولذلك تراهم ـ بالمقارنة مع الإناث ـ زاهدين أحيانًا في إتيان هذا الفعل الكلاميّ (Holmes, 1988b: 5 ـ 6).

(١ ,٧) جواب الإطراء:

من الواضح أنّنا مكتفون في هذا البحث بدراسة الإطراء، مؤجّلون النظر في جوابه في دارسة أخرى. وحسبنا ههنا أن نشير بسرعة إلى هذا الجزء المكمّل للجزء المتعلّق بالتعبير عن الإعجاب. أجلْ، يمثّل الإطراء جزءًا من زوج مجاور يُعرف بالتبادل الإطرائيّ الذي يتكوّن من تدخّل أوّليّ يتمثّل في إطراء يُنتجه المطري ويقصد به المخاطَب، ومن تدخّل يعقب الأوّل يكون من قبيل ردّ الفعل، ويتمثّل في الجواب عن الإطراء الذي ينتجه الشخص الممدوح، ويكون المقصود به الشخص المادح Kerbrat ـ Orecchioni, (1998: 201).

وتعدُّ بومرنتز من أوّل الدارسين الذين تناولوا هذا الموضوع. وقد أشارت في عملها الرائد إلى أنّ جواب الإطراء لا يخلو من مفارقة، لما فيه من تعارض بين قاعدتين من قواعد التخاطب. فأنتَ حين تتلقّى إطراء من الإطراءات، تكون بين نارين: أنْ تُجاري المتكلّم وتَقبل إطراءه من جهة، وأن تتجنّب الوقوع في ثناء الذات وتزكية النفس من جهة أخرى. لذلك يستعمل متلقّو الإطراء حيلًا متنوّعة للخروج من هذا المأزق، فقد يقلّلون من الثناء الموجّه إليهم، أو يردّون عليه بمثله. وحتّى الأمريكيّون أنفسهم لا يشذّون عن هذه القاعدة، على الرغم من أنّ معايير الخطاب عندهم تقرّ بأنّ الجواب المناسب للإطراء، أن تقول لمن أثنى عليك: شكرًا (Pomerantz, 1978: 81 ـ 82).

وقد مضى هاربر في هذا الاتّجاه، مصنّفًا جواب الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة ثلاثة أصناف تحت كلّ صنف تنضوي ضروب شتّى من الأجوبة. فالنوع

الأوّل من الأجوبة عنوانه الكبير القبول. ومن تنويعاته أن يعبّر الممدوح بإشارة تفيد الشكر، أو بتعليق يفيد الموافقة، أو أن يردّ على الإطراء بمثله. ومدار النوع الثاني على عدم قبول الإطراء. ويكون ذلك بطرق منها السؤال وعدم الاعتراف بما أُسند إليه من صفات إيجابيّة. أمّا النوع الثالث، فنجد فيه أجوبة لا تُفصح عن فحواها، إلاّ بعد التأويل. وقد أفضى تقليب هاربرت النظر في مدوّنته التي احتوت على عدد من أجوبة الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة إلى أنّ أغلب ما يردّ به الأفراد على الإطراء الموجّه إليهم، ينتمي إلى النوعين الثاني والثالث. وفي ذلك دليل على أنّ ما يقوله المتكلّمون على صعيد الواقع، كثيرًا ما يخرج عمّا تُمليه عليهم المعايير التي تحكم الاستعمال اللّغويّ والتي لو خضعوا لها، لاكتفوا مثلما أشارت بومرنتز سلفًا بعبارة: شكرًا (Herbert, 1986 : 77).

أما النتائج التي خلصت إليها هولمز ـ بعد فحص أجوبة الإطراء عند النيوزيلنديين ـ فتشير إلى أنّ النسبة الكبرى كانت من نصيب الأجوبة التي فيها موافقة على الإطراء. وبعد ذلك تأتي الأجوبة التي يُظهر فيها الممدوح تهرّبه وتملّصه من الإطراء. أمّا أجوبة الرفض، فقليلة لا تتعدّى نسبتها العشر (Holmes, 1988a).

وقد درست دايكوهارا الإطراء في التفاعلات اليابانيّة. ولمّا قارنت ما انتهت إليه بالنتائج التي خلصت إليهما ماينز ووالفسون في دراستهما حول الإطراء في الإنجليزيّة الأمريكيّة، وقفت على اختلافات غير قليلة سواء فيما يتعلّق بالمناويل التركيبيّة التي يجيء عليها الإطراء، أو بالصفات التي تكون موضوع إطراء، أو بوظيفة الإطراء، أو بأجوبته. وكان جواب الإطراء من أكثر ما اختلفت فيه الدراستان. نعم، لقد كشفت دراسة دايكوهارا عن أنّ نسبة عالية جدًا من أجوبة الإطراء (٩٥٪)، كانت من نصيب تلك الأجوبة التي يتجنّب فيها الممدوح الإطراء. ولم تستأثر الأجوبة التي يعبّر فيها الممدوح عن قبوله الإطراء، إلاّ بنسبة ضئيلة جدّا (٥٪). وممّا كشفت عنه هذه الدراسة أيضًا استخدام اليابانيّين إستراتيجيّات في منتهى التنوّع، عندما يتملّصون في أجوبتهم من تزكية نفوسهم. فتراهم في الغالب يُجيبون بالنفي، قائلين: "لا، لا" أو بكلام قريب من ذلك: "هذا ليس صحيحا"، وفي مناسبات أقلّ يكتفون بالابتسام أو يكفّون عن الجواب، وفي سياقات أخرى يعبّرون عن تهرّبهم بالسؤال الذي فيه تشكيك في مدى أحقيّتهم بما أسند إليهم من مفاخر، قائلين: "هل تظنّ ذلك؟".

وقد ربطت دايكوهارا الأمر بالوظائف التي ينهض بها الإطراء في المجتمع الياباني والتي من أهمّها إظهار الاحترام والتقدير، على نحو يخلق مسافة بين المتكلّمين. وهذه المسافة التي تقوم بموجب الإطراء الذي يوجهه المادح إلى شريكه في الكلام، يجب

تجسيرها من طرف متلقّي الإطراء. ومن هنا يكون الإنكار طريقة يوثّق بها متلقّي الإطراء عرى الصلة بينه وبين المادح، حتّى يسود الانسجام ساعة اللّقاء والتفاعل. أمّا الإطراء عند الأمريكيّين الذين تمثّل الإنجليزيّة لغتهم الأمّ، فيجري إلى غاية أخرى، ألا وهي تعزيز التضامن بين المتفاعلين، وإيجاد خلفيّة مشتركة تجمعهم. وهو ما يفسّر مجيء أغلب أجوبة الإطراء عندهم في أشكال تعبّر عن الموافقة وقبول الإطراء (Daikuhara, 1986).

واضح إذن، أنّنا أمام اختلاف ثقافيّ يؤثّر في الكيفيّة التي يردّ بها الأفراد على الإطراء. فإذا كان الردّ الطبيعيّ على الإطراء في الإنجليزيّة القبول والشكر للمادح ثناءه، فإنّ من طبيعة اليابانيّ المتأثّرة بثقافته أن يردّ على الإطراء بنكران الذات. وقد اعتبر ميزوتاني ورود جواب الإطراء على هذه الشاكلة ممّا تقتضيه آداب التأدّب عند اليابانيّين الذين لا يمكن لهم البتّة أن يقبلوا الإطراءات من غير أن يقولوا: لا (Mizutani, 1987 : 43). فالصيغة النمطيّة والشائعة في المجتمع الياباني وفي مجتمعات أخرى، مثل المجتمع الصينيّ، وحتّى المجتمع البولنديّ، أن ترِد على هذا النحو الذي نجده في الحوار الآتي:

(٦) ـ أ ـ أنتِ بالفعل طبّاخة ماهرة!

ب ـ لا، لا، أنا لا أعرف حقّا كيف أطبخ الطعام بشكل جيّد.

أ ـ أرجوك، لا تُبالغي في التواضع. أنتِ ـ حقًّا وصدقًا ـ تُبدعين في الطبخ.

ب ـ أنتَ لطيف جدا؟

(١, ٨) الإطراء ظاهرة كونيّة وثقافيّة في آن معًا:

لعلّ من أهمّ ما نخرج به من هذه البحوث التي درست الإطراء في ثقافات مختلفة، فوقفت على ما ينهض به من وظائف، وما يدور عليه من مواضيع، واستخرجت أبرز الأبنية التركيبيّة التي يجيء عليها وأهمّ العوامل الاجتماعيّة المؤثّرة في إنتاجه وتلقّيه وصنّفت أجوبته وردود أفعال من يتعرّضون لهذا الفعل اللّغويّ، لعلّ أهمّ ما نخرج به من هذا كلّه أنّ الإطراء ظاهرة كونيّة وثقافيّة في آنٍ معًا. فمن الصعب أن يتجرّد مجتمع من هذه الظاهرة. ومن المحال أن يستغني الكائن البشريّ عن تلك "المداعبات اللّفظيّة" التي هو في أمسّ الحاجة إليها بين الحين والحين، حتّى يشعر بقيمة ما يمتلك وأهمّية ما يُنجز. في هذا تشترك الشعوب والثقافات. وفي كثير من الدقائق والتفاصيل تختلف. فما من شكّ عندنا في أنّ لكلّ ثقافة طرائق يعبّر بها أفرادها عن إعجابهم، وأجوبة عن الإطراء تَفهم من ورائها مواقف أولئك الأفراد من هذه الظاهرة كيف يتحرّج أبناء هذه الثقافة منها ويقتصدون في إنتاجها واستهلاكها، بينما يُواظب غيرهم في ثقافات أخرى على إتيانها. فهي عندهم كالماء والهواء تنتعش بها

العلاقة في أثناء المحادثات. غيابُها يلفت الأنظار. والمُعرض عن إنجازها يُنعتُ بالبخل وبعدم الاكتراث بالآخرين.

٢. الإطراء في العربيّة

ما من شكّ عندنا في أنّ المجتمعات العربيّة لا تمثّل استثناء في هذا الباب، وأنّ الإطراء ليس ظاهرة نستأثر بها دون سائر الشعوب، ولا هو بالفعل الكلاميّ الذي لا مكان له في قائمة الأفعال الكلاميّة التي ينجزها العربيّ. بل إنّ الإطراء سلوك قوليّ مترسّخ في ثقافتنا. فنحن مثل غيرنا ـ لا ننفكّ نُعبّر عن إعجابنا في أثناء التفاعلات القوليّة. وإذا كان ثمّة شيء نختلف فيه عن الثقافات الأخرى، ففي كيفيّة جريان الإطراء في صيغ وتعابير قد لا نجد لها ما يماثلها عند سائر الشعوب. وحسبك أن تستحضر شعر المدح، حتّى تُدرك كيف يضرب هذا الفعل الكلاميّ في التاريخ بجذور، وكيف تحوّل الإطراء من قديم الزمان إلى غرض شعريّ أبدع فيه العرب أيّما إبداع، حتّى أصبح من أهمّ أغراض الشعر عندهم يتحوّل الإطراء فيه إلى بلاغة يُمدَح مَن يُجيدها ويَملك ناصيتها، إذ ينقلب الممدوح بدوره ـ على ما تنقله إلينا كثير من أخبار الشعر ـ مُطريًا لمن أثنى عليه ومدحَه، حين تُعجبُه القصيدة، ويكون موضوع إطرائه قدرة الشاعر على الإطراء.

(١,٢) الإطراء في مواقع التواصل الاجتماعيّ: الفيسبوك أنموذجًا

ما من شكّ عندنا أيضًا في أنّ وسائل التواصل الاجتماعيّ التي اكتسحت حياتنا المعاصرة عزّزت هذا الفعل الكلاميّ، ومثّلت عاملًا بارزًا ومهمًّا في تشجيع الأفراد على إنتاجه، وفي توسّعه وامتداد رقعته وتلوّن صوره وتعدّد لغته. وحسبُنا أن نُقلّب النظر في موقع الفيسبوك (Facebook) من جهة تصميمه وما احتواه من أركان وأيقونات، حتّى نُدرك بيسر أنّ هذا الفضاء الإلكترونيّ يُغري مُشتركيه بإنتاج الإطراء واستهلاكه في كلّ آن وحين. فهذا الموقع يتيح للمشترك فيه أن ينشر ما يرغب في نشره. ووجود الأصدقاء على صفحة المشترك، تُتيح لهم التعليق الفوريّ على تلك المنشورات تعليقًا يأتي في أغلب الأحيان في شكل إطراء، لاسيّما حين يكون المنشور لصيقًا بذات المشترك مُحيلًا عليه، وأحسن مثال على ذلك صور المشتركين أنفسهم ينشرونها على صفحاتهم، فتأتي التعليقات بالعشرات، وأحيانًا بالمئات تُطري أصحابها وتُثني على وسامتهم وأناقتهم وعلى الأنشطة التي تُظهرهم تلك الصور وهم يقومون بها.

نعم، إنّ في تصميم الصفحة الفيسبوكيّة ما يُزيّن للمشتركين إنتاج الإطراء ويستدرجهم إليه. كيف لا ينخرط أصدقاء المشترك في الفعل الكلاميّ، وتحت

كلّ مربّع مخصّص للنشر خيارات ثلاثة تدعوك إمّا إلى الإعراب عن إعجابك بما نشر (like) وإمّا إلى التعليق عليه (comment) وإمّا إلى تقاسمه مع أصدقائك (Share). ولسنا نستبعد أنّ إضافة تلك الأيقونات المتمثّلة في وجوه تعبّر عن ستّة تعابير مختلفة كلّ واحد منها يمثّل ردّ فعل على المنشور (أحبّه، ويُعجبني، ويُضحكني، ويُدهشني، ويُحزنني، ويُغضبني)، لسنا نستبعد أنّ إضافة مثل تلك الأيقونات صدرت، من جملة ما صدرت عن استجابة من مُصمّمي الموقع لما صار يشعر به مشاركو الفيسبوك من قلّة أنواع ردود الأفعال التي تُتاح لهم في الصفحة والتي كادت، قبل إضافة تلك الأيقونات، تنحصر في التعبير عن الإعجاب، إمّا تعبيرًا صريحًا تُخصّص له مساحة تُعرف بالتعليق وتُستخدم فيه ألفاظ اللّغة ويظهر فوقه اسم المعلّق، وإمّا تعبيرًا غير صريح يُكتفى فيه بالضغط على إحدى الأيقونتين: يعجبني أو أشارك أصدقائي فيه.

واضح إذن، أنّ الأيقونات الأربع الأخيرة، والأيقونة السادسة على وجه أخصّ، أصبحت توفّر للمشاركين في الفيسبوك ضروبًا أخرى من ردّ الفعل على ما ينشره أصدقاؤهم بطريقة ترفع عنهم الحرج الذي كانوا يجدونه في التعبير عن عدم رضاهم أو غضبهم عمّا ينشر تعبيرًا لم يكن متاحًا لهم، إلاّ بالكلمات داخل الخانة الموسومة بـ"تعليقك".

من هذا المنطلق، بدا لنا هذا العالم الافتراضيّ ساحةً حيّةً لاقتفاء أثر الإطراء، ورصد المستعمل فيه من الأقوال والعبارات وتبيّن مختلف أصنافه ومدى التنوّع في صيغه وتعابيره. والذي يقيم الدليل على تأهّل الفيسبوك، لكي يكون سبيل الباحث إلى دراسة هذا الفعل الكلاميّ، انخراط أعداد هائلة من المشتركين فيه تُعدّ بالملايين، وتمثّل شرائح المجتمع ومختلف فئاته أحسن تمثيل. فأنت واجدٌ على صفحات الفيسبوك مشتركين من الجنسين، ومن مختلف الأعمار ومن طبقات اجتماعيّة شتّى. فهو أشبه بالسوق العامّة أو الشارع الفسيح يتّسع لكلّ الناس، وتجد فيه من كلّ من هبّ ودبّ.

ومن فوائد هذا الفضاء الإلكترونيّ في دراسة الإطراء أنّه يوفّر لك الفرصة كي تعاين هذا السلوك القوليّ، وهو يجري في دوائر مختلفة من التواصل الحاصل على المستوى الأسريّ، وبين الأصدقاء الحميميّين والعاديّين، وبين زملاء العمل وبين الجيران وبين الأصدقاء القدماء والجدد... وهو بهذا يشكّل صورة حقيقيّة وناطقة عن الواقع اللّغويّ، وما يستعمله المتكلّمون من أساليب، وما يبتكرونه من عبارات وما يُبدعونه من صيغ متنوّعة نحاول في القسم الموالي من البحث أن نكشف عنها وعن الموادّ اللّغويّة المستخدمة فيها، مّتوقّفين في مرحلة أولى عند أنواع الملفوظات الإطرائيّة، وفي مرحلة ثانية عند أبرز

الأبنية والتراكيب التي يتأدّى بها الملفوظ الإطرائيّ في العربيّة، وفي مرحلة ثالثة عند أساليب الإطراء التي يكون الإبداع فيها أوضح والتفنّن في التعبير عن الإطراء أبرز، مُعتمدين في ذلك أمثلة استقيناها من صفحاتٍ أغلبُ أصحابها من المثقّفين والجامعيّين سواء كانوا أساتذة أو طلابًا، وحرصنا من باب الأمانة، ألاّ تمتدّ يدُ الإصلاح إلى الشواهد مهما كان نوع الخطأ الموجود فيها.

(٢ , ٢) أنواع الملفوظات الإطرائيّة:

يمكن تصنيف الملفوظات الإطرائيّة من جهة التصريح بالعمل المضمّن فيها أو عدم التصريح به إلى نوعين اثنين:

(٢ , ٢ , ١) الملفوظات الإطرائيّة المباشرة:

وهي تخصّ صيغًا تعبّر عن القوّة المضمّنة في الملفوظ تعبيرًا مباشرًا لا يرتهن بالسياق ولا يُحوج الممدوح إلى بذل جهد تأويليّ، ليعرف أنّ المقصود بالكلام إطراء موجّه إليه، كقول أحدهم:

(٧) ـ هنيئًا لك صدور هذه الدراسة القيّمة.

والتعبير عن الإطراء تعبيرًا صريحًا يتحقّق أكثر ما يتحقّق في الملفوظات التي تكون من قبيل الجمل التقريريّة والتي تحتوي على أحكام إيجابيّة تُستخدم في التعبير عنها النعوت والظروف والأفعال.

(٨) ـ هذا من ذوقك الجميل والرايع.

ب ـ عيشتنا أروع اللحظات.

(٢ , ٢ , ٢) الملفوظات الإطرائيّة غير المباشرة:

يكون الإطراء غير مباشر حين يستعير المتكلّم من أجل أدائه أشكالًا وصيغًا تُستخدم في إنجاز فعل كلاميّ آخر، على شاكلة ما يحدث في السؤال الذي يستشهد به الدارسون، كلّما أرادوا التفريق، داخل الأفعال الكلاميّة غير المباشرة، بين ما هو اصطلاحيّ لا يحتاج السامع إلى جهد تأويليّ للتعرّف إلى القوّة المضمّنة فيه لكثرة شيوعه، وما هو غير اصطلاحيّ لا يفهم السامع العمل الذي يريد المتكلّم إيقاعه إلاّ بعد كدّ الخاطر.

(٩) ـ هل لك سيّارة؟

فمثل هذا الملفوظ الذي جاء في قالب سؤال يكون حاملًا "لقيمة الطلب عند المتكلّم. ويمكن أن يؤوّله المتقبّل على أنّه عرض" (ب. شارودو ـ د. منغنو، ٢٠٠٨: ٢٤).

وقسْ على ذلك في الإطراء. فقول أحدهم معلّقًا على صورة أحد أصدقائه:

(١٠) ـ وردة فوّاحة.

جملة اسميّة خبريّة مبتدؤها محذوف: أنتِ. وظاهر القول فيها إثبات. والفعل الكلاميّ الذي تحقّقه في الظاهر مِن صنْو الأفعال التقريريّة. ولكن جرت العادة أن يُحمل مثلُ هذا الملفوظ، وإن اختلفت السياقات التي يرد فيها، على أنّه كلام مادح. وفي هذه الحال، نحن نستخدم صيغة تقريريّة

لإنجاز عمل من نوع الإطراء. وما من شكّ في أنّ هذا الفعل الكلاميّ أُنجز بطريقة غير مباشرة، ولكنّ الصيغة التي استُعملت للتعبير عنه تُعدّ اصطلاحيّة، أي هي ممّا شاع استعمالُه، وتواضع مستخدمو اللّغة عليه. ومن ثمّ لم يعد ينجُم عنه سوء تفاهم نتيجة خطأ في تأويله.

وعلى خلاف هذه الصيغ الاصطلاحيّة، ترتبط الصيغ والتعابير غير الاصطلاحيّة بسياقات محدّدة، ويحتاج تأويلُها إلى جهد مضاعف للاهتداء إلى قيمتها التداوليّة المقصودة، لأنّها لا تنضوي ضمن دائرة المشترك بين أفراد اللّغة، ولا تمثّل بالضرورة جزءًا من الذخيرة التلفّظيّة التي يكون في مقدور كلّ متكلّم أن يفعّلها ويستحضرها ويستعين بها في فهم تلك الملفوظات الإطرائيّة غير الاصطلاحيّة.

وليست الحدود بين الصيغ الإطرائيّة غير المباشرة الاصطلاحيّة وتلك التي لا تكون اصطلاحيّة، واضحة في كلّ الحالات. بل إنّ تقبّل الصيغة الواحدة يختلف بحسب الأفراد والجماعات. فعدد من الصيغ الإطرائيّة غير المباشرة تنتشر في فئة المراهقين، وتغدو لفرط استعمالها فيما بينهم اصطلاحيّة. فإذا استعملت في فئة الكهول، أصبحت غير كذلك، ووجد الممدوح صعوبة في فهمها. فممّا وجدنا المراهقين يعلّقون به على صور أصدقائهم على الفيسبوك هذه التعابير التي لا نخال أنّ من تقدّمت بهم السنّ يفهمون بيسر فحواها:

(١١) ـ أ ـ سخطه

ب ـ تفتّقْ

ج ـ شنايعْ

د ـ تحطيم

ولا شكّ في أنّ هذه التعابير تصبح بفعل الاستعمال والتقادم من المشترك وممّا يدخل في الكفاءة الاجتماعيّة والتداوليّة التي يمتلكها أفراد الجماعة اللّغويّة، والتي بفضلها يتسنّى لكلّ متكلّم يحذق عادات الجماعيّة الخطابيّة أن يعرف أنّ الإطراء هو العمل المقصود من ملفوظات مثل هذه الملفوظات، مهما تستّر بأقنعة المجاز واختفى وراء صيغ ملتبسة:

(١٢) ـ أ ـ ارفع لك القبعة اجلالًا وتقديرًا.

ب ـ قامة عالية وقيمة ثابتة.

ج ـ من علّمك هذا الكلام؟

د ـ ماذا فعلت حتى تخرجنا من عقولنا؟

هـ ـ هل أنت بدر شاكر السياب؟

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنّ للفيسبوك دورًا مهمًّا في إشاعة صيغ من الإطراء بين أفراد الجماعة تكون في البدء غير اصطلاحيّة وتستخدم أوّل ما تستخدم، في نطاق ضيّق، وبين عدد محدود من الأصدقاء، لتنتشر بسرعة، وتتّسع دوائر تبادلها بين الأصدقاء، وتصبح بعد ذلك، بفعل النشر السريع اصطلاحيّة.

(٢ ,٢ ,٣) الملفوظات الإطرائيّة المركّبة:

يتّصف هذا النوع من الإطراء بمجيئه في عدد من الملفوظات يعبّر فيها المتكلّم عن إعجابه تعبيرًا لا يكتفي فيه بإنجاز فعل كلاميّ واحد هو الإطراء، بل نجد، إلى جانب هذا العمل الرئيس، أفعالًا لغويّة أخرى تسبقه أو تأتي بعده. فمدار الأمر ههنا على فعل كلاميّ أكبر هو الإطراء، وأفعال كلاميّة صغرى مكمّلة له. ودور هذه الأفعال الصغرى يتمثّل بالأساس في تعزيز ذلك العمل الأكبر، حتّى يكون أداؤه ناجحًا، ولا تترتّب عليه آثار سلبيّة على المستوى العلائقيّ. فكأنّ المتكلّم ـ وهو يضيف إلى الإطراء أفعالًا لغويّة صغرى ـ يُحصّن عمله اللّغويّ الأكبر، ويُبطل مفعول الألغام التي يمكن أن توجد في طيّات الإطراء، ويبدّد الشكوك التي قد تحوم حول صدق هذا الفعل الكلاميّ الذي ينجزه، ويضمن بذلك قبول الممدوح الهديّة التي يقدّمها المطري إليه. والحقّ أنّ مسالك الجمع بين الإطراء والأفعال الكلاميّة كثيرة نجتزئ منها هذه الأمثلة:

ـ الإطراء + طلب معلومة حول موضوع الإطراء نفسه:

(١٣) ـ أ ـ رائع! من أين أتيت بهذه الأكلة؟

ب ـ عنوان يغري بالقراءة. أين أجد المقال؟

ج ـ متألّق دائمًا دكتور! هل نزل هذا الكتاب إلى السوق؟

ـ الإطراء + التعبير عن أمْنية:

(١٤) ـ أ ـ كلك ذوووق وأخلاق دكتوره ربنا يسعدك.

ب ـ إعتدنا إبداعاتك دكتور...وما زالت تتسلل إلينا من كل صوب وناح.. دام نبض قلمك وفكرك..

ج ـ يسعدك ربي يالغالى.. كلك ذوق ومن أفضل الناس إنت..

د ـ رائعة هي كتابتك. أتمنى أن أقرأك في رواية.

الإطراء + التعبير عن الشكر:

(١٥) ـ أ ـ شاكرين لك هذا الاختيار. ذوق عالي وحس رهيف.

ب ـ شكرًا صديقي. بالفعل روعة.

ج ـ شكرًا لكي على هذه الكلمات الروعة وانها احاسيس صادقة من قلب نبيل.

الإطراء + التعبير عن الاعتذار:

(١٦) ـ أ ـ أمسية شعرية رائعة. آسف لأنني لم أستطع الحضور.

٢ ,٣ الأبنية التركيبيّة:

١ ,٣ ,٢ الأبنية التقريريّة:

تتنوّع الأبنية التقريريّة الحاملة للإطراء. فتأتي في شكل جمل اسميّة وأخرى فعليّة. وتلك الجمل بنوعيها قد تكون بسيطة تعبّر في الغالب عن الإطراء تعبيرًا مقتضبًا. وقد تكون مركّبة يشهد فيها التعبير عن الإطراء توسّعًا، ويترتّب على ذلك طول في الجملة.

الجملة الاسميّة البسيطة:

وهي التي تتكوّن من مسند إليه (المبتدأ) ومسند (الخبر) يأتيان لفظًا مفردًا أو مركّبًا من المركّبات الاسميّة (مركّبا نعتيّا/ إضافيّا...):

(١٧) ـ أ ـ روحك رشيقة.

ب ـ كلامك درر.

ج ـ هو ذوقك الراقي.

د ـ هنا صدق مشاعر.

هـ ـ لك عطر أشواقي.

و ـ لك العز كله.

ولا يعني بساطة الجملة قصرها دائمًا. فقد تجنح الجملة التي تعبّر عن الإطراء إلى الطول رغم كونها بسيطة. ومثل ذلك:

(١٨) ـ أ ـ كانت ندوة من أروع الندوات على جميع المستويات.

الجملة الاسميّة المركّبة:

وهي التي تحتوي على نواة إسناديّة فرعيّة، أي التي يكون فيها المبتدأ أو الخبر أو كلاهما مركّبا إسناديّا اسميًّا أو فعليًّا. ومن أمثلة ذلك:

(١٩) ـ أ ـ أنت تحسن الغناء.

ب ـ أنت تستحق كل كلمة مديح قيلت بحقك.

ج ـ ملاحظة دقيقة زانها الخلق وحسن تمرير الحجّة.

د ـ غمزة ذكية تختصر كلّ شيء.

وقد تطول الجملة الاسميّة، حين يبسط فيها المادح وجه الإعجاب ومبعث الإطراء. ومن أمثلة ذلك:

(٢٠) ـ أ ـ أنا سعيد بالنص؛ لأنه يعبر عن كينونة المرأة بكل ما تحويها من قيمة وقدرة وعنفوان وشموخ.

ب ـ تأتين بالحلو؛ لأنك الأحلى وبالجمال لأنك الأجمل.

الجملة الفعليّة البسيطة:

وهي التي خلت من نواة إسناديّة فرعيّة، لعدم مجيء فاعلها أو أحد متمّماتها في شكل مركّب إسناديّ اسميّ. ومن أمثلة ذلك:

(٢١) ـ أ ـ أبدعت.

ب ـ صح لسانك.

ج ـ سلم فكرك وحرفك.

د ـ يعجبني رسمك على الجدران.

هـ ـ أحب هذا النوع من الطعام.

و ـ دوماً تسعدنا بكتاباتك....

الجملة الفعليّة المركّبة:

وهي التي تحتوي على نواة إسناديّة فرعيّة.

(٢٢) ـ أ ـ يكفيك فخرًا وشرفًا أن قصيدتك في سيد الخلق.

ب ـ أبكيت عيني على غير ما تعرف من البكاء.

(٢,٣,٢) الأبنية التعجّبية:

وهي كثيرة الجريان في المدوّنة الفيسبوكيّة. ومن أكثر أبنية التعجّب استخدامًا في إنجاز الإطراء

التعجّب القياسيّ الذي تعبّر عنه صيغة: ما أفعله! ومن أمثلة ذلك:

(٢٣) ـ أ ـ ما أجمل تلك الكلمات!

ب ـ ما أروعك!

ج ـ ما أجمله مكان مع خير رفيق!

وهناك تعبيرات تعجّبية أخرى تخرج عن هذه البنية (المجموعة ٢٤). وقد يختصر هذا الأسلوب القياسي في التعجّب إلى صيغة مكثّفة (المجموعة ٢٥). وأحيانًا يقتصر الأمر على إصدار أصوات (المجموعة ٢٦):

(٢٤) ـ أ ـ الله عليك!

ب ـ يا لروعاتك ملكة الحرف!

ج ـ أي إبداع!

د ـ كم أنت مبدعة! عجيب!

ه ـ ما كل هذا الإبداع وتتواضعين!

(٢٥ ـ أ ـ جميل!

ب ـ رائع!

(٢٦) ـ أ ـ يااه!

ب ـ أوه!

ج ـ واااااو!

(٢,٣,٣) أبنية النداء:

وهي تنتشر بكثرة ومن أبرز أدوات النداء المستخدمة فيها "يا" و"أيّها". أمّا المنادى، فلا يشار إليه باسمه، بل بصفة من صفاته هي التي تحمل الإطراء:

(٢٧) ـ أ ـ أيها الجميل.

ب ـ يا أميرتي.

ج ـ يا محبوبتي.

(٢٨) ـ أ ـ أيها الشاعر المبدع.

ب ـ يا أخي الأنيق.

ج ـ يا حمامة السلام.

وكثيرًا ما يكون النداء مصحوبًا بفعل كلاميّ آخر قد يسبقه وقد يأتي بعده، شأن التعجّب (المجموعة ٢٩)، والدعاء (المجموعة٣٠). وربّما رافق النداء أكثر من عمل (المجموعة ٣١).

(٢٩) ـ يا حديث الرحمة ما أجملك!

(٣٠) ـ دام فضلك ياعزيز.

(٣١) ـ حييت ودمت أيها الفنان الجميل والرقيق.

(٢,٣,٤) الأبنية الاستفهاميّة:

وهي تتّسم بتنوّع محتواها الدلاليّ. فقد يعبّر الاستفهام عن رغبة المتكلم في معرفة مصدر موضوع الإطراء (٣٢)، أو عن تعجّبه (٣٣). وقد يكون المعنى المعبّر عنه في بنية الاستفهام رغبةُ المادح في أن يعرف إن كان الممدوح على وعي بالإعجاب الذي يثيره (٣٤). ومن المعاني التي تعبّر عنها بنية الاستفهام المستخدمة في الإطراء الحيرةُ تعصف بالمادح، فيكاد يخرج من عقله، ولا يعرف تفسيرًا لما يثير إعجابه (٣٥).

(٣٢) ـ كيف لم أعرف هذه الأغنية الجميلة من قبل؟

(٣٣) ـ مَن علّمك هذه الطريقة الرائعة في الغناء؟

(٣٤) ـ هل أنت واع بهذا الصوت الجميل؟

(٣٥) ـ أ ـ ماذا أقول في كلماتك وقد بلغت في تصنيفها تصنيف الذهب والجواهر؟

ب ـ ماذا فعلت حتى تخرجنا من عقولنا؟

والجامع بين مختلف هذه الأمثلة أنّ الإطراء فيها غير مباشر، لأنّه تأذى عن طريق فعل كلاميّ آخر نعني الاستفهام. وما من شكّ في أنّ الممدوح يستعين في تأويل هذه الملفوظات الاستفهاميّة بما احتوت عليه من نعوت (جميل، رائع...)، هي من قبيل المؤشّرات الدالّة على القوّة المضمّنة في الملفوظ والمتمثّلة في الإطراء.

(٢,٣,٥) أبنية الأمر والطلب:

وهنا أيضًا يكون الإطراء عملًا غير مباشر، ويكون الأمر أقرب إلى النصيحة أو إلى الحثّ والحضّ. أمّا فحوى النصيحة فدعوة للممدوح إلى أن يحافظ على الموضوع الذي عليه مدار المدح (٣٦) أو إلى أن يعيد العمل الذي أثار به إعجاب الآخرين واستحقّ من أجله الإطراء والثناء (٣٧).

(٣٦) ـ أ ـ حافظْ على هذا الصوت فهو نعمة.

ب ـ كن كما أنت كالأسد ولا تخش أحدًا.

(٣٧) ـ أ ـ واصلْ على هذا النهج فهو سيحملك إلى النجومية.

ب ـ لديك موهبة دللها وطورها.

(٢,٣,٦) الأبنية الدعائيّة:

امتزاج الإطراء بالدعاء ظاهرة شائعة مردّها في تقديرنا إلى تلك الوظيفة السلبيّة التي أشرنا إليها، حين عرضنا لوظائف الإطراء والتي تتمثّل في شعور قد يداخل الممدوح مفاده أنّ المتكلّم تسكنه رغبة دفينة في الاستحواذ على تلك المفخرة التي أسندها إليه. فالدعاء في هذه الحال طريقة يُبدّد بها المادح ذلك الشعور الذي يمكن أن يحصل عند الممدوح. واقتران الدعاء بالإطراء لا يمكن فهمه إلاّ إذا جعلناه بسبيل من معتقدات العرب والمسلمين، واستحضرنا اعتقاد المسلم في قدرة العين الحاسدة على إلحاق الأذى بصاحب النعمة من جهة، وفي مفعول الدعاء ونجاعته في إبطال تلك القدرة من جهة أخرى. فالدعاء إذن أشبه بـ" فعل استباقيّ إيجابيّ يقوم به المتكلّم، حتّى يُشعر مخاطَبه بأنّه يُكنّ له الخير ويرجو له دوام النعمة، وأنّ عينه ليست مالحة، وحتّى يذكّره بلطف أنّ ذلك من فضل الله" (عبيد، ٢٠١٥: ١٤٢). فدعاء المتكلّم يعبّر عن ثقافة شائعة تخاف العين والحسد. وهو ما تُفصح عنه بوضوح هذه الأمثلة التي يتحوّل فيها الدعاء إلى ما يشبه الرُقية والتعويذة التي تقي من الشّر، للاعتقاد في أنّ لها مفعولًا سحريّا:

(٣٨) ـ أ ـ الله يبعد عنكم كل حاسد.

ب ـ ربي يكفيك عيون الحاسدين.

ج ـ الله يبعد عنكما شر الحساد من شياطين الإنس، والجان إذا حسد.

والدعاء تركيبيًّا قد يمتزج بالإطراء، فتكون الحصيلة جملة دعائيّة واحدة (٣٩) وقد ينفصل عنه، فتكون الحصيلة جملتين: جملة الدعاء وجملة الإطراء (٤٠).

(٣٩) ـ أ ـ دام نبض قلمك وفكرك.

ب ـ زادك الله فضلًا وعلمًا.

(٤٠) ـ أ ـ بارك الله فيك معلومات جدًا قيمة.

ب ـ حفظك الله تعالى أيها الفنان الكبير والجميل.

ج ـ لا عدمتك يا أجمل قلب في الكون.

(٢, ٤) ظواهر تركيبيّة:

(٢, ٤, ١) ظاهرة الحذف

وهي شائعة لا تستأثر بها الجملة الاسميّة، ولا الجملة الفعليّة. بل هي ممّا يطرأ على الجملتين، ولا تسلم منها أغلب مكوّنات كلّ منهما.

ـ حذف المسند إليه: يُعدّ المسند إليه في الجملة الاسميّة من أكثر المكوّنات عرضة للحذف. ويمكن تقدير المبتدأ المحذوف بـ: أنت، هذه، هذا.... وهو ما يظهر في الأمثلة الآتية:

(٤١) ـ أ ـ منوّر.

ب ـ فنان.

ج ـ كلام في الصميم.

د ـ جمال لا يوصف.

هـ ـ إطلالة نجمة.

ـ حذف المسند والمسند إليه: وهو ممّا تستأثر به الجملة الفعليّة. ومن أمثلته:

(٤٢) ـ أ ـ قبلة على جبينك (المحذوف: أطبع).

ب ـ شكرًا على الوصفات السهلة والعملية (المحذوف: أشكرك).

ج ـ إلى الأمام (المحذوف: سرْ).

(٢, ٤, ٢) ظاهرة التقديم والتأخير:

تكون مكوّنات الجملة الاسميّة أكثر عرضة لهذه الظاهرة. ومن أهمّ ما وقفنا عليه تقديم الخبر على المبتدأ:

(٤٣) ـ أ ـ موسوعة أنت.

ب ـ جميلة جدًا هذه الصورة فدوى... لغوية بامتياز.

ج ـ خيال كتاباتك.

د ـ سلطانة أنت سيدتي وتاج راسي.

ه ـ عميقة هذه الكلمات.

أمّا الجملة الفعليّة فالحالات التي عثرنا عليها تكاد تقتصر على تقديم المفعول فيه أو المفعول المطلق على النواة الإسناديّة. ومن أمثلة ذلك:

(٤٤) ـ أ ـ دائمًا تبدعين.

ب ـ كعادتك وعهدك تتألّق.

(٢, ٤, ٣) ظاهرة التكثيف:

نعني بذلك استخدام المُطري عددًا من الأدوات والمفردات تنضوي تحت ما يُصطلح عليه بالمكثّفات (Intensifiers)، وتكون الغاية من وراء استخدامها تقوية عمل الإطراء، حتّى يبدو صادقًا ولا يُحمل الإعجاب الذي يعبّر عنه محمل المجاملة والتملّق. وقد تنوّعت أساليب التقوية والتكثيف. وكان من بينها:

- **التكثيف باستعمال القسم:**

(٤٥) ـ أ ـ والله إنك صادقة يا قلبي.

ب ـ قسمًا بالله دمعت عيناي.

ـ التكثيف باستعمال المفعول المطلق:

(٤٦) ـ أ ـ صور معبرة جدًا.

ب ـ أنت بارعة فعلًا.

ج ـ عودتنا دائمًا على التميز والإبداع.

ـ التكثيف باستعمال النعت:

(٤٧) ـ أ ـ حروفك مليئة بالشهد والجمال اللامتناهي.

ب ـ معلومات في غاية الأهمية.

ـ التكثيف باستعمال اسم "كلّ" الذي يفيد الشمول والاستغراق والتمام:

(٤٨) ـ أ ـ تستحق كل الاحترام.

ب ـ كل التهاني وكل الأمنيات التي تليق بشخصك الكريم أيها الصديق العزيز.

ج ـ مقالاتك كلها درر لا يملّ منها.

التكثيف القائم على توظيف العدد:

(٤٩) ـ أ ـ تستحق مليون إعجاب.

ب ـ شكرًا بلا عدد.

ج ـ لو مكثت ألف عام بين الأوراق لن أجد قدرة على كتابة سطر واحد بهذه الجودة والأناقة الأدبية.

ـ التكثيف القائم على الإشارة إلى بلد الممدوح:

(٥٠) ـ أ ـ تسلمين بنت بلادي.

ب ـ ما أروعك حفيدة بلقيس.

ج ـ رائعة بنت المغرب.

التكثيف القائم على التكرار اللّفظيّ والمعنويّ:

(٥١) ـ أ ـ بديع بديع.

ب ـ سلمت وسلم انتقاؤك.

ج ـ سحرني أدهشني المنظر.

د ـ رهيييييييب.

هـ ـ رااااائع أنت يا أبا أسامة.

التكثيف باستعمال صيغة التفضيل:

(٥٢) ـ أ ـ أجمل ما قرأت اليوم.

ب ـ كلمات جميلة والأجمل طلتك الرائعة.

ج ـ أنيقة يا أحلى من الفراولة.

(٥٣) ـ أ ـ من أروع ما قرأت عن الحب والعشق.

ب ـ من أجمل النصوص.

ج ـ من أصدق الأشخاص.

التكثيف باستعمال أسلوب الحشد والتركيم:

(٥٤) ـ أ ـ أسعدت بالشعر والدهشة والجمال.

ب ـ دام نبض قلمك وفكرك وروحك.

ج ـ أميرة إبداع وحقوقية وصحفية.

د ـ نور وشعلة نشاط وإبداع بلا حدود.

التكثيف القائم على إعادة الحروف المكتوبة:

(٥٥) ـ أ ـ نووووورتي يادكتووووورة الإنسانية في زمن.....تعالت فيه ثقافة الوحوش...والقسوة.

ـ رائعة هي كتابتك أتمنى أن أقرأك في رواية.

ب ـ أوههههههههههه. قوة عظيمة.

ج ـ يااااااااارب ما تبلى هالطلة الجميلة.

ـ استعمال أكثر من مكثّف:

(٥٦) ـ بكل صدق قلمك رائع جدًا.

(٢ , ٥) التعابير الأسلوبيّة:

تحتوي الملفوظات الإطرائيّة على صور بلاغيّة غير قليلة لعلّها تشترك في سمة جامعة، ألا وهي المبالغة في التعبير عن الإعجاب بموضوع الإطراء. وهذه المبالغة تجري في صور أسلوبيّة مختلفة منها:

(١ , ٢ , ٥) التشبيه:

وفيه تكون العلاقة القائمة على الشبه والقياس صريحة تعبّر عنها أدوات التشبيه التي تكون في مقدّمتها كاف التشبيه، وتأتي بعدها ألفاظ أخرى نحو: مثل وكأنّ..، أمّا وجه الشبه فغير مذكور في الغالب.

(٥٧) ـ أ ـ مشرق كالصبح.

ب ـ جميل مثل قلبك تمامًا.

ج ـ كتابة أنيقة كأنت.

وربّما سقطت الأداة ليكون التشبيه مؤكّدا:

(٥٨) ـ أ ـ أنت نجم السماء.

ب ـ كلامك ذهب.

(٢ , ٢ , ٥) الاستعارة:

وهي تختلف من جهة أشكالها والموادّ التي تغرف منها بحسب موضوع الإطراء وثقافة المطري. والغالب على الملفوظات الإطرائيّة الاستعاريّة التمثّلات الاجتماعيّة السائدة والأفكار الرائجة، واستنادها إلى المواضع المشتركة وإلى خطابات سابقة يقوم المطري بإعادة تفعيلها وفق ما يخدم الفعل الكلاميّ الذي يريد تحقيقه نعني الإطراء. ومن الأمثلة التي يظهر فيها المطري مُستعينًا بمكوّنات تنتمي إلى ما يُعرف بالذاكرة الجماعيّة التي تتجسّد في عدد من الأمثال والقوالب الجاهزة والتعابير المأثورة:

(٥٩) ـ أ ـ قمر ١٤ ماشاء الله عليكي.

ب ـ شهد العسل.

ج ـ أصبت كبد الحقيقة.

وعلى خلاف ذلك، لم يخل عدد من الإطراءات المتبادلة بين المثقّفين والمبدعين والدائرة على موضوع الإبداع، من طرافة وابتكار. فنحن هنا أمام ملفوظات إطرائيّة يحاول مُنتجوها أن يجعلوها تحاكي المفخرة التي جاءت تُثني عليها، وترتقي إلى مستوى تصبح فيه إبداعًا على إبداع.

(٦٠) ـ أ ـ قائد أركان القوافي. احتراماتي جنرال الصليعي.

ب ـ ذوق طاعن في الجمال.

ج نسمع هدير إبداعك.

د ـ الإبداع يخجل بين يديك.

(٥,٢,٣)الكناية:

ومنها هذه التعابير التي لا يقصد معناها الحرفي:

(٦١) ـ أ ـ أرى درويشًا جديدًا (كناية عن الشعرية).

ب ـ كدت آكل أصابعي (كناية عن لذة الطعم).

ج ـ تحطيم نفسي (كناية عن عظمة العمل وعدم القدرة على مجاراته أو القيام بمثل ما قام به).

د ـ أنت نجم (كناية عن الشهرة).

(٥,٢,٤) الجناس مع اسم الممدوح أوصفته:

وهو أسلوب في الإطراء يعمد فيه المطري إلى أن ينشئ علاقة صوتيّة تقوم على المجانسة والتشابه الصوتيّين بين الممدوح والمفخرة التي هي موطن الإعجاب. وفي ذلك إشارة من بعيد إلى أنّ ثناء المطري على الممدوح، ما هو إلاّ اكتشاف شيء لصيق به، واستخراج مفخرة هي كالجبلّة فيه مجاراة للقول المشهور: "لكلّ امرئ من اسمه نصيب". ومن أمثلة ذلك:

(٦٢) ـ أ ـ أبيات جميلة يا جميلة.

أ- عالم يحتفي بعلماء.

ج ـ أنت وردة الوطن العربي يا وردة.

د ـ دائمًا سامية بأخلاقك يا سامية.

هـ ـ نور ساطع يا نور.

و ـ ذكرى لا تزول أيتها الذكرى.

(٥,٢,٥) التناصّ:

وهو ممّا يختصّ به المثقّفون في إطراءاتهم التي كثيرًا ما تحمل شيئًا من ثقافتهم ومحفوظهم، شأن القرآن الكريم والحديث الشريف ومشهور النصوص من الشعر والنثر. فمن أمثلة التناصّ القرآنيّ:

(٦٣) ـ أ ـ من روعة ما تبهجنا نشتاق لك كما اشتاق نبي الله يعقوب لولده يوسف عليهما السلام: تناصّ مع سورة يوسف.

ب ـ إطلالتك تسر الناظرين.. : تناصّ مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٦٩ .

ج ـ منشور أبيض من غير سوء..: تناصّ مع قوله تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ القصص: ٣٢.

ومن أمثلة التناصّ الأدبيّ:

(٦٤) ـ أ ـ الأشقر يليق بك.

ب ـ الإنسانية تليق بك صديقي.

ج ـ الإبداع يليق بك..

فهذه الأمثلة الثلاثة مستلهمة من عنوان رواية الجزائريّة أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك".

(٦٥) ـ أ ـ إنها ليلة التألق تأتيك الكلمات والصور طواعية ويتعب غيرك: تناصّ مع فحوى بيت المتنبّي الشهير:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا

وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ ".

ب ـ احترت وأنا أقرأ قصيدتك للمرة العاشرة لقد أسمعت الأصم.. : تناصّ مع بيت شهير آخر للمتنبي من القصيدة نفسها:

"أَنَا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إلى أَدَبِي

وَأَسْمَعَتْ كَلِماتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ"

وممّا جاء مُحاكيا لنصّ غنائيّ:

(٦٦) ـ زينك عاملْ حالَهْ: تناصّ مع أغنية تونسيّة مطلعها: "قالوا زيني عاملْ حالَهْ".

والتناصّ يكون أيضًا مع عبارات عامّية جاهزة:

(٦٧) ـ أبصم بالعشره على إبداعك.

الخاتمة

تناولنا في هذا البحث الإطراء بوصفه فعلًا كلاميّا انتبه الدارسون إلى ما فيه من أبعاد نفسيّة وعاطفيّة، ومن ثمّ وضعوه في صنف الأفعال الكلاميّة التي لا يريد القائل من وراء إنجازها إلاّ مجرّد الإفصاح عمّا بداخله من مش.اعر، مثل الإعجاب أو الفرح أو الأسى. وعلى الرغم من اتّصاف هذا العمل بذلك الطابع العاطفيّ وتجرّده ـ في المقابل ـ من البعد العمليّ، فإنّ له على المستوى التفاعليّ وزنًا ثقيلًا وأثرًا بليغًا، حتّى أنّ دارسًا مثل ليتش عدّه مِن بين الأفعال الكلاميّة التي تُدخل على عمليّة التواصل بهجة وتُضفي على التفاعل الجاري بين المتكلّم والمخاطَب مسحة من الودّ، وتُسهم – بالاستتباع –في تعزيز العلاقات بينهما. بل إنّ كربراط أوروكيوني اتّخذت من هذا الفعل الكلاميّ والأفعال القريبة منه مدخلًا إلى نقد منوال التأدّب عند براون وليفنسون، واعتبرته دليلًا على أنّنا مثلما نأتي في أثناء التفاعل بأفعال كلاميّة ـ شأن السؤال والنقد والاعتذار تحمل في طبيعتها خطرًا يهدّد عمليّة التواصل، ومن ثمّ تحتاج إلى تهذيب وتلطيف ـ نُنجز أفعالًا أخرى، مثل: الشكر، والتهنئة، والإطراء، تُعزّز ماء وجه المخاطَب وتُشعره بأنّنا نُعجب به، ونُثمّن أفعاله، ونسعى إلى إرضاء رغباته.

وكانت عودتنا إلى عدد من الدراسات التي أفردت للإطراء في ثقافات غربيّة مفيدةً، إذ وفّرت لنا إطارًا جيّدا قرّبنا من هذا الفعل الكلاميّ، وعرّفنا به وبالوظائف التي ينهض بها والأبنية التركيبيّة المتكرّرة التي يرد عليها والمواضيع التي يدور عليها والعوامل التي تؤثّر في إنتاجه وتلقّيه. ولعلّ أهمّ ما أفدنا به وخلصنا إليه من تلك الدراسات، الانتباه إلى تجذّر هذا الفعل الكلاميّ في الثقافة، رغم أنّه ظاهرة كونيّة. وهي حقيقة أردنا أن نقيم الدليل

عليها باقتفاء أثر الإطراء في العربيّة، حتّى نقف على سلوكه وكيفيّة جريانه في ساحة حيّة من أبرز ساحات الاستعمال التي ينتشر فيها إنجاز هذا الفعل الكلاميّ، نعني بذلك الفيسبوك موقعًا من أهمّ مواقع التواصل الاجتماعيّ يشجّع المشتركين فيه على التعبير عن مشاعرهم تجاه أصدقائهم، ويُغريهم بإنتاج الإطراء وتبادله فيما بينهم، إذ يخصّص مصمّموه خانات ونوافذ لإنتاج الإطراء والتعليق عليه.

وبالفعل، كان التنوّع غالبًا على سلوك هذا الفعل الكلاميّ الذي ألفينا إلى جانب الطرق المباشرة في أدائه، ملفوظات لا يتمّ التعبير فيها عن الإعجاب والاستحسان على نحو مباشر وصريح، ولا يفهم الممدوح العمل الإطرائيّ المضمّن فيها، إلاّ إذا جاوز ظاهر الملفوظ، وانتبه إلى أنّ وراء الفعل الكلاميّ الظاهر إطراء، وأنّ هناك تعبيرًا عن الإعجاب قد تستّر بالمجاز.

ومن مظاهر التنوّع في إنجاز هذا الفعل الكلاميّ أنّ المُطري لا يسلك سبيلًا واحدة في أدائه، بل تراه ينتج الإطراء في صورة بسيطة يستأثر فيها عمل الإطراء بالملفوظ، ويُنتجه أيضًا في صور مركّبة تجد فيها إلى جانب الإطراء أفعالًا كلاميّة أخرى تسبقه أو تأتي بعده، وتكون مُكمّلة له على النحو الذي يصبح فيه للملفوظ أفعال صغرى كالشكر، والاعتذار، والتعبير عن أمنية، وعمل جامع هو الإطراء قوّةً مضمّنةً في القول يجري الملفوظ إلى تحقيقها، مهما تعدّدت الأفعال الكلاميّة صلبه.

ولم تخل الملفوظات الإطرائيّة في مدوّنتنا من تنوّع، حين قلّبنا النظر في أبنيتها التركيبيّة، على خلاف ما بدت عليه أبنية الإطراء في الدراسات الغربيّة التي عرضنا لها في أوّل البحث من اقتراب إلى الصيغ المنمّطة، لنزوع العبارة والتركيب فيها إلى التشابه والتنميط. نعم، لقد وجدنا الملفوظ الإطرائيّ يأتي في قوالب من الجملة الاسميّة والفعليّة بنوعيها البسيط والمركّب. وعثرنا ـ إلى جانب الجملة الخبريّة التقريريّة ـ على أبنية إنشائيّة في منتهى التنوّع، شأن الأبنية التعجّبيّة والأبنية الاستفهاميّة وأبنية الدعاء وأبنية الأمر والطلب. ووقفنا في تلك الأبنية بمختلف أنواعها على ظواهر تركيبيّة شائعة، كالحذف، والتقديم والتأخير، والتكثيف، الذي تنوّعت أدواته، وكانت الغاية من استعمالها التمكين للإطراء وتقويته.

والتنوّع ملمح برز لنا عندما نظرنا في الأساليب التي يستعملها الناشطون على شبكة الفيسبوك للتعبير عن إعجابهم والتي تكون الغاية من وراء استخدامها المبالغة في الإطراء. أجل، لقد تضمّنت الملفوظات الإطرائيّة عددًا من الأساليب والصور البلاغيّة المتنوّعة، كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والجناس. وإذا كان حظّ المشترك والمبتذل في تلك الأساليب غير

قليل، فذلك لا ينفي وجود ملفوظات إطرائيّة اجتهد منتجوها في إحكام الصلة بين دوالّ الملفوظات الإطرائيّة ومدلولاتها، واستثمروا ـ بإحسان ـ محفوظهم ونصوص ثقافتهم أصواتًا تتعدّدُ وتتشابكُ صلب الملفوظ الإطرائيّ. ولا نستطيع أن ننهي خاتمة البحث، من غير أن نشير إلى أنّ هذه النتائج التي قادنا إليها البحث، تظلّ مرتهنة بـ"مجتمع الدراسة" الذي وقع اختيارنا عليه وأشرنا إليه في آخر الفقرة المعنونة بـ"الإطراء في مواقع التواصل الاجتماعيّ: الفيسبوك أنموذجًا". وما من شكّ عندنا في أنّ التعبير عن الإعجاب في العربيّة لن يحتفظ بتلك الملامح كلّها، لو اقتفينا أثر هذا الفعل الكلاميّ في مدوّنة أخرى غير المدوّنة الفيسبوكيّة. ولسنا على يقين أيضًا من أنّ سلوك هذا الفعل الكلاميّ لن يصيبه التغيّر، في حال احتفاظنا بالمدوّنة الفيسبوكيّة وإدخالنا في المقابل متغيّراتٍ على مجتمع الدراسة شأن المستوى اللّغويّ والاجتماعيّ لأفراد العيّنة ومتغيّر الجنس وغير ذلك من العوامل التي لا نشكّ في أنّ لها أثرًا في ملفوظات الإطراء، من حيث تراكيبها والأساليب المستخدمة فيها ومدى نزوعها إلى التنميط.

شكر وتقدير:

أُنجز هذا البحث بدعم من قبل مركز بحوث الدراسات الإنسانيّة، عمادة البحث العلميّ، جامعة الملك سعود.

قائمة المراجع

أ ـ المراجع العربيّة:

شاردودو (باتريك) بالاشتراك مع د. منغنو: *معجم تحليل الخطاب*، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطنيّ للترجمة، تونس، ٢٠٠٨.

عبيد (حاتم): *نظريّة التأدّب في اللّسانيّات التداوليّة*، عالم الفكر، العدد ١، المجلّد ٤٣، ٢٠١٤.

عبيد (حاتم): *أهمّية البعد الثقافيّ في تعليم العربيّة لغةً ثانيةً مِن وجهة نظر لسانيّة تداوليّة: نظريّة التأدّب أنموذجًا*، مجلّة اللّسانيّات العربيّة، العدد: ٢، ٢٠١٥.

ب ـ المراجع الأجنبيّة:

Brown, Penelope and Stephen Levinson, (1987): *Politeness: Some universals in language usage*. Cambridge University Press.

Daikuhara, M. (186): *A Study of Compliments from a Cross ـ Cultural Perspective VS*. American English WPEL: Working Papers in Educational Linguistics 2 (2).

Herbert, R. K. (1991) *The Sociology of Compliment Work: An Ethnocontrastive Study of Polish and English Compliments*. Multilingua 10(4).

Herbert, R. K. (1986): *Say 'Thank You' ـ or Something. American Speech*, 61 (1).

Holmes, J. (198٨a) *Compliments and Compliment Responses in New Zealand English.* Anthropological Linguistics 28(4).

Mizutani, O. & Mizutani, N. (1987) *How to be Polite in Japanese*. Tokyo: The Japan Times.

Pomerantz, A. (1978) *Compliment Response: Notes on the Cooperation of Multiple Constraints*. In: Schenkein, J. (ed.) Studies in the organization of conversational interaction. 79 ـ 112. New York: Academic Press.

Searle, John R. (Apr., 1976), *A Classification of Illocutionary Acts*, Language in Society Vol. 5, No. 1.

Tang, C. and Zhang, G.Q. (2009) *A Contrastive Study of Compliment Responses among Australian English and Mandarin Chinese Speakers*. Journal of Pragmatics 41.

Wolfson, N. (1983) *An Empirically Based Analysis of Complimenting in American English. In: N. Wolfson & E.* Judd (eds.), Sociolinguistics and Language Acquisition. Rowley, MA: Newbury House.

Wolfson, N. and J. Manes. (1980) *The compliment as a social strategy*. Papers in Linguistics, 13.

Holmes, J. (198Λb): *Paying Compliments: A Sex ـ preferential Positive Politeness Strategy*, Journal of Pragmatics, 12.

Kerbrat ـ Orecchioni, C. (1998): *Les interactions verbales.* T.3. Paris : Armand Colin.

kerbrat ـ orecchioni, C. (2003) : *Les actes de langage dans le discours : théorie et fonctionnement.* Nathan, Paris.

kerbrat ـ orecchioni, C. (2005) : *Le discours en interaction.* Armand Colin>

Leech, Geoffrey N., (1983): *Principles of pragmatics.* London: Longman.

Manes, J. (1983) *Compliments: A Mirror of Cultural Values.* In: Wolfson, N. and Judd, E. (eds.) Sociolinguistics and Language Acquisition. 96 ـ 102. Rowley, MA: Newbury House.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ٣١-٦٦، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

"آسف جدًا يا صديقي": أساليب الاعتذار لدى متعلمي اللغة العربية

محمد ناصر الرياشي

ماجستير لغويات تطبيقية، معهد اللغويات العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٥/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية: الاعتذار، اللغة الثانية، فعل الكلام، إكمال الخطاب.

ملخص البحث: أُجريت العديد من الأبحاث على استخدام الاعتذار في اللغة الثانية، بيد أنَّ أغلب تلك الدراسات كانت تركز بشكلٍ كبير على عددٍ مُحددٍ من اللغات الأجنبية كاللغة الإنجليزية والألمانية والعبرية، في حين نجهل عن استخدام الاعتذار من قبل متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية، لذا فإنَّ هذه الدراسة تهتم بمدى تأثير المستوى اللغوي، وحجم المهمة المراد تنفيذها على أداء الاعتذار في اللغة الثانية. وقد شارك في هذه الدراسة مائة وخمسون طالبًا، وقُسِّموا إلى ثلاث مجموعات: متوسط، ومتقدم، وناطق أصلي، باستخدام اختبار إكمال الخطاب الذي تكوّن من تسعة مواقف اعتذارية. وقد وجدت هذه الدراسة أنَّ أداء المشاركين للاعتذار قد تأثر بدرجة واضحة باختلاف مستواهم اللغوي، مع وجود دلالة واضحة على تشابه أداء المجموعة المتقدمة للمجموعة الأصلية، مما يعني وجود تطور تداولي لدى المجموعة المتقدمة. أما فيما يتعلق بأداء المشاركين في المواقف التسعة، فقد كان جليًا أن أداءهم للاعتذار قد تأثر أيضًا باختلاف حجم المهمة المراد تنفيذها. أخيرًا، كشفت هذه الدراسة عن ظهور إستراتيجية جديدة للاعتذار وهي الألفاظ الدينية، وهذا بلا شك يوحي إلى احتمالية اختلاف أداء أفعال الكلام في اللغة العربية عن اللغات الأخرى.

"Very sorry, my friend": apologize methods the Arabic language learners

DR. Mohammed Nasser Ali Al-Reyashi
Master of Applied Linguistics, Arabic Linguistics Institutem King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 5/1/1438H; Accepted for publication 18/5/1438H)

Keywords: Apology, Second language, Speech Acts, Complete speech

Abstract: Apologizing in L2 has received a great deal of attention in Interlanguage Pragmatics. However, the majority of previous studies has focused mainly on certain languages such as English, German and Hebrew whilst there are some other languages that have been under-researched, e.g. Arabic. Therefore, the present study examines the use of apologies by L2 learners of Arabic, using Discourse Completion Test. It also looks at the influence of learners' proficiency and degree of imposition upon the production of apologies. There were 150 participants in this study, further divided into three groups: intermediate, advanced and native speaker. The results show that the learners' proficiency had a noticeable impact upon the learners' use of apologies. In other words, learners' production of apologies developed with the increase of proficiency. As a result, learners in the advanced group approximated Arabic native speakers in terms of the use of apologies. In addition, the results indicate that there was an effect of the social variable (degree of imposition) on the use of apologies. Finally, a new apology strategy, namely religious expressions, was used which casts some doubt on the universality of apology strategies identified in the literature.

مقدمة

يُقصد بالتداولية البينية (Interlanguage Pragmatics)، دراسة كيفية استخدام أو اكتساب متعلمي اللغة لأنماط العمل اللغوي في اللغة الثانية (Kasper and Blum-Kulka, 1992)، وتُعد من المجالات الحديثة في تعليم أو اكتساب اللغة الثانية التي لقيت اهتمامًا واسعًا لدى الباحثين في اللغويات التطبيقية في العقود الثالثة الماضية (القحطاني، ٢٠١٥، ٢٠١٤؛ Kasper and Rose، ٢٠٠٢)؛ لأنَّ التركيز على تعليم أو اكتساب التراكيب النحوية أو المفردات أو نطق الأصوات الصحيح لم يعد كافيًا، إذ أصبحت القدرة التواصلية أو الحوارية تؤدِّي دورًا بارزًا في تعليم أو اكتساب اللغة الثانية، حتى يتمكن المتعلمون من استخدام اللغة الهدف استخدامًا صحيحًا يمكنهم من التواصل الاجتماعي مع الآخرين – سواءً كانوا ناطقين أصليين أو غير ناطقين بها بصورة فعّالة (الجديع، ٢٠١٤)، وكذلك تجنب الوقوع في الفشل التداولي (Pragmatic Failure)، الذي قد يحدث بسبب سوء الفهم بين المتحدث والمتلقي (الحمد، ٢٠٠٩).[١]

وبالنظر إلى الأبحاث التي أجريت حتى الآن في مجال التداولية البينية، نجد أن جُلَّها تمحورت حول استخدام متعلمي اللغة لأفعال الكلام (Speech Acts)، وهذا بلا شك يُظهر أهمية نظرية أفعال الكلام في مجال التداولية البينية التي تركز على استخدام اللغة في تـأدية الأعمال اللغوية (Austin, 1962; Searle; 1969)، ولكن ما قد يُعاب على تلك الأبحاث هو تسليطها الضوء على لغات معينة كاللغة الإنجليزية واللغة العبرية واللغة الألمانية واللغة الإسبانية، وتجاهلها للغات أخرى كاللغة العربية. ومن هذا المنطلق، فإنَّ هذه الورقة ستسهم في سد مثل هذه الفجوة من خلال دراسة تأدية متعلمي اللغة العربية للاعتذار (Apology)، وقد اُختير الاعتذار دون غيره من أفعال الكلام الأخرى لكثرة استخدامه في حياة المتعلمين اليومية، ولتأثيره الكبير على العلاقات الاجتماعية، ولندرة الأبحاث التي أجريت على استخدامه من قبل متعلمي اللغة العربية.

فالبحث يهدف إذن إلى معرفة استخدام متعلمي اللغة العربية كلغةٍ ثانية لإستراتيجيات الاعتذار التي وضعها كوهين Cohen وأولشتين Olshtain من خلال النظر إلى مدى تأثير حجم المهمة المراد تنفيذها في استخدامهم لإستراتيجيات الاعتذار، إضافةً إلى معرفة التطور التداولي في استخدام أساليب الاعتذار لدى هؤلاء المتعلمين للعربية من غير الناطقين بها.

وتأتي أهمية هذا البحث في أنهُ يُعد أول دراسة باللغة العربية في فن الاعتذار وإستراتيجياته المعروفة التي وضعها كوهين Cohen وأولشتين Olshtain بمجال

---

(١) للمزيد عن التداولية والكفاية التداولية، انظر الجديع (٢٠١٤).

التداولية البينية Inter language Pragmatics وفق نظرية أفعال الكلام لأوستن Austin؛ لأنَّ أغلب الدراسات التي تطرقت لفعل الاعتذار الكلامي في مجال التداولية البينية Inter language Pragmatics كانت باللغة الإنجليزية، ولا توجد دراسات تطرقت لهذا الموضوع باللغة العربية سوى دراسة واحدة أُجريت على عينة من الطالبات الدارسات بقسمي اللغويات التطبيقية والأدب الإنجليزي في جامعة الملك سعود، كما تظهر أهمية البحث أيضًا في أنهُ درس التطور التداولي بين متعلمي اللغة العربية كلغةٍ ثانية من جنسياتٍ مُختلفة، ومستوياتٍ متعددة؛ من أجل بيان التطور التداولي في فعل الاعتذار الكلامي باللغة العربية، وإظهار ما إذا كان هناك اختلاف في توظيف إستراتيجيات الاعتذار بين المجموعات الثلاث المتوسطين، والمتقدمين، والناطقين الأصليين باللغة العربية.

الاعتذار

صنّف سيرل Searle (١٩٦٩) الاعتذار على أنه من الأعمال التعبيرية (Expressives) التي يُقصد بها "التعبير عن موقف أو شعور المتحدث تجاه شيء ما" (الجديع، ٢٠١٤، ص. ٥٠٩)، في حين عرّف فريزر Fraser (١٩٨١) الاعتذار بأنّه عملية التعبير عن الندم حيال الخطأ أو الذنب المرتكب، وتَحمّلُ المتحدث كامل المسؤولية على النتائج المترتبة عليه. ويتضح من هذا التعريف أنَّ الاعتذار يؤدِّي عددًا من الوظائف المختلفة، ولعل من أهمها هو إصلاح الخطأ أو الذنب الذي أُرتكب (Austin, 1962; Searle, 1969)، ويُسهم في الحفاظ على تقوية التآلف الاجتماعي (Goffman, 1971; Leech, 1983)، كما يُعد الاعتذار عقوبة للمُعتذِر لكون الاعتذار من الأعمال التي تهدد ماء وجه المتحدث، الأمر الذي سيسهم في تجنبه ارتكاب الأخطاء في المستقبل (Blum-Kulka and Olshtain, 1984). بناءً على ذلك، يُخفف الاعتذار من وطأة الخطأ على المُعتذَر له مما يقلل من نسبة بحثه عن الانتقام أو أخذ الثأر (Blum-Kulka and Olshtain, 1984)؛ لذا يتضح مما سبق أن الاعتذار يعزز العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويُبعد الضغينة من أفراده، فالإلمام به يعد أمرًا مهمًّا لمتعلمي اللغة الثانية عند انخراطهم في الحوارات الاجتماعية في اللغة الهدف.

وعلى الرغم من أنّ وظائف الاعتذار لا تتغير بتغير الثقافة أو اللغة، فإنّ أسلوب الاعتذار يختلف من ثقافة إلى أخرى ومن لغة إلى أخرى، وهو ما ينبغي أن يعيه متعلم اللغة حتى يكون اعتذاره مقبولًا لدى المُعتذَر له. ومن الممكن أن يختلف أسلوب الاعتذار من شخص إلى آخر في المجتمع نفسه، وذلك لعوامل عدة منها: – على سبيل المثال – العمر، والمستوى التعليمي، والخلفية الاجتماعية، والجنس، والمنزلة الاجتماعية (Cohen and Olshtain, 1981; Olshtain, 1983; Tannen, 1982).

وقد أظهرت الدراسات السابقة أنَّ أساليب الاعتذار – على الرغم من اختلافها عبر الثقافات واللغات – محدودة العدد، بمعنى آخر أنَّ المتحدثين بلغة ما قد يفضلون استخدام أساليب اعتذارية معينة في حين يلجأ متحدثون بلغة أخرى إلى استخدام أساليب اعتذارية مختلفة، لكنها في المجمل لا تخرج عن تلك الأساليب نفسها التي حدّدها عدد من الباحثين في مجال التداولية البينية (منهم على سبيل المثال،-Blum Kulka and Olshtain, 1984; Olshtain and Cohen, 1983; Trosborg, 1987)، وهذه الأساليب تشمل: التلفظ بالاعتذار، وطلب قبول الاعتذار من المُعتذَر له، والتعبير عن الندم، وتحمل مسؤولية الخطأ المرتكب، وطلب العفو والصفح من المُعتذَر له، والوعد بعدم تكرار الخطأ في المستقبل، والعرض بإصلاح الموقف أو تقديم تعويضٍ عن الخطأ. ورغم أن الدراسات السابقة التي أُجريت على العديد من اللغات قد أثبتت عالمية تلك الأساليب، فإننا لا نعلم عن مدى مصداقية ذلك الادعاء، خصوصًا في بعض اللغات الشرقية – مثل اللغة العربية – التي لم تُبحث حتى الآن، وهو الأمر الذي تعكف هذه الدراسة على التحقق منه، كون اللغة العربية لها طابع مختلف عن بقية اللغات لتأثرها بالدين الإسلامي الحنيف، فمن الممكن وجود بعض الألفاظ أو العبارات الدينية التي يلجأ لها المعتذِر أثناء تأدية الاعتذار في اللغة العربية.

وعند الحديث عن أساليب الاعتذار، ينبغي أن نلفت الانتباه إلى ما توصّل إليه براون وليفنسون (Brown and Levinson, 1987) – وهما من أسّسا نظرية التلطف (Politeness Theory) – من وجود ثلاثة متغيرات اجتماعية تؤثر تأثيرًا مباشرًا في أداء أفعال الكلام بوجه عام وفي أداء الاعتذار بوجه خاص، وهذه المتغيرات هي: البعد الاجتماعي Social Distance، والمنزلة الاجتماعية Social Status، ودرجة الإملاء Degree of Imposition، فالبعد الاجتماعي يُقصد به "التآلف" و"القرب" بين المتحدثين، فإذا كان المتحدثان يعرف أحدهما الآخر جيدًا فتكون درجة البعد الاجتماعي في هذه الحالة منخفضة (–)، أما إذا كانا لا يعرف أحدهما الآخر مطلقًا فتكون درجة البعد الاجتماعي في هذه الحالة مرتفعة (+)، في حين تكون درجة البعد الاجتماعي متساوية (=) إذا كانا يعرف أحدهما الآخر معرفة بسيطة؛ أمّا المنزلة الاجتماعية فيُقصد بها المنزلة الاجتماعية لكلا المتحدثين، فإذا كانت منزلة المتحدث أعلى من منزلة المستمع فتكون درجة المنزلة الاجتماعية منخفضة (–)، في حين إذا كانت منزلة المتحدث أقل من منزلة المستمع فتكون درجة المنزلة الاجتماعية عالية (+)، وتكون درجة المنزلة الاجتماعية متساوية (=) إذا كان المتحدث والمستمع في المنزلة نفسها، أمّا درجة الإملاء فيُقصد بها حجم المهمة المراد تنفيذها، فإذا

كانت المهمة شاقة وصعبة على المستمع، بحيث تريق ماء وجهه، فتكون درجة الإملاء عالية (+)، في حين إذا كانت المهمة سهلة وليس لها تأثير كبير على ماء الوجه فتكون درجة الفرض منخفضة (–)، أما إذا كانت المهمة متوسطة فتكون درجة الفرض معتدلة (=) (القحطاني، ٢٠١٥، ص. ٣٠٧-٣٠٨).

وقد أظهرت الدراسات الميدانية في مجال التداولية البينية عن نتائج متفاوتة حول وجود ارتباط وثيق بين تلك المتغيرات من جهة، وبين أداء أفعال الكلام عمومًا، والاعتذار خصوصًا من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال، فقد أظهرت الدراسة التي قام بها كلٌّ من: فولمر وأليشتيان (Vollmer and Olshtain, 1989)، لأداء الاعتذار في اللغة الألمانية أن المنزلة الاجتماعية، والبعد الاجتماعي قد أثر بدرجة كبيرة على استخدام عينة البحث لأساليب الاعتذار، كما عززت دراسة كيم (Kim, 2008)، ما دعا إليه براون وليفنسون، حيث وجدت الدارسة أنّ الناطقين باللغة الكورية الجنوبية استخدموا أساليب اعتذارية مع المتحدث صاحب المنزلة الاجتماعية العالية تختلف عن الأساليب التي استخدمت مع صاحب المنزلة الاجتماعية المنخفضة، في حين أنّ هناك بعض الدراسات أظهرت عدم وجود تأثير ملحوظ للمتغيرات الاجتماعية على أداء أفعال الكلام (على سبيل المثال، Ellis, 1992; Trosborg, 1995). "فمن الأرجح أن مدى تأثير هذه المتغيرات على أداء المشاركين لأفعال الكلام يختلف من لغة إلى لغة، ومن ثقافة إلى ثقافة، ففي بعض الثقافات يكون لمنزلة الشخص الاجتماعية تأثير واضح على أداء المتحاورين معه، في حين أنَّ مثل هذا الأمر قد لا يكون موجودًا في ثقافات أخرى" (القحطاني، ٢٠١٥، ص. ٣٠٨).

فن الاعتذار في العربية

الاعتذار مصدر اعتذر وهو مأخوذ من مادّة (ع ذ ر) الّتي تدلّ على معانٍ كثيرة غير منقادة، ومنها: العذر وهو روم الإنسان إصلاح ما أنكر عليه بكلام، ويقال منه: عذرته أعذره عذرًا من باب ضرب ضربًا، والاسم: العذر (بالضم) والجمع: أعذار. ويقال: فلان قام قيام تعذير فيما استكفيته، إذا لم يبالغ وقصّر فيما اعتمد عليه فيه. وقد تضمّ الذّال بالاتباع فيقال: «عذر»، ويقال: اعتذر فلان اعتذارًا ومعذرة وعذرة من دينه فعذرته، وهو معذور. وتقول: اعتذر إليّ، طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله أظهر عذره (ابن منظور، باب عذر، ١٩٨٥). وقال بعضهم: أصل العذر من العذرة وهي الشّيء النّجس، ومنه سمّيت القلفة العذرة، فقيل عذرت الصّبيّ إذا طهّرته وأزلت عذرته، وكذا عذرت فلانًا: أزلت نجاسة ذنبه بالعفو كقولك غفرت له أيّ سترت ذنبه (الرازي، ٢٠١٠)، (الفيومي، ٢٠١٠)، (عيد، ٢٠٠٥)، (الفيروز أبادي،

١٩٨٥)، (الأصفهاني، ٢٠٠٢). أمّا (إسكندر، ٢٠٠٢) فقد أورد كلمة الاعتذار بثلاثة معانٍ، هي:

١. اعتذر: (فعل) فيقال: اعتذرَ إلى / اعتذرَ عن / اعتذرَ لـ / اعتذرَ من يعتذر، اعتذارًا، فهو مُعتذِر، والمفعول مُعتذَرٌ إليه، واعْتذَرَ فلانٌ: صار ذا عُذْرٍ.

٢. اعْتذَرَ إليه: طَلَبَ قبول مَعْذِرَتِه، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦].

٣. اعتذار: (اسم) مصدر اِعْتَذَرَ، فيقال: قَدَّمَ اعْتِذارَهُ: عُذْرَهُ، أَي الحُجَّة الَّتي تُقَدَّمُ لِنَفْيِ ذَنْبٍ أو تَبْرِيرِهِ. أما في الاصطلاح فقد عُرف بالعديد من التعريفات منها: عرفه (القرني، ٢٠١٣)، بأنهُ محاولة الإنسان إصلاح ما أنكره عليه الآخرون، بأن يظهر الندم ويتحرى ما يمحو ذنبه. في حين قال (الكفويّ، ٢٠١٠)، الاعتذار: إظهار ندم على ذنب تقرّ بأنّ لك في إتيانه عُذرًا، أَمَّا (المناويّ، ٢٠٠٢)، فيقول: الاعتذار: تحرّي الإنسان ما يمحو أثر ذنبه». أمّا (القحطاني، ٢٠١٥) فيذكر أنّ وظائف أفعال كلام الاعتذار في الإنجليزية الأمريكية فتستخدم الاعتذارات لمجموعة متنوعة من الأسباب، مثل: (للقول بأنهم آسفون / لشرح لماذا حدثت الإساءة/ لإصلاح الإساءة، والحفاظ على علاقة طيبة مع المُخاطب).

ويعرِّف (الفقيه، ٢٠١٢) الاعتذار بأنهُ: "فعل نبيل وكريم، يُعطي الأمل بتجديد العلاقة وتعزيزها والتزام يحثنا على العمل من أجل تحسين العلاقات الاجتماعية".

ويذكر (المقالح، ١٩٩٥) أنّ كل اعتذار يجعلنا أكثر إدراكًا لمدى تأثير سلوكنا على الآخرين؛ لأنَّ كل اعتذار سنقدمه بعد الآن سيساعدنا على أن نكون أكثر وعيًا بالتأثير الذي يقع على الآخرين جراء سلوكنا وسوف يعلمنا أن نكون أكثر حساسية وحذرًا ومراعاة لمشاعر الآخرين في المستقبل عندئذ يمكن أن نحدث أثرًا في الآخرين ويمكن في النهاية أن نجعلهم أكثر حساسية تجاه نتائج سلوكهم، أمّا (الشميري، ٢٠١٠) فيذكر أنّ الشيء المعتاد عندما نرتكب خطأ ما، هو أن نحاول إيجاد الأعذار، والمبررات بطريقة أو بأخرى، لكن عندما نقر بأخطائنا ونحاول الاعتذار إلى الأشخاص الذين ألحقنا بهم الأذى ونجعلهم يشعرون بحقيقة مشاعرنا تجاه ما ارتكبناه في حقهم ونقوم بالتكفير عن أخطائنا، فإننا نستطيع أن نستعيد ثقة الآخرين فينا للحفاظ على علاقة جيدة. في حين يوضح (المتوكل، ١٩٨٥، ١١٧) أنّ الاعتذار هو التسليم بالخطأ والتي تتم بشكل سليم عندما:

١. نكون صادقين مع أنفسنا ونعترف بأننا قد ارتكبنا خطأ ونحتاج إلى أن نكفر عنه.

٢ــ نتحمل المسؤولية الكاملة عن أفعالنا وعن أي أذى سببناه لشخص آخر.

٣- يكون لدينا إحساس بأن تقديم الاعتذار هو شيء ملح للغاية نقدمه بأسرع ما يمكن.

٤- نخبر بالضبط كل من سببنا له الضرر أو الأذى بما ندرك الآن أننا قد أخطأنا فيه وأن نكون محددين للغاية، وأن نفعل ذلك.

٥- نطلع من تسببنا في إيذائهم بالمشاعر السيئة التي نحس بها تجاه ما فعلناه، ونوضح أنها سيئة بما يكفي لكي تجعلنا نغير من سلوكنا ونمتنع عن تكرار هذا الأمر ثانية.

وتقول (جابر، ٢٠٠٩) لكي يكون الاعتذار فعّالًا ومؤثرًا يجب أن ينبع من إحساس حقيقي بالندم والرغبة الحقيقية في عدم تكراره، يجب أن يشتمل على الآتي:

تقديم صورة واضحة عن الخطأ باختصار: تأكد أنك والطرف الآخر تتكلما عن الشيء نفسه بوضوح؛ لأنَّ ما يرضى من أسأت إليه أن يعرف أنك تدرك تمامًا ما أخطأت فيه، وما هو الخطأ لذلك يجب أن تركز على الخطأ دون التفرع لموضوع آخر. مثال: إذا تأخرت عن موعد لا تقول آسف على التأخير، بل اعتذر عما فاتك من اللقاء أو الاجتماع حتى تشعر الشخص بأهمية هذا اللقاء أو الاجتماع لديك، فيقبل اعتذارك بسعادة (إذا كان شخصًا طبيعيًا).

الإقرار بالخطأ الذي وقع: أظهرْ للطرف الآخر مدى إدراكك لما يشعر به من ضيق، لما حدث وتفهمك لخطأك تمامًا فيبدأ بتقبل اعتذارك.

تحمل المسؤولية وتكلم عن دورك في الخطأ: بدون عرض أي مبررات تكلم عما حدث بدقة واختصار؛ لتُشعر الطرف الآخر بمدى صدقك في الاعتذار ومعرفتك تمامًا بالخطأ. لا تحاول أن تدافع عن خطئك بصورة مبالغ فيها. إنَّ الموضوع "عنه" وعما " يشعر" به وليس عن نفسك. أو إن كان الخطأ مقصودًا أم لا؛ لأنَّ النتيجة واحدة وهي شعوره "بالإساءة " وهي الأهم والتي يجب أن تركز عليها عند قولك "آسف لما حدث ".

استخدم عبارة صريحة للاعتذار مع وعد بالالتزام: كلمة "آسف" أو " أعتذر" و "وعد" بعدم تكرار ما حدث ستعمل على إعادة بناء الثقة والعلاقة مرة أخرى وعلى أساس سليم دون غضاضة. تأكد أنَّ آسف مع تكرار الخطأ لا تفيد.

طلب العفو: إنَّ طلب العفو عن الخطأ يعطي الطرف الآخر الإحساس برد اعتباره وأنك فعلت ما هو مطلوب منك وأنك في انتظار تسامحه، أمّا الخطوة المقابلة منه ليست مسؤوليتك فقد قمت بواجبك.

أنواع الاعتذار في العربية: يذكر (المتوكل، ١٩٨٥، المقالح، ١٩٩٥)، أنّ الاعتذار نوعين شفهي أو مكتوب، وفيما يلي بيانًا لهما.

الاعتذار الشفهي:

إنَّ الفرق بين الاعتذار الشفهي والمكتوب، هو أنّك لا تعطي المتلقي وقتًا للتفكير في رد فعله، لذلك يجب أن تخطط لما ستفعله عند استقبال رد فعل الطرف الآخر سواء كان سلبيًا أم إيجابيًا، فإذا لم يكن في استطاعتك فعل ذلك فالأفضل أن ترسل اعتذارك مكتوبًا. إنَّ الاعتذار الشفهي عادة ما يكون كافيًا، ولكن أحيانًا يؤدِّي إلى المواجهة في حالة صعوبة الخطأ ومدى الإساءة التي تسبب فيها ونوع وشخصية الطرف الآخر وتفاعله مع الخطأ.

إنَّ الاعتذار الشفهي قد يكون أسهل من المكتوب؛ لأنّه لا يتطلب صياغة، كل ما هو مطلوب كلمة " آسف" أو "أعتذر" ولكن هناك بعض التكلفة التي قد تتحملها أو الفوائد التي يجب أن تضعها في الاعتبار كما سبق ذكره. إن الاعتذار الشفهي قد يتم وجهًا لوجه أو بالتليفون، ولكن يجب أن تضع شخصية الطرف الآخر والموقف نفسه في الاعتبار.

الاعتذار المكتوب: وهو يعطي الطرف الآخر الفرصة لاستيعاب ما كتبته وإعادة النظر في موقفه تجاهك. كما أنَّ الاعتذار المكتوب يجنبك المواجهة في حالة رد الفعل غير مقبولة لاعتذارك.

الدراسات السابقة في استخدام أساليب الاعتذار

عند النظر في الدارسات الميدانية التي أجريت حول أساليب الاعتذار، نجد أنها تمحورت حول نقطتين أساسيتين هما: مقارنة ناطقين أصليين للغتين أو أكثر لاستخدام أو تقييم أساليب الاعتذار، أو مقارنة الناطقين الأصليين للغة ما مع متعلمي تلك اللغة. ورغم أنّ هذه الدراسة تركز على متعلمي اللغة الثانية، فإنه من المفيد أن نسلط الضوء أولًا على استخدام أساليب الاعتذار في عدد من اللغات والثقافات المختلفة، حتى نتمكن من معرفة مدى الفروقات بين تلك اللغات والثقافات، ومن ثمّ مقارنتها بالأساليب الاعتذارية المستخدمة في اللغة العربية.

من أوائل الدراسات التي قارنت استخدام أساليب الاعتذار في عدد من اللغات هي دراسة أولشتين (١٩٨٩)، فقد اهتمت هذه الدراسة بمقارنة استخدام الناطقين الأصليين للغة الإنجليزية والألمانية والعبرية والفرنسية لأساليب الاعتذار من خلال استخدام اختبار إكمال الخطاب (Discourse completion Test)، وقد وجدت أولشتين أنّ هناك تشابهًا كبيرًا بين الناطقين الأصليين لتلك اللغات الأربع في استخدام الأساليب الاعتذارية من خلال تفضيلهم لأسلوب التعبير عن الندم، وتحمل المسؤولية الكاملة حيال الخطأ أو الذنب المرتكب. وفي دراسة أخرى، قارن برغمان وكاسبر (Bergman and Kasper, 1993)، استخدام أساليب الاعتذار في اللغتين التايلندية والإنجليزية من خلال استخدام اختبار إكمال الخطاب، وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أيضًا أنّ

التعبير عن الاعتذار وتحمل المسؤولية هما: الأسلوبان الشائعان لدى المتحدثين بتلك اللغتين، مما يدل على أنّ استخدام الاعتذار في اللغة التايلندية لا يختلف عن اللغة الإنجليزية. وفي دراسة مختلفة، ركزت سوغيموتو (Sugimoto, 1998) على مقارنة طلاب الجامعات في اللغتين اليابانية والإنجليزية لأداء الاعتذار، وقد وجدت اختلافًا جذريًا بين اللغتين، تمثل في استخدام طلاب الجامعات في اللغة اليابانية لأساليب متنوعة أكثر من نظرائهم في اللغة الإنجليزية. وبالمثل، فقد أظهرت الدراسة التي أجرتها سوزينسكا (Suszczynska, 1999)، حول تأدية الاعتذار في اللغة الإنجليزية والبولندية والهنغارية أن استخدام الاعتذار يختلف اختلافًا كبيرًا بين الناطقين بتلك اللغات. كما أنّ الاختلاف في استخدام أساليب الاعتذار وُجد بين الناطقين باللغة الإنجليزية واللغة الستسوانية المستخدمة في عدد من الدول الأفريقية (Kasanga and Lwanga-Lumu, 2007).

إنّ التباين في أساليب الاعتذار عبر اللغات ليس مقصورًا فقط على استخدام تلك الأساليب، بل يتعدى إلى مدى تقييم المتحدثين بلغات مختلفة لتلك الأساليب من منظور التلطف، فعلى سبيل المثال، فقد أجرى كلٌّ من: تشانغ وهيو (Chang and Haugh, 2011)، حول تقييم الناطقين الأصليين باللغة الإنجليزية الأسترالية، واللغة الصينية للأساليب الاعتذارية المستخدمة في مكالمة هاتفية بين أسترالي وصيني، وقد طُلب من المشاركين في هذه الدراسة أن يقيموا الأساليب الاعتذارية بناءً على مستوى التلطف المتكون من خمسة بنود (تبدأ بمهذب جدًا وتنتهي بغير مهذب جدًا)، ومن ثم أجرى الباحثون مقابلة مع جميع المشاركين لمناقشة تقييماتهم والأسباب التي أدَّت إلى اختيارهم لتلك التقييمات، وقد أظهرت النتائج أن الخلفية اللغوية والثقافية قد أثّرت تأثيرًا ملحوظًا في تقييمات المشاركين للأساليب الاعتذارية وتفسيراتهم لها.

بناءً على ما سبق، يتبين لنا أنَّ هناك تشابهًا بين استخدام أساليب الاعتذار في عدد من اللغات، كما أنَّ هناك أيضًا اختلافًا بين عدد من اللغات؛ لذا فعلى متعلم اللغة أن يأخذ ذلك في الحسبان عند التواصل في اللغة الهدف، حتى يكون اعتذاره مقبولًا ومهذبًا. وعند التطرق إلى متعلمي اللغة الثانية والاعتذار – وهو لب هذه الدراسة –، سنسلط الضوء فيما تبقى من هذه الفقرة على استخدام متعلمي اللغة الثانية لأساليب الاعتذار في اللغة الهدف.

بإجراء مسح على الدراسات الميدانية في مجال التداولية البينية، وجدنا أنَّ هناك عددًا كبيرًا منها ركزت على استخدام متعلمي اللغة الثانية لأفعال الكلام، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو تأثير المستوى اللغوي للمتعلمين في أدائهم لأفعال الكلام، ولقد نال الطلب النصيب الأكبر من تلك الدراسات،

غير أنَّ هناك عددًا لا بأس به ركزت على استخدام متعلمي اللغة الثانية للاعتذار، وكان اهتمام جُل تلك الدراسات منصبًّا على تعلم اللغة الإنجليزية والعبرية كلغة ثانية أو لغة أجنبية، في حين أنّ بعض اللغات – على سبيل المثال اللغة العربية – لم تلقَ اهتمامًا واسعًا من الباحثين في مجال التداولية البينية.

من أشهر الدراسات التي تطرقت لاستخدام متعلمي اللغة الثانية للأساليب الاعتذارية هي دراسة كوهين وألشتيان (Cohen and Olshtain, 1981)، وهما أول من عمل تصنيفًا للأساليب الاعتذارية، وقد شارك في هذه الدراسة ٣٢ شخصًا، قُسِّموا إلى ثلاث مجموعات: مجموعة متعلمي اللغة الإنجليزية من الجنسية الإسرائيلية، ومجموعة الناطقين الأصليين باللغة الإنجليزية، ومجموعة الناطقين الأصليين باللغة العبرية، وقد كانت أداة البحث المستخدمة في هذه الدراسة هي لعب الأدوار (Role Plays)، وقد أظهرت النتائج أنَّ المتعلمين قد وقعوا في فخ النقل التداولي (Pragmatic Transfer)، من اللغة الأم، وهو الأمر الذي لم يكن مقبولًا في اللغة الهدف، بمعنى آخر، أنه كان هناك اختلاف واضح بين أداء المتعلمين والناطقين الأصليين باللغة الإنجليزية، في حين أنَّ أداء المتعلمين في اللغة الهدف كان مشابهًا للناطقين الأصليين باللغة العبرية، مما يُعطي إشارة واضحة لمدى تأثير اللغة الأم على أدائهم في اللغة الهدف. وفي دراسة أخرى، أجرت أولشتاين (Olshtain, 1983) دراسة على متعلمي اللغة العبرية أثناء أدائهم للاعتذار، وقد قسّمت المتعلمين إلى مجموعتين: مجموعة لغتهم الأم اللغة الإنجليزية، ومجموعة لغتهم الأم اللغة الروسية، وقد وجدت الباحثة أن هناك تباينًا بين أداء المجموعتين، حيث كان جليًا أنّ الطلاب الروس استخدموا عددًا كبيرًا من الأساليب الاعتذارية عند مقارنتهم بنظرائهم الإنجليز، مما دعا الباحثة إلى إيعاز ذلك التباين إلى تأثير اللغة الأم في استخدام الأساليب الاعتذارية في اللغة العبرية. أما تروزبورق (Trosborg, 1987) فقد أجرت دراسة على أداء متعلمي اللغة الإنجليزية من الجنسية الهولندية للاعتذار ومقارنتهم بالناطقين الأصليين للغة الإنجليزية من خلال استخدام لعب الأدوار، وقد أظهرت النتائج أنَّ أداء المتعلمين لم يكن مختلفًا اختلافًا كبيرًا عن أداء الناطقين الأصليين، وقد أوزعت الباحثة ذلك إلى أحد أمرين، أولًا: أنَّ هناك تشابهًا بين اللغة الهولندية واللغة الإنجليزية حول استخدام الأساليب الاعتذارية، مما يعني حدوث نقل تداولي من اللغة الأم إلى اللغة الهدف، ثانيًا: أنَّ المتعلمين كانوا على مستوى عالٍ من الكفاية اللغوية والكفاية التداولية مكّنتهم من معرفة الأساليب الاعتذارية المفضلة في اللغة الهدف (الكفاية التداولية الاجتماعية)، ومن ثم استخدامها استخدامًا سليمًا في الحوارات الاجتماعية (الكفاية اللغوية التداولية).

هذه الدراسات وغيرها التي أُجريت على أداء متعلمي اللغة الثانية للاعتذار كانت تركز بدرجة كبيرة على مقارنة المتعلمين بالناطقين الأصليين، مع افتقادها لمقارنة المتعلمين ذوي المستويات اللغوية المختلفة بعضهم ببعض لتحديد مقدار التطور التداولي عند المتعلمين؛ لأنّ كاسبر وروز (Kasper and Rose, 2002)، قد خصصا فصلًا كاملًا في كتابهما الشهير عن "التطور التداولي في اللغة الثانية" عن مراحل التطور في بعض أفعال الكلام كالطلب والرفض، في حين لم يُتطرق إلى تطور استخدام أساليب الاعتذار في اللغة الثانية بسبب افتقاد المجال لدراسات ميدانية تقارن أداء الاعتذار بين متعلمين ذوي مستويات لغوية مختلفة، وهو الأمر الذي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه للإسهام في تطور هذا المجال.

الدراسات السابقة في الاعتذار في العربية

من خلال مراجعة المجلات العلمية المتخصصة في التداولية وكذلك المجلات في اللغويات التطبيقية، لم نجد إلا ثلاثة أبحاث تطرقت إلى الاعتذار في العربية، لكن هذه الدراسات الثلاث ركزت على استخدام الناطقين الأصليين للغة العربية لأداء الاعتذار (Bataineh and Bataineh, 2008; Jebahi, 2011; Nureddeen, 2008)، في حين أنّ هناك دراسة أخرى اهتمت بأداء الطلاب الأردنيين للاعتذار باللغة الإنجليزية (Bataineh and Bataineh, 2006). أمّا النظر في استخدام متعلمي اللغة العربية لأداء الاعتذار فلم يُبحث حتى الآن على حد علمنا. ونظرًا لعدم وجود دراسات ميدانية سلطت الضوء على أداء متعلمي اللغة العربية للاعتذار نستطيع مقارنة نتائجها مع نتائج هذه الدراسة، سنلجأ في هذه الفقرة إلى مراجعة نتائج تلك الدراسات، أملًا في أن تساعدنا على معرفة الأساليب الاعتذارية المستخدمة في اللغة العربية، ومن ثمَّ مقارنتها ببعض نتائج هذه الدراسة.

درست البطاينة والبطاينة (Bataineh and Bataineh, 2008) أداء الاعتذار في اللغة العربية (باللهجة الأردنية) واللغة الإنجليزية، وقد شارك في هذه الدراسة ٥٠ طالبًا وطالبة من الولايات المتحدة الأمريكية و٥٠ طالبًا وطالبة من الأردن، وقد طُلب من المشاركين إكمال اختبار إكمال الخطاب المتكون من عشرة مواقف اعتذارية، وقد أظهرت النتائج اختلافًا واضحًا بين أداء الاعتذار في اللغة الإنجليزية واللغة العربية، بحيث كان الطلاب والطالبات العرب يستخدمون أسلوب التعبير عن الاعتذار والمفخمات مراتٍ عديدة في الاعتذار الواحد، بينما كان الطلاب الإنجليز يستخدمون أساليب الاعتذار مرة واحدة فقط، وهو ما فسرته الباحثتان بمحاولة الطلاب والطالبات العرب كسب رضا المُعتذَر له، كما أنَّ الطلاب والطالبات العرب استخدموا بعض الحكم والأمثال أثناء تأدية الاعتذار.

وفي دراسة مماثلة، أجرى جباهي (Jebahi, 2011) دراسة على أداء الاعتذار في اللغة العربية (باللهجة التونسية)، وقد شارك في هذه الدراسة ٥٠ طالبًا و٥٠ طالبة يدرسون في إحدى الجامعات في تونس، وقد طُلب من المشاركين إكمال اختبار إكمال الخطاب التي تحتوي على عشرة مواقف اعتذارية، وقد وجد الباحث أنّ المشاركين فضّلوا استخدام أسلوب التعبير عن الندم وأسلوب تفسير أو سرد رواية الحدث، كما أنّ لفظ الجلالة (الله) استُخدم كثيرًا أثناء تأدية المشاركين لأداء الاعتذار، بناء على ذلك، أظهرت النتائج وجود تأثير مباشر للمتغيرات الاجتماعية (البعد الاجتماعي، والمنزلة الاجتماعية، ودرجة الإملاء)، على أداء المشاركين للاعتذار.

أمّا دراسة نور الدين (Nureddeen, 2008)، فقد سلطت الضوء على أداء الاعتذار في اللغة العربية (باللهجة السودانية)، من خلال استخدام اختبار إكمال الخطاب المكوّن من عشرة مواقف اعتذارية، وقد شارك في هذه الدراسة ٥٥ طالبًا و٥٥ طالبة يدرسون جميعًا في إحدى الجامعات بالخرطوم في السودان، وكما هو الحال في دراسة جباهي، فإنّ النتائج أشارت إلى تفضيل المشاركين لاستخدام أسلوب التعبير عن الندم وأسلوب تفسير أو سرد رواية الحدث على غيرها من الأساليب الاعتذارية، وأظهرت النتائج أيضًا عن استخدام المشاركين لبعض الكلمات، والعبارات الدينية كاحترازات لفظية للتخفيف من وطأة الخطأ أو الذنب المرتكب.

وفي دراسة مختلفة عن الدراسات السابقة، سلطت البطاينة والبطاينة (Bataineh and Bataineh, 2006) الضوء على مدى تأثير الجنس على أداء الطلاب الأردنيين للاعتذار في اللغة الإنجليزية، وقد شارك في هذه الدراسة جميع الطلاب والطالبات الذين يدرسون اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية في جامعة اليرموك، والجامعة الأردنية للعلوم والتقنية بالأردن (عددهم ١٠٠)، وقد طُلب من المشاركين إكمال اختبار إكمال الخطاب المكون من عشرة مواقف اعتذارية، وقد أظهرت النتائج تباينًا بين أداء الطلاب والطالبات للاعتذار، مما يُعطي دلالة واضحة لتأثير جنس المُعتذِر على أدائه للاعتذار.

إنّ الواضح من الدراسات السابقة هو تفضيل العرب استخدام التعبير عن الندم وتفسير رواية الحدث أو سردها أثناء تأدية الاعتذار، لكن لا نستطيع تعميم نتائج تلك الدراسات على جميع اللهجات العربية، لمعرفتنا التامة بمدى تأثير الخلفية اللغوية والثقافية على أداء أفعال الكلام عمومًا والاعتذار خصوصًا، إضافة إلى أننا نجهل عن كيفية استخدام متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية للاعتذار ومدى اختلاف أدائهم عن الناطقين الأصليين.

أسئلة الدراسة

هذه الدراسة إذن ستنظر في أداء متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية في المملكة العربية السعودية، من خلال تسليط الضوء على مدى تأثير المستوى اللغوي للمتعلم على أدائه، ومدى تأثير درجة الإملاء (كمتغير اجتماعي) على أدائهم للاعتذار، ومن ثم مقارنتهم بنظرائهم الناطقين الأصليين من اللهجة السعودية، وعلى هذا فالدراسة معنية بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. إلى أي مدى يؤثر المستوى اللغوي للمتعلم في أدائه للاعتذار في اللغة العربية؟

٢. إلى أي مدى يختلف أداء المتعلمين للاعتذار عن أداء الناطقين الأصليين؟

٣. إلى أي مدى تؤثر درجة الإملاء في أداء المتعلمين والناطقين الأصليين للاعتذار؟

٤. هل هناك إستراتيجيات جديدة استخدمها المشاركون في هذه الدراسة غير تلك المذكورة في الإطار المقترح من قبل كوهين وألشتاين (Cohen and Olshtain, 1981)؟

منهجية البحث

عينة البحث

شارك في هذا البحث مائة وخمسون طالبًا، مائة وخمسة منهم من متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية، وقُسِّموا إلى مجموعتين: متوسط ومتقدم بناءً على مستواهم الدراسي في معهد اللغويات العربية بجامعة الملك سعود، فالطلاب الذين كانوا يدرسون بالمستوى الرابع في برنامج اللغة صُنِّفوا على أنهم متوسطون؛ لامتلاكهم قدرًا كافيًا من الكفاية اللغوية في مهارات اللغة العربية، وعناصرها إضافةً إلى اكتسابهم جزءًا من ثقافة اللغة، أمَّا الطلاب الذين كانوا يدرسون الدبلوم العالي، والماجستير في برامج تعليم وتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها بمختلف مستوياتهم الدراسية فقد صُنِّفوا على أنهم متقدمون؛ لامتلاكهم قدرًا كبيرًا من الكفاية اللغوية في مهارات اللغة العربية وعناصرها إضافةً إلى اكتسابهم جزءًا كبيرًا من ثقافة اللغة في مراحلهم الدراسية السابقة، في حين كان عدد الطلاب الناطقين الأصليين باللغة العربية خمسة وأربعين طالبًا، واستُبعد الطلاب المبتدئين؛ نظرًا لضعف كفاءتهم اللغوية، ومقدرتهم الثقافية، خصوصًا في أفعال الكلام بين أفراد البيئة الاجتماعية التي يتلقون تعلم اللغة العربية كلغة ثانية في جامعة الملك سعود، وعليه فإنَّ الطلاب المشاركين في المجموعة المتوسطة اثنان وستون طالبًا، أمّا مجموعة المتقدمين فقد ضمت ثلاثة وأربعين طالبًا، أمّا مجموعة الناطقين الأصليين فقد ضمت خمسة وأربعين طالبًا، وكانت أعمارهم تتراوح بين ثماني عشرة إلى خمس وعشرين سنة (متوسط الأعمار: عشرون سنة)، وكانوا من جنسيات مُختلفة، حيث اشتملت الجنسية الأفريقية على ثلاثة وثلاثين طالبًا، و الجنسية الأوروبية على أحد عشر

طالبًا، في حين كانت الجنسية الآسيوية قد اشتملت على واحد وستين طالبًا، في حين كانت مشاركة الطلاب الناطقين الأصليين باللغة العربية من الجنسية السعودية؛ من أجل مقارنة أداء متعلمي اللغة العربية كلغةٍ ثانية مع الناطقين الأصليين باللغة العربية، وكان هؤلاء الطلاب يدرسون في تخصصاتٍ مُختلفة بجامعة الملك سعود، كانت أعمارهم تتراوح بين تسع عشرة سنة إلى خمس وعشرين سنة (متوسط الأعمار: واحد وعشرون سنة).

أدوات البحث

إنَّ الأبحاث في مجال التداولية قائمة بشكلٍ كبير على مقارنة متعلمي اللغة الثانية بعضهم ببعض، أو مقارنتهم بالناطقين الأصليين للغة الهدف فيما يتعلق بالطلب والرفض والشكوى والاعتذار، ومن هنا فإن أفضل الخيارات في مجال البحث التداولي هو الاعتماد على البيانات المُستنبطة *Elicited Data*، والتي تتكون من عدة أنواع لعل من أشهرها اختبار إكمال الخطاب *Discourse Completion Test* (القحطاني، ٢٠١٤)، وهي الأداة البحثية التي استُخدِمت في البحث، حيث طُلب من كل مشارك الإجابة عن تسعة مواقف اعتذارية كانت مقسمة إلى ثلاثة مستويات هي (مواقف سهلة / مواقف متوسطة / مواقف صعبة)، وقد ضم كل مستوى من هذه المستويات ثلاثة مواقف، صُمِّمت لغرض مدى تأثير حجم المهمة المراد تنفيذها (انظر المرفق). فشكل الموقف الأول والثاني والثالث المواقف السهلة، حيث يعتذر الشخص عن التأخر في إعادة القلم الذي استعاره من زميله أثناء الاختبار (الموقف الأول)، ويعتذر الشخص عن الذهاب مع زملائه لزيارة زميلهم المريض الذي يرقد في المستشفى (الموقف الثاني)، ويعتذر الشخص عن ترك زميله في السوق – الذي لا يعرفه جيدًا – لمدة ساعة كاملة (الموقف الثالث). في حين شكَّلت المواقف الرابع والخامس والسادس المواقف المتوسطة، حيث يعتذر الشخص عن التأخير في إعادة المبلغ الذي استعاره من زميله (الموقف الرابع)، يعتذر الشخص عن الذهاب مع زميله لإحضار عائلته من المطار بعد وعده بالذهاب معه (الموقف الخامس)، يعتذر الشخص عن زيارة زميله بعد أن وعده بزيارته وتناول وجبة العشاء معه (الموقف السادس). أمَّا المواقف السابع والثامن والتاسع فقد شكّلت المواقف الصعبة، حيث يعتذر الشخص عن الحادث الذي ارتكبه بالسيارة التي استعارها من زميله (الموقف السابع)، ويعتذر الشخص عن كسر تُحفة فنية ثمينة أثناء زيارته منزلَ زميله (الموقف الثامن)، يعتذر الشخص عن سكب القهوة على كتاب زميله الذي استعاره منه للاستعداد للامتحان (الموقف التاسع).

إجراءات البحث

بعد تصميم اختبار إكمال الخطاب، عُرضت المواقف على مختصين في مجال اللغويات التطبيقية بمعهد اللغويات العربية لتحكيمها، والنظر في مناسبة المواقف الاعتذارية لما صيغت له، وهو قياس الكفاية اللغوية ومدى تأثير حجم المهمة المراد تنفيذها أثناء الاستجابة للمواقف الاعتذارية، بعد ذلك عُدِّلت بعض المواقف بناءً على ملاحظات المحكمين. ومن أجل جمع بيانات البحث، التقى أحد الباحثين بالمشاركين في كل مجموعة على حدة، وقبل إعطائهم أوراق الاختبار، أُبلِغ المشاركين بأنّ الغرض من الدراسة هو تقييم المستوى اللغوي لديهم، حتى لا يكون تركيزهم منصبًا على كيفية أداء الاعتذار. وقد قُرِئت جميع المواقف لهم من قبل أحد الباحثين، والإجابة على جميع استفساراتهم. وبعد جمع البيانات قام أحد الباحثين بتفريغ البيانات، ثم قام الباحثان بتحليلها وفقًا للإطار المقترح من كوهين وألشتاين.

تحليل البيانات

حُلِّلت بيانات هذا البحث وفقًا للإطار المقترح من كوهين وألشتاين (*Cohen and Olshtain , 1981*)، والمتبع في أغلب الأبحاث، فهذا الإطار يقسم الاعتذار إلى خمس إستراتيجيات أساسية هي: التعبير عن الاعتذار *Expression of an apology*، إقرار المسؤولية *Acknowledgment of responsibility*، تفسير أو سرد رواية الحدث An explanation or account ، عرض إصلاح الموقف An offer of repair ، وعد بعدم تكرار الإساءة A promise of non-recurrence ، فالتعبير عن الاعتذار يعني استخدام المتكلم / الكاتب كلمة، أو تعبيرًا، أو جملة واحدة تحتوي على فعل مثل "يأسف"، أو "يعفو"، أو "يسامح"، أو "يعتذر". أما إقرار المسؤولية فيعني إقرار المسيء بخطئه في التسبب في هذه الإساءة وهي ما يمكن وضع درجة هذا الإقرار من طرف المعتذر على المحك. في حين أنّ تفسير أو سرد رواية الحدث فيعني وصف المتكلم/ الكاتب الوضع الذي دفع به لاقتراف الإساءة. أمّا عرض إصلاح الموقف فيجتهد فيه المعتذر محاولًا القيام بعمل أو تحمل الضرر الناجم عن اقترافه للإساءة. في حين يُقصد بإستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة أن يُلزم المعتذر نفسه بعدم تكرار الإساءة مرة أخرى، وهذا محدد بالموقف وأقل تواترًا من الإستراتيجيات الأخرى. كما ذكر كوهين وألشتاين أنه بإمكان المعتذر استخدام الخوالف والمفخمات (Interjections and Intensifiers)، والتي تشتمل على: تفخيم تعبير الاعتذار (مثل: أنا آسف حقًا، أو أنا حقًا آسف جدًا)، التعبير عن القلق الصريح تجاه المستمع (مثل: هل طال انتظارك؟)، استخدام إستراتيجيات متعددة للتفخيم (مثل: أنا آسف حقًا. هل أنت بخير؟ أنا آسف جدًا).

تحليل البيانات

أنواع إستراتيجيات الاعتذار

يتضح من الرسم البياني(١) أنّ جميع الأساليب الاعتذارية التي ذكرها كوهين وألشتاين (Cohen and Olshtain, 1981)، قد استُخدمت من قبل المشاركين في هذه الدراسة، إضافة إلى الخوالف والمفخمات، وكما يظهر جليًا أنَّ المشاركين لم يكتفوا بتلك الإستراتيجيات، بل إنهم استخدموا إستراتيجيات جديدة قد تكون خاصة باللغة العربية. في المجمل تُعد إستراتيجية التعبير عن الاعتذار هي الإستراتيجية الأكثر استخدامًا في هذه الدراسة؛ إذ بلغت نسبة استخدامها ٤٩,٤٣٪، تليها إستراتيجية تفسير أو سرد رواية الحدث؛ إذ بلغت نسبة استخدامها ٢٦,٣٣٪، في حين احتلت إستراتيجية عرض إصلاح الموقف المرتبة الثالثة بنسبة ١٠,٤٤٪، تليها إستراتيجية إقرار بالمسؤولية؛ إذ استخدمت بنسبة ٦,٦٪، وإستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة بنسبة ٠,٩٦٪ التي كانت أقل الإستراتيجيات استخدامًا، أما الخوالف والمفخمات فكان استخدامها قليلًا نسبيًا؛ إذ استخدمت بنسبة ٤,٤٩٪، وكما ذكرنا سابقًا فإنَّ المشاركين استخدموا إستراتيجيات جديدة لكن استخدامها كان قليلًا، حيث بلغت نسبة استخدامها مجتمعةً ١,٧٥٪.

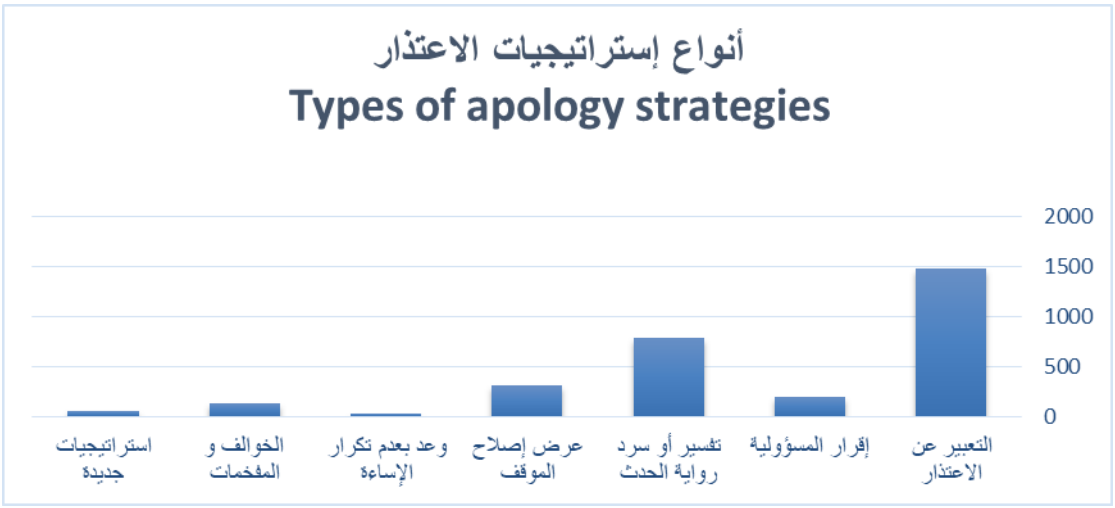

الرسم البياني رقم (١). أنواع إستراتيجيات الاعتذار.

تأثير المستوى اللغوي على استخدام إستراتيجيات الاعتذار

لبيان تأثير المستوى اللغوي على استخدام إستراتيجيات الاعتذار بين المجموعات الثلاث (متوسط، متقدم، أصلي)، فقد استُخدِم البرنامج الإحصائي spss من أجل حساب التكرارات والنسب المئوية لكل إستراتيجية من الإستراتيجيات في المواقف مجتمعة لدى كل مجموعة من المجموعات الثلاث (متوسط، متقدم، أصلي)، ثم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل مجموعة على حدة، وبيان قيمة كاي لكل مجموعة لبيان الفروق الإحصائية من عدمها من أجل اكتشاف تأثير المستوى اللغوي بين المجموعات (انظر الجدول رقم ١).

جدول رقم (١). دلالة الفروق في نسب تأثير المستوى اللغوي بين المجموعات

المجموعة	متوسط		متقدم		أصلي	
إستراتيجيات الاعتذار	التكرار الكلي	النسبة المئوية	التكرار الكلي	النسبة المئوية	التكرار الكلي	النسبة المئوية
التعبير عن الاعتذار	٦١٣	٥٤,٨٧	٤٣٠	٤٩,٠٨	٤٣٨	٤٣,٦٦
الإقرار بالمسؤولية	٧٧	٦,٨٩	٥٦	٦,٣٩	٦٥	٦,٤٨
تفسير أو سرد رواية الحدث	٢٦٨	٢٣,٩٩	٢٢٣	٢٥,٤٥	٢٩٨	٢٩,٧١
عرض إصلاح الموقف	١٠٥	٩,٤	٩٦	١٠,٩٥	١١٢	١١,١٦
وعد بعدم تكرار الإساءة	١	٠,٠٨	٣	٠,٣٤	٢٥	٢,٤٩
الخوالف والمفخمات	٤٦	٤,١١	٤٤	٥,٠٢	٤٤	٤,٣٨
إستراتيجيات جديدة	٧	٠,٦٢	٢٤	٢,٧٣	٢١	٢,٠٩
المجموع	١١١٧	١٠٠	٨٧٦	١٠٠	١٠٠٣	١٠٠
المتوسط الحسابي	١٥٩,٥٧		١٢٥,١٤		١٤٣,٢٨	
الانحراف المعياري	٥,٣٥		٦,٧٩		٩,٠٧	
قيمة كاي	٢,٧١٤ غير دالة إحصائيًا درجة حرية (٢)					
قيمة sig	**٠,٢٥٧**					

من الجدول رقم (١) يتضح لنا أنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث فيما يتعلق باستخدام الإستراتيجيات الاعتذارية مجتمعةً، حيث بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث (*2.714*) عند مستوى *0.257* و هي غير دالة إحصائيًا، أما عن المتوسطات وانحرافاتها المعيارية فقد حصلت المجموعة المتوسطة على متوسط حسابي *159.57* وانحراف معياري بلغ *5.35*، فيما كانت المجموعة المتقدمة قد حصلت على متوسط حسابي قيمته *125.14* وبانحراف معياري بلغ *6.79*، أمّا المجموعة الأصلية فقد كان متوسط استجاباتها *143.28* وبانحراف معياري بلغ *9.07*، وهذا يدل على التقارب بين المجموعات الثلاث في الأداء لإستراتيجيات الاعتذار بصورة عامة. أما لبيان دلالة الفروق بين المجموعات الثلاث (متوسط، متقدم، أصلي)، فيما يتعلق بتأثير المستوى اللغوي على استخدام كل إستراتيجية على حدة، فقد تم حساب دلالة الفروق بين النسب المستقلة باستخدام البرنامج الإحصائي *spss* مع بيان قيمة مربع كاي لاستجابة أفراد المجموعات الثلاث على كل إستراتيجية.

جدول رقم (٢). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية التعبير عن الاعتذار في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية التعبير عن الاعتذار			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
النسبة	٤٢,٥٥	٢٧,٠٦	٣٠,٣٩	٦,١٦١*
متوسط (ك)	٨,٠٠	٢,٦٧	٤,٣٣	

*متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة

من الجدول رقم (٢)، يتضح لنا أنّ هناك فروقًا دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، فيما يتعلق باستخدام إستراتيجية الاعتذار، حيث بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث *6.161* عند مستوى دلالة *0.05*، وهذا يدل على وجود فروق بين نسب إستراتيجية التعبير عن الاعتذار لدى المجموعات، إذ كانت نسبة إستراتيجية التعبير عن الاعتذار بين مجموعة "متوسط" ومجموعة "متقدم" لصالح مجموعة "متوسط"، وبين مجموعة "متقدم" ومجموعة "أصلي" لصالح مجموعة "أصلي"، وهذا يعود إلى كثرة تكرار الألفاظ التعبيرية في الاعتذار لصالح المجموعة المتوسطة على المجموعة المتقدمة

والمجموعة الأصلية. بمعنى آخر، لجأ المشاركون في المجموعة المتوسطة إلى استخدام إستراتيجية التعبير عن الاعتذار أكثر من نظرائهم في المجموعة المتقدمة، والمجموعة الأصلية، هذه النتيجة قد تبدو من الوهلة الأولى غريبة بعض الشيء، لكننا سنتحدث عنها بإسهاب أثناء مناقشة النتائج.

جدول رقم (٣). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية إقرار المسؤولية في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية إقرار المسؤولية			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
النسبة	٣٨,٨٨	٢٨,٢٨	٣٢,٨٢	٠,٠٢٣
متوسط (ك)	٥,٠٠	٤,٨٣	٥,١٧	

* متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة.

من الجدول رقم (٣)، يتضح لنا أنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، فيما يتعلق باستخدام إستراتيجية إقرار بالمسؤولية، حيث بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث 0.023 عند مستوى دلالة.988 0، وهذا يدل على التقارب بين نسب إستراتيجية إقرار المسؤولية بين المجموعات الثلاث.

جدول رقم (٤). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية تفسير أو سرد رواية الحدث في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية سرد أو رواية الحدث			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
النسبة	٣٣,٧٥	٢٨,٠٨	٣٧,٥٣	١,١٥٦
متوسط (ك)	٦,٠٠	٣,٦٧	٥,٣٣	

*متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة

من الجدول رقم (٤)، يتضح لنا أنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، فيما يتعلق باستخدام إستراتيجية تفسير أو سرد رواية الحدث، فقد بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث 1.156 عند مستوى دلالة 0.561، وهذا يدل على أنه لا توجد فروق بين المجموعات الثلاث حول استخدام إستراتيجية تفسير أو سرد رواية الحدث.

جدول رقم (٥). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية عرض إصلاح الموقف في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية عرض إصلاح الموقف			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
مجموع التكرارات	٣٣,٥٤	٣٠,٦٧	٣٥,٧٨	٠,٧٤٧
متوسط (ك)	٤,٦٧	٤,٣٣	٦,٠٠	

* متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة

من الجدول رقم (٥)، يتضح لنا أنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين نسب إستراتيجية عرض إصلاح الموقف لدى المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، بل تكاد تتساوى النسبة بينهم فقد بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث 0,747 عند مستوى دلالة 0.688، وهذا يدل على أنه لا توجد فروق بين المجموعات الثلاث حول استخدام إستراتيجية عرض إصلاح الموقف.

جدول رقم (٦). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية وعد بعدم تكرار الإساءة			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
النسبة	٣,٤٤	١٠,٣٤	٨٦,٢٠	٦,٠٠٦*
متوسط (ك)	٢,٨٣	٤,١٧	٨,٠٠	

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 *متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة.

من الجدول رقم (٦)، يتضح لنا أنَّ هناك فروق دالة إحصائيًا بين نسب إستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة بين المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، فقد بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث 6.006 عند مستوى دلالة 0.05 لصالح مجموعة أصلي بصورة كبيرة، تليها مجموعة متقدمة، ثم مجموعة متوسطة وهي المجموعة الأقل استخدامًا لإستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة.

جدول رقم (٧). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية الخوالف والمفخمات لدى المجموعات الثلاث.

الإستراتيجية	إستراتيجية الخوالف والمفخمات			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
النسبة	٣٤,٣٢	٣٢,٨٣	٣٢,٨٣	٠,٠٨٩
متوسط (ك)	٥,٣٣	٥,٠٠	٤,٦٧	

*متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة

من الجدول رقم (٧)، يتضح لنا أنّه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، فيما يتعلق باستخدام إستراتيجية الخوالف والمفخمات، بل إنّ النسب كانت متساوية بين مجموعة "متقدم" ومجموعة "أصلي"، ومتقاربة مع مجموعة "متوسط"، حيث بلغت قيمة كاي للمجموعات الثلاث 0.089 عند مستوى دلالة 0.957، وهذا يدل على أنه لا توجد فروق بين المجموعات الثلاث حول استخدام إستراتيجية الخوالف والمفخمات.

جدول رقم (٨). دلالة الفروق بين نسب إستراتيجية جديدة في المجموعات الثلاث

الإستراتيجية	إستراتيجية جديدة			قيمة كاي
العينة	متوسطة	متقدمة	أصلية	
مجموع التكرارات	١٣,٤٦	٤٦,١٥	٤٠,٣٨	٢,٩٦٥*
متوسط (ك)	٣,٦٧	٤,٦٧	٦,٦٧	

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 *متوسط (ك) يعني متوسط التكرارات لدى كل مجموعة.

من الجدول رقم (٨)، يتضح لنا أنّ هناك فروقًا دالة إحصائيًا بين نسب إستراتيجية جديدة لدى المجموعات الثلاث (متوسطة، متقدمة، أصلية)، حيث بلغت قيمة كاي 2,965 عند مستوى دلالة 0.05، وهذا يدل إذن على وجود فروق بين نسب إستراتيجية جديدة لدى المجموعات، حيث كانت نسبة إستراتيجية جديدة بين مجموعة "متوسط" ومجموعة "متقدم" لصالح مجموعة "متقدم"، وبين مجموعة "متوسط" ومجموعة "أصلي" لصالح مجموعة أصلي. بمعنى آخر، كان هناك تباين بين أداء المتعلمين من جهة، وأداء الناطقين الأصليين من جهة أخرى، حيث أظهر الناطقين الأصليين قدرة تداولية عالية باستخدام إستراتيجيات جديدة، في حين أن المتعلمين لم يستخدموها بنسبة عالية، لكن من الواضح جدًا أنّ المتعلم كلما زاد مستواه اللغوي، كان قادرًا أكثر على استخدام تلك الإستراتيجيات بدرجة أكبر، وهو الأمر الذي قد يُعطي إشارة واضحة على مدة ارتباط المستوى اللغوي بالأداء التداولي، وهو ما سنتحدث عنه بإسهاب أثناء مناقشة النتائج لاحقًا.

عمومًا، نستنتج مما سبق عدم وجود تباين بين المجموعات الثلاث حول استخدام الأساليب الاعتذارية في اللغة العربية كلغة ثانية مجتمعةً، في حين وجدنا – عند النظر في استخدام كل أسلوب اعتذاري على حدة – أنّ المستوى اللغوي للمتعلمين أثّر تأثيرًا ملحوظًا على استخدامهم للأساليب الاعتذارية، خصوصًا فيما يتعلق باستخدام إستراتيجية "التعبير عن الاعتذار" و"الوعد بعدم تكرار الإساءة" و"إستراتيجية جديدة"، أمّا الإستراتيجيات الأخرى فلم تظهر النتائج تأثيرًا للمستوى اللغوي على استخدامها في هذه الدراسة. وبعد النظر في مدى تأثير المستوى اللغوي على استخدام إستراتيجيات الاعتذار، سنسلط الضوء في مدى تأثير درجة الإملاء أو حجم المهمة المراد تنفيذها على استخدام الأساليب الاعتذارية في اللغة العربية كلغة ثانية.

تأثير حجم المهمة على استخدام الإستراتيجيات الاعتذارية

عند النظر في تأثير حجم المهمة المراد تنفيذها على استخدام إستراتيجيات الاعتذار في المجموعات الثلاث مجتمعةً، أظهرت النتائج بوجهٍ عام وجود فروقات بين أداء المشاركين لإستراتيجيات الاعتذار في المواقف الصعبة من ناحية، والمواقف السهلة والمتوسطة من ناحية أخرى، فمن حساب النسب المستقلة للإستراتيجيات الاعتذارية في المواقف الثلاثة (انظر الجدول ٩)، نجد وجود فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات الثلاث أثناء استخدام إستراتيجية إقرار المسؤولية؛ إذ بلغت قيمة كاي 7.513 عند مستوى دلالة 0.05 لصالح المواقف الصعبة، إضافة إلى وجود فروق

دالة إحصائيًا بين المجموعات أثناء استخدام إستراتيجية عرض إصلاح الموقف؛ إذ بلغت قيمة كاي 6.720 عند مستوى دلالة 0.05 لصالح المواقف الصعبة، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيًا بين المجموعات أثناء استخدام إستراتيجية جديدة، حيث بلغت قيمة كاي 6.630 عند مستوى دلالة 0.05 لصالح المواقف الصعبة. بمعنى آخر، كان أداء المشاركين في هذه الدراسة للإستراتيجيات "إقرار بالمسؤولية"، و"عرض إصلاح للموقف"، و"إستراتيجية جديدة" في المواقف الصعبة مختلفًا عن أدائهم في المواقف المتوسطة والسهلة، مما يعني وجود تأثير لحجم المهمة المراد تنفيذها على أداء المشاركين لتلك الإستراتيجيات الثلاث، في حين أنّ هذا المتغير لم يكن لها أثر واضح في أداء المشاركين لبقية الإستراتيجيات.

جدول رقم (٩). دلالة الفروق في النسب المستقلة للإستراتيجيات المستخدمة في المواقف الثلاث

المواقف	مواقف سهلة		مواقف متوسطة		مواقف صعبة		المجموع	قيمة كاي
الإستراتيجيات	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية		
التعبير عن الاعتذار	٤٩٥	٣٣,٤٢	٤٨٧	٣٢,٨٨	٤٩٩	٣٣,٦٩	١٤٨١	٠,٣٠١
إقرار المسؤولية	١٢	٤,٢٥	٠	٠	٢٧٠	٩٥,٧٤	٢٨٢	٧,٥١٣*
تفسير أو سرد رواية الحدث	٣٤٠	٤١,٦٦	٣٨٥	٤٧,١٨	٩١	١١,١٥	٨١٦	٥,٦٠٠
عرض إصلاح الموقف	٠	٠	٢	٠,٦٣	٣١١	٩٩,٣٧	٣١٣	٦,٧٢٠*
وعد بعدم تكرار الإساءة	٤	١٤,٢٨	٦	٢١،٤٢	١٨	٦٤,٢٨	٢٩	٠,٦٤٩
الخوالف والمفخمات	٣٠	٢٢,٣٨	٣٩	٢٩,١٠	٦٥	٤٨,٥٠	١٣٤	٥,٦٠٠
إستراتيجيات جديدة	٨	١٥,٣٨	٦	١١,٥٣	٣٨	٧٣,٠٧	٥٢	٦,٦٣٠*
المجموع	٨٨٩	١٠٠	٩٢٥	١٠٠	١٢٩٢	١٠٠	٣١٠٦	٢,٧١٤

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05. وفيما يلي مقارنة بين نسب الإستراتيجيات المستخدمة في المواقف السهلة والمتوسطة والصعبة لدى كل مجموعة من المجموعات الثلاث، من أجل التعرف على الفروق الموجودة بين استخدام الإستراتيجيات الاعتذارية في المواقف الثلاث لدى كل مجموعة على حدة، وبيان أي المواقف أكثر تأثيرًا على استخدام المشاركين في كل مجموعة للإستراتيجيات الاعتذارية.

للكشف عن دلالة الفروق بين إستراتيجيات الاعتذار في المواقف الثلاثة (السهلة، المتوسطة، الصعبة)، لدى مجموعة "متوسط"، فقد استُخدِم اختبار دلالة الفروق بين نسب استخدام الإستراتيجيات الاعتذارية في المواقف الثلاثة (انظر الجدول ١٠)، وقد أظهرت النتائج أنّ هناك فروقًا دالة إحصائيًا في استخدام هذه المجموعة للإستراتيجيات الاعتذارية في المواقف الصعبة من ناحية، وفي المواقف السهلة والمتوسطة من ناحية أخرى، إذ وُجد أن الطلاب في هذه المجموعة استخدموا إستراتيجية "إقرار بالمسؤولية" وإستراتيجية "عرض إصلاح الموقف" في المواقف الصعبة أكثر منها في المواقف السهلة والمتوسطة، فقد بلغت قيمة كاي لإستراتيجية إقرار المسؤولية 4.513 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة، وكذلك بلغت قيمة كاي لإستراتيجية عرض إصلاح الموقف 5.720 وهي أيضًا دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة. فيما لوحظ أيضًا أنّ هناك فروقًا دالة إحصائيًا لاستخدام إستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة، إذ بلغت قيمة كاي 0.02 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف السهلة، أمّا فيما يتعلق باستخدام بقية الإستراتيجيات، فقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيًا بين استخدام المشاركين في هذه المجموعة لها في المواقف الثلاثة.

جدول رقم (١٠). دلالة الفروق في نسب إستراتيجيات الاعتذار المستخدمة في المجموعة المتوسطة في المواقف الثلاث

المواقف	تكرارات ونسب استجابات العينة المتوسطة لإستراتيجيات الاعتذار						قيمة كاي
	مواقف سهلة		مواقف متوسطة		مواقف صعبة		
إستراتيجيات الاعتذار	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
التعبير عن الاعتذار	٢٠٤	٥٨,١١	٢٠١	٥٨,٩٤	٢٠٨	٤٨,٩٤	٠,٤٣٥
إقرار بالمسؤولية	٢	٠,٥٦	٠	٠	٧٥	١٧,٦٤	٤,٥١٣*
تفسير أو سرد رواية الحدث	١٢٥	٣٥,٦١	١٢٨	٣٧,٥٣	١٥	٣,٥٢	٠,٢٦٥
عرض إصلاح الموقف	٠	٠	٠	٠	١٠٥	٢٤,٧	٥,٧٢٠*
وعد بعدم تكرار الإساءة	١	٠,٢٨	٠	٠	٠	٠	٠,٠٢*
الخوالف والمفخمات	١٧	٤,٨٤	١١	٣,٢٢	١٨	٤,٢٣	١,٢٢٥

تابع جدول رقم (١٠).

المواقف	تكرارات ونسب استجابات العينة المتوسطة لإستراتيجيات الاعتذار						قيمة كاي
	مواقف سهلة		مواقف متوسطة		مواقف صعبة		
إستراتيجيات الاعتذار	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
إستراتيجيات جديدة	٢	٠,٥٦	١	٠,٢٩	٤	٠,٩٤	٠,٥٦٧
المجموع	٣٥١	١٠٠	٣٤١	١٠٠	٤٢٥	١٠٠	
المتوسط الحسابي	٥٠,١٤		٤٨,٧١		٦٠,٧١		

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05

وعن مجموعة "متقدم"، فقد استُخدِم اختبار دلالة الفروق بين النسب المرتبطة للكشف عن دلالة الفروق بين استخدام المشاركين في هذه المجموعة لإستراتيجيات الاعتذار في المواقف الثلاثة، وقد أظهرت النتائج – كما هو موضح في الجدول رقم (١١)، أنّ هناك فروقًا دالة إحصائيًا بين أدائهم في المواقف الصعبة من ناحية، والمواقف السهلة والمتوسطة من ناحية أخرى، إذ وجد أنّ إستراتيجية إقرار بالمسؤولية وإستراتيجية عرض إصلاح الموقف أكثر استخدامًا في المواقف الصعبة لدى هذه المجموعة، إذ بلغت قيمة كاي لإستراتيجية إقرار المسؤولية 5.513 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة، وكما بلغت قيمة كاي لإستراتيجية عرض إصلاح الموقف 7.720 وهي أيضًا دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة. علاوة على ذلك، فقد لوحظ أيضًا أن هناك فروقًا دالة إحصائيًا لاستخدام إستراتيجية جديدة، إذ بلغت قيمة كاي 0.05 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة. أما بقية الإستراتيجيات فلا توجد فروق دالة إحصائيًا بين استخدام المشاركين في هذه المجموعة للإستراتيجيات الاعتذارية في المواقف الثلاثة.

جدول رقم (١١). دلالة الفروق في نسب إستراتيجيات الاعتذار المستخدمة في المجموعة المتقدمة في المواقف الثلاثة

المواقف	تكرارات ونسب استجابات العينة المتقدمة لإستراتيجيات الاعتذار						قيمة كاي
	مواقف سهلة		مواقف متوسطة		مواقف صعبة		
إستراتيجيات الاعتذار	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
التعبير عن الاعتذار	١٤٤	٥٦,٦٩	١٣٩	٥٢,٨٥	١٤٧	٤٠,٩٤	٠,٨٧٦
إقرار المسؤولية	٥	١,٩٦	٠	٠	٥١	١٤,٢	٥,٥١٣*
تفسير أو سرد رواية الحدث	٩٣	٣٦,٦١	١٠٧	٤٠,٦٨	٢٣	٦,٤	٠,٥٤٨
عرض إصلاح الموقف	٠	٠	٠	٠	٩٦	٢٦,٧٤	٧,٧٢٠*
وعد بعدم تكرار الإساءة	١	٠,٣٩	٠	٠	٢	٠,٥٥	٠,١٢٤
الخوالف والمفخمات	٩	٣,٥٤	١٦	٦,٠٨	١٩	٥,٢٩	٠,٢٣٤
إستراتيجيات جديدة	٢	٠,٧٨	١	٠,٣٨	٢١	٥,٨٤	٠,٠٥*
المجموع	٢٥٤	١٠٠	٢٦٣	١٠٠	٣٥٩	١٠٠	
المتوسط الحسابي	٣٦,٢٨		٣٧,٥٧		٥١,٢٨		

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05

وللكشف عن دلالة الفروق بين إستراتيجيات الاعتذار في المواقف الثلاثة لدى مجموعة "أصلي"، فقد استُخدِم اختبار دلالة الفروق بين النسب المرتبطة لاستخدام إستراتيجيات الاعتذار في المواقف الثلاثة، وكما يتضح من الجدول ١٢ فقد أظهرت النتائج أن هناك فروقًا دالة إحصائيًا في استخدام الإستراتيجيات الاعتذارية بين المواقف الصعبة من جهة، والمواقف السهلة والمتوسطة من جهة أخرى، إذ وجد – كما هو الحال مع المجموعتين السابقتين – أن إستراتيجية إقرار المسؤولية وإستراتيجية عرض إصلاح الموقف أكثر استخدامًا في المواقف الصعبة لدى هذه المجموعة، فقد بلغت قيمة كاي لإستراتيجية إقرار المسؤولية 6.513 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة، وكذلك بلغت قيمة كاي لإستراتيجية عرض إصلاح الموقف 7.620 وهي أيضًا دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة، فيما لوحظ أيضًا أن هناك فروقًا

دالة إحصائيًا لاستخدام إستراتيجية جديدة، إذ بلغت قيمة كاي 0.02 وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح المواقف الصعبة، أما بقية الإستراتيجيات فلا توجد فروق دالة إحصائيًا بين استخدام المشاركين في هذه المجموعة لها في المواقف الثلاثة.

في المجمل، كان لحجم المهمة المراد تنفيذها تأثير واضح على أداء المشاركين للإستراتيجيات الاعتذارية، لكن هذا التأثير كان محصورًا في إستراتيجيات معينة، وهي إستراتيجية إقرار بالمسؤولية وإستراتيجية عرض إصلاح للموقف التي يتأثر استخدامها بحجم المهمة المراد تنفيذها بغض بالنظر عن المستوى اللغوي للمشاركين، في حين أن إستراتيجية الوعد بعدم تكرار الإساءة وإستراتيجية جديدة قد تأثرتا بحجم المهمة المراد تنفيذها وكذلك المستوى اللغوي، أما بقية الإستراتيجيات فلم يكن لحجم المهمة المراد تنفيذها تأثير يُذكر على استخدام المشاركين للإستراتيجيات الاعتذارية.

جدول رقم (١٢). دلالة الفروق في نسب إستراتيجيات الاعتذار المستخدمة في المجموعة الأصلية في المواقف الثلاثة

المواقف	تكرارات ونسب استجابات العينة الأصلية لإستراتيجيات الاعتذار						قيمة كاي
	مواقف سهلة		مواقف متوسطة		مواقف صعبة		
إستراتيجيات الاعتذار	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	
التعبير عن الاعتذار	١٤٧	٥١,٥٧	١٤٧	٥٠	١٤٤	٣٣,٩٦	٠,٥٥٦
إقرار المسؤولية	٥	١,٧٥	٠	٠	٦٠	١٤,١٥	٦,٥١٣*
تفسير أو سرد رواية الحدث	١٢٢	٤٢,٨	١٢٣	٤١,٨٣	٥٣	١٢,٥	٠,٦٥٤
عرض إصلاح الموقف	٠	٠	٢	٠,٦٨	١١٠	١٢,٥	٧,٦٢٠*
وعد بعدم تكرار الإساءة	٣	١,٠٥	٦	٢,٠٤	١٦	٣,٧٧	٠,٣٣٢
الخوالف والمفخمات	٤	١,٤	١٢	٤,٠٨	٢٨	٦,٦	٠,٢٢٥
إستراتيجيات جديدة	٤	١,٤	٤	١,٣٦	١٣	٣,٠٦	٠,٠٢*
المجموع	٢٨٥	١٠٠	٢٩٤	١٠٠	٤٢٤	١٠٠	
المتوسط الحسابي	٤٠,٧١		٤٢		٦٠,٥٧		

*دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 .

الإستراتيجيات الاعتذارية الجديدة

كما ذكرنا سابقًا، فإنَّ مما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة هو ظهور إستراتيجيات اعتذارية جديدة؛ لذا فقد حُصرت جميع الإستراتيجيات لكل مجموعة من أجل عمل مقارنة حول أنماط الإستراتيجيات الجديدة المستخدمة في المجموعات الثلاث. وكما يظهر في الجدول رقم (١٣)، فقد أظهرت النتائج تشابهًا كبيرًا بين المجموعات بشأن عدد الإستراتيجيات الجديدة المستخدمة في كل مجموعة، إذ إنّ المجموعة المتوسطة استخدمت ستة أنماط جديدة، في حين كانت المجموعة المتقدمة أكثر المجموعات استخدمًا للأنماط الجديدة بعدد تسعة أنماط، أما المجموعة الأصلية فقد استخدمت سبعة أنماط، وقد بلغت قيمة كاي 4.865 عند مستوى دلالة 0.088 وهذا يعني أنّ الفروق غير دالة إحصائيًا.

جدول ١٣ . أنماط إستراتيجيات الاعتذار الجديدة المستخدمة في المجموعات الثلاث

	المجموعة المتوسطة	المجموعة المتقدمة	المجموعة الأصلية
أنماط الإستراتيجيات الجديدة لدى المجموعات الثلاث	الله يجزيك خير الجزاء على جهدك في مساعدتي	قدر الله وما شاء فعل	حسبنا الله ونعم الوكيل
	بارك الله فيك	سلمنا الله	آه آه قضاء وقدر
	كل شيء بمقدار	الحمد لله على كل حال	قدر الله وما شاء فعل
	جزاك الله خيرًا	قضاءً وقدرًا	إنا لله وإنا إليه راجعون
	قدر الله وما شاء فعل	سبحان الله	لا حول ولا قوة إلا بالله
	يا الله أنا آسف	لا حول ولا قوة إلا بالله	جزاك الله خير الجزاء لقبول عذري
	----	وقع ما كان مقدورًا أن يقع	لا تؤاخذني أخي جزاك الله خير
	----	إنا لله وإنا إليه راجعون	----
	----	الله أكبر لا تغضب عليَّ إنني حزين جدًا أخي	-----

بالنظر في الجدول السابق، يتضح لنا أنّ أغلب الإستراتيجيات الجديدة عبارة عن ألفاظ دينية استخدمت بغرض تخفيف وطأة الخطأ المرتكب أو كسب رضا المعتذَر له، وهذا يدل دلالةً واضحةً على مدى تأثير الدين الإسلامي الحنيف على اللغة العربية عمومًا وأفعال الكلام خصوصًا. وقد وجدنا أنَّ هناك ثلاث إستراتيجيات جديدة استخدمت في المجموعات الثلاث، وهي "قدر الله وما شاء فعل"، و"إنا لله وإنا إليه راجعون"، و"لا حول و لا قوة إلا بالله"، في حين انفردت كل مجموعة باستخدام إستراتيجيات جديدة مختلفة.

المناقشة

ركزت هذه الدراسة على أداء الاعتذار في اللغة العربية كلغة ثانية من خلال استخدام أداة إكمال الخطاب، وأشارت النتائج بوجه عام إلى وجود ارتباط وثيق بين استخدام إستراتيجيات الاعتذار والمستوى اللغوي للمشاركين، كما دلّت النتائج على اختلاف أداء متعلمي اللغة العربية لإستراتيجيات الاعتذار عن أداء الناطقين الأصليين، وكما أظهرت النتائج وجود تأثير واضح لحجم المهمة المراد تنفيذها على أداء الاعتذار في اللغة العربية، وأخيرًا استخدم المشاركون في هذه الدراسة إستراتيجيات اعتذارية جديدة، وقد تكون هذه الإستراتيجيات خاصة باللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى.

إنّ المتأمل في أبحاث التداولية البينية، يجد نتائج متضاربة حول مدى تأثير المستوى اللغوي على أداء أفعال الكلام، لكن من الواضح جدًا أنّ الكفة ترجح وجود اختلاف بين أداء متعلمي اللغة الثانية لأفعال الكلام مع تغير المستوى اللغوي لديهم، وبالأخص أن أداءهم التداولي يتطور بتطور مستواهم اللغوي ويقترب أداؤهم أكثر من أداء الناطقين الأصليين (Kasper and Rose, 2002). بالفعل، فقد دعمت نتائج هذه الدراسة ما ذهب إليه أغلب الباحثين من وجود تأثير كبير للمستوى اللغوي على أداء متعلمي اللغة لأفعال الكلام، فقد وجدنا أنّ أداء المجموعة المتقدمة أكثر قربًا للناطقين الأصليين من المجموعة المتوسطة، حيث استخدمت المجموعة المتوسطة "إستراتيجية التعبير عن الاعتذار" بنسبة تفوق النسبة التي استخدمها الناطقون الأصليون، في حين أن المجموعة المتقدمة كانت نسبة استخدامهم لهذه الإستراتيجية مقاربة نوعًا ما للناطقين الأصليين. وعلى الرغم من أن مجموعتي المتعلمين استخدموا إستراتيجية "الوعد بعدم تكرار الإساءة" بنسبة قليلة جدًا مقارنة مع الناطقين الأصليين، فإنه من الواضح أنّ نسبة استخدام هذه الإستراتيجية تزداد زيادة ملحوظة بتطور المستوى اللغوي لدى المتعلمين. وبالمثل تقريبًا، فقد تباين أداء المتعلمين لإستراتيجية "إستراتيجية جديدة"، حيث كانت المجموعة المتوسطة أقل

المجموعات استخدامًا لها، في حين كان أداء المجموعة المتقدمة مقاربًا لأداء المجموعة الأصلية برغم الزيادة في نسبة استخدام هذه الإستراتيجية. وهذا بلا شك يدل دلالةً واضحةً على التطور الحاصل لدى متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية أثناء تأديتهم الاعتذار، وهذه النتيجة إذن تدعم الأبحاث السابقة التي وجدت أن أداء أفعال الكلام يتطور ويقترب من أداء الناطقين الأصليين بتطور المستوى اللغوي لمتعلمي اللغة (مثل، القحطاني، ٢٠١٤؛ Al-Gahtani and Roever, 2012; Bardovi-Harlig and Harford, 1993; DuFon, 1999; Felix-Brasdefer, 2007; Takahashi and Beebe,1987)[1]، فعلى سبيل المثال، أظهرت دراسة القحطاني (2014) أنَّ أداء متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية للطلب اختلف باختلاف المستوى اللغوي لديهم، بمعنى آخر أنَّ الطلاب المبتدئين اعتمدوا بدرجة كبيرة على استخدام الطلب المباشر، في حين قلّل المتعلمون من استخدام هذا النوع من الطلب وأكثروا من استخدام الطلب غير المباشر التقليدي بتحسن مستواهم اللغوي، وهو ما يتوافق مع مراحل تطور الطلب في اللغة الثانية التي توصل إليها كاسبر وروز (Kasper and Rose, 2002). ومن ثمَّ، فإنّ هذه الدراسة التي تُعد الدراسة الأولى التي تنظر في أداء متعلمي اللغة الثانية ذي المستويات اللغوية المختلفة للاعتذار تؤكد بأنّ الاعتذار مثل بقية أفعال الكلام التي بُحثت حتى الآن من حيث تطور أداء المتعلمين بتطور مستواهم اللغوي.

من الجدير بالملاحظة في تباين أداء المتعلمين في هذه الدراسة هو الاستخدام المفرط لإستراتيجية "التعبير عن الاعتذار" من قبل المجموعة المتوسطة، حتى إنّ استخدامهم لهذه الإستراتيجية فاق استخدام المجموعة المتقدمة وأيضًا المجموعة الأصلية. ووفقًا للدراسات السابقة في التداولية البينية، فإنّ هذا الأمر لا يُعد مستغربًا؛ لأنّ عددًا من الأبحاث وجدت أن الطلاب ذوي المستويات اللغوية المتوسطة غالبًا ما يميلون إلى الإطناب "Verbosity" أثناء تأدية أفعال الكلام (Blum-Kulka and Olstain, 1986; Ellis, 1994; Hoffman-Hicks, 1999; Kasper and Blum-Kulka, 1993)، إذ كشفت هذه الأبحاث أنّ زيادة الحصيلة اللغوية لدى الطلاب المتوسطين يعطيهم ثقة كبيرة بأنفسهم، فإنهم يقعون في فخ الإطناب من خلال استخدام كلام وإستراتيجيات أكثر من اللازم ويفوق استخدام نظرائهم ذوي المستويات المتقدمة أو حتى الناطقين الأصليين، وقد أسمى كل من ادمندسون وهاوس (Edmondson and House, 1991) هذا السلوك عند متعلمي اللغة الثانية بظاهرة الرغاء في الكلام

(١) هذه الدراسات نظرت في تطور أداء متعلمي اللغة الثانية لعدد من أفعال الكلام، وهي الطلب والرفض والتحايا والاقتراح، في حين أننا لم نجد أي دراسة سابقة اهتمت بأداء الاعتذار في اللغة الثانية من قبل متعلمين من مستويات لغوية مختلفة.

"Waffle phenomenon"؛ لذا فإنّ ما قام به المشاركون في المجموعة المتوسطة من الاستخدام المفرط لإستراتيجية "التعبير عن الاعتذار" يأتي متوافقًا مع الدراسات السابقة فيما يتعلق بشيوع ظاهرة الرغاء في الكلام عند الطلاب أصحاب المستويات اللغوية المتوسطة.

إنّ من الأمور التي ركزت عليها هذه الدراسة هو مسألة تأثير حجم المهمة المراد تنفيذها على أداء المشاركين للاعتذار، وقد أظهرت النتائج بصورة عامة أنه كلما كانت المهمة صعبة أثر ذلك في استخدام إستراتيجية "إقرار بالمسؤولية" وإستراتيجية "عرض إصلاح للموقف"، إذ لجأ المشاركون إلى استخدام هاتين الإستراتيجيتين بكثرة في حال كانت المهمة المراد تنفيذها صعبة، وقد وُجد هذا النمط عند المجموعات الثلاث، مما يدل على أنَّ المستوى اللغوي لم يكن له تأثير واضح على مدى تأثير حجم المهمة على استخدام تلك الإستراتيجيتين. في المقابل، ظهر تأثير المستوى اللغوي على استخدام إستراتيجية "إستراتيجية جديدة"، إذ قام الطلاب في المجموعة المتقدمة والمجموعة الأصلية باستخدام هذه الإستراتيجية كثيرًا في حال كانت المهمة صعبة. لكن، السؤال الذي يتبادر إلى الذهن عند الاطلاع على هذه النتائج هو: لماذا كان تأثير المستوى اللغوي جليًا في استخدام إستراتيجية "إستراتيجية جديدة" فقط، دون استخدام إستراتيجية "إقرار بالمسؤولية" وإستراتيجية "عرض إصلاح للموقف"؟، الجواب على هذا التساؤل يخرج عن أحد احتمالين: الاحتمال الأول – وهو الأرجح – هو أنّ المتعلمين بغض النظر عن مستواهم اللغوي اكتسبوا قدرًا كافيًا من الكفاية التداولية الاجتماعية التي مكّنتهم من إدراك أن المواقف الصعبة في المجتمع العربي السعودي يتطلب المزيد من استخدام إستراتيجية "إقرار بالمسؤولية" وإستراتيجية "عرض إصلاح للموقف"، في حين أنّ القدرة على استخدام إستراتيجية "إستراتيجية جديدة" تتطلب قدرة عالية جدًا من الكفاية اللغوية التداولية – ويتضح ذلك جليًا من قلة استخدام الطلاب في المجموعة المتوسطة لهذا الإستراتيجية بشكل عام، والفجوة بين استخدام الطلاب في المجموعة المتقدمة لها والطلاب في المجموعة الأصلية – والكفاية التداولية الاجتماعية التي اكتسبها الطلاب في المجموعة المتقدمة بشكل مرضٍ في حين أنّ الطلاب في المجموعة المتوسطة لم يصلوا إلى هذه المرحلة من الكفاية التداولية الاجتماعية. أما الاحتمال الآخر فهو وجود نقل من اللغة الأم في استخدام إستراتيجية "إقرار بالمسؤولية" وإستراتيجية "عرض إصلاح للموقف" في المواقف الصعبة إلى اللغة العربية، في حين أن ندرة استخدام إستراتيجية "إستراتيجية جديدة" يعود إلى عدم شيوعها في لغة المتعلمين الأم، لكن هذا الاحتمال قد لا

يكون قابلًا للصواب؛ بسبب تعدد ثقافات وجنسيات المتعلمين مما يُضعف احتمالية تأثير اللغة الأم على استخدام هذه الإستراتيجية. عمومًا، إن التأثير الموجود لحجم المهمة المراد تنفيذها على أداء إستراتيجيات الاعتذار يأتي منسجمًا مع أغلب الأبحاث الميدانية التي وجدت تأثيرًا واضحًا للمتغيرات الاجتماعية (المنزلة الاجتماعية، البعد الاجتماعي، درجة الإملاء أو حجم المهمة)، على أداء المتعلمين والناطقين الأصليين لأفعال الكلام بوجه عام والاعتذار بوجه خاص (مثل، Vollmer and Olshtain, 1989; Kim, 2008).

أخيرًا، يُعد إطار كوهين وألشتاين (Cohen and Olshtain, 1981)، لتحليل أساليب الاعتذار من الأطر التي تبنتها أغلب أبحاث الاعتذار في التداولية البينية وذلك لشموليته ووضوحه، غير أنّ نتائج هذه الدراسة أشارت إلى وجود قصور فيه، إذ استخدم المشاركون عددًا من الألفاظ اللغوية (جُلها ألفاظ دينية)، لم يتطرق إليها هذا الإطار أو يشير إلى احتمالية استخدامها. بالطبع، فإنّ هذا ليس بمستغرب؛ لأنه صُمِّم وفقا لأداء الاعتذار في اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية، إضافة إلى اللغة العبرية، لذا كان الإطار مناسبًا للبيانات المستنبطة من تلك اللغات، في حين هناك لغات أخرى من الممكن ظهور إستراتيجيات أو أساليب اعتذارية غير تلك المصنفة في الإطار المذكور. بالفعل، فاللغة العربية، وهي اللغة التي بُحثت في هذه الدراسة، يلجأ فيها المتحدثون إلى الاستفادة من بعض العبارات أو الألفاظ الدينية من أجل تخفيف وطأة الخطأ المرتكب، وكسب رضا المُعتذَر له، ومن ثمَّ عدم بحثه عن الانتقام. عمومًا، هذه النتيجة (استخدام الألفاظ الدينية كإستراتيجية اعتذارية في اللغة العربية)، تأتي متوافقة وداعمة لدراسة جباهي (٢٠١١) ونور الدين (٢٠٠٨) على الرغم من أنّ تلك الدراستين ركزتا على الاعتذار لدى الناطقين الأصليين (في تونس والسودان)، مما يعني شيوع استخدام تلك الألفاظ في اللغة العربية.

الخاتمـــة

سلطت هذه الدراسة الضوء على أداء متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية للاعتذار باستخدام اختبار إكمال الخطاب، وأوضحت وجود علاقة بين المستوى اللغوي للمشاركين والإستراتيجيات المستخدمة، كما دلّت على أنّ المتعلمين كلما تطور مستواهم اللغوي كان أداؤهم للاعتذار مشابهًا إلى درجة كبيرة للناطقين الأصليين، وأشارت أيضًا إلى تغير أداء المشاركين بتغير المواقف الاعتذارية، مما يدل على تأثير أحد المتغيرات الاجتماعية وهو حجم المهمة المراد تنفيذها على أداء الاعتذار، وأخيرًا قام المشاركون باستخدام ألفاظ دينية كنوع من إستراتيجيات الاعتذار في اللغة العربية، مما

يثير بعض التساؤلات عن عالمية إطار كوهين وألشتاين لتحليل أساليب الاعتذار.

كما ذكرنا سابقًا، فإنّ هذه الدراسة تُعدُّ الأولى التي تهتم بأداء الاعتذار في اللغة العربية كلغة ثانية، لذا فإنّ المزيد من الأبحاث في هذا الموضوع يُعد مطلبًا ملحًا للتأكد من النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ونأمل من الدراسات المستقبلية حول هذا الموضوع الاستفادة من أداة لعب الأدوار؛ لأنها تشبه بدرجة كبيرة الأداء الحقيقي. ولأن هذه الدراسة ركزت على المتعلمين الذكور فقط، فإن اشتمال العينة على كلا الجنسين يُعد خيارًا جيدًا للنظر في تأثير جنس المتعلم على أداء الاعتذار. بما أنّ المستوى اللغوي يؤدِّي دورًا مؤثرًا في أداء الاعتذار، فإن الدراسات الطولية تُعد أيضًا مطلبًا ملحًا للكشف عن الأمور التي أثارتها هذه الدراسة.

شكر وتقدير: يتوجه الباحث بالشكر والتقدير إلى مركز البحوث بمعهد اللغويات العربية وعمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود على دعم هذا البحث، كما يتوجه الباحث بالشكر لكل عضو من أعضاء مجلة كلية الآداب لِما يبذلونه من جهد كبير في نشر العلم بمختلف أشكاله.

المراجـــع

أولًا: المراجع العربية:

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (٢٠٠٩). *لسان العرب*. دار الكتب العلمية: بيروت.

اسكندر، نجيب. (٢٠٠٢). *معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير*. دار الآفاق العربية: عمان.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر. (٢٠١٠). *مختار الصحاح*. مكتبة لبنان: بيروت.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (٢٠٠٢). *المفردات في غريب القرآن*. دار إحياء التراث العربي: بيروت.

السلمي، جمعان عبدالكريم. (١٤٣٤). *فعل الكلام النصي*. جامعة أم القرى: مكة المكرمة.

الشميري، يحيى. (٢٠١٠). *الاعتذار فن يستحق بذل الجهد*. الملحق الثقافي لصحيفة الجمهورية، العدد (٨٠٥). تعز: الجمهورية اليمنية.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الشافعي. (١٩٨٥). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (٢٠١٠). *المصباح المنير معجم عربي-عربي*. مكتبة لبنان: بيروت.

القحطاني، سعد. (٢٠١٤). *صيغة الطلب عند متعلمي اللغة العربية كلغة ثانية: تأثير المستوى اللغوي والمنزلة الاجتماعية*. المجلة التربوية (ع ١١٣-ج ١): الكويت.

القرني، خالد. (٢١ يونيو ٢٠١٣). *فضيلة الاعتذار*. صحيفة عكاظ الأسبوعية. العدد (٤٣٨٧). المملكة العربية السعودية.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي. (٢٠١٠). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش –محمد المصري. مؤسسة الرسالة: بيروت.

المتوكل، أحمد. (١٩٨٥). *الوظائف التداولية في اللغة العربية*. دار الثقافة: الدار البيضاء – المغرب.

المتوكل، طه (٢٠١١). *علم الدلالة وعلاقته بالتداولية*. دار عبادي للنشر: صنعاء –اليمن.

المقالح، عبدالعزيز. (١٩٩٥). *الاعتذار سلوك اجتماعي رائع*. الملحق الثقافي لصحيفة الجمهورية، العدد (١١٦). تعز: الجمهورية اليمنية.

المناوي، زين الدين محمد عبدالرؤوف. (٢٠٠٢). *التوقيف على مهمات التعاريف*. دار الفكر المعاصر: بيروت.

عيد، فوزي السيد عبد ربه. (٢٠٠٥). *المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان والتبيين*. مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة.

كوهين؛ إيشهارا. (٢٠١٥). *تعليم التداولية وتعلمها*. ترجمة: سعد بن محمد جديع القحطاني. دار جامعة الملك سعود للنشر: الرياض.

يونس، فتحي. (٢٠٠١). إستراتيجيات تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية. كلية التربية: جامعة عين شمس.

الفقيه، عبدالواحد (٢٠١٢). *فن الاعتذار في العربية*. دار عبادي للنشر: صنعاء.

جابر، نبيهة (٢٠٠٩). *أصول الاعتذار*.

http://drnabihagaber.blogspot.com

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Nikula, Tarja (2005) *English as an Object and Tool of Study in Classroom: International Effects and Pragmatic Implication*. Linguistic and Education, Vol. 16, p. 27-58.

Maraheel, Wafa Omar Mahmoud. (2004). *The Effect of Using Pragmatic Competence Test on the Ninth Graders' Proficiency of the Major Four Skills in Nablus City*, At An- Najah National University, Nablus Palestine.

Reyes Gomez Moron & et. Al. (2009). *Pragmatics Applied to Language Teaching and Learning*, Ambridge Scholars Publishing.

Richard, Nordquist .(2010). *pragmatics*. www. grammer. co.

Mey, L. L. (1998). *Pragmatics: An Introduction*. ERIC: ED. 269816.

Trask, R. (1991). *Language and Linguistics*, Cambridge: Cambridge University Press.

Malexmk Jear, Kirsten (1987) *The Cambridge Encyclopedia of Language*, Cambridge: Cambridge University Press.

García, C. (1989). *"Apologizing in English: Politeness Strategies Used by Native and Non-native Speakers"*.http://maj./teaching /apology /journal.

Cohen, J.R. (1999). *Advising Clients to Apologize California :California Universitypress.* http://eprints.undip.ac.edu/24677/2/APOLOGY_STRATEGIES_USED_IN_READER.

Bataineh ,R.F. & Bataineh ,R.F. (2006)." *American University Students'* Apology Strategies: An Intercultural Analysis of the Effect of Genderhttp://www.immi.se/intercultural/nr2006/bataineh.htm

Lakoff, R. (2001). *Nine Ways of Looking at Apologies* :the Necessity for Interdisciplinary Theory and Method in Discourse Analysis. Oxford: Blackwell.

Wolfson ,N., Marmor ,T., and Jones , S. (1981). *Problems in the Comparison of Speech Act Across Cultures Norwood* :NJ.Ablex.

Nureddeen, F. A. (2008). *Cross cultural pragmatics: Apology strategies in Sudanese Arabic*. Journal of Pragmatics, 40(2), 279-306.

Holmes. (1990)."Apologies in New Zealand English".

http://www.english.nu.ac.th/librARY/MAEng/2006/ MAEng06-IS015.pdf.

Goffman, E. (1972). *On face-work: An analysis of Ritual Elements in Social Interaction.* Harmond sworth: Penguin http://www.indiana.edu.

Searle, J., R. (1969). *Speech Acts*. Cambridge :Cambridge University Press.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١ ، ص ص ٦٧ -٨٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

تجلّيات النزعة الخياميّة في قصيدة "الطّلاسم" لإيليا أبي ماضي

أبو الحسن أمين مقدسي(*) وصبري أحمديان (**) و أبو بكر محمودي (***)

(*) *أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران؛*

(**) *طالبة بمرحلة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران*

(***) *طالب بمرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران*

(قدم للنشر في ٢/ ١٢/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١٢/ ٣/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : إيليا أبوماضي، الطلاسم، الخيّام، الرباعيات، الرؤى الفلسفية.

ملخص البحث: تعدُّ قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي من أشهر وأهم قصائد هذا الشاعر، إذ هي فتحة إلى عوالمه الشعرية وخلجاناته الروحية وما انتابه من هموم وأحزان. رغم أن القصيدة لا تتّسم بالوحدة الموضوعيّة، غير أنّ الشاعر بتوظيفه كثيرًا من المفردات الرنانّة وبعده عن التكلّف والتّصنع تمكّن من خلق إحدى أهم قصائده الشعرية التي تأثّر فيها من أفكار الفيلسوف والرياضي الإيراني الخيّام النيسابوري تأثرًا بارزًا. تبلور ذلك التأثر خلال ما جسّده أبوماضي في تلك القصيدة من آراء الخيام الفلسفيّة والمعادية للتيار السائد كإيمانه بالمدرسة اللّاأدرية وتوسيع دائرتها إلى كافة مظاهر الطبيعة كالبحر، والنجم، والشجر، والغاب، والتراب، وما إلى ذلك، ثم في شكه في قدم العالم أو حدوثه واعتقاده بلغز الكون وعجز العقل عن حله واعتقاده الجازم بالجبر دون الاختيار وفي إسائته إلى كثير من المقدسات الدينية كالديورة والصوامع ووصف عقول أصحابها بالنتنة الآسنة، وأخيرًا في إشادته بالخمر والصهباء وكونها نورًا في عين الشاعر وشعورًا في قلبه وضياءًا. تمكن الباحثون خلال المقال أن يثبتوا هذه الدعوى باستخدامهم المنهج التوصيفي – التحليلي في تحليل القصيدة، وخلصوا إلى النتيجة أن قصيدة الطلاسم مرآة تعكس أفكار الخيام بوضوح وجلاء، وتصوّر تلك الأفكار بأسلوب بارع.

Reflection of Khayyam opinions in Al-Talasim ode from Elia Abu Madi

Amin Mogadasi(*); Sabri Ahmadian (**); Abubakr Mahmoudi (***)

(*) *University of Tehran, Faculty of literature and humanities, Department of Arabic Language and*
(**) *University of Tehran, Faculty of literature and humanities, Department of Arabic ،Literature; Language and Literature &* (***) *University of Tehran, Faculty of literature and humanities, Department of Arabic Language and Literature*

(Received 2/12/1437H; Accepted for publication12/3/1438H)

Keywords: Elia Abu Madi, Al-Talasim, Khayyam, odes, philosophy**.**

Abstract: The “Al-Talasim” is the one of most famous and important odes from the the “Elia Abu Madi”, who his poems are very well known among Arabs. Although, “Al-Talasim” does not signify a solitary concept, but due to poet approach (utilizing of beautiful terms and avoidance of complexity), it profoundly reflected opinions, internal emotions and feelings of the poet. Elia Abu Madi at this ode, had been severely affected by “Omar Khayyam”, an Iranian mathematician, philosopher and poet. This is resulted from the poet tendency to “Agnosticism”, a special view that emphasized the existence cannot be proven or disapproved. Also he believed and thought that peoples do not have any authority from themselves, so they must drinking, to get rid of all problems. In summary, Al-Talasim reflected that the Elia Abu Madi deeply affected by Khayyam opinions.

المقدمة

يعدّ إيليا أبوماضي[١] أحد أكبر شعراء المهجر والأدب العربي المعاصر، وله قدرة متفوّقة في القول بالشعر. يعدُّ عدد من قصائده أبعد صيتًا وأوسع شهرة من غيرها كالطلاسم، والحياة، والملك الجائر، والعنقاء. قصيدة الطلاسم على شكل الرباعيات تمثّل بتفاصيلها وبتمامها عددًا من الأسئلة الفلسفيّة تتمحور حول الوجود، وكيفيّة بدء الحياة وحول نهاية العالم وكون البشر من أين جاء؟ وإلى أين يسير؟ وما إلى ذلك من تساؤلات. تشتمل القصيدة على ٢٨٤ بيتًا، وتتوزع على سبعة أقسام (المقدمة، البحر، في الدير، بين المقابر، القصر والكوخ، الفكر، صراع وعراك)، ويتمتع كل قسم منها بمقاطع عديدة ملئها التساؤل وينتهي كل مقطع بعبارة (لست أدري). وأمَّا على الصعيد الفني فليست القصيدة من أقوى قصائد أبي ماضي وإنما تكمن أهميتها في موضوعها وأسلوبها الحواري الممتع، وكأنه حوار بين الشاعر وطرف آخر، الطبيعة مرة، والإله مرة أخرى، والموت ثالثة و... .

تفوح رائحة من الأفكار الفلسفيّة الخياميّة في هذه القصيدة مما دفع الباحثين إلى سبر أغوار هذا الموضوع والإجابة على هذه التساؤلات: هل كان أبو ماضي في طلاسمه الشهيرة متأثرًا من أفكار الخيام [٢] الفلسفية؟ لو افترضنا بصحة ذلك كيف تجسّد ذلك التأثير خلال طلاسمه؟ وأمّا المنهجية التي تخطيناها للإجابة على التساؤلات المذكورة فكانت منهجًا وصفيًا – تحليليًّا على أساس المدرسة الأمريكيّة في نقدها وتحليلها عن الأدب المقارن، وهي في الأساس تعتمد في دراستنا الحاليّة على تحليل الشواهد الشعريّة ومقارنتها ببعضها استخلاصًا للوجوه المشتركة والوجوه التى تأثّر منها المتأخّر (أبي ماضي) عن المتقدّم (الخيّام).

(١) اختلف العلماء في تحديد تاريخ ميلاد إيليا أبي ماضي، والأرجح أنه ولد في عام ١٨٨٩ في قرية محيدثة من توابع قضاء متن الواقعة في لبنان. تلقى تعليمه البدائي في قريته وغادرها بسنة ١٩٠٢ إلى الإسكندرية، وتمكّن بعام ١٩١١ من نشر أول ديوانه الشعري والذي يحمل عنوان "تذكار الماضي" في مصر. نشر ديوانه الثاني في عام ١٩١٨ تحت عنوان ديوان إيليا أبي ماضي، ثم انتشر منه ديوان الجداول بسنة ١٩٢٧، وديوان الخمائل ١٩٤٦، وكان له قدم راسخة في تأسيس جمعية الرابطة القلمية وكان من أبرز شعرائها، إلى أن وافاته المنية في عام ١٩٥٧ وهو في ذروة نشاطاته الصحفية والأدبية. تجدر الإشارة أن ديوانه الأخير المعنون بالتبر والتراب انتشر ثلاث سنوات بعد وفاته بعام ١٩٦٠.

(٢) وُلِد الشاعر والفيلسوف والرياضي الشهير الإيراني الخيّام النيسابوريّ في مدينة نيسابور في القرن الخامس للهجرة بعام ٤٣٩ على أرجح الروايات، وتُوفي بعام ٥٢٦ الهجري، لُقِّبَ بألقاب مختلفة كغياث الدين وحجة الحق وغيرهما. عُزي إليه كثير من الرباعيات غير أنّ هناك خلاف في صحة معظمها (انظر: كريستين سن، ١٣٧٤: ١٣).

وفيما يتعلق بخلفية البحث فقد كتب "محمد زحمتي" مقالًا تحت عنوان "بررسي تطبيقي طلاسم إيليا أبوماضي با رباعيات خيام" وتناول شيئًا من تأثير أفكار الخيام على قصيدة الطلاسم، غير أنّ هذه الدراسة لا تروى الغليل، وذلك لأنّ كاتبها لم يتطرق إلى كافة جوانب الموضوع واكتفى بإشارات عابرة دون تحليل ولا تدقيق في كثير من المواضع، وتمت كتابة مقال آخر تحت عنوان " فلسفة الخيام في الرباعيات، بين الوجود والعدم، وبين الزهد والتصوف" للدكتور حسين جمعة، والمقال كما يتّضح من عنوانه انحصر على الرباعيات فحسب، كما أنه يفتقر إلى تنسيق قويم ولم يكشف الكاتب عن جماليّات الكثير من تلك الرباعيّات، نظرًا لعدم اعتماده على الرباعيّات الفارسية للخيام، وإنما على ترجمتها العربية، مما آل إلى فقدان قسم كبير من جماليات التعبير فيها. وطبع مقال آخر يحمل عنوان "الذهول والغموض بين الخيام وإيليا أبي ماضي" في الرقم ١٣ من مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، وحصل كاتبه على النتيجة أنّ كلا الشاعرين يجنحان إلى الشك والقنوط في كثير من الشؤون، ويدعوان إلى التفكير والتعقل في شعرهما، كما طبع مقال آخر تحت عنوان "بررسي تطبيقي معماي هستي در انديشه ى عمر خيام نيشابوري وإيليا أبوماضي لبناني" في فصلية اللسان المبين الإيرانية لـ "سعيد حسام بور وحسين كياني"، غير أنّ الدراسة رغم اتصافها بالعمق وجيزة، لا تشمل نقاط عدة من أفكار الخيام وإيليا أبي ماضي، فهذه الدراسات بمجملها ليست بكافية في تجسيد آراء الخيام في قصيدة الطلاسم، الأمر الذي حمل الباحثين باكتناه أسرار هذا الموضوع.

وفيما يتعلق بآراء الخيام وفلسفته فقد اعتمدنا لاستخراجها على رباعياته المعتمدة بين هذا الكم الهائل من الرباعيات المشتبهة والمنحولة، وهي زهاء سبعمائة رباعية، فما اعتمدنا إلا على التي كانت منتقاة مختارة لدى الكثير من العلماء والنقاد، كمحمد علي فروغي، وقاسم غني، ودشتي وغيرهم، ومن ثَمَّ فقد تقلّلت حاشية الشك في تلك الرباعيات إلى درجة ملحوظة. وقبل أن ندخل في صلب المقال مباشرة من الضروري أن نجيب على هذا التساؤل: كيف تأثر أبو ماضي من رباعيات الخيام؟ هل كان هو يتقن اللغة الفارسية إتقانا فتعرّف على الرباعيات مباشرة؟ أم أنه تعرَّف عليها بصورة غير مباشرة وعن طريق ترجمتها الإنكليزية أو العربية؟ لاشك أنّ أبا ماضي لم يكن يتقن اللغة الفارسية، وبما أنه لم يكن يحب اللغة الإنكليزية فيغلب الظن أنه تأثر من الترجمة العربية للرباعيات، وفي عصر الشاعر كان قد ترجم من تلك الرباعيات ثلاث وهي: ترجمة أحمد رامي، ومحمد السباعي، ووديع البستاني، وهذا رغم قول بعضهم: أنّ أبا ماضي كان متأثرًا من الترجمة الإنكليزية للرباعيات (انظر: الجيوسي، ٢٠٠٧: ١٧٧- ١٧٨).

قصيدة الطلاسم في سطور:

تعدُّ قصيدة الطلاسم من أهم قصائد إيليا أبي ماضي والتي تشتمل على ٢٨٤ بيتًا. قرّضها الشاعر على شكل الرباعيّات التي انتظم فيها كثيراً مما خطر بباله من القضايا والأفكار الفلسفية ذات الطابع اللّادري. تعود هذه القصيدة إلى الديوان الثالث (الجداول) للشاعر، وتتوزّع على سبعة أقسام كالآتي: المقدمة/ البحر/ في الدير/ بين المقابر/ القصر والكوخ/ الفكر/ صراع وعراك، وكل قسم منها يتكوّن من عدد من المقاطع تدور حول فكرة معينة أو مجموعة من الأفكار تنتهي إلى فكرة عامة وهي عدم اليقين فكريًّا وفلسفيًّا! أما القصيدة بتفاصيلها ورؤاها فتمثل عدداً من الأسئلة الفلسفيّة حول الوجود والحياة وحقيقتهما، وحول مصير البشر ونهايته إلخ، وهي أسئلة أنطولوجية تحيِّر البشر كما حيّرته من قبل قرون! رغم أنّ أبا ماضي اشتهر بشاعر التفاؤل، غير أنّ هذا التفاؤل لايخلو من الحيرة الناجمة عن عدم إمكانية فهم أسرار الكون ورموزه. هناك الكثير من التساؤلات في هذه القصيدة ألقت بظلالها على قلب الشاعر وضميره وأدخلته في وادي الحيرة، ما هو هذا العالم اللامتناهي؟ هل يمكن كشف النقاب عن الرموز الكونية وأسرار العالم، أم أنه لا بد من الرضوخ والاستسلام أمام تلك المجهولات؟ يستفسر الشاعر عقله تلبية لتلك المتطلبات الباطنية ولكنه لايوصله إلى الإجابة، فاحتار واقفًا أمام عالم ملئه الغموض والرموز! فالشاعر في القصيدة مقرٌّ بجهله المعمّق، خرج إلى حيّز الوجود دون أن يعلم مبدأ المجيء ومقصده؟ وطئ موطنًا ليس له علم به ولا اختيار فيه، ولكنه لابد أن يعيش فيه، ليس له معرفة عن تخييره ولاعن تسييره، فيتساءل البحر بكل عظمته ولكن الإجابة ليست إلا لست أدري! فينصرف إلى المعابد والصوامع ولكنه لا يتزوّد إلا بزاد الحيرة والاستغراب! فيتجه نحو القبور والموتى ويخاطبهم سائلًا عمّا في الضمير، إلّا أن الرد هو كاسابقاتها، فيزداد ذهولًا واضطرابًا، ويستمر في التساؤل عن مختلف مظاهر الطبيعة ومشاهدها، غير أنّ الكل محكوم بالجهل العميق، ومن ثمّ لم تنفك أحجيّة الكون قائمة أمام عينه، فليس له مفرّ منه ولامهرب! (انظر: ضيف، ١٩٥٩: ١٩١- ١٩٤).

سبق أن أسلفنا أن أباماضي كان في هذه القصيدة متأثرًا من أفكار الخيام الفلسفيّة تأثرًا بارزًا (انظر: المصدر نفسه: ١٨٣- ١٨٥).كان تأثير الخيام في أبي ماضي كثيرًا إلى درجة أنه في عام ١٩٣٠ كتب مقالًا تحت عنوان " حياة عمر الخيام" تطرق فيه إلى أفكار الخيام الفلسفية ورؤاه (حاطوم، ١٩٩٤: ١٢٧). إلا أنّ الحق – والحق نقول - أنّ آراء الخيام الفلسفيّة وغوره الفكري أكبر بكثير مما نراه عند أبي ماضي (الجيوسي، ٢٠٠٧: ١٧٨). كان عمر الخيام من أحد الفلاسفة الحكماء، رفع منزلة العقل إلى درجة جعله

الفيصل في كل ما يجري حوله، فالخيام عرج إلى آفاق لايعرج إليها إلا أقلّاءُ من الكبراء، ممن يعانون معاناة الوجود. رغم أنه جعل للعقل مكانة عالية في البحث عن سرالكون، ولكنه يؤمن بأنه لايصله في نهاية المطاف إلا إلى طريق مسدود، فالخيام يبحث عن الحقيقة ويكثر من الأسئلة التي تفجرت على لسانه وما يجد لها جوابًا يشفي غليله عن معرفة أسرار العالم، فمواقفه متصفة بالقلق الدائم والدهشة المستمرة، مما يجعل فلسفته أشد تعقيدًا من فلسفة الشك عند أبي ماضي بأضعاف وحتى عند المعري، السبب الذي جعله ليلجأ إلى الخمر حتى تسكن عقله الباحث عن علم الساعة وتخدر حسه المضطرب. فالرباعيات نداء الضمير، ضمير إنسان باحث عن الحقيقة، ضمير كثير التساؤل، طائف في دائرة الشك، هادف إلى معرفة حقيقة الوجود وتفسيره ومعرفة أسراره، ولكنه وقع في الشك دون اليقين وانتابه صراع داخلي عظيم. وخلال الصفحات المقبلة نتناول تلك التأثيرات التي استشفها أبوماضي من آراء الخيام في الطلاسم، مقارنين بين آراء الشاعرين فيما يخص بمختلف الموضوعات.

١) الاعتقاد بالمدرسة اللاأدرية:

المدرسة اللاأدرية منتمية إلى مذهب فلسفي قائل بعجز العقل البشري عن فهم المجردات وجوهرها وخواصها، وهي تعتمد في الأساس على استسلام البشر أمام القضاء والقدر المحتومين وعدم تمكنه من فهم أسرار الكون في الأساس (قنبري، ١٣٨٤ش: ١٢٣)، ويتضح لمستقري رباعيات الخيام أنه كان مؤمنًا من كل قلبه بهذه الرؤية، الأمر الذي جرّه إلى واد من الحزن والقلق وزاده تشاؤمًا للحياة وللكون. يتسلح الخيام بذهن متسائل لا تقنعه ردود الآخرين، ويبحث عن الحقيقة هو بنفسه، فيقوم بطرح مختلف التساؤلات ليشكك في الإجابات التي لم ولن تزل يجترّها الناس قديمًا وحديثًا، فهو يبحث عن المعرفة ويسعى الوصول إليها ولكنه مجهود عقيم لم يأت له إلا بأثمار اليأس أمام كون مترام لا يزيده إلا همّا، ولا يلبسه إلا قنوطًا، فهو خائف من فوات العمر والأوان، وحزين أن لايدرك أسرار الحياة والموت وهو يترك الدهر!

دل سر حيات اگر كما هى دانست

در مرگ هم اسرار الهى دانســـــت

امروز كه با خودى ندانستى هيچ

فردا كه ز خود روى چه خواهى دانست؟

(صراف، ١٩٤٩: ١٢٠- ١٢١).(ترجمة: لوعرف الإنسان سر الحياة ورموزها كما هي، لعرف بعد الموت كذلك أسرار اللاهوت، فأنت اليوم لاتعرف شيئًا بينما تتمتع بنفس وقوة عاليتين، فيكف تعرف شيئا في الغد وأنت لاتملك شيئا؟).

لاننحرف عن جادة الصواب لو قلنا أنَّ الخيام رغم ما يتمتع به من علم ومعرفة، ولكنه يبحث عنهما على

الدوام وباستمرار، وهذا هو السبب أنه يكثر من التساؤل لعله يتمكن من إيجاد الحل، بيد أنه بغية الوصول إلى رد قويم أو إجابة مقنعة قد يتورّط من وراء تلك التساؤلات في دايرة تساؤل آخر مجهول يزيده همًا وغمًا، وهذا في الحقيقة ليس معيبة على الخيام ولامنقصة له بشكل من الأشكال، وإنما هو تدفق للأفكار والرؤى في ذهن ملئه التساؤل والبحث عن الحقيقة.

اسرار ازل را نه تــو دانى و نه من
وين خط مقرط نه تو خوانى و نه من
هست از پس پرده گفتگوى من وتو
چون پرده برافتد نه تو مانى و نه من

(ذكاوتى، ١٩٧: ١٣٧٧). (ترجمة: لاأنت تقف على أسرار الأزل ولا أنا، كما لانستطيع أنا ولا أنت من فك هذا اللغز، إن وراء الستار لحديثًا عني وعنك فإذا أزيح الستار فلاأنت تبقى ولاأنا).

فالخيام يقرُّ بتعقيد خط الكون، فلا يعلم هو ولا المدعي شيئًا من أسراره، ولن تُزال تلك الأستار ولا تُكشط إلا بعد أن غشيَنا الموت والعدم وإذ ذاك لا يجدينا ذاك العرفان. وفي رباعية أخرى يشبه الخيام مساعي العقل للوصول إلى أسرار المجردات والأمور الغيبة بحلب الثور، كما أنه لا يترتب على حلب الثور فائدة لا يترتب على جهود العقل لإيصال الحقائق ومعرفة أسرار الكون فائدة كذلك.

قد تبلورت تلك الفكرة في قصيدة الطلاسم تبلورًا، حيث إنّ أبا ماضي يستقصي المجهود في هذا الشعر؛ ليعلن عن عجز الإنسان في كشف الحقائق الكونية؛ لأنّه يجهل قِدَم العالم وحدوثه ولا يحصر هذا الجهل المتجذّر في نوع البشر فحسب، وإنّما يتعداه إلى جميع الكائنات وكافة مظاهر الطبيعة، حيث إنه يتّجه نحو البر، والبحر، والقبر، والخ، ولكن الكلّ كليل عن فهم ذلك، لأنّه لا يسأل أيا منها إلا وهو منغمس في جهل متجذر، فتطفو من ذهنه المتسائل تساؤلات عديدة، تساؤل عن قدم الكون وحدوثه، وعن الإنسان هل يقود نفسه في هذا العالم اللامتناهي المجهول أم أنه مقود بواسطة قدرات مجهولة؟ وعن الأينية والخلقة وعن خالق كل تلك الأسرار، وبذلك أكثر ما يستشف في هذه القصيدة الطويلة رائحة اللاأدرية، والجهل لدى الشاعر وكافة مظاهر الطبيعة.

قد رأيتُ الشهبَ لا تدري لماذا تشرقُ
ورأيتُ السحبَ لا تدري لماذا تغــدقُ
ورأيتُ الغابَ لا تَدْري لمـاذا تورقُ
فلماذا كلُّها فى الجهلِ مثلي ... لستُ أدري

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٧٠). و يقول:

قد ســـألتُ البحرَ يومًا هل أنا يا بحرُ منكا
هل صحـــيحٌ ما رواه بعضهم عني وعنكا؟
أم تـــرى ما زعموا زورًا وبهتـــانًا وإفكـا
ضَحِكَت أمواجُه مني وقالت... لست أدري

فالشهب، والسحب، والغاب، والبحر، كلها خيّم الجهل على أعتابها، فالشهاب يشرق ولايدري والسحب تغدق عن غير علم، والغاب تورق، والبحر يمور ويضطرب، ولايدري لأي سبب؟ فكأنّ الكل مضطر للقيام بالمأمور ولايدري بالآمر!

٢) قِدَم العالم وحدوثه:

يرى الخيام كغيره من الفلاسفة القدماء وأستاذه ابن سينا أنّ المادة أو الهيولى قديمة، غير أنّ صورها المختلفة حادثة، وعبّر خلال رباعياته عن هذا المعنى بأشكال مختلفة، وهذا هو القول الأرجح والظاهر المستخلص من نص الرباعيات وليس بالقول الجازم المتيقن، وما يدل على ذلك عدد من رباعياته، حيث أشار فيها إلى تحويل المادة من حالة إلى أخرى، كتحويل الوجوه البشرية إلى التراب، والتراب إلى جرة الماء! فتلك الجرة وذاك النبات ليستا إلا عنصرين من عناصرنا الوجودية المتبعثرة في بطن الأرض السحيق، فويحك ثم ويحك أيها المتبختر الجبار أن تركلها أو تدهسها تحت أقدامك عنوة وتبختراً!

پیش از من و تو لیل و نهاری بوده است
گردنـــده فلک برای کاری بوده است
زنهار قدم بر خـــاک آهســـــته نهـی
کـــان مردمک چشم نگاری بودست

(فروغي وآخرون ١٠٤، ١٣٧٣).

(ترجمة: كان قبلي وقبلك ليل ونهار، وكان الفلك يجري إلى غايته، خفف الوطء على الأرض فقد كان ما تطأه إنسان عين حسناء).

فالحالات والصور متغيرة عند الخيام وتتفاوت! ويقول في رباعية أخرى:

چون ابر به نوروز رخ لالـه بشست
برخیز و بجام باده کن عهد درست
کاین سبزه که امروز تماشاگه توست
فردا همه از خاک تو خواهد رســـت

(دشتي، ٢٠٠، ١٣٤٨). (ترجمة: إذا غسلت السحبُ النيروزية طلعةَ الورد برذاذ مطرها، هيأ لنحتسي بنت الحان، لأنّ هذه النباتات والرياض التي اتخذتها مشهدًا للتنزه، فتنمو غدًا من ترابك).

رغم أنّ الفكرة تقترب إلى فكرة التقمص إلى حدٍّ ما ولكننا لانستطيع أن ندرج الخيام ذلك الفيلسوف الكبير في خانة المتقمصين أو القائلين بذلك، فمردُّ تلك الأشعار – كما أشرنا – الاعتقاد بتحويل المادة من صورة إلى أخرى. تبلور ذلك المعتقد في قصيدة الطلاسم بصورة ملحوظة، كأن إيليا أبي ماضي يعتقد بذاك التحويل الذي يؤمن به الخيام عن سويداء القلب، وبذلك يعتقد الشاعر أنّ كيانه متكون من عدة كيانات:

من شرابي الشهدُ والخمرةُ والماءُ الزلال
من طعامي البقلُ والأثمارُ واللحـــمُ الحلال

كم كيانٍ قد تلاشي في كيـــــاني واستحال

كم كيانٍ فيه شيءٌ من كياني ... لستُ أدري

(أبوماضي، ١٩٨٨: ١٧٣).

يبدو أنّ أبا ماضي يؤمن بأنّ المادة قديمة ولا تعرضها شيء من الفناء، غير أنّ صورها تتغير.

يرى الأستاذ الديناني أنّ الأدلة التي تدعم حدوث العالم عند الخيام لاتفوق قدرتها على الأدلة التي تثبت قدمه على حده تعبيره، فالأمر مرده إلى جدال الطرف القائل بالحدوث مع الطرف القائل بالقدم لدى المتكلمين، والخيام يشير إلى هذا الجدل ولايفصح عن رأيه بوضوح وجلاء، وإنما يدعو بأن لايُضيَّع الوقت بالجدل الكلامي وإنما يُستعاض عن ذلك بشرب الخمر وقضاء الأوقات مع المعشوق فرحًا ومرحًا (راجع: ديناني، ١٣٨٨: ١٩٤ -١٩٥).

چون نيـــست مقـام ما در اين دهر مقيم

پس بی می و معشوق خطائيست عظيـــم

تا کی ز قـــديم و محدث اميـــدم و بيـم

چون من رفتم جهان چه محدث چه قـديم

(فروغي وآخرون، ١٣٧٣: ١٤٩). (ترجمة: إذا لم نبق في هذا الدهر لنعيش، فتمضية الأوقات بغير خمر وحبيبة خطأ عظيم، إلى متى نظل نفكر بالحديث والقديم؟ وسيان بعدي حادث وقديم).

سبق أن قلنا أنّ الخيّام يؤمن بالقدم وتبديل الصور من حالة إلى أخرى، فانظر إلى الرباعية الآتية – على سبيل المثال لا الحصر- حيث يشبه الشاعر الكون بالرباط أو أماكن نزول القوافل، فكأنّ الدنيا ليست إلا رباطًا للاستجمام ونزول الركبان، وهي قديمة أفنت مئات الملوك والسلاطين كجمشيد وبهرام، وهي لاتزال قائمة.

اين كهنه رباط را كه عـالم نـام است

آرامگه ابلق صبح و شـــام اســـت

بزميست كه وامانده ی صد جمشيد است

قصريست كه تكيه گاه صد بهرام است

(المصدر نفسه: ١٠٣). (ترجمة: تشبه حال الدنيا رباطًا (مكان نزول القوافل)، وهي مهجع لمئات الملوك كجمشيد وقصر استند اليه الألوف من الملوك كبهرام).

تجلّت فكرة قدوم العالم وحدوثه في الطلاسم بكل وضوح، وأصابت الشاعر بالذهول والتحير، فأصبح يبحث عن الإجابة ولكنه لا يصل إلا إلى أفق من الجهل المطبق، ليعبِّر عن قوله في طلاسمه:

أ جديد أم قديم أنا في هذا الوجود... ؟

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٤٠) وقوله:

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سويّاً

كنتُ محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شيئاً

أ لهذا اللغزِ حَلٌّ أم سيبقى أبديـّاً

لستُ أدري ولماذا لستُ أدري ... لستُ أدري

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٤١).

والملاحظ أنّ أبا ماضي لا يعلن في طلاسمه عن رأيه فيما يخص بقدم العالم أو حدوثه، ولعله لا يتمكن من ذلك، لأنّه أسير في وادٍ من الجهل واللاأدرية، متورط في ظلمة لا يرى منها مخرجًا، فيسأل عن كونه قديمًا أم حادثًا، ولكنه لا يدري ما الإجابة، وأمّا الخيام فهو يدري، فهو عارف بأن أجزاء الجرّة ليست إلا أجزاء من وجوه مبعثرةٍ طالما أكلت وشربت، وعارف أنّ العالم رباط قديم استجم فيه الركبان واستراحوا، ثم غادروه نحو الفناء والزوال والعالم هو العالم دون تبديل ولا تغيير ليهلك المزيد والمزيد، فالخيام لايقرُّ له قرار لا في الأرض ولا في السماء، إلى أين ينظر؟ إلى لحد الكون الممتد المترامي؟ أم إلى الهاجعين في فراش التراب؟ وهو دائم الحزن وكثير التفكير ليصل إلى الإجابة ولكنه جهد عقيم ومسعى باطل، فظلال الخوف والقلق مسيطرة عليه ولا تبعد عنه للحظة من اللحظات، فهو يعاني معاناة وجودية، معاناة لا يعاني منها إلا الكبار الأفذاذ من الفلاسفة والمفكرين، وأبو ماضي ليس من جملة هؤلاء، فهو لا يزيد عن شاعر بارع، ومعاناته ليست بمعاناة دائمة في الوجود، وما يعاني منه في طلاسمه بكل ما استولى عليه من هموم وأحزان لايبلغ مدى ولا نصف ولا ربع ما يعاني منه الخيام، لأنّ تلك الأحزان النابعة من الجهل الإنساني ليست متجذرة في أعماق وجدانه، ولم يتطرق إليها في جملة أشعاره إلا في قصيدة الطلاسم وأبيات مبثوثة هنا وهناك، إلا أنّ تلك الأفكار عشّشت في قلب الخيام، وترسّخت في ضميره، فهي لاتزال ترافقه حتى انقطاع النفس، ولا تنفك تلازمه حتى تغمده الثرى، وهذا هو السبب أنه يدعو إلى شرب الخمر حتى الثمالة ليبلسم فؤاده الجريح! فالخمر ليست عند الخيام معنية لذاتها ولجوهرها، وإنما هي لها قيمتها لقابليتها من الإبعاد عن تلك الأحزان الوجودية!

٣) استيلاء الموت والدمار على الكائنات

تحاول الكائنات بأجمعها البقاء والمحافظة على استمرار حياتها ولكن محاولتها فاشلة، لأنّ الفناء وُضِع كمينًا للإيقاع بها. استحوذت تلك الرؤية على فكرة الخيام، فلا ينظر إلى أي صوب إلا وهو يشاهد الأموات والأرواح، ولا يلاحظ إلا أجسادًا مبتورة مبعثرة، فهو ينظر إلى القمر المنير فيساوره الفرح ولكنه ما عتّم أن يتذكّر أن هذا الليل المقمر كان قد أسدل ستار الظلمة على الألوف من قبله، وسوف يسدل ستاره على الألوف والملايين من بعده، يرى الكوز الفخاري والأقداح قد صُنِعت ثم انكسرت ووقعت تحت موطئ الواطئين خفيفة، وهي في الواقع تكوّنت من رؤوس ألوف العظماء كـ" كيقباد وكيخسرو" وغيرهم، وها هي اليوم وقعت أسيرة تحت وطأة التراب. فإذا الأمر يؤول إلى هذا المصير المؤلم لِمَ لا يستفيد الإنسان من هذا العمر الوردي ليستمتع بالوجود واللحظات؟

در كارگه كوزه گرى رفـــــتم دوش

ديدم دو هزار كـــوزه گويا و خمـوش

ناگاه يكى كوزه برآورد خـــــــروش

كو كوزه گر و كوزه خر وكوزه فروش

(فروغى و آخرون، ١٣٧٣: ١٤٣).

(ترجمة: كنت بالأمس في مصنع كواز، فرأيتها وهي بين الناطقة والصامتة، فإذا بكوز منها قال بلسان حاله أين صانع الكوز ومشتريه وبائعه؟).

فُضّل الإنسان على غيره من الكائنات الحية، لأنه يحظى بقدرة التفكير، يفكّر في الكواكب وحركاتها، يحدّد الفصول الأربعة وأيام السنوات، ويتدخل في شؤون الطبيعة تدخلًا ملحوظًا، ولكنه رغم كل ذلك محكوم بالموت كما الكائنات الحية الأخرى بأكملها، فليس بين هذا الكائن التفكيري وبين جميع الكائنات والدواب فارق في هذا الأصل. ومن دون مرية أن التفكير في الخلق هو الذي جرّ الخيام إلى ذلك الوادي المظلم، حيث يجد فكره قاصراً عن إيجاد الحل وعن معرفة مبدأ الخلق ومنتهاه، فدهش وتحيّر كيف يمكن أن يكون فعل الخالق في منتهى الحكمة وهو ينقضُّ على خلقه من جديد ويحوّله إلى العدم كما كان!

دارنده چو تركيـــــــب طبايع آراست

باز از چه سبب فكندش اندر كم وكاست

گرنيک آمد شكستن از بهر چه بـــــود

ور نيک نيامد اين صـــور عيب كراست

(فروغي و آخرون، ١٣٨٣: ١٠٨).

(ترجمة: مالك الطبائع عندما خلقها وسوّى خلقها، لماذا يجعلها ناقصة لا تفي بالمراد؟ وإن كانت قد جاءت جيّدة فلماذا حطّمها، وإن جاءت رديئة فإلي من يعود عيبها؟).

فالخيام لا يعتقد بالفناء والزوال الأبديين، وإنما يعتقد كغيره من أتباع فلسفة الإشراق بأنّ الموجود إذا وُجِد لا يعدم بعد، بل يموت أو يُسلب منه الحياة ليظهر في شكل آخر، فالذي أدهش الخيام هو هذا التبديل، فإذا كان الخلق الأول بديعًا فما معنى التبديل والتغيير إذن؟ وإذا كان سيئًا فمن المسؤول عن هذه الصُوَرِ المعيبة؟

لقد ألقت تلك الرؤى بظلالها على قصيدة الطلاسم، ها هو صاحبها يرى ظلَ الفناءِ مستحوذًا على كافّة الموجودات والكائنات، ولا مفرَّ لها منه بأي شكل من الأشكال.

قد رأيتُ النملَ يسعى مثلما أسعى لرزقي

وله في العيش أوطـــارٌ وحقٌ مثل حقـي

قد تساوى صمته فى نظر الدهر ونطقي

فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما ... لستُ أدري

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٧٤).

فإيليا أبو ماضي في تعبيره عن الفناء يصور نملاً يسعي لرزقه ويكافح الحياة للبقاء، ولكنه مهما كافح وجاهد لا ينال منه سوى اليسير، وفي الحقيقة أن سعيه

وراء الرزق ولقمة العيش هو الذي يوقعه في شرك الموت ومخالبه! فالذي أدهش الشاعر أنه هل يمكن أن يساوي الإنسان هذا الصنع الإلهي الكبير بقدراته الفكرية والروحية العظيمة نملاً إذا تعلق الأمر بالموت؟ كيف يمكن أن لا يكون هناك فرق بينه وبين بقية الكائنات؟ مهما يفكّر فالمصير هوهو ومهما تعقّل فالغاية لا تتغيّر! قد وظّف الخيام تعبير الذبابة بيانًا لهذا المفهوم، فهو لايرى فارقاً كبيرًا بين الإنسان والذبابة إذا تعلق الأمر بالموت:

آمد و شدن تو اندر این عالم چیست؟

آمد مگسی پدیـــد و ناپیـــدا شـــد

(دشتی، ١٣٤٨: ٢٧٣). (ما معنى الذهاب إلى هذه الدنيا والمجيء عنها، ليس ذلك إلا ذهاب ذبابة وإختفائها).

والملاحظ أنَّ أبا ماضي يتعدّى الهدم والفناء على جميع الكائنات الحيّة وغير الحية، فهو يرى مصير القصور الخالدات كمصير بانيها صوب الهدم، فدائرة الفناء لم تُضيَّق في الطلاسم على الإنس فحسب، وإنما اتسعت على جميع الكائنات وذوات الأرواح وعلى كافة مظاهر الطبيعة.

كم قصـــــورٍ خالها البانی ستبقی وتدوم

ثابتات كالرواسـی خـالداتٍ كالنجـوم

سحبَ الدهرُ عليها ذيلَه فهی رســـــوم

ما لنا نبنی وما نبنی لهدمٍ؟ ... لستُ أدري

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٥٩). ويقول:

ولقد أبصرتُ قصراً شاهقاً عالي القباب

قلتُ ما شَادک مَن شادک إلا للخراب (المصدر نفسه: ١٥٨).

٤) لغز الكون وعجز العقل في تفسيره

كانت ماهية الكون من أهم وأكثر تساؤلات الفلاسفة والمفكرين إثارة للجدل عبر التاريخ، والخيام كغيره من الفلاسفة لا يقبل الكلام دون دليل ولا برهان؛ لأنَّ فكره الفلسفي الرياضي لا يرضى بالإجابات البسيطة والإقناعات العامية، فهو كثير الاستدلال والتفكير، يريد أن يروي غليل صدر مشتعل لا يتروّي إلا بماء اليقين، فينظر إلى الصحراء المترامي على بعد النظر وتوّا يخطر بباله أين هناك؟ ومن هؤلاء؟ لماذا وطئ الواطئون هناك وعن ماذا يبحثون؟ أليست كل محاولة محكومة بالفناء! أليس كل مسعى يُصبُّ في صالح الزوال والعدم! إن تلك الأفكار هي التي رزحت كاهل الخيام وأثقلته ثقلًا لا يطاقه فيخرج من فمه ما يحير أصحاب الحجى!

این بحر وجود آمده بیرون ز نهـــفت

کس نیست که این گوهر تحقیق بسفت

هر کس ســـــخنی از سر سودا گفتند

زآنروی که هست کس نمی داند گفـت

(فروغي وآخرون، ١٣٧٣: ١٠٢). (ترجمة: فتق بحر الوجود من خفاء مستور لا يعلم به أحد، وليس

مَن يتمكن من تبيين هذا السر العظيم، كل إمرئ قال وهماً عن حقيقته غير أن الحق أنه لم يتفوّه بحقيقته أحد من العالمين).

ولا يستبعد أنه كان قد طعن الخيام في الأشاعرة والمعتزلة والمتشرعين والفلاسفة الدهريين، حيث كان يقول كل منهم ما يزعمه عن الكون وأسرار الخلقة وما إلى ذلك من أمور، بيد أنّ تلك الأقوال لا تزيد عن زعم زعموه، والزعم لا يغني من الحق شيئاً.

در دايره اى كامــدن و رفتن ماست

او را نه بدايت نه نهــايت پيداســت

كس مى نزند دمى در اين معنى راست

كاين آمدن از كجا و رفتن به كجاست

(ذكاوتى، ١٣٦٩: ١٩٤). (تشبه حالنا في ذهابنا إلى هذه الدنيا ومجيئنا عنها دائرة لا تتضح نهايتها ولابدايتها، ولم أجد من يقول الحق من أين جئنا وإلى أين نذهب؟).

ومن غير شك أنّ مكانة الخيام الحقيقية تتجلى في هذا التحير وذاك الاستغراب الوجودي والفكري، وتلك الأفكار التي تسبح على نقيض من التيار السائد. يقول في إحدى رباعياته أنّ الإنسان سواءً كان ناشئاً أم ناضجاً، أو عالماً أم جاهلاً، عاجزٌ عن حل أسرار الكون (شه وري، ١٣٨٤: ١٢١، دشتي ١٣٤٨: ٣٢١). فلا يمكن أن يصل إلى مرتبة اليقين مهما حاول؛ لأنّ التحير هو سيد الموقف والمسيطر عليه وجعل منه وجودًا كأنه بين الأرض والسماء! وبناءًا على هذا يعتقد أن كافة المساعي لفهم العالم محكومة بالفشل والعقل قاصر عن الوصول إلى كنه الحقائق، فالخيام رغم اعتقاده الجازم بقدرة العقل في فهم الأمور، إلا أنه يعتقد بعجزه في معظم المسائل الكونية والماورائيات كالموت والحياة و... .

تأثر أبو ماضي من تلك الأفكار في طلاسمه، فجرته إلى وادٍ من التحير واللاأدرية البحتة! فهو متخبط في عالم من المجهولات الكونية، فلا يدري من أين جاء، وإلى أين ذاهب في نهاية المطاف؟ فهو يرى أن مجيئه إلى هذا العالم لغز، وذهابه لغز، وكل ما يمتكله لغز لا ينحل، فلا يدري أين هو من هذا العالم، وأين العلم من الجهل المتأصّل في الكون؟ فالعاقل ليس إلا المتفوّه باللاأدرية أمام تلك المجهولات!

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ (أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٣٩).

ويقول في موضعٍ آخرَ:

إننى جـــــئتُ وأمضي وأنا لا أعلمُ

أنا لغــزٌ وذهـابى كمجيئي طلسـمُ

والذي أوجـــد هذا اللغز لغز مبهم

لا تجادل ذوالحجى من قال إني... لستُ أدري

(المصدر نفسه: ١٧٧).

والملاحظ أن تلك الأفكار رغم أنها مخيّمة على كافّة مواضع الطلاسم ولكنّها في الحقيقة لم تكن متعشّشة في

صدر الشاعر، وكأنها في معظمها لمحات تلمح أمام عينه أو تتمظهر للحظات وتختفي أكثر، فأبو ماضي لا يعاني مما يعاني منه الخيام، ولعلّه متلبّس بلباس الفلسفة في هذه القصيدة دون أخرى، فالحزن الوجودي والاستغراب الكوني لايلازمان الشاعر ملازمة تامة خلافًا للخيام الذي إعترف عقله بالعجز والتحيّر، فالخيام كثير الحزن دائم التساؤل في كافة رباعياته، الأمر الذي قد غاب في معظم أشعار أبي ماضي وقصائده، فهذا الغياب ليس اعتباطيّا وإنما هو ينجم عن غياب الحزن الوجودي في الحقيقة!

٥) الجبر والاختيار

يرى الخيام أنّ الإنسان عديم الاختيار في هذه الدنيا ولو كان متمتّعًا بشيءٍ من الاختيار ليس ذلك إلا في إطار ضيّق، وهذا لا يشتمل على الإنسان فحسب، وإنما على جميع الكائنات من ذوات الأرواح وغيرها، على غرار الألوف والملايين من الكائنات، حيث تتّجه وتسير دون إرادة منها ولا اختيار، فالكل خاضع لقانون الجبر ولا مفرَّ له منه أبدًا. فالخيام لا يدري من هو الفاعل المحرّك، قد يعبّر عنه بالدهر الغشوم وبالدهر اللعوب وما إلى ذلك من تعابير.

ما لعبتكانيم وفلك لعبت باز(دشتي ١٣٤٨: ١٨١). (ترجمة: غدونا لذي الأفلاك ألعاب لاعب).

يعتقد الخيّام أنّ أحوال الكائنات من الإنسان إلى الحيوان إلى النبات تشبه أحوال أحجار الشطرنج، واللاعب هو الدهر وليس الله جلّ جلاله، لأنّه يعجز عن حلّ هذا اللغز كيف يمكن أن يكون اللاعب هو الله وأعماله تتّسم بالحكمة والعلم؟ ويقول في رباعية أخرى:

بر من قلـــم قضا چـو بی من رانـد
پس نیک و بدش زمن چرا می دانند
دی بی من و امروز چو دی بی من و تو
فردا به چه حجتم به داور خـوانند

(فروغي وآخرون، ١٣٧٣: ١٢٦). (فإذا حكم القضاءُ عليّ دون علم مني ولا معرفة، فلماذا ينسبون إلى جيّد القضاء أو سيئه؟ وإذا حُوكم عليّ بالأمس واليوم كالأمس يحكم علينا دون علم منّا، فلماذا يدعوننا أن نحضر عند المليك المقتدر في يوم القيامة ليجازينا أو يعاقبنا؟).

فالإنسان ليس مختاراً عند الخيّام، ولذلك لا حاجة فعلاً بالجزاءِ ولا العقاب، لأنّه يتساءل كيف يمكن أن يعاقب الإنسان أو يجازى ولم يكن له اختيار ولا إرادة في كثيرٍ من الشؤون، هل يتّفق ذلك مع العدل الإلهي؟ ولعل الخيّام لا يريد ببيان تلك الرباعيات أن يطعن في حقيقة الجنّة والنار أو في شيء من المعتقدات الدينية، وإنما يريد أن يطعن بذلك في ما ذهب إليه بعض الأشاعرة والمرجئة والمتفلسفين من معتقد، وذلك لأنّ معظم من اجتمع حول الشاعر كان من الأشاعرة، وكأنه يريد القول أنه لا يجوز لكم أن تعتبروا من لم

يكن على معتقدكم أو منهجكم أو من يشرب الخمر، كافراً خارجاً عن الملة، لأنه مجبرٌ على ذلك وفاقد الاختيار في فعله!

من می خورم و هر که چو من اهل بود
می خوردن من به نزد او سهل بود
می خوردن من حـق ز ازل می دانست
گر می نخورم علم خدا جهـل بود

(يكانى ، ١٣٤٢: ١٨٦ – ١٨٥، دشتى ١٣٤٨: ٢٢٥).

(ترجمة: أنا أشربُ الخمرةَ ومن كان مثلي أهلًا لشربها لا يعتبر شربي الخمرَ معصيةً ولا إثمًا مني، وذلك لأنّ الله يعلم منذ الأزل أني سوف أشربها، فإن لم أشربها كان علمه جهلًا).

وأما في قصيدة الطلاسم فقد تحيّر الشاعر واستغرب هل هو حرٌّ طليق، أم أسيرٌ مقود؟ أيقوده يدُ التقدير أينما شاءت أم أنه هو الذي يقود نفسه في الحياة؟ فالشاعر وقف مذهولًا كيف يمكن إيجاد الحل؟

هل أنا حرٌّ طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني أدري ولكن ... لستُ أدري

(أبوماضي، ١٩٨٨: ١٤٠).

يتمنى الشاعر أن يدري الإجابة ولكنه لا يدري، فيتساءل عن كونه حراً أم أسيرًا، ولكنه كلما يسعى الوصول إلى الإجابة يخفق مسعاه، وفي مقطع آخر من القصيدة يصرّح أنه ليس حراً، بل هو أسير مكبل لا يملك أمره ثم إنه يتعدّى هذا الأسر على كافة الكائنات كالبحر، والغيث، والزهرة، والأرض الخ. والملاحظ أنّ أبا ماضي في المقطع السالف يتساءل أنه لا يدري هل هو حر طليق أم أسير مقود؟ ويتمنّى أن يدري الإجابة، في حين يجيب في المقطع التالي عن هذا السؤال بأنه أسير كأسر الكائنات بأجمعها، كأسر البحر الجبار، والغيث الهاطل، والزهور العَطِرة، والأرض الممتدة.

أنت يا بـــــــحر آه مـا أعظـــم أسرك
أنت مثلي أيُّها الجـــــــبار لا تملك أمرك
أشبهت حالك حالي وحكي عذري عذرك
فمتي أنجو من الأسر وتنجو.... لست أدري!

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٤٣).

ويقول في موضع آخر:

إنّ هذا الغيث يهمى حين يهمى مكرَها
وزهور الروض تفشى مجبرات عطرها
لا تطيق الأرض تخفى شوكها أو زهرها
لا تسل أيهـا أعشى وأبهى؟ لستُ أدري

(المصدر نفسه: ١٦٨– ١٦٩).

يتضح من الأبيات أنّ الشاعر يوسّع دائرة الإجبار سعة مفرطة، إلى النباتات، والزهور، والأرض، والأشجار، وكافة مظاهر الطبيعة، غير أنّ الكل يحاول الإيصال إلى هدف محدّد من قبل، فالغيث ليس له إلا

الإمطار، والنبات ليس له إلا الإنبات، والأرض لا تستطيع إخفاء شوكها أونباتها أو زهرها، فالكل مضطر ليسير نحو غايتها المقدّرة، ولا يتيسر له التخطّي عنها ولا التعدي منها أبداً!

٦) الدين والمعاد

من أهم ما يستخلص لمستقري تاريخ الأدب في حياة شاعر وفيلسوف كالخيام، احترامه لآراء الآخرين ومعتقداتهم، وأطرى عليه المورخون والنقاد في هذا المجال. يعرفه الشهرزوري بتالي ابن سيناء، والزمخشري بحكيم العالم والفيلسوف الكبير(يكاني ، ١٣٤٢: ٢٨٢ – ٢٨٣). وفيما يخص بمسألة المعاد وإثباتها أو نفيها رغم أن الكاتب العراقي أحمد حامد صراف يرى أن الخيام ينكر البعث والنشور كليًا (صراف، ١٩٤٩: ١١١– ١١٢)، إلا أننا رغم تفحصنا المتعمّق خلال رباعيات الشاعر لم نحصل على رباعية بوجه أو بآخر يدَّعي فيها الشاعر إنكار القيامة أو النشور بصورة مباشرة، بل يعتقد بضرورة تلك المفاهيم وكل المبادئ التي لها يد في انتظام المجتمع وسلامة أمره ولها تأثير في تهذيب النفس الإنساني وكبح جماحه. ولكننا لاننكر كذلك بعض رباعياته التي تفوح منها رائحة الشك والامتراء فيما يخص بأمر القيامة والمعاد الجسماني، غير أنها لا يُستقى منها إنكار صريح ليوم القيامة أو أمر النشور، ولو تنازلنا عن هذا القول وقلنا إن الخيام ينكر القيامة لوجب علينا القول إنه ينكرها في تغطية من القول وفي لفٍّ من الكلام لكي لا يمس بمشاعر المسلمين (المصدر السابق: ٢٨٣).

گويند كَسان بهشت با حور خوش است
من مى گويم كه آب انگور خوش است
اين نقد بگير و دست از آن نسيه بـدار
كآواز دهل شنيدن از دور خوش است

(فروغى وآخرون، ١٣٧٣: ١١٤).

(يقولون إنّ الجنة والحور طيبان، وأنا أقول عصير العنب هو الطيب، خذ هذا النقد وذر ذلك الوعد، فإن صوت الطبول في البعد أعذب).

والحقيقة أنّ الرباعيات التي يدل فحواها على شيء من إنكار المعاد، ليست إلا تشكيكاً في التصورات العاميّة البسيطة حول هذا الأمر، لأنّ حكيماً كالخيام لا يستطيع قبول أفكار وراثيّة تناقلها عوام الناس والسوقة، ثم إن الخيام لعلّه يبتغي بتلك الرباعيات إفحام المتكلمين القائلين بالمعاد الجسماني وهو بذلك يريد أن ينبههم إلى صعوبة هذا الأمر. وأما أبو ماضي عندما يتناول هذا الموضوع خلال طلاسمه فيتناوله بمزيد من العنف والحدّة قياسًا بالرباعيات، وتشتعل جسارته بهذا الصدد، فهو على سبيل المثال لا الحصر حينما يتطرق إلى الأماكن المقدسة، ويتحدّث عن الصوامع والأديرة يتّصف أصحابها بالتخشبيّة والتزمتيّة ويصفهم بجهلاء نتناء العقول والأفكار، يكبّلون الورود وهي استعارة عن الشباب والشابات

ويغسلون أدمغتهم بأفكارهم القشرية.

إننى أبصرتُ فى الدير ورواداً فى سياج
قنعتُ بعد الندى الطاهر بالماءِ الأجَاج

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٥٠).

وفي عدد من أبياته يزداد الشاعر صراحة وصرامة في الكلام، حيث يعتبر الدير مكانًا لتكديس الهموم والأحزان وليس لإفراغها ولذلك يخاطب أتباع تلك الأماكن:

أيها الهـــــــاربُ إنَّ العارَ فى هـذا الفرار
لا صلاح فى الـــذى تصنعُ حتى للقفـــار
أنت جانٍ أىَّ جانٍ قاتـــــــل فى غير ثـار
أفيرضى الله عن هذا ويعفو ؟...لستُ أدري

(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٥٢).

وفي الأبيات التالية يسأل الشاعر عمّا اختلجه من شك وريب في أمر القيامة والبعث وراء القبور، هل هناك حياة تنتظرنا بعد هذا الموت الطويل، وهل هناك نشور بعد هذا الرقاد الذي استغرق لهذه المدة الطويلة؟

أوراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشور
فحياة فخـــــــلودٌ أم فناء فدثور؟

(المصدر نفسه: ١٥٦).

وفي أبيات أخرى يتساءل الشاعر لو أننا افترضنا صحة بعث الأموات ونشورهم، كيف هم يبعثون؟ هل يبعثون وهم أطفال، أم يبعثون في ثياب الكهولة والشيخوخة؟ والإجابة كسابقاتها ليست إلا لستُ أدري! وفي البيت التالي كأن الشاعر يريد نفي المعاد وإنكاره، قائلًا: لو كان للمعاد حقيقة لماذا لا تدوم حياتنا دائمًا ولا يتيسر لنا أن نستمتع على وجه الأرض بهذه الصحوة العالية بدلًا من الحياة في عالم آخر؟ فإن كان بعد رقاد الموت الطويل صحوٌ أطول فلماذا لا يبقى هذا الصحو الحالي الذي نتمتع به ولايدوم؟ وإذا كان الموت يمثل هجوعاً حقاً فلماذا نعشق النوم ونرنو إليه، في حين ننأى بأنفسنا عن الموت؟

إن يک الموت رقادا بعده صحوٌ طويل
فلماذا ليس يبقى صحونا هذا الجميل

(المصدر نفسه: ١٥٥).

٧) مدح الخمر

من أبرز ميزات رباعيات الخيام مدحه للخمر، ولكنه يجب أن لا يعزب عن البال أن الخمر في تلك الرباعيات وعند الخيام بالذات ليست إلا رمزًا للتمتع وشعارًا للاستمتاع بالحياة وعدم فوات الفرصة والأوان (انظر: دشتي،١٣٤٨: ٢١٥ - ٢٣٢)، ومن ثمّ فإنّ الخمر ليست في رباعياته موضوعاً مستقلًا على حدة، وإنما هي رمز للتخلص من المآزق الفكريّة والهموم والأحزان!

وقت سحر است خيز اى مايه ناز
نرمک نرمک بـــــاده و چنـگ نواز
كانها كـه بجـــــايند نپاينـــد دراز
و آنها كه شدند كس نمى آيد بـاز

(فروغی وآخرون،١٣٧٣: ١٤٢). (ترجمة: قم واستيقظ يا صاحب الدلال، وغنّ لنا واشربنا الخمر العتيقة، لأنّ من تراهم لن يلبثون مديدًا ولن يعود من الماضين أحد).

فالخمر كما قلنا ليست مستقلة متفردة في تلك الرباعيات وإنما هي عند الخيام – على ما ذهب اليه فرنان هانري – بلسمة وتسكين لآلام متتابعة ولفشل فكري ذريع في البحث عن أسرار العالم وفهم رموزها، وكأنه بذلك يريد أن يسدل ستارًا من النسيان على حياة الصحوة المؤلمة لكي تتنفس صعداء ولو للحظات خاطفة (يكانی، ١٣٤٣: ١٥٠). فالخيام تعب من النظر في صحراء الحياة المجهولة وسئم، ولكنه حي فعلًا، ويتيسر له أن يستنشق الهواء الطلق والنسيم العليل في الصباح، فيتمظهر في لباس النصّاح والوعاظ، داعيًا لاغتنام الفرص وذلك عبر شرب الخمر التي تذيب الهموم والأحزان:

ای دل تو به اسرار معمـــا نرسی

در نکته زیرکان دانـــا نـرسـی

اینجا ز می لعل بهشتی مـــی ساز

کانجا که بهشت است رسی یا نرسی

(فروغی وآخرون،١٣٧٣: ١٦٢). (ترجمة: أيها القلب إعلم أنك لن تصل إلى أسرار الكون، ولا تصل مرتبة الأذكياء الفطناء، اجعل لنفسك في هذه الدنيا جنة من الخمر؛ لأنك لا تدري في الحقيقة هل تنال في يوم القيامة نعيم الجنة أم لا؟).

يعترف الخيام بضعفه وبضعف جميع أبناء البشر في الوصول إلى أسرار الكون، ثم أنه يصرّح بأنه لا يمكن البلوغ إلى ما بلغه الفطناء الأكياس أبدًا، ومن ثمّ ليس عليه هو وأمثاله إلا الاستمتاع بالحياة والأوقات وعدم فواتها، وأن يصنعوا في هذه الدنيا العاجلة جنة لئلا يعضوا بنان الندم إن وصلوا إلى الجنة في يوم القيامة أو لم يصلوا! فالخيام يعرّض في الرباعية بأن أذكياء الرجال حاروا ودهشوا أمام هذا اللغز الكبير فناهيك عنه وعن أمثاله، فلا يمكن أن يجدوا الحل أبدًا ولذلك يدعو في البيت الثاني إلى شرب الخمر حتى الثمالة. ولعل المراد من البيت الأول أنّ الأكياس تحصلوا على نتيجة كبيرة وهي أنّ الأفضل في هذه الدنيا أن يشرب الإنسان الخمر لكي يرتاح من الهموم والأحزان كلها ويصنع من دنياه جنة! مهما يكن من أمر أن الخمر عند الخيام لو اعتبرناها خمرًا مادية أو معنوية فهي ليست إلا رمزًا للاستمتاع وتنبيهًا لعدم فوات الأوان. ونعتقد أنه على جانب من الاستبعاد أن نفترض أن الخيام هذا الفيلسوف وهذا الداعي إلى التعقل والتفكير في كل الأمور، أن يدعو إلى شرب الخمر الدؤوب، كيف يمكن أن يكون هناك دعوة إلى التعقل والتفكير بينما هو يدعو صباح مساء إلى شرب الخمر حتى النخاع؟ هذا هو الذي دفعنا أن نحمل الخمر في الرباعيات على معناها المعنوي المتجسد لدى الكثيرين من كبار الشعراء كمولوي والحافظ الشيرازي والسعدي

وغيرهم. إجتاحت تلك الأفكارُ الحدودَ الفكرية لإيليا أبي ماضي في طلاسمه، حيث إنه يضع أمامه الكثير من التساؤلات المجهولة التي أدهشته، فيتمسك بالخمر والشراب ليزيل الهموم والأحزان، وذلك لأن الخمر تنوّر عينه وتدقق شعوره وهي كأنها دم يتسرّب في كافة أعضاء بدنه فرحاً ومرحًا!

هي في راسيَ فكرة وهي في عيني نور
وهي في صدري آمالٌ وفي قلبي شـــــعور
وهي في جسمي دمٌ يسرب فيه ويمور
إنما من قبل هذا كيف كانت ... لستُ أدري
(أبو ماضي، ١٩٨٨: ١٧٦).

يرى أبو ماضي أنّ الخمر تكوّن لديه الفكر والتعقل، وتزيد عينه قوة وضياءاً وتملأ صدره بالآمال والأحلام الطبية وتنشّط الشعور والإحساس في قلبه وتحرّك جسمه وكأنها دم يتسرّب في كافة أعضاء بدنه، فيا تُرى كيف يمكن أن تسهم الخمر في تزايد الفكر والمعرفة والتعقل؟ أما تعتقد أن هذه الخمر ليست هي بذاتها المادية القذرة وإنما هي خمر للمعرفة والتعقل في الكون وأسراره؟ أليست هذه الخمر هي خمر العلم والتدبر؟.

والملاحظ أنّ أبا ماضي لا يدعو إلى شرب الخمر، بل يكتفي بمدحها وكونها مكوّنة للفكر والتعقل، وأمّا الخيام فلا، فهو يدعو إلى شربها حتى الثمالة في معظم رباعياته وهي كما قلنا رمز للاستمتاع والتخلص عن الهموم، ولعل مردّ ذلك أن فكرة الفناء والعجز الإنساني عن إيجاد الحل تعششت في ضمير الخيام وأما إيليا أبوماضي فلا، حيث إنّ تلك الأفكار لا ترافق الشاعر في كثير من مواضعه الشعرية سوى هذه القصيدة وأبيات مبثوثة هنا وهناك.

النتيجة

نظرًا لما تطرقنا إليه خلال الصفحات الماضية عن قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي، أنّ الشاعر تأثر من أفكار الخيام ورؤاه الفلسفية إلى درجة ملحوظة، حيث إنه جسّد أفكار الخيام في طلاسمه تجسيدًا، غير أنّ الملاحظ أنّ أبا ماضي في تلك القصيدة لم يبلغ مدى ولا نصف ما بلغه الخيام من علو الأفكار والتحيّر والدهشة، لأنّ معاناة الخيام معاناة وجودي دائم واستغراب كوني لا يفارقه لحظة من اللحظات إلا إذا لجأ إلى الخمر، وأما معاناة أبي ماضي فليست إلا خطفات عابرة تظهر وتختفي بسرعة، إذ إنه يكتفي في كثير من المواضع بطرح التساؤل دون الإجابة ويمرُّ على الموضوع مرورَ الكرام وكأن تلك التساؤلات لا تنبثق عن تحديات وجودية لدى الشاعر، ومرد ذلك أنّ إيليا أبي ماضي لم يكن شاعراً متشائمًا حزينًا في معظم شعره يوماً ما، بل هو شاعر التفاؤل، وأما فيما يتعلق بالخيام فلا، لأنّ مفهوم الفناء وعجز الإنسان عن حل أحجيّة الكون متمظهر في مواضع كثيرة من رباعياته،

حيث يعاني من دهشة واستغراب وجوديين وهو خائف مستجير ولا مجير؛ لأنه لا يرى في الدنيا بكل سعتها إلا أمواتاً مبعثرة ووجوها مغبرة في بطن الأرض، فعمن يسأل ليرتاح ويروي الغليل؟ فلا تقنعه إجابات المتفلسفين والأشاعرة، وهو لا يقبل التقليد البحت، ولا يعترف بالمعتقد الذي لم يكن مترسّخاً بالتفكير والتعقل، فيبحث عن الإجابة بعقله ولكنه كلّما يطرق بابه لا يُفتَح له، ومن ثمّ لا يبقى عنده إلا خيار شرب الخمر.

المصادر و المراجع

أبو ماضى، إيليا، ١٩٨٨، *من أعمال الشاعر إيليا أبوماضى* (الجداول – الخمائل- تبرو تراب)، بيروت – لبنان ، دار الكاتب وكتاب.

أحمد الجزايرى، محمد الجواد آل شيخ، ١٩٥٧، *حل الطلاسم*، الطبعه الثانية، النجف.

أمين رضوي، مهدي، ١٣٨٧، *صهباي خرد، شرح أحوال وآثار* حكيم عمر *خيام*، الطبعة الثانية، ترجمة مجدالدين كيواني، طهران، منشورات سخن.

برهومي خليل، ١٩٩٣، *إيليا أبو ماضى شاعر السؤال والجمال*، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

الجزائري، محمد الجواد، ١٩٧٠، *حل الطلاسم*، الطبعة الثالثة، بيروت.

الجيوسى، سلمى الخضراء، ٢٠٠٧، *الإتجاهات والحركات فى الشعر العربى المعاصر*، الطبعة الثانية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية.

حاطوم، عفيف نايف، ١٩٩٤، *إيلياء أبو ماضي، حياته، شعره ونثره*، الطبعة الثانية، بيروت: دار حاطوم.

دشتى علي، دمي با خيام، ١٣٤٨، الطبعة الثانية، طهران، موسسة أميركبير للنشر والتوزيع.

ـــــــــ ، ١٣٧٧، *دمي با خيام*، طهران، مؤسسة منشورات أساطير، الطبعة الثانية.

ديمترى، سليم جورج، *إيليا أبو ماضي داراسات عنه وأشعاره المجهولة*، مصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، رقم ٧٠.

دينانى، إبراهيم، ١٣٨٨، هستي *و* مستي، طهران، اطلاعات، الطبعة الثالثة.

ذكاوتى، قراگزلو عليرضا، ١٣٦٩، حكيم *سخن آفرين*، تهران، نشر دانش .

ذكاوتى، قراگزلو، ١٣٧٧، عمر *خيام*، تهران، طرح نو.

رضا، فضل الله ، ١٣٧٩، *نگاهى به عمر خيام* ، الطبعة الأولى، طهران، منشوارت كوير.

شه، وری أحمد، ١٣٨٤، ج*هان بینی حکیم عمر خیام نیشابوری*، الطبعة الأولى، طهران، منشورات همراه.

شيرواني، مهاجر، ١٣٧٠، حسن *شايكاد، نگاهي به خيام همراه با رباعيات*، منشورات پويش، الطبعة الأولى.

صافي النجفي، أحمد، ١٩٩٨، *رباعيات عمر الخيام*، الطبعة الخامسة، دمشق: دار طلا.

صراف، آحمد حامد، ١٩٤٩، *عمر الخيام* ، الطبعة الثانية، بغداد، مطبعة الشعب (دار الأخبار).

ضيف، شوقي، ١٩٥٩، *دراسات فى شعر العربى المعاصر*، الطبعة الثانية، مصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية.

عباس، إحسان ونجم، يوسف محمد، ١٩٨٢، *الشعر العربى فى المهجر: أمريكا اللاتينية*، بيروت، دار صادر.

الفاخوري، حنا، ٢٠٠٣، *الجامع فى الأدب العربي الحديث*، الطبعة الثامنة، منشورات ذوي القربى.

فرزانة، محسن، ١٣٥٣، *خيام شناخت*، الطبعة الأولى، طهران.

فروغي، محمد علي وغني قاسم، ١٣٧٣، *رباعيات خيام با تصحيح*، مقدمه وحواشي بعناية بهاء الدين خرمشاهى مع الترجمة الإنكليزية، طهران، منشورات ناهيد.

قنبري، محمد رضا، ١٣٨٤، *خيام نامه، روزگار فلسفه و شعر خيام*، الطبعة الثانية، طهران، منشورات زوار.

كريستين سن، آرتور، ١٣٧٤، *بررسي انتقادي رباعيات خيام*، الطبعة الرابعة، ترجمة فريدون بدره اي، طهران، منشورات توس.

المعوش، سالم، ١٩٩٧، *إيليا أبو ماضى بين الشرق والغرب فى رحلة التشرد والفلسفة والشاعرية*، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع.

يكانى، إسماعيل، ١٣٤٢، نادر*ة أيام حكيم عمر خيام و رباعيات* ، طهران، سلسلة منشورات انجمن آثار ملي.

عنوان مقالة: بازتاب انديشه ى خيام بر قصيده ى طلاسم از ايليا ابوماضى

چكيده:

قصيده ى طلاسم ايليا ابوماضى (١٨٨٩-١٩٥٧) به عنوان يكى از مشهورترين قصائد اين شاعر دريچه اى است به خلجانهاى روحى و انديشه هاى درونى شاعر، كه در نوع خود و در مقايسه با ديگر اشعار وى كم نظير است. هر چند قصيده وحدت يا انسجام موضوعى ندارد اما شاعر با بهره گيرى از كلماتى سليس و پرهيز از تكلف و تصنع توانسته است يكى از زيباترين

قصاید خود را به رشته ی تحریر درآورد. ابوماضی در این قصیده از افکار و آراء شاعر، فیلسوف و ریاضی دان برجسته ایرانی عمر خیام تاثیر پذیرفته است. نویسنده گان این جستار با استفاده از روش توصیفی – تحلیلی این مهم را به اثبات رسانده اند که قصیده ی طلاسم ایلیا ابوماضی آیینه ای تمام نما از افکار وآراء عمر خیام است که شاعر با بهترین نحو وزیباترین اسلوب این افکار را در قصیده ی خویش به تصویر کشیده است.

واژگان کلیدی: *إیلیا ابوماضی*، طلاسم، خیّام، رباعیات، انديشه هاي فلسفي.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ٨٩-١١٢، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

تجليات نظرية نحو النَّص عند المفسرين: دراسة تطبيقية على أسلوب الحال في النَّظم القرآني

علي سلامة عبدالحليم أبوشريف

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، الخرج، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٧/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : نظرية نحو النص ، أسلوب الحال، النظم القرآني.

ملخص البحث: يعالج البحث في مضمونه توظيف النَّحاة والمفسرين لأسلوب القرآن الكريم مجموعة من الوسائل والأطر التي خدمت المعنى القرآني، وكشفت عن تفسيرات توقف عندها نحو الجملة زمنًا غير قصير، والتي انبثقت فيما بعد عن نحو يُعنى بالنَّص كبنية كلية متكاملة يفسر بعضه بعضًا ينطلق من نحو الجملة، ويحمل وظائف أوسع وصلاحيات أكبر وتحولات ذات قيمة دلالية أدت إلى قراءة أعمق أضاءت جوانب معرفية كانت تحملها النَّصوص، ثم يستعرض البحث مجموعة من الأساليب القرآنية التي جاء فيها صاحب الحال متعددًا وقد استدعى فيها المفسرون هذه الوظائف في قراءة النَّص والخروج بمعنى قد يلامس المراد أو يقترب منه.

The Manifestations of the Syntax Theory for Commentatars: An Empircal Syudy on The Adjectival Styles in The Quranic Context

DR. Ali Salama Abdel Halim Abu Sharif
Assistant Professor in the Arabic Department at Sattam bin Abdulaziz University in Al-Kharj, Al-Kharj, Saudi Arabia

(Received 7/1/1438H; Accepted for publication 18/5/1438H)

Keywords: The theory , syntax of text, Depictive Quran text.

Abstract: Numerous frameworks and approaches have been proposed by grammarians and exegesis scholars in the critical study of the style of the Glorious Qur'an. These frameworks have been based greatly on what can be called sentence-level syntax. However, it can be claimed that sentence-level structure was not effective in the exegesis of the Quranic meaning of different expressions. In the light of this argument, this study addresses the issue of employing text-level structure in the study of the Quranic meaning. This is an approach that is concerned with the study of the text as an integrated construct that goes beyond the sentence level where each constituent gives explanations to other text elements, starting from the sentence-level. The hypothesis is that text-level syntax is a more integrated approach that can give a deeper understanding of the Quranic meaning which will ultimately reveal deeper conceptual aspects within the text. The study is based on investigating a number of the verses and expressions of the Qur'an where Quranic exegesis scholars adopted text-level grammar methods in explaining the closest intended meaning within these Quranic expressions.

مقدمة

لم تعد القراءة التقليدية للنَّصوص كافية لاستخراج معانيها واستنباط دلالتها؛ لأنَّ أكثرها يدور في فلك الجملة من حيث وصف مفرداتها وضبط تراكيبها والعناية بها، وإنما تخطت هذه القراءة الجملة في محاولة لربطها بالنَّص المنجز التي هي إحدى لبناتهـ، حيث أصبح النَّص يشكل مفهومًا مركزيًا في الدراسات اللسانية المعاصرة؛ وذلك لأنَّ النَّص هو وحدة التبليغ والتبادل، أو الصورة الكاملة والأخيرة التي أرادها المتكلم لمتلقيهـ، من هنا انبثقت الدراسات اللسانية المعاصرة عن نحو يُعنى بالنَّص، لا يتوقف عند حدود الجملة، ولكنه يسعى لاحتواء النَّص وقراءته قراءة نحوية دلالية تداولية تجعل للسياق والموقف اللغوي دورًا أساسيًا.

ويعني الباحثون بنحو النَّص: مجموعة القواعد النحوية النَّصية التي تنظم بناء النَّص، وبهذا يختلف عن نحو الجملة ولا ينشق عنهـ، بل يستمد منه ما يضمه من تصورات ومفاهيم وأشكال؛ وذلك لأنَّ "كثيرًا من الظواهر التي تعالج في إطار النَّص كانت تعد محور كثير من البحوث النحوية السابقة التي كانت تعد الجملة أكبر وحدة في التحليل النَّحوي".(بحيري ٢٠١٠م، ١٥٦).

ولا يتسع المجال لسرد الفروق التي يختلف فيها نحو الجملة عن نحو النَّص، ولكنَّ الذي يؤكده البحث أنَّ نحو النَّص يحمل وظائف أوسع وصلاحيات أكبر، وتحولات ذات قيمة دلالية أدّت إلى قراءة أعمق أضاءت جوانب معرفية كانت تحملها النَّصوص، لم يستطع نحو الجملة التنقيب عنها واستخراج دفائنها؛ وذلك لأنَّ نحو النَّص ليس لديه قواعد معيارية يفرضها على كل نَّص، وإنَّما يراعي في وصفه وتحليله للنَّصوص عناصر لم توضع في الاعتبار، ويستعين في قراءته بقواعد دلالية ومنطقية إلى جانب القواعد التركيبية المتداولة محاولًا استخلاص قواعد كلية دقيقة للأبنية النَّصية وقواعد ترابطها.

وبهذا تكون قد فُتحت مجالات أمام نحو النَّص ما كان له أنْ ينجزها بدقة لو التزم حد الجملة كي يتسنى له من خلالها صياغة قواعد تمكننا من قراءة النَّصوص النَّحوية.

والقارئ للتراث اللغوي والأدبي العربي وتناول اللغويين والنَّحاة يجد تأصيلًا دقيقًا لعناصر هذه النَّظرية وما تتضمنه من أسس ومفاهيم استخدمها النحاة والمفسرون في توجيه تراكيب هذا التراث، وقد انتقى البحث تعدد صاحب الحال في النظم القرآني كمثال على تناول المفسرين لبنية النَّص كوحدة متكاملة وليس مجزأً مما أثّر في كشف المكنون وبيان المراد وقد اقتضى البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وثبت للمصادر.

في المقدمة رسمت خطة البحث، وفي التمهيد تناولت مصطلحات البحث بالبيان والتحليل.

أمّا المبحث الأول فتناول نظرية نحو النَّص بإيجاز غير مخل، ثم جاء المبحث الثاني كدراسة تطبيقية على أسلوب الحال وتعدد صاحبه في القرآن الكريم.

ويؤكد الباحث أنه لم يقف على دراسات سابقة تناولت تعدد صاحب الحال وتعينه في ضوء هذه النَّظرية. وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض الأساليب القرآنية التي تعدد فيها صاحب الحال، ثم دراستها من خلال أقوال المفسرين.

الله أسأل أنْ يجعل هذا العمل خطوة تفتح الطريق لدراسة نصية دقيقة وعميقة لأسلوب القرآن تكشف جهود القدماء في خدمة القرآن، وتبرز جهود المعاصرين في بيانه.

التمهيد: يجدر بالبحث – قبل تناول نظرية نحو النَّص في الدراسات اللسانية الحديثة ومعالجتها من خلال أسلوب الحال في القرآن الكريم وكيف برزت هذه النظرية في تناول النحاة للحال وتحديد صاحبه عندما يأتي متعددًا – أن يعرف بالجملة ومفهومها في التراث النحوي والدرس اللساني المعاصر.

تعريف الجملة:

ظل مصطلح الجملة متدثرًا بعباءة الكلام قرابة خمسة قرون من تاريخ النحو العربي لم يفرق بينهما إلا في القرن السابع على يد ابن الخباز الموصلي (٦٣٩هـ)، ورضي الدين الأستراباذي (٦٨٦ هـ)، وابن هشام المصري (٧٦١ هـ)، حسب ما تيسر لدي من قراءة في التراث النحوي.

فلم يأت تعريف لمصطلح (الجملة) في كتاب سيبويه (١٨٠هـ) المنتج الأول للدرس النحوي، ولكن أول تعريف للجملة عند النحاة برز واضحًا لدى أبي العباس يحيى بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) عندما قال: "وإنما كان الفاعل رفعًا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب"، (المبرد، د ت ١/ ٨) ومن هنا أخذ النحاة هذا التعريف وأطلقوه على الكلام مرادًا به الجملة، فهذا أبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ) يعرِّف الكلام بأنه: "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل" (ابن جني دت ١/ ١٨)، ثم يؤكِّد هذا التعريف رابطًا بين الكلام والجمل فيقول: "الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها" (١/ ٣٣)، وعلى هذا جرى كلام أئمة النحويين كالإمام عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) وأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) الذي عقد مسألة من مسائله الخلافية في النحو برهن فيها على أنّ الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة. (العكبري ١٤١٢هـ، ٣٥).

يقول الدكتور محمد حماسة عبداللطيف: "وقد ظلت أصداء هذه التسوية تتردد حتى عصرنا الحاضر، إذ يسوي صاحب النحو الوافي بين الكلام والجملة، فقد عرفهما بتعريف واحد قائلًا: " الكلام والجملة ما تركب من كلمتين أو أكثر، وله معنى مفيد مستقل". (حماسة ١٤١هـ ٢٠).

إلا أنّ ابن الخباز الموصلي (٦٣٩هـ) لم يرتض هذه التسوية ويرى أنَّ هناك فرقًا بين (الكلام) و(الجملة) التي أشار إليها بمصطلح (كلم) قائلًا في أقسام اللفظ: "وقسم يسمى كلمًا ولا يسمى كلامًا، كقولك: (إنْ قام زيد) فهذا كلم؛ لأنه ثلاث كلمات، وليس بكلام؛ لأنه غير مفيد؛ لافتقار (إنْ) إلى جملة أخرى تكون جوابًا لها، وقسم يسمّى كلامًا ولا يسمّى كلمًا كقولك قال زيد فهذا كلام؛ لأنه مفيد " (ابن الخباز دت ١/ ١٤٢)، ثم جاء من بعده الإمام رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ) وأكّد أنَّ كل كلام يكون جملة، أما الجملة فلا تكون كلامًا، وفقه الرضي في التفريق بين هذين المصطلحين ينبع عنده مِن أنَّ الجملة قد تكون مقصودة لذاتها أو لا، فلا تعد كلامًا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، أما الكلام فلابد أنْ يكون مقصودًا لذاته. (الرضي ١٤١٤هـ، ١/ ١٨).

وقد استلهم ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ) هذا الفقه بين المصطلحين فقال في مستهل دراسته لأحكام الجملة: "شرح الجملة وبيان أنّ الكلام أخص منها لا مرادف لها " (ابن هشام ١٩٩٢م ٢/ ٤٣١)، وقال في موضع آخر: " اعلم أنّ اللفظ المفيد يسمى كلامًا، وجملة، ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه، وأنّ الجملة أعم من الكلام، فكل كلام جملة ولا ينعكس".(ابن هشام ١٤١١هـ، ٦٧).

والذي يظهر أنّ ابن الخباز والرضي وابن هشام محقون في هذه التفرقة الدلالية، فقد اصطلح النحاة على أن قولنا: (إنْ قام زيد) جملة وهي ليست مفيدة، فدل على أنّ الكلام يكون جملة، والجملة لا تكون كلامًا، وأن الجملة قيدها التركيب، وأن الكلام قيده الإفادة.

ولم تخرج الجملة في الدرس اللساني المعاصر عن هذا التعريف فهي وحدة تركيبية تؤدي معنى دلاليًا واحدًا،(حميدة ١٩٩٧، ١٤) أو كما يقول برينكر: يمكن أن تعرف الجملة بأنها: وحدة لغوية تتشكل من فعل محمول بوصفه المركز التركيبي وسلسلة من مواقع أركان الجملة..." (برينكر ١٤٢٥هـ،٣٤).

ورغم تعدد تعريفات اللسانين المعاصرين للجملة فإنّ هناك شبه إجماع على اعتبارها وحدة الكلام الصغرى وقاعدته، تقوم على عملية إسنادية، تشتمل على مكونين هما: المسند والمسند إليه. (الصبيحي ١٤٢٩هـ،٦٧-٦٨).

(النَّص) في الدلالة اللغوية:

جمعت المدونة اللغوية لدلالة كلمة (نص) من التراث اللغوي معاني عدة، منها: (الظهور)؛ لقول

صاحب اللسان "كل ما أظهر فقد نص"، وكذلك (الثبات) كما جاء في الرواية عن عمرو بن دينار أنه قال: "مَا رأَيت رَجلًا أَنَصَّ لِلحديثِ مِنَ الزُّهري، أَي: أَرفعَ لهُ وأَسندَ." فكلمة "أرفع" التيجاءت عن عمرو بن دينار تعني رفع الحديث إلى صاحبة، أما كلمة "أسند" تعني الدقة في الرواية وعدم التدخل لا باللفظ ولا بالمعني، ومما يؤكد دلالة الثبات في كلمة (نص) ما نقل عن الليث أنه قال: "النَّصنصة إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا هم بالنهوض".

ومن الدلالات المعجمية الواردة في متن كتب اللغة لكمة (نص): علو المصدر، وهو ما عبر عنه صاحب اللسان بـ"التوقيف" في قوله: "النَّص: الإِسْنادُ إِلى الرَّئِيسِ الأَكبر، والنَّص التوْقِيفُ" بمعنى أن هذا الشيء ثابت لا يتغير، يرفع إلى صاحبه دون تبديل أو تحريف. وجاء في اللسان: "نص الأمر: شدته" مما يوحي أنّ الشد والاستقصاء التام من سمة النَّص الغالبة عليهـ، وأنه كلما كان مشدودًا مقتصدًا كان بناؤه محكمًا، يقول الإمام عبد القاهر: "إذا قلت: "رأيت أسدًا"، كان لكلامك مزية لا تكون إذا قلت: رأيت رجلًا هو والأسد سواء، في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش وأشباه ذلك" (الجرجاني ١٤١٣هـ، ١/ ٧٠)، وفي قول ابن منظور:"ونصَّ المتاعَ نَصًّا: جعلَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ" دلالة أخرى من الدلالات التي عبر بها عن كلمة (النَّص) في اللغة مما يعني أن (النَّص) الترتيب والتتابع والتماسك.(ابن منظور ١٤١٤هـ، نصص).

نخلص من تتبع الدلالة المعجمية لمفردة (نص) في تراث اللغة إلى أنّ فيها معنى: الظهور، والتركيب، والاقتصاد، والثبات، وعلو المصدر.

(النَّص) في اصطلاح علم اللغة النَّصي:

استقرار هذه الدلالة المعجمية التي تمخض عنها التراث اللغوي العربي لدى الباحثين جعل مصطلح النَّص واضحًا في أذهانهم وهم يحاولون تعريفه.

فهو قطعة من الكلام، تمثل أكبر وحدة لغوية، وظيفتها نقل الأفكار إلى الآخرين، يتم التواصل عن طريقها بين الكاتب والمتلقي.

وقد حظي النَّص بجملة من التعريفات التي اختلفت في اتجاهاتها وطرق تحليلها، والتي انبثقت في النهاية عن اتجاهين متوازيين في دراسة بنية النَّص وتركيبه:

الأول: ينظر إلى النَّص من حيث الامتداد والترابط، فالنَّص"نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض" (بصل ١٩٩٤م ع٣٧،٦٦)، أو "حوار جيد التكوين، تتعالق كل أجزائه بعضها ببعض" (عبدالمجيد ٢٠٠٦م، ٧٠)، أو كما يقول (برينكر) في أحد تعريفات النَّص بأنه "تتابع متماسك من الجمل" (برينكر١٤٢٥هـ،٢٠) أو: "ترابط مستمر للاستبدالات النحوية" (بحيري ٢٠١٠م،١٢٤)، وقد

تبلورت هذه التعريفات في تعريف اللغوي الأمريكي (دي بوجراند)، للنص بأنّه "فعل اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير، هي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلامية، والمقامية، والتناص" (دي بوجراند دت، ٢٥).

وقد اعتمد هذا التعريف كثيرٌ من الدارسين العرب لعلم لغة النَّص، منهم الدكتور سعد مصلوح، والدكتور سعيد بحيري، والدكتور صبحي إبراهيم الفقي، والدكتور أحمد عفيفي، والدكتور أشرف عبد البديع (عبدالراضي ١٤٢٩هـ، ٢٥).

وقد صنفت هذه المعايير السبعة على ثلاثة أقسام:

ـــ معايير تعني بصلب النَّص، وهما المعياران: الأول والثاني.

ـــ معايير تعني بمستعملي النَّص (المنتج ـــ المتلقي) وهما معيارا القصد والقبول.

ـــ معايير تعني بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنَّص، وهي معايير الإعلام والمقامية والتناص.

الاتجاه الثاني: وهو النظر إلى النَّص من زاوية الدلالة لا من حيث الامتداد وهذا يتمثل في تعريف (هاليدي) و(رقية حسن)، فالنَّص عندهما عبارة عن "وحدة دلالية لها معنى في سياق معين" (عبدالمجيد ٢٠٠٦هـ، ٦٨)، ليس شرطها أن تتكون من عدة جمل، بل قد تتجسد هذه الوحدة الدلالية في جملة واحدة كقول امرئ القيس: " اليوم خمر وغدا أمر " (الميداني دت، ٢/ ٤١٧) وقد تتجسد في أقل من جملة، كما هو الحال في التنبيهات والإشارات والعناوين والإعلانات...

وهذا المستقر الثابت في تعريف الكلام عند النحويين العرب، فقد حصروا تعريف الكلام في أنه: "القول المفيد بالقصد" (ابن هشام ١٩٩٢م، ٢/ ٤٣١)، وأجمله ابن مالك في عبارته المشهورة في ألفيته في قوله: " كلامنا لفظ مفيد كاستقم ".

المبحث الأول: نظرية نحو النَّص

مما لا شك فيه أنّ التراث النحوي بكل ما يضمه من قواعد وأنظمة وتصورات ومفاهيم يعد الأساس الفعلي الذي بنيت عليه نظرية النَّص. وأنّ الدراسات اللغوية قدمت تحليلات جزئية مهمة استفاد منها النَّصيون في دراسة الجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وضوابط الفصل والوصل، ومعاني الأساليب، وغير ذلك من الظواهر التي نوقشت باستفاضة في نحو الجملة.

إلا أنّ هذه الدراسات لم تخرج عن إطار الجملة، وأن كثيرًا من الظواهر التركيبية ما زالت لم تفسر تفسيرًا كافيًا مقنعًا لارتباطها بحدود الجملة.

ويعد النَّصيون بتغير الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر لو عُولجت في إطار أكبر من الجملة، وهو النَّص.

وذلك لأنّ نحو النَّص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ومن ثم يلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية توضع إلى جوار القواعد التركيبية، يحاول من خلالها أن يقدم صياغات كلية للأبنية النَّصية وقواعد ترابطها.

لقد اهتم علم اللغة النَّصي في دراسته النحوية للنص بظواهر تركيبية مختلفة من أهمها، علاقات التماسك النحوية بين أجزاء النَّص، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، وحالات الحذف، والجملة ذات الدلالة التفسيرية، والإحالات الضمائرية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة، ولا يمكن تفسيرها إلا من خلال وحدة النَّص الكلية.

ومن المهام المسندة لنحو النَّص في الدراسات النَّصية الحديثة والذي لم يستطع نحو الجملة إنجازها بصورة كاملة هي إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغوية الخاصة بمستخدم اللغة، وذلك عن طريق صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النَّصوص النحوية في لغة ما بوضوح وتزويدنا بوصف للأبنية وذلك لقصور نحو الجملة في تقديم نماذج كاملة لهذه الكفاءة اللغوية.

كما يهدف نحو النَّص إلى العناية بالجوانب الدلالية والتواصلية التي أغفلها نحو الجملة والتي لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النَّص.

يحاول نحو النَّص أن يتخطى حدّ الجملة وذلك من خلال التركيز على اعتبارات أخرى تجعله يتجاوز نظام الجملة الجزئي كالبحث عن ائتلاف المعاني بين التراكيب الأساسية داخل الاستعمالات اللغوية، والإشارة إلى عملية الفهم والتأثير والتنقيب عن الروابط الداخلية والخارجية في النَّص.

إنّ ارتباط نحو النَّص بتحليل الخطاب جعله يحوي في مناهجه مذاهب نقدية جديدة تركز على النَّص كبنية كلية، خرجت به من طور الشرح للمفردات، وبيان دلالتها إلى النَّص وما يحيط به من ظروف وسياقات وفضاءات ومعان متعالقة قبلية وبعدية مراعيًا في ذلك كله ظروف المتلقي وثقافته، وأشياء أخرى كثيرة تحيط بالنَّص. (عفيفي ٢٠٠١م، ٣٧).

من الوظائف المهمة التي أوكلها النَّصيون إلى نظرية النَّص (نحو النَّص): شرح كيفية قيام النَّص بوظائفه، أي بتحليل الخواص المعرفية العامة التي تجعل من الممكن إنتاج البيانات النَّصية المعقدة في مرحلة الأداء وإعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي. (بحيري ٢٠١٠م، ١٦٤).

مكونات النَّص وطرق تحليله:

إذا كانت الجملة بركنيها الأساسيين (مسند إليه ــ مسند)، تعدّ اللبنة الأولى في النَّص، فلا يمكن أن يعدّ النَّص مجموعة من الجمل إلا إذا توافرت فيه عدة اعتبارات تجعله يتجاوز حد الجملة الجزئي التقليدي،

منها وجود تآلف في المعنى بين التراكيب الأساسية، ووجود إشارات تدل على الفهم والتأثير، وروابط تكشف عن عالم النَّص الداخلي والخارجي، فالنَّص إذن بهذه الصورة لا يتكون من عدة جمل متتابعة تتجاوز الحد الشكلي أو الحجمي للجمل، وإنما المقصود تجاوز النمط التركيبي إلى مستوى دلالي وموضوعي وسياقي وتواصلي؛ لأن الغرض من التركيب هو" الاتصال، والاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى (صوتية ـ صرفية)، ولا بعرض العلاقات النحوية، وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي" (دي بوجراند ٢٠٠٧م، ٤).

من هنا تكمن القيمة الحقيقة للنص في دلالته على إنشاء موقف اتصالي ناجح، لا اعتبار فيه بطول النَّص أو قصره.

وينظر الباحثون في علم لغة النَّص إلى أنه يتكون من مستويين، الأول: أفقي، وهو عبارة عن وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ومستوى رأسي وهو عبارة عن تصورات كلية تربط بينها علاقات تماسك دلالية ومنطقية، "ومن ثمَّ يصعب أن يعتمد في تحليل النَّص على نظرية بعينها، وإنما يمكن أن تتبنى نظرية كلية تتفرع إلى نظريات صغرى تحتية تستوعب كل المستويات" (بحيري ٢٠١٠م،١٤١)، وأنّ المفردات اللغوية التي تتكون منها الجمل ومن ثمّ النَّصوص ليست كافية لتقديم تفسيرات دقيقة لما يحتويه النَّص من إشارات اتصالية، وإنما تسهم جوانب أخرى غير لغوية في بيان هذه الإشارات تتمثل في الروابط الدلالية، والاتصال، والسياق، "وعلى اللغوي المفسر أن يستعين بعناصر أخرى تختلف الاتجاهات في وصفها، وإن اتفقت على أنها ترجع أساسًا إلى تصورات غير لغوية من علوم أخرى متداخلة مع علم النَّص تداخلًا شديدًا" (السابق:١٢٩).

ويتكون النَّص من أبنية صغرى تضمها بنية كبرى، يربط بينهما وحدة الموضوع، فالصغرى هي الخبر في نحو: (الكتاب فصوله مترابطة)، و(الكتاب ينتفع به)، والكبرى هي البنية المكونة من المبتدأ وما أخبر عنهـ، يقول ابن هشام الأنصاري: " وقد تكون الجملة صغرى وكبرى باعتبارين، نحو: (زيد أبوه غلامه منطلق)، فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير، و(غلامه منطلق)، صغرى لا غير؛ لأنها خبر، و (أبوه غلامه منطلق)، كبرى باعتبار (غلامه منطلق)، وصغرى باعتبار جملة الكلام " (ابن هشام ١٩٩٢م،٢/ ٤٣٨).

نص ابن هشام السابق يُعطي دلالة واضحة على أن بنية النَّص هي التي تحكم على وحداتهـ، فقد تكون البنية صغرى وكبرى في وقت، كبرى باعتبار ما تحويهـ، وصغرى باعتبار ما فوقها، وهذا ما يؤكّده الدرس اللساني المعاصر، يقول اللغوي الشهير (فان دايك):

"إن مفهوم البنية الكبرى يبدو نسبيًا؛ فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة نسبيًا بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى أدنى آخر... ونطلق على البنية الكبرى الأعم في النَّص الكلي ببساطة: البنية الكبرى للنص، على حين يمكن أن يكون لأجزاء نصية معينة أبنيتها الخاصة بها، ونتيجة لذلك تتشكل بنية متدرجة ممكنة للأبنية الكبرى على مستويات متباينة " (فان دايك ١٤٢١هـ، ٧٥-٧٦).

وإذا كان اللغويون عدوا الدلالة مكونًا أساسًا من مكونات النَّص، ولا يمكن أن يوصف أي " تتابع جملي بأنه نص إلا حين يمكن أن يفسر بأنه مترابط، وبأنه متماسك من الناحية المضمونية ـ الموضوعية " (برينكر ٢٠٠٥هـ، ٢١)، فإنَّ السياق يمثل الجانب الآخر من تكوين النَّص، كما يقول (فان دايك): "يجب أن نقف على رؤية عميقة في بنية السياق ـ أيضًا ـ إلى جانب نظرة عميقة في بنية النَّص "(بحيري ٢٠١٠م، ١١٦)؛ لأنَّ السياق هو وظيفة النَّص التي لا تنفك عنهـ، ولا يمكن الفصل بينهما.

ويرى النَّصيون أنّ النَّص لا يأتي على صورة واحدة، فقد يكون مكتوبًا وقد يكون منطوقًا، وقد يكون مفتوحًا وقد يكون مغلقًا، ويخضع المنطوق والمكتوب للتحليل النَّصي مادامت المعايير النَّصية متوافرة فيهما. (الفقي ١٤٢١هـ،١/ ٥٧).

ويتفق الباحثون في علم لغة النَّص على أنَّ الوقوف على مكونات النَّص وتحديد العناصر اللغوية وغير اللغوية هو الخطوة الأولى نحو تحليله؛ لأنَّ علم لغة النَّص يرى أن مهمته "وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النَّص " (برينكر ٢٠٠٥هـ، ١٧).

كما تعدُّ عملية فهم النَّصوص ومن ثمَّ تحليلها نموذجًا لفهم اللغة أكثر من إنتاجها؛ لأنَّ فهم النَّص يعني امتلاك عمليات التواصل (المرسل والمستقبل)، فالعلاقة بين النَّص والقارئ تحتاج إلى إيضاح تسهم اتجاهات تحليل النَّص فيه من خلال اهتمامها بعملية القراءة.(بحيري ٢٠١٠م، ١٨٣).

وأهم ما يميز تحليل النَّصوص في نظرية نحو النَّص هو الاعتماد على ملاحظة التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى والبنية الكبرى الكلية، وهو ما يسمّى بمحاولة الكشف عن الربط الدلالي بين التتابعات الجملية المكونة للنص، إذ يعتمد التحليل الدلالي على المستوى الأعلى الشامل للنص، ثم يتدرج بعد ذلك إلى التتابعات الثانوية في النَّص، ويظهر هذا جليًا في أساليب الحذف في القرآن الكريم وتقدير المحذوف الذي يعتمد على الرابط الدلالي للنص.

لقد عُنِي علم النَّص بالظواهر التي تتجاوز إطار الجملة، كمعرفة الموضوع الأساس الذي يعالجه النَّص، والجوانب المحورية الأساسية التي تبرز قيمة الموضوع، ثم إبراز وسائل الإحالة والتماسك

والسياق، وغيرها من العناصر النَّصية، كالترابط النَّصي الذي يجمع بين عناصر نحوية ظاهرة، وعناصر أخرى تُستقى من علوم هي في الأصل متداخلة مع النحو. فلم يعد الدرس النحوي يُعنى بالمستويات اللغوية الأولية كالنحوية والصرفية والدلالية من خلال وصف كل ظاهرة وتحليلها في إطار مناهج تتسم بالموضوعية فقط، " وإنما تعدت مهمته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي، وأطرافه، وشروطه وقواعده، وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام، وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النَّصية في المتلقي، وأنواع المتلقين وصور التلقي، وانفتاح النَّص وتعدد قراءته "(السابق ١٨٢).

وإذا كان النحويون الأوائل قد تعاملوا مع تراثهم الأدبي من خلال مراحل ثلاث، مثّلت المرحلة الأولى لديهم دراسة علم تراكيب الجمل، وهو النحو التقليدي بمفهومه الأولي، وإن كان قد اتسع ليشمل مسائل صرفية أو صوتية لها تعلق بتراكيب الجمل. وجاءت المرحلة الثانية أعم وأشمل فتناولت في النَّص كل ما يتصل بقواعد اللغة والدلالة، ثم تطورت المرحلة الثالثة التي تخطت وصف المباني والمعاني الوظيفية للغة إلى تشخيص المقام وربطه بالاستعمال اللغوي، وهو ما يُسمّى بعلم المعاني خاصة وعلوم البلاغة عامة، فإن النَّصيين اليوم يرون "أنها جميعًا تقع دون المراد؛ لأنها تدور جميعًا في فلك الجملة، لا تتجاوزها إلى ما وراءها، وجميعها يجسد الحاجة إلى نوع أرقى من النحو هو في جوهره نحو مقامي، ولكنه ذو جهاز تحليلي مركب، قادر على أن يصف التركيب اللغوي للنص أو الخطاب"(عبدالراضي ١٤٢٩هـ، ٧٥)، ولن يتمكن هذا الجهاز من تلبية المراد منه إلا إذا كان قادرًا على:

ـــ وصف البنية التركيبية (القواعدية) للنص فيما وراء الجملة.

ـــ تحليل مكونات النَّص (الصوتيات ـ الكلمات ـ العبارة ـ الجملة الصغرى ـ الجملة ـ الفقرة ـ النَّص)، وصفًا يتصف بخاصية الهرمية.

ـــ تشخيص خاصية التماسك في النَّص.

ـــ وصف البعد المضموني الشأني (البؤري).

ـــ تشخيص الخصائص الأسلوبية للنص.

ـــ تشخيص الغايات الإستراتيجية للنص.

هذه خلاصة ثمرة جهد الباحثين في علم اللغة النَّصي، ومحاولتهم لتقديم نظرية شاملة لنحو يخدم الجملة والنَّص معًا، محاولًا إيجاد تفاعل حيوي بين منتج النَّص ومتلقيه مستخرجًا دفائن اللغة من بواطن النَّصوص وذلك من خلال ربط النَّص بوظيفته؛ وذلك لأنّ وظيفة النَّص هي " الغرض الذي يحققه نص ما في إطار موقف تواصلي" (برينكر ٢٠٠٥م،١٠٧).

ومما يحسب للباحثين في علم لغة النَّص أنّهم لم يهملوا جهد أسلافهم من النحاة والبلاغيين واللغويين والمفسرين الذين قاموا على دراسة التراث اللغوي قرابة أربعة عشر قرنًا من الزمان، ووصفهم تناولهم للنص ووسائلهم في ذلك بأنها" من أدق الوسائل التي يمكن بها تفكيك البنيان سواء كان على مستوى الكلمة الواحدة، أم الجملة، أم العبارة، أم النَّص، وهي التي تتيح إدراك المضمون الفكري أو الدلالة المقصودة من إنشاء التركيب"(عبدالرحمن ١٩٩٨م،٥).

المبحث الثاني

تعدد صاحب الحال وتعيينه في النظم القرآن

الحال في الدرس النحوي هو وصف يأتي لبيان هيئة صاحبه، الأصل فيه أن يكون مشتقًا، منتقلًا، فضلة، يجوز الاستغناء عنه، وحكمه النَّصب. نحو: (أقبل العمال نشطين)

ويُؤتى بالحال في النَّص لواحد من أمرين:

الأول: التأسيس، ويعني به النحاة "الحال المبينة" وهي التي تضيف معنى جديدًا لا يستفاد من الكلام إلا عند ذكرها، نحو: (وقف الأسد في قفصه غاضبًا)، و (وقد هدأ حين رأى حارسه مقبلًا)، وهذا النوع يشترط فيه الانتقال أو شبهه، نحو: (خلق زيد أشهلَ)، و(وُلِد قصيرًا)، يقول أبو حيان "فالشهولة والقصر ليسا من الأوصاف المنتقلة، لكنها شبيهة بالمنتقلة، فقد خلق وولد؛ لأنه كان يمكن أن يخلق ويولد غير أشهل وغير قصير" (٢٠١٠م، ٩/ ١١).

الثاني: التأكيد، وهو ما يسميه النحويون بالحال المؤكدة، التي لا تفيد معنى جديدًا وإنما يُؤتى بها لتقوية معنى تحتويه الجملة، وهذه الحال قد تكون مؤكدة لمضمون الجملة، نحو (زيد أبوك عطوفًا)، أو مؤكدة لعاملها لفظًا ومعنى كما في قوله تعالى:﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ (النساء: ٧٩)، أو معنى فقط نحو: ﴿ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ (مريم: ١٥)، أو مؤكدة لصاحبها، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس: ٩٩)، وهذه الحال يجوز أن تأتي غير منتقلة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ (الأنعام:١٥٣)، ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ (البقرة: ٩١)، " فهذه أحوال مؤكدة لا مبينة؛ لأنَّه لم يَنْبَهِم ما قبلها فتكون مبينة لهـ، وإنما هي مؤكدة لما قبلها " (أبوحيان٢٠١٠م، ٩/ ١٢).

وكون مجيء الحال بنوعيها (المبينة ــ المؤكدة) مشتقة هو الأصل والغالب في استعمال العرب، لكنه ليس بوصف لازم لها، فمما جاء منها غير مشتق قوله تعالى: ﴿ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ ﴾ (النساء: ٧١)، أي: جماعات متفرقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ (النساء:٨٨)، ومنه أيضًا ﴿ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ﴾ (الأعراف: ٧٣)، ويعلل النحويون لذلك

بقولهم: " إنَّ الحال خبر من الأخبار، والأخبار لا يشترط فيها اشتقاق ولا انتقال باتفاق، فكذلك ينبغي أن يكون ما في معنى الخبر " (الشاطبي ٢٠٠٧م، ٣/ ٤٢٦).

والغرض من مجيء الحال في الجملة بيان هيئة صاحبهـ، سواء كان فاعلًا، نحو: (جاء العامل نشيطًا)، أو مفعولًا، نحو: (أكلت الطعام ناضجًا)، أو هما معًا، نحو (فحص الطبيب المريض جالسين). أو غيرهما، نحو: (البرد قارسًا ضار)، و(الشمس شديدةً مؤذيةٌ)، والأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، وألا يأتي مضافًا إليه؛ "لأنَّ الحال خبر من الأخبار، فكما يشترط التعريف في المخبر عنه؛ لأنّ به حصول الفائدة غالبًا، فكذلك يشترط في صاحب الحال" (الشاطبي ٢٠٠٧م،٣/ ٤٤٤)، و"لأن المضاف إليه مكمل للمضاف، وزائد عليه؛ لأنّه واقع منه موقع تنوينه الزائد عليهـ، فالعمدة هو الأول المضاف لا الثاني المضاف إليه" (الشاطبي ٢٠٠٧م،٣/ ٤٦٠).

وقد استثنى النحاة صورًا لتنكير صاحب الحال وردت في أساليب لغوية فصيحة يجمعها رابط الفائدة، كما كانت النكرة لا تقع مبتدأ ولا فاعلًا إلا مع حصول الفائدة، منها:

ـــ أن يتأخر، وتتقدم عليه الحال كما جاء في قول كثير عزة:

لميةَ موحشاً طللٌ... يلوحُ كأنَّه خللٌ[1]

ـــ أن يتخصص بوجه من وجوه التخصيص، كالتخصيص بالوصف في قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ ﴾ (الدخان٤-٥)، أو بالإضافة، نحو ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ﴾ (فصلت:١٠)، وإذا خصصت النكرة قربت من المعرفة، فيصح نصب الحال منها.

ـــ أن يقع بعد نفي أو شبه نفي، فمن النفي في القرآن الكريم: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ ﴾ (الحجر:٤) ومن شبه النفي: النهي في قول الشاعر:

لا يركنن أحد إلى الإحجام

يوم الوغى متخـــوفا لحمام[2]

أو الاستفهام، نحو:

يا صاح هل حم عيش باقيا فترى

لنفسك العذر في إبعادها الأملا[3]

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٢/ ١٢٣ معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٧، وقد شرحه البغدادي في الخزانة ٣/ ٢٠٩)٢١١.

(٢) البيت لقطري بن الفجاءة في ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي ١/ ٣٥، دار القلم، بيروت.

(٣) من شواهد ابن مالك في شرح التسهيل ٢/ ٣٣٢، وأبي حيان في التذييل ٩/ ٦٣، والشاطبي في المقاصد الشافية ٣/ ٤٤٨.

أمَّا مجيء صاحب الحال مضافًا إليه فقد اشترط الدرس النحوي له شروطًا استقاها من التراث الأدبي عند العرب، هي:

ـــ أن يكون المضاف عاملًا في المضاف إليهـ، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس:٤)، ومنه قول الشاعر:

تقول ابنتي: إن انطلاقك واحدا

إلى الروع يوما تارك لا أبا ليا[١]

وقد استنبط النحويون جواز مجيء الحال من المضاف إليه بأنه معمول المضاف ومقصود في الكلام، "فهو في الحقيقة خارج عن كونه من المضاف إليه". (الشاطبي٢٠٠٧م، ٣/ ٤٦١).

ـــ أن يكون المضاف جزءًا من المضاف إليهـ، أو كجزئهـ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحجر:٤٧)، وأنشدوا للفند الزماني

وطعن كفم الزق ... غدا والزق ملآن[٢]

وذلك لأنّ المضاف إذا كان جزءًا من المضاف إليهـ، صار كأنه هو، فإن الحال من المضاف إليه الذي هو عين الكلام.

ومن الثاني قوله ـــ عز وجل ـــ ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل:١٢٣)؛ وذلك لأنّ "العرب تعامل غير جزء الشيء معاملة الجزء إذا كان ملتبسًا به"(الشاطبي ٢٠٠٧م، ٣/ ٤٦٤).

تعدد الحال وصاحبها:

يربط النحويون في دروسهم بين أحكام الحال والخبر، معللين ذلك بأن "الحال خبر من الأخبار "، ويقولون: إذا "كان الخبر يتحد تارة، نحو (زيد قائم)، ويتعدد أخرى، نحو: (زيد ناظم ناثر وعالم شاعر)، كان الحال كذلك أيضًا، فيجوز أن يتعدد كما كان ذلك في الخبر، فتقول: (لقيت زيدًا راكبًا مصاحبًا بكرًا مفارقًا عمرًا)".(الشاطبي ٢٠٠٧م،٣/ ٤٨٢).

ولتعدد الحال مع صاحبها صورتان في اللغة: الأولى: أن تكون الأحوال مجتمعة في اللفظ، سواء أكان العامل واحدًا وعمله واحدًا ـــ أيضًا ـــ: كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾(النحل:١٢)[٣] أو العامل واحدًا وعمله مختلفًا، نحو: (لقيت زيدًا مسرعين).

وقد يتعدد العامل مع اتحاد العمل نحو: (جاءني زيد وأتاك أخوه مسرعين)، وقد يتعدد العامل ويختلف

---

(١) البيت لسلامة بن جندل في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٦٤ طبعة دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٣هـ.

(٢) من مختارات أبي تمام في ديوان الحماسة، انظر شرحها للتبريزي ص ٧.

(٣) بالرفع: قراءة عبد الله بن عامر، وحفص عن عاصم والنَّصب في قراءة الباقين وأبو بكر عن عاصم، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٠، تح شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

العمل، نحو: (هذا سعيد مع بكر مارين).

الصورة الثانية: تعدد الحال، وتعدد صاحبها، وفي هذه الحالة يرى النحويون أنه "يجوز أن يلي كل حال صاحبه، ويجوز أن يتأخرا عن صاحبيهما" (أبو حيان ٢٠١٠م، ٩/ ١٣٦). ومثّلوا للأول بقولهم: (لقيت مصعدًا زيدًا منحدرًا)، ومثّلوا للثاني بقولهم: (لقيت زيدًا مصعدًا منحدرًا) على أن (مصعدًا) حالًا من زيد، و(منحدرًا): حالًا من (التاء)؛ لأنّ فيه اتصال أحد الحالين بصاحبه، وعاد ما فيه من ضمير إلى أقرب المذكورين، ومن ذلك قول الشاعر:

وإنا ســـوف تدركـــنا المنايا

مقـــدرة لنا ومـــقدرينا (١)

فمقدرة حال من (المنايا)، ومقدرين حال من الضمير المنصوب في (تدركنا)، هذا إذا خيف اللبس؛ لأنّ الحال تلي صاحبها، ثم تأتي الثانية بمنزلة الاستدراك فإن أمن اللبس جاز جعل الأولى للاسم الأول والثانية للاسم الثاني، كما في قول امرئ القيس:

خرجت بها نمشي تجر وراءنا

على أثرينا ذيل مرط مرحل (٢)

تعدد الحال وإفراد صاحبها في القرآن الكريم:

تتنوع الحال وتتعدد صورها في أسلوب القرآن الكريم؛ وذلك لأنها وصف في المعنى، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾ (الأعراف:١٨)، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ ﴾ (إبراهيم:٤٢-٤٣)، ولم يقف التعبير القرآني عند تعدد الحال المفردة، بل تعداها إلى صور شملت تراكيب اللغة، فقد جاءت مفردة مع شبه جملة مع مفردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ (طه:٢٢)، ومفردة مع جملة فعلية في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (طه:١٠٢-١٠٣)، ومفردة مع جملة اسمية كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ ﴾ (الصف:٤)، ومفردة مع جملتين اسميتين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ ﴿٧﴾ ﴾ (لقمان: ٧)، وتنوعت في أسلوب واحد بين الإفراد

---

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم شرح المعلقات السبع للزوزني ص١٧٢.

(٢) من معلقة امرئ القيس، شرح المعلقات السبع للزوزني صـ٢٧، تح محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ، والشاهد: قوله: (أمشي تجر) فإنهما = = جملتان كل منهما في محل نصب حال، فأما قوله: (أمشي) فصاحبها تاء المتكلم في قوله (خرجت)، وأما قوله: (تجر) فصاحبها (هاء) الغائبة في قوله: (بها) وقد جاء بالحالين على نفس ترتيب صاحبيها معتمدًا في ذلك على قيام القرينة.

والجملة الاسمية والإفراد والجملة الفعلية في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ (المعارج:٤٣-٤٤)، أو جملتين فعليتين في قوله عز وجل: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ (المائدة:٥٢)، أو جملة فعلية مع اسمية، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ (القصص: ٣١)، أو فعليتين يتوسطهما جملة اسمية، نحو: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الرحمن:١٩-٢٠)، هذا كله لا مانع في الحال، يقول الرضي: "جوز الجمهور ــ وهو الحق ــ أن يجيء للشيء الواحد أحوال متخالفة متضادة كانت أو غير متضادة ". (الرضي ١٤١٤هـ، ١/ ٦٣٧).

إفراد الحال وتعدد صاحبها في القرآن الكريم:

من الأساليب التي جرت في النظم القرآني مجيء الحال مفردة لأكثر من صاحب، مما جعل المفسرين يقفون أمام هذه الصور ـ التي تعدّ من مبتكرات القرآن الكريم في نظمه اللغوي الذي جاء على عادة العرب في كلامهم تارة وعلى غير عاداتهم تارة أخرى ــ مستجمعين ثقافاتهم اللغوية وحسهم الإبداعي في تحليل مكونات النَّص القرآني، ففي تحديد النحاة لصاحب الحال في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ (النحل:٦٩)، يرى المفسرون منهم أنَّ (ذللًا) حال، صاحبها إمَّا (السبل)، أو ياء المخاطبة المفسرة بالنحلة في الآية السابقة: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾.

فقد نقل ابن جرير الطبري عن مجاهد في تأويل الآية أن الطرق هي المذللة فلا يتوعر عليها مكان سلكتهـ، ونقل عن قتادة أن النحلة هي المذللة المطيعة (الطبري ١٤٢٠هـ،١٧/ ٢٤٩)، واستمد أصحاب كتب إعراب القرآن ودراسة نصه قولهم في هذه المسألة من هذين التأويلين مما جعلهم يقولون فيها بثلاثة أقوال:

الأول: يجوز أن تكون السبل هي المذللة أو النحلة هي المنقادة، وهو قول الجمهور كالزمخشري وابن عطية وأبي حيان والسمين الحلبي وغيرهم(١)، يقول الزمخشري: " (ذُلُلًا) جمع ذلول، وهي حال من السبل؛ لأنّ الله ذللها لها ووطأها وسهلها، كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك:١٥)، أو من الضمير في (فَاسْلُكِي)، أى: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة" (الزمخشري ١٤٠٧هـ، ٢/ ٦١٩)، وكأن السياق يحتمل المعنيين، فلا مانع عندهم أن تكون السبل هي المذللة، أو النحلة هي المنقادة.

---

(١) الكشاف٢/ ٦١٨، والمحرر الوجيز٣/ ٤٠٦، والبحر ٦/ ٥٦٠، والدرر المصون٧/ ٢٦٢.

الثاني: أنّ التذليل والانقياد إنما هو للنحلة، فهي منوطة بوظيفة معينة يجب عليها القيام بها على أكمل وجه وفي أبهى صورة جبلها الله عز وجل عليها، يقول ابن عاشور: " النحل مسخرة لسلوك تلك السبل لا يعدلها عنها شيء، لأنها لو لم تسلكها لاختل نظام إفراز العسل منها" (ابن عاشور ١٩٨٤هـ، ١٤/ ٢٠٨).

القول الثالث: أنّ السبل هي المذللة للنحلة ومعبدة ومهيأة تسلكها طرقًا إلى مصادر رزقها ذهابًا وإيابًا، يقول الإمام البقاعي: " لما أذن لها في ذلك كله، وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون إلا بمشقة عظيمة في معاناة السير إليه، نبه على خرقه للعادة في تيسيره لها فقال تعالى: (فاسلكي) أي فتسبب عن الإذن في الأكل الإذن في السير إليه (سبل ربك) أي المحسن إليك بهذه التربية العظيمة لأجل الأكل ذاهبة إليه وراجعة إلى بيوتك حال كون السبل (ذللاً) أي موطأة للسلوك مسهلة كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ (البقاعي د.ت، ١١/ ١٩٨).

ولا فائدة من مناقشة الرأي القائل بجواز الحال من الاسم الأول أو الثاني، وإنما تجدر الإشارة إلى أن الرأيين الثاني والثالث قد استخدم كل واحد منهما التناص كأحد معايير النَّصية المؤصلة في نظرية نحو النَّص في إثبات أحقية الحال بواحد منهما.

فقد اعتمد القائلون بأن (ذللًا) حالًا من النحلة؛ لأنَّ القرآنَ استعمل هذه المفردة في سياق الحديث عن الحيوانات ذات المنافع التي وهبها الله ﷻ للإنسان كي ينتفع منها قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (يس:٧١-٧٣)، والنحلة نوع من هذه الأنواع، "فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون، وهي تتبعهم" (الطبري ١٤٢٠، ١٧/ ٢٤٩).ومن هنا يلزم الحكم بأن صاحب الحال في الآية هي النحلة.

أما الذين حكموا بأن الحال من السبل استدلوا أيضا بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ فكما أنّ الأرض مذللة للإنسان فكذلك مذللة للحيوان وسائر المخلوقات لأداء المهمة المنوطة بهم على أكمل وجه، إلا أنّ الطبري لم يفته الترجيح بين هذين القولين، حيث قال ما نصه "وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة وجهان مخرجان، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسُّبل لأنها إليها أقرب". وهي القاعدة التي استمد منها النحاة فيما بعد حكمهم على صاحب الحال المتعدد عند اللبس.

وقد تجلت نظرية نحو النَّص بمكوناتها في تناول النحويين للحال وصاحبها في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ (الأنعام:١٤١)، فقد تبين فيه الفرق بين نحو النَّص ونحو الجملة، فيرى الزمخشري

أن الضمير في (مُخْتَلِفًا أُكُلُه) للنخل، والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه. (١٤٠٧هـ، ٢/ ٧٢)، والأمر كما يقول أبي حيان: "ليس بجيد؛ لأنَّ العطف بالواو لا يجوّز إفراد ضمير المتعاطفين" (أبو حيان ١٤٢٠هـ،٤/ ٦٦٧)، هذا رأي، ويرى ابن مالك تبعًا للقاعدة النحوية التي تقول "إنَّ الحال لا تكون لغير الأقرب إلا لمانع " (ابن مالك ١٩٩٠م،٢/ ٣٤٨)، أنَّ الضمير في قوله (أكله) عائد على أقرب مذكور، وهو الزرع وحُذفت حال (النخل) لدلالة هذه عليها، وتقدير الكلام إذا: والنخل مختلفًا أكلهـ، والزرع كذلك.(أبو حيان ١٤٢٠هـ،٤/ ٦٦٧).

أمّا الذين تناولوا الآية من خلال النَّص ومساحته الواسعة وليس من خلال المساحة المحصورة في الحال والتحديد اللفظي لصاحبها فقالوا: إن الهاء في (أكله) عائدة على ما تقدم من هذه الأشياء المنشآت، وعلى هذا لا ينصب تحديد صاحب الحال على واحد من النخل أو الزرع، وإنما كما نقل عن الحوفي وفسره أبو حيان بأنّ الحال من جميع ما أنشأ من جنات معروشات وغير معروشات؛ لاشتراكها كلها في اختلاف المأكول.

ولأبي حيان توجيه لطيف لتحديد صاحب الحال في الآية يتفق مع المعايير النَّصية التي تؤكد أنّ الفيصل بين نحو النَّص ونحو الجملة تحقق الدلالة في نحو النَّص وعدم تحققها في نحو الجملة، فقد نظر أبو حيان إلى دلالة (الزرع) وأنواعه المختلفة الشكل جدًا، إذ عدّ منها القمح والشعيرة والذرة، واليقطينة والسلت والعدس والجلبان والأرز، وغير ذلك، واستبعد أن يكون الحال من النخل بأن اختلاف الشكل فيه محدود فلا يكون إلا صغيرًا أو كبيرًا. وعلى هذا فالحال في الآية من الزرع، إما لأنها الأقرب، أو لأنّ الاختلاف واقع فيها أكثر من غيرها.

وفي تناول النحاة لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام:٩٩)، وتحديد صاحب الحال لقوله (مشتبهًا) يتجلى اعتناء النحاة بالمعنى الذي يدور النَّص في فلكه وعدم الوقوف عند التحليل الجزئي للمفردات والتعسف في تقدير محذوف قد يفقد النَّص الدلالة والسياق العام الذي أُنشئ من أجلهـ، فلم يرتض المفسرون تقدير الزمخشري حالًا محذوفة تدل عليها المذكورة حتى تستقيم الجملة، إذ يرى أن الحال المذكورة من الزيتون، وحال الرمان محذوفة تدل عليه المذكورة، (الزمخشري ١٤٠٧هـ، ٢/ ٥٢) يقول ابن عاشور: " وإنما دعاه إلى ذلك أنه لا يرى تعدد صاحب الحال الواحدة ولا التنازع في الحال". (ابن عاشور ١٩٨٤م، ٧/ ٤٠٣).

وأقروا بأن صاحب الحال في الآية مجموع ما تقدم من النبات والأعناب والنخيل والزيتون والرمان، فإنّ جميع ذلك مشتبه وغير متشابهـ، يقول الإمام البقاعي: "لما ذكر الأقوات من الثمار والحبوب والأدهان وأشرف الفواكه وأعمها، وكانت أشبه شيء بالآدمي في نشئه وبعثه واتفاقه واختلافهـ، وكان اشتباه بعضها واختلاف بعضها – مع كونها تسقى بماء واحد وفي أرض واحدة – دالاً على القدرة والاختيار..... قال بانياً حالاً من كل ما تقدم: (مشتبهاً) أي في غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز...(وغير متشابهـ)، أي غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من شبه ما، (البقاعي د.ت، ٧/ ٢١٢)، وهذا الذي ذكره البقاعي قد ألمح إليه العكبري في إعراب القرآن، حيث قال: " (مشتبهًا) حال من الرمان... أو من الجميع "، (العكبري د.ت، ١/ ٥٢٥)، وأكده ابن عاشور، حيث قال: " ويجوز أن تجعل هذه الحال من جميع ما تقدم من قوله:(نخرج منه حبا متراكبًا)، فإن جميع ذلك مشتبه وغير متشابه"، (ابن عاشور ١٩٨٤م، ٧/ ٤٠٣)، وهذا يدل على أن الذين تعرضوا لتحليل الخطاب القرآني كانوا على دراية بأن النَّص لا يتجزأ، والمفردات لا يمكن أن تفهم منعزلة عن سياقها التي تدور فيها.

أما الحالل في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ (الأعراف: ٢٧) فقد تنازعاه صاحبان، حيث إنَّ الحال جملة (ينزع)، صاحب الحال كما يقول أبو البقاء: "إنْ شئت من ضمير الفاعل في أخرج، وإن شئت من الأبوين؛ لأن فيه ضميرين لهما"، والذي جعل الحال متوقعًا من الشيطان أو من الأبوين هو مجيء الجملة بضمير الشيطان والأبوين، إلا أن سياق الآية وما تضمنته من معان صرف إجماع المفسرين واللغويين إلى أن صاحب الحال في الآية هو الضمير في (أخرج)؛ لأن الشيطان هو السبب في خروج آدم من الجنة، يقول الإمام الطبري كاشفًا عن سياق الآية: " إنّ الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء، وأن يجرِّدهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما." (الطبري ١٤٢٠هـ، ١٢/ ٣٧٥)، وتتضافر الصنعة النحوية مع المعنى والسياق في تحديد صاحب الحال في هذا الأسلوب، حيث يرى النحاة أنه لو كان (ينزع) حالا من الأبوين لوجب إبراز الضمير؛ لأنه وصف جرى على غير من هو له. (أبوحيان١٤٢٠هـ، ٥/ ٣٢).

أما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الطور:١٧-٢٠)، فقد بلغ صاحب الحال ذروته في التعدد حتى توقع اللغويون من المفسرين أن يكون واحدًا من

خمسة، يقول أبو البقاء: "وَ(مُتَّكِئِينَ): حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (كُلُوا) أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (وَقَاهُمْ) أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (آتَاهُمْ) أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (فَاكِهِينَ)، أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الظَّرْفِ".(العكبري دت،٢/ ١١٨٤)، واستظهر أبو حيان أن يكون الحال من الظرف، (أبوحيان ١٤٢٠هـ، ٩/ ٥٧٠)، وعضد السمين الحلبي اختيار أن يكون الحال من الظرف أولى لكونه عمدة، فالظرف في الآية متعلق بمحذوف خبر (إنَّ)، ومعلوم في الدرس النحوي أن المرفوعات عمد، هذا ما استدلت به الصنعة النحوية على تحديد صاحب الحال من متعدد في الآية.

فإذا ما انتقلنا إلى النظرية النَّصية التي تعتمد على سياقات متعددة وتستقي من مشارب ومعارف متنوعة نجدها قد تجلت واضحة لدى الطاهر ابن عاشور، الذي يرى أن صاحب الحال هو الضمير في (كلوا واشربوا) مفسرًا كيفية وقوع الأكل والشرب بحال كونهم متكئين، معتمدًا في ذلك على الحال المعهودة لدى أصحاب الترف والنعيم في الدنيا والهيئة التي يتناولون عليها طعامهم وشرابهم، وما صوره القرآن الكريم في قصة يوسف ــ عليه السلام ــ حين شاع خبر مراودة امرأة العزيز له بين النسوة في المدينة، فأرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينًا، مما يدل على أن أكل أصحاب القصور أو شربهم يكون في حالة اتكاء[1]، (ابن عاشور١٩٨٤م، ٢٧/ ٤٧)، وعضد الشيخ اختياره لكون الحال من الفاعل في كلوا واشربوا بما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال (أما أنا فلا آكل متكئا)[2] وبما جاء في التراث اللغوي عن العرب من قول الأعشى:

نازَعْتهم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكِئاً

وخَمْرَةً مُزَّةً، راوُوقُها خَـضِلُ[3]

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تناول البحث نظرية نحو النَّص بالدراسة والتحليل من خلال تعريف الجملة والفرق بينها وبين الكلام في التراث النحوي وكيف أنَّ النحاة على مر العصور كانوا يقصدون بتعريف الجملة الكلام المفيد

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٤٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ في سنن الترمذي باب ما جاء في كراهية الأكل متكئا حديث أبي جحيفة وهب السوائي رقم (١٨٣٠) ج٢/ ١٠٨٦، وله شواهد في البخاري: باب الأكل متكئا رقم (٥٣٩٨) بلفظ: (لا آكل متكئا) ورقم (٥٣٩٩) بلفظ: (لا آكل وأنا متكئ) ج ٧ / ٧٢ وفي سنن أبي داود حديث رقم (٣٧٦٩) ج ٣/ ٣٤٨ وابن ماجة حديث رقم (٣٢٦٢) ج ٢/ ١٠٨٦

(٣) ديوان الأعشى ميمون قيس ص ٥٩ تح د/ محمد حسين مكتبة الآداب بالجماميز.

وهو ما اصطلح عليه في الدرس اللغوي المعاصر بـ (النَّص).

ثم أصَّل البحث كلمة النَّص ودلالتها في اللسان العربي، حيث كشف عن معناها القديم وما يفيد من دلالات لغوية لا ينفك عنها المعنى الاصطلاحي، وكشف البحث عن مضمون نظرية نحو النَّص والطرق التي يمكن من خلالها خدمة النَّص والكشف عن مكنوناته.

كما حاول البحث الكشف عن طرق تحليل النَّص والأدوات التي ركز عليها الدرس اللساني المعاصر في الكشف عن مكنوناته.

ثم انتقل البحث لدراسة أسلوب الحال في التراث النَّحوي وعرض صوره وأنواعه، وأردف ذلك بدراسة تطبيقية للأساليب التي جاء فيها الحال لأكثر من صاحب، وجهود المفسرين في تحديده، والوسائل التي اعتمدوا عليها في تحديد صاحب الحال من متعدد.

وقد كشفت الدراسة التحليلية لهذه الأساليب عن جذور نظرية نحو النَّص في التراث اللغوي العربي وحضور أطرها ومفرداتها في مناهج المفسرين للنَّص القرآني، مما ساعدهم على إزالة إشكالات كثيرة ومتعددة في الكشف عن معنى النَّص.

المصادر والمراجع

بحيري، سعيد حسن، *علم لغة النَّص: المفاهيم والاتجاهات*، الطبعة الثانية، القاهرة، مؤسسة المختار، (٢٠١٠م).

البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى، بيروت، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ).

برينكر، كلاوس، *التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمنهج*، ترجمة: د.سعيد بحيري، الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر، (٢٠٠٥م).

بصل، محمد إسماعيل، *التراكم العلاماتي بين النَّص المكتوب والنَّص المنطوق*، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا ع ٣٧٠، السنة الثالثة والثلاثون، ١٩٩٤م

البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٠٩٣هـ)، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي (١٤١٨هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمرو بن حسن(٨٨٥هـ)، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، د.ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، *سنن الترمذي*، تحقيق: أحمد شاكر، د.ط، القاهرة، مطبعة الحلبي، (١٢٩٥هـ).

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن (٤٧١هـ)، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة المدني، (١٤١٣هـ).

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، د.ت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب. د.ت.

حسن، عباس، *النحو الوافي*، الطبعة العاشرة، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

حميدة، مصطفى، *نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة*، د.ط، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ١٩٩٧م.

أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، *التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل*، تحقيق د/ حسن هنداوي، الطبعة الأولى، الرياض، دار كنوز إشبيليا،(١٤٣١هـ).

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ه.

ابن الخباز، شمس الدين أبو عبدالله أحمد بن الحسين بن علي(٦٣٨هـ)، *النهاية في شرح الكفاية*، د.ط، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، د.ت.

دايك، فان دايك، *علم النَّص مدخل متداخل الاختصاصات*، ترجمة د/ سعيد حسن بحيري، د.ط، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، (١٤٢١هـ).

أبوداود، سليمان بن الأشعث(٢٧٥هـ)، *سنن أبي داود*، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، د.ط، القاهرة، فيصل الحلبي، د.ت.

دي بوجراند، روبرت، *مدخل إلى علم لغة النَّص*، ترجمة إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة دار الكتاب بدون تاريخ.

دي بوجراند، روبرت، *النَّص والخطاب والإجراء*، ترجمة د/ تمام حسان، الطبعة الثانية، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٨ه.

الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي (٦٨٦هـ)، *شرح الرضي على الكافية*، الطبعة الأولى، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٤١٤هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد (٥٣٨هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري*، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٤٠٧هـ).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبدالدائم (٧٥٦هـ)، *الدرر المصون في علوم الكتاب*، تحقيق: الدكتور أحمد الخراط، د.ط، بيروت، دار القلم، د.ت.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ)، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى(٧٩٠هـ)، *المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية* ج ٣، تح د/ عياد الثبيتي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، (١٤٢٨هـ).

الصبيحي، محمد الأخضر، *مدخل إلى علم النَّص ومجالات تطبيقه*، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للعلوم، (١٤٢٩هـ).

الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر(١٩٧٣م)، *التحرير والتنوير*، د.ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

عبد الراضي، أحمد محمد، *نحو النَّص بين الأصالة والحداثة*، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٧هـ.

عبد الرحمن، ممدوح، *النحو والفكر والإبداع دراسة في تفكيك النَّص وتوثيقه*، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.

عبداللطيف، محمد حماسة، *بناء الجملة العربية*، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٦ه.

عبدالمجيد، جمال، *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية*، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن عطية(٥٤١هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٢٢هـ).

عفيفي، أحمد، *نحو النَّص اتجاه جديد في الدرس النحوي*، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م.

العكبري، عبدالله بن الحسين (٦١٦هـ)، *التبيان في إعراب القرآن*، تحقيق علي محمد البيجاوي، د.ط، القاهرة، مطبعة الحلبي، د.ت.

العكبري، عبدالله بن الحسين (٦١٦هـ)، *مسائل خلافية في النحو*، تحقيق محمد خيري الحلواني، د.ط، بيروت، دار الشرق العربي، ١٤١٢ هـ.

ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل(٧٦٩هـ)، *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*، الطبعة العشرون، القاهرة، مكتبة دار التراث، (١٤٠٠هـ).

الفقي، صبحي إبراهيم، *علم اللغة النَّصي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)*، الطبعة الأولى، القاهرة، دار قباء، (١٤٢١هـ).

ابن ماجهـ، أبوعبدالله محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، *سنن ابن ماجة*، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، القاهرة فيصل الحلبي، د.ت.

ابن مالك، محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي (٦٧٢هـ)، *شرح التسهيل*، تحقيق: د. عبدالرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار هجر للطباعة، (١٤١٠هـ).

المبرد، أبو العباس يحيى بن يزيد(٢١٠هـ)، *المقتضب*، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، الطبعة الأولى، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (١٩٩٤م).

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ)، *لسان العرب*، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر، (١٤١٤هـ).

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (٥١٨هـ)، *مجمع الأمثال*، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت دار المعرفة، د.ت.

ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ)، *الإعراب عن قواعد الإعراب*، تحقيق نسيب نشاوي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ.

ابن هشام الأنصاري، عبدالله بن يوسف (٧٦١هـ)، *المغني*، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٢م.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ١١٣-١٣٩، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام

حورية محمد العتيبي

الأستاذ المساعد في الأدب والنقد، بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الدمام، الدمام، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٤/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : التشكيل، اللغوي، عروة بن حزام، التجربة الشعورية.

ملخص البحث: إنّ تضام لفظة (تشكيل) التي تعني قابلية المادة إلى اتخاذ الأشكال المتعددة والهيئات المتباينة، ولفظة (لغوي) التي تشمل دوال ومدلولات اللغة، منح الدراسات الأدبية والنقدية بعدًا جديدًا سلَّط الضوء على النص الأدبي من ناحية تأليف الدوال والأصوات والصور، وتنظيم التراكيب والأساليب وانسجامها مع تجربة الشاعر، ونقلها إلى المتلقي والتأثير فيه.

وقد حلّت لفظة (التشكيل) في الدراسات الأدبية والنقدية محل لفظة (الشكل) التي ظلت مهيمنة على دراسة النص الأدبي فترة من الزمن، ومقترنة بلفظة (المضمون) للتعبير عن طرفي الدراسة. إلا أنّ لفظة (التشكيل) الدالة على سمات تحليلية متنوعة تمكنت من مزاحمة لفظة (الشكل) وإبعادها عن ساحة الدراسات النقدية الحديثة.

التشكيل اللغوي هو النظر إلى النص الأدبي بنظرة لغوية متكاملة تشمل المعطيات التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية، وتوظفها لنقل تجربة الشاعر والكشف عن إيحاءات النص الأدبي وأبعاده جميعها، وهذه النظرة ليست بجديدة كليًّا على الدرس الأدبي والنقدي.

والنصُّ الأدبي هو نمط من أنماط الاستعمال اللغوي، قابل للدرس اللغوي واقع تحت تأثيره. والتشكيل اللغوي هو أحد عناصر هذه الدراسة التي تُعنى بتكامل الوظائف اللغوية، وتضافر العلاقات والقرائن بين أجزاء النص لنقل التجربة الشعورية نقلًا متكاملًا وواضحًا.

وشعر الشاعر عروة بن حزام هو مادة الدرس التطبيقي، التي يتم من خلالها دراسة التشكيل اللغوي والبحث عن صورة تتكامل فيها الوظائف اللغوية، وفق منهج بحثي يُعنى بتحليل البنية الداخلية لشعر الشاعر بوصفه كلًّا عضويًا متكاملًا، ويربط ما بين البنية اللغوية والأثر الجمالي.

The Formation of Language: In Erwa bin Hezam's Poetry

DR. Horia Mohammed Alotaibi
Assistant professor, Arabic Language, College Arts, University Dammam, Dammam, Saudi Arabia

(Received 4/1/1438H; Accepted for publication 18/5/1438H)

Keywords: Formation, Linguistic, Urwa Ibn Hazzam, Emotional experience

Abstract: The conjunction of the phrase formation -referring to the capability of a substance to take multiple forms- and the phrase linguistic- that denotes the structures and connotations found in a language- have given the study of literature and literary criticism a new dimension by establishing structures, sounds, and imagery, while setting syntactic and symantic rules, all to be assimilated with the experience of poets in order to convey it to the reader with an aesthetic appeal.

Furthermore, in the study of literature and literary criticism, the phrase formation (tashkeel) has replaced the phrase form (shakl) that has dominated literary texts for a period of time, and has been associated with the phrase content to express the study's different aspects. However, the phrase formation, which holds manifold analytical aspects, has voided the phrase form in contemporary critical studies.

Linguistic formation is a comprehensive and analytical approach to studying literary texts that factors in such data as the synthetic, the syntaxical, the lexical and phonetical, as instruments for poets to convey their experiences, and to further define all dimensions of the literary text's undertones; an approach that is not fairly new to the study of literature and literary criticism.

As such, literary texts are one of many linguistic application that is compatible and acquiescent to linguistic studies, with linguistic formation being an element that upkeeps the full integration of linguistic functions, and interlaces different parts of the text to carry the emotional experience in a clear and wholesome method.

The poetry of Urwa Ibn Hazzam is the subject of this research, through which linguistic formation and the search for an arrangement in which all linguistic functions apply will be presented, in accordance to a research-based approach that aims to examine the internal structure of the poetry as a holistic and organic whole while linking the linguistic structure and aesthetic appeal.

المقدمـــــة

إنَّ تضام لفظة (تشكيل) التي تعني قابلية المادة إلى التشكيل واتخاذ الأشكال المتعددة والهيئات المتباينة، ولفظة (لغوي) التي تشمل دوالَّ ومدلولاتِ اللغة، منح الدراسات الأدبية والنقدية بُعدًا جديدًا سلَّط الضوء على النص الأدبي من ناحية تأليف الدوال، والأصوات، والصور، وتنظيم التراكيب والأساليب وانسجامها مع تجربة الشاعر، ونقلها إلى المتلقي والتأثير فيه.

وقد حلّت لفظة (التشكيل) في الدراسات الأدبية والنقدية محل لفظة (الشكل) التي ظلت مهيمنة على دراسة النص الأدبي حقبة من الزمن، ومقترنة بلفظة (المضمون) للتعبير عن طرفي الدراسة. غير أنّ لفظة (التشكيل) الدالة على سمات تحليلية متنوعة تمكنت من مزاحمة لفظة (الشكل) وإبعادها عن ساحة الدراسات النقدية الحديثة، فالشكل للثابت والسطحي الذي قد لا يحتمل الزيادة في التعبير أو التأويل، والتشكيل للمتغير القابل للتفاعل والمطاوعة، والحراك والاستمرارية داخل النص على هيئة متشعبة قابلة للتوزيع والتنويع، ولكنها متماسكة تحت تجربة شعورية واحدة، ومندمجة ضمن رؤيا واضحة، ومتوازية مع بقية معطيات النص للتعبير عن الدلالات المختلفة، ومستويات الشعور المتفاوتة، وقراءات التأويل المتعددة.

التشكيل اللغوي هو النظر إلى النص الأدبي بنظرة لغوية متكاملة تشمل المعطيات التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية، وتوظفها لنقل تجربة الشاعر والكشف عن إيحاءات النص الأدبي وأبعاده جميعها، وهذه النظرة ليست بجديدة كليًا على الدرس الأدبي والنقدي، فقد ظهرت بواكيرها لدى الإمام عبدالقادر الجرجاني واستمرت في التبلور والظهور متأثرة بالفكر النقدي على مرِّ العصور حتى وصلت حديثًا إلى دراسة معطيات اللغة التي تتآلف في سياق تكويني يضم تجربة الشاعر وانفعالاته المتعددة.

والتشكيل اللغوي هو أحد عناصر هذه الدراسة التي تُعنى بتكامل الوظائف اللغوية، وتضافر العلاقات والقرائن بين أجزاء النص لنقل التجربة الشعورية نقلًا متكاملًا وواضحًا.

وشِعْرُ الشاعر عروة بن حزام هو مادة الدرس التطبيقي الخاضعة لدراسة التشكيل اللغوي والبحث عن صورة تتكامل فيها الوظائف اللغوية، وفق منهج بحثي يُعنى بتحليل البنية الداخلية لشعر الشاعر بوصفه كلا عضويًا متكاملًا، ويربط ما بين البنية اللغوية والأثر الجمالي.

إنّ من أهم عناصر التشكيل اللغوي التي مكّنت الشاعر عروة بن حزام من التعبير عن تجربته الشعرية (المعطى المعجمي)، الذي لا يدل على المعاني والأحاسيس فحسب، بل يستثيرهما ويستدعي دلالة

أكثر منهما عمقًا، فلفظة (خليلي) في قوله (الديوان، ص٣٤):

خليليَّ منْ عليا هلالِ بنِ عامرٍ

بِصَنْعَاءِ عوجا اليومَ وانتظراني

لفظة معجمية مألوفة، ولكن عروة بن حزام اختارها دون لفظة (صاحبيَّ أو رفيقيَّ)، للتعبير عن حاجته الشديدة لقريب صدوق مخلص يُنجيه من حزنه وألمه، وأنّ مصيبته عظيمة لا يقدر أحد على دفعها إلا من كان خليلًا له، فاكتسبت دلالة أخرى غير دلالتها المعجمية، وأمعنت في التأثير على المتلقي وأرفدته ببعد نفسي يعيشه الشاعر يشير إلى حاجته الماسة إلى المساعدة.

ومثلها في استثارة المعاني والأحاسيس ألفاظ (تعروني، رعدة، دبيب) في قوله (الديوان، ص٢٢):

وإنّي لتعروني لذكراكِ رعـــدة

لها بين جسمي والعظامِ دبيبُ

إنّ هذه الألفاظ التي استدعتها حالة الشاعر النفسية عبرت عن الهيام بالمحبوبة في أقصى درجاته، والتأثر الشديد بحبها. فلفظة (تعروني) أثارت معنى شدة الأثر البالغ الذي حصل لعروة بن حزام عند استرساله في تذكر محبوبته، والإصابة المستحكمة التي أحاطت به من كل جانب، وقوة التمكن التي غلبته.

كما أثارت لفظة (رعدة) معاني مكثفة دلت على الهزة المفاجئة، والارتعاش المستمر، والارتجاف الشديد. وأبانت لفظة (دبيب) بمحلها بين الجسم والعظم عن امتداد الرعدة وسريانها في جسده ببطء أهاج قلقه وزاد ألمه ثباتًا وقوة، فالمشي على هينة أبقى للأثر، وأقرب للثبات.

وهناك ألفاظ في شعر عروة بن حزام ذات حضور نافذ في تشكيله اللغوي، أسهمت في تكوين لغة شعرية خاصة بالشاعر ذات أبعاد إبلاغية وإيحائية أبانت عن حالته النفسية وموقفه الشعوري، ومن هذه الألفاظ (طبيب، كبد، واشي).

تجاوزت لفظة (طبيب) في شعر عروة الإبلاغ إلى الإيحاء، ويدل هذا التجاوز على أنه ليس هناك ألفاظ شعرية، وأخرى غير شعرية، وأن التجربة الشعرية هي التي تصبغ الألفاظ مهما كان نوعها بالصبغة الأدبية والفنية، وتمنحها القدرة على التعبير عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته؛ لذا فإن القارئ لشعر عروة بن حزام يجد أن لفظة (طبيب) قادرة على الإثارة وإضاءة النص، مرتبطة بفاعلية تتجلى فيها فردية عروة الفنية والجمالية. فعروة رجل مغدور وعاشق، اجتمعت عليه ويلات الغدر، وفُجاءة خبر تزويج عفراء لرجل آخر مع مرارة الانتظار الطويل لجمع مهر عفراء وبذل المشقة في سبيل ذلك وانقطاع المودة الصادقة بينه وبين عمه، وإذلاله بالتغلب عليه، والاستهانة به عن طريق إباحة عفراء إلى غيره. كما اجتمعت عليه آثار العشق، والتعلق بعفراء، والشغف بها. فكان هذان الشعوران

الغدر والعشق، باعثين على وجود لفظة (طبيب) في شعره، واتخاذها وسيلة للبوح بما يفتقر إليه الشاعر ويطلبه بعد غياب عفراء وغدر عمه، ومطية للإعراب عن حاجته لحانٍ يترفق به ويتلطف معه، واستعصاء حالته التي لا يستطيع دفعها إلا الحاذق الماهر في معالجة الأمراض.

أسهمت لفظة (كبد) في بناء التشكيل اللغوي لشعر عروة، وشاركت في التعبير عن تجربته بما أثارته من جوانب عاطفية دقيقة.

قال الشاعر (الديوان، ص٢٥):

فَوَا كَبِدًا أَمْسَتْ رُفَاتًا كَأَنَّمَا
يُلَذِّعُهَا بِالـمَوْقِدَات طَبِيبُ

ويقول (الديوان، ص٣٦):

على كبدي منْ حبِّ عفراءَ قرحةٌ
وعينـــــايَ منْ وجدٍ بها تكِفانِ

ويقول (الديوان، ص٣٨):

فيا كبدينا منْ مخافـــــــة لوعةِ
الفراقِ ومنْ صرفِ النّوى تجِفانِ

إن لفظة (كبد) مكنت عروة بن حزام من الاتصال بالمتلقي والإفصاح له عن ذات نفسه، والدلالة على شدة الوجع الضارب في وسط جسده، والألم الغائر المتسع.

وتأخذ لفظة (الواشي) موقعها داخل التشكيل اللغوي لشعر عروة بن حزام، لتدل على أن الوشاة هم السبب في إفساد حبه وإعاقته، فقد ألَّفوا حول علاقته بعفراء كلامًا كثيرًا، زينوه بالكذب، وأشاعوه بالنميمة. ومنها قلقه الشديد من الوشاة والحذر منهم، وانعكاس ذلك على حالته، فقد بدا في شعره متزعزعًا جزعًا غير صابر.

كما تشير اللفظة في مواقع كثيرة إلى حرصه الشديد على نفي ما قيل عن عفراء من كلام قد يسيء إليها، وامتعاضه من فعل الوشاة.

إن وجود لفظة (الواشي) ضمن التشكيل اللغوي لشعر عروة بن حزام منح قصة حبه شيئًا من الأهمية، وكأن الناس لا شغل لهم إلا الحديث عن حب عروة لعفراء.

وللشاعر عروة بن حزام تشكيله اللغوي الخاص بتجربته الانفعالية التي اقتضت توافر سمات معينة في معجمه الشعري، منها سمة الحركة، والشعور، والعَلَمية.

إنّ المتتبع لتشكيل الشاعر المعجمي يجد عددًا من الألفاظ الدالة على الحركة، منها (رعدة، دبيب، مُكر، هبوب، ممشى، نَقْض، خفقان، وَجَف، سقوط، تعليق، ميلة، تدير). وقد كان لدلالة الحركة في هذه الألفاظ وغيرها عدة أسباب أهمها اضطراب الشاعر وهيجانه النفسي بحثًا عن حبه الضائع، ومنها إحساسه بحركة

الوشاة من حوله وتربصهم به، وخيبة حركته في البحث عن مهر عفراء، وارتطامها بموقف عمه الغادر، ومنها أيضًا إحساسه بالعجز ورغبته الشديدة في الحركة، فقد أضعف الفراق جسده وتضعضعت قوته. كما أن توقه إلى بلاد عفراء وتطلعه إليها منح تشكيله المعجمي مزيدًا من الألفاظ الدالة على الحركة والانتقال.

والشعور سمة أخرى في تشكيل عروة بن حزام المعجمي، ظهر نتيجة توافر عدد متجانس من الألفاظ الدالة على المشاعر والأحاسيس ومنها (حبيب، هوى، عاشق، صبَّة، لوم، غدر، شجوة، افتراق، أليف، بَيْن، شكوى، بكاء، شوق، حزين، مودة، هجر، صبابة، أسى، حنين، وجد، مخافة، لوعة، غم، كرب، حسرة، لذة، زفرة، أمنية، مناجاة، يأس، هيام). وملحوظ أنّ هذه الألفاظ الشعورية تغلب عليها مشاعر الحزن والحسرة، حيث انعكست حالة الشاعر الحزينة، بداعٍ من الغدر وفقدان المحبوبة، على تشكيل عروة بن حزام المعجمي، فصبغته بصبغة الأسى والأسف، وبثت فيه الكرب والكمد، ووسمته بسمة الالتعاج والشجن.

إن هذه الصبغة الوجدانية صورة من صور التلاؤم في شعر عروة بن حزام بين الوسيلة الشعرية والغاية الشعورية، وهي قيمة جمالية؛ دلت على الأصالة والتفرد، ووعي الشاعر بحزنه وحسرته، وإدراكه لدور الألفاظ غير الحسية في الكشف عن مكنون حزنه، كما أشارت إلى شاعريته التي جعلته في مصاف شعراء الوجدان، الذين عبروا عن أشواقهم وأحزانهم تعبيرًا غير حسي يرشد القارئ إليهم ويطلعه على سماتهم الفنية الخاصة.

تكثر العلمية في تشكيل الشاعر المعجمي، ويُقصد بها أسماء الأعلام التي وردت في شعر عروة بن حزام لتعيين مسماها تعيينًا محددًا. واسم العلم (عفراء) هو الاسم المحوري الذي زاحم ألفاظ الشاعر المعجمية اثنتين وثلاثين مرة، وانفرد بوجوده، فلم يرد اسم علم في معجم الشاعر غيره.

وهناك قصائد في ديوان الشاعر لم يرد فيها اسم (عفراء)، في حين برز بروزًا شديدًا في أغلب ديوانه، وتفسير ذلك؛ أن القصائد التي لم يرد فيها اسم (عفراء) قيلت قبل حادثة غدر عمه وتزويج عفراء لرجل آخر غيره، فقد كان عروة في تلك المرحلة يكتم أنفاس الحب خشية الوشاة، وتجنبًا لما قد يقال عن عفراء لو شاع اسمها على لسانه، يقول عروة (الديوان، ص٤٥):

فوالله ما حدّثتُ سرّكِ صاحبًا
أَخًا لِي ولا فَاهَتْ بِهِ الشَّفَتانِ

ويقول (الديوان، ص٢٦):

وأحبسُ عنكِ النّفسَ والنّفسُ صبّةٌ
بِذِكْراكِ وَالممـــــشى إلَيكِ قَريبُ
مخافةَ أن يســـــعى الوشاةُ بظنّةٍ
وَأَحْرسُكُمْ أَنْ يِسْـــــترِيب مُرِيبُ

ولكن بعد تلكؤ عمه في أمر تزويجه، وتكليفه ما لا يطيق مهرًا لعفراء، وتحمله مشاق السفر بحثًا عن ذلك المهر المزعوم، ثم عودته وإصابته بفاجعة تزويج عفراء لرجل آخر، إثر غدر عمه وخيانته، ذكر الشاعر اسم عفراء صريحًا في مواضع كثيرة من قصائده، مبتعدًا عن التلميح والكناية، وكأنه يقصد من وراء ذلك، الإصرار على الإبانة والإفصاح، والتأكيد على أن عفراء حق له سلب منه عنوة، وأن التصريح باسمها سيعينه على المطالبة باسترداد حقه.

لقد كشفت هذه اللفظة عن انفعالات الشاعر المتعددة، ومنها تعلقه بعفراء وهيامه الشديد بها هيامًا ممتزجًا بمشاعر القهر والحسرة والألم، الحالة التي دفعته إلى الكشف عن حبه لعفراء والتصريح باسمها (الديوان، ص٤٢):

أَنَاسِيَةٌ عَفْراءُ ذكريَ بَعْدَمـــــا

تركـــــتُ لها ذِكْرا بِكُلِّ مَكَانِ

إنّ إشاعة ذكر عفراء في هذا البيت مرحلة متقدمة من الكشف والإبانة عن حبه، خرجت من طور الإبانة عن الحب إلى طور الإبانة عن ألم الحب الذي دفع الشاعر في مواطن كثيرة إلى ذكر اسم عفراء عند حديثه عن الألم، يقول (الديوان، ص٣٦):

على كبدي منْ حبِّ عفراءَ قرحة

وعيناىَ منْ وجدٍ بها تكِـــــفانِ

ويقول (الديوان، ص٤٩):

تحمّلتُ منْ عفراءَ ما ليسَ لي بهِ

ولا للجبالِ الرّاســـــياتِ يدانِ

ويقول (الديوان، ص٤٨):

أَعَفْراءُ كم مِنْ زَفْرَةٍ قد أَذقْتِنِي

وحزنٍ ألجَّ العينَ بالهمـــــلانِ

تتعدد الانفعالات المرتبطة باسم (عفراء)، ومنها التلذذ بذكرها والاستمتاع بذكراها، ومنها أيضًا مناجاتها والاستغاثة بها من هول ما فعله والدها. وفي مواضع أخرى يحمِّلها الشاعر جزءًا من الألم الذي أصابه فيمتزج اسمها بمشاعر اللوم والشكوى، يقول (الديوان، ص٣٦):

فعفراءُ أرجى النّاس عندي مودّةً

وعفراء عنّي المعْرِضُ المتـــــواني

ويقول (الديوان، ص٤٩):

وقد تَرَكَتْ عفراءُ قلبي كَأَنَّهُ

جَنَاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَـــقَانِ

وهكذا نجد أن معجم عروة بن حزام استثار كثيرًا من المشاعر والأحاسيس، واستدعى معانيَ جمَّة أعانت الشاعر في التعبير عن تجربته الخاصة. كما أنه زاخر بألفاظ نافذة في تشكيله اللغوي، متسمة بسمة البوح بمكنون نفس الشاعر التي انعكست على صفحة معجمه الشعري.

والمعطى الأسلوبي من عناصر التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام، أسهم في الكشف عن دلالات عميقة غير ظاهرة للمتلقي، إنما اصطحبتها البنية

الأسلوبية من خلال تراكيب منفردة، وأنساق لغوية خاصة، يدرك المتلقي من خلالها أبعاد تجربة عروة بن حزام الشعورية.

وقد بدا التكرار أحد أهم المعطيات الأسلوبية الواضحة في تشكيل عروة بن حزام الشعري، والمتضمنة عددًا من الدلالات والمشاعر. وملحوظ في شعر عروة بن حزام تكرار اسم عفراء قرابة اثنتين وثلاثين مرة، ومع صغر حجم ديوان الشاعر الذي لا يتجاوز ثلاث وثلاثين صفحة، فإن اسم عفراء انتشر في جميع أجزائه بصورة متساوية فرضتها تجربة الشاعر الشعورية.

إنّ قيمة هذه الكلمة ليست في التكرار فحسب، وإنما في هيئة التكرار التي توزعت على أجزاء ديوان الشاعر، أوله ووسطه وآخره، وعكست هيمنة مشاعر حبه لعفراء على حياته كلها، أولها عندما كانا يلعبان ويسرحان معًا، لا يفارق أحدهما الآخر، ووسطها حينما بلغ عروة الحلم وطلب عفراء زوجة له فكلف مهرا يفوق قدرته، وآخرها عندما عرف بخبر زواج عفراء فانصرف إلى نفسه باكيًا حزينًا حتى اشتد مرضه ومات كمدًا.

وتكمن قيمتها أيضًا في الشق الكمي للتكرار، فقد بلغت الكلمة عددًا دلَّ على أنها أخذت قيمتها من ذاتها وليس من علاقتها بالكلمات الأخرى؛ ذلك لأنَّها اسم للمحبوبة، ولا غرابة أن يتلذذ العاشق بذكر اسم المحبوبة متى شاء في سياق شعره. كما أنَّ الشاعر لم يظفر بعفراء في حياته فاستعاض عن ذلك، وظفر باسمها في شعره قرابة اثنتين وثلاثين مرة تعبيرًا عن مشاعر عدة أهمها: الحب، الشوق، اللوعة، الشكوى، اللوم، الحزن.

لقد ارتبطت كلمة عفراء بالتجارب الشعورية السابقة، فأصبحت إحدى العناصر المكونة للنص، والمتفاعلة مع التجربة الشعورية.

ونلحظ في شعر عروة بن حزام تكرار النسق اللغوي. وتكرار الأسلوب أقوى في التعبير من تكرار الكلمة المفردة، ذلك لأنَّ الكلمات المكونة للتركيب اللغوي تكشف عن مشاعر ومعان أكثر عمقًا من المشاعر والمعاني التي تكشف عنها الكلمة المفردة، كما أنَّ تكرار الأسلوب يعكس إلحاح الشاعر في التعبير عن تجربته الشعورية، بسبب تكراره لمجموعة من الكلمات وليس كلمة واحدة.

يقول عروة (الديوان، ص٢٥):

فلستُ برائي الشّمسِ إلا ذكرتها
وآلَ إليَّ منْ هواكِ نصـــــــيبُ
ولا تُذكَرُ الأَهْواءُ إلاّ ذكـــــرتُها
ولا البُخْلُ إلاّ قُلْتُ سوف تُثِيبُ

ويقول (الديوان، ص٢٥):

عشيّةَ لا أقضي لنفسي حاجـــــةً
ولم أدرِ إنْ نوديـــتُ كيفَ أجيبُ
عشيّة لا خلفي مكرٌّ ولا الهوى

أَمَامي ولا يَهْوى هَوايَ غَرِيبُ

ويقول (الديوان، ص٤٩):

وما تَرَكَتْ عفراءُ مِنْ دَنَفٍ دوىً
بِدَوْمة مَطْويٌّ له كَفَـــــــنَانِ
فقد تَرَكَتْـــــنِي ما أَعِي لمحدِّثٍ
حديثـــــاً وإنْ ناجيتهُ ونجاني
وقد تَرَكَتْ عفراءُ قلـــبي كَأَنَّهُ
جَنَـــــاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَانِ

ويقول (الديوان، ص٥١):

تَمَنَّيْتُ مِنْ وَجْدِي بِعفراءَ أَنَّنَي
إزَارٌ لَهَا تحـــت القميص يَمَانِ
تَمَنَّيْتُ مِنْ وَجْدِي بِعفراءَ أَنَّنَا
بعيرانِ نرعى القــفرَ مؤتلفانِ

لقد أخذ التكرار في الأبيات السابقة خاصية التكرار المتوالي الرأسي، حيث تكررت لفظة (ذكرتها) في البيت الأول والثاني، وكذلك الألفاظ (عشية، تركت، عفراء، تمنيت) وتشير هذه الخاصية التي كثرت في شعر عروة بن حزام إلى تدفق معاني الشاعر المرتبطة بوحدة شعورية واحدة تدفقًا رأسيًا رغبة في الاستمرار وطلبًا في مواصلة الحديث، مما دفع الشاعر إلى التعبير بأنساق متوازية بلغت حد التطابق، وارتبطت بوشائج واحدة مع تجربته الشعورية.

كما تشير عودة الشاعر للنسق اللغوي نفسه إلى رغبته في العودة للشعور نفسه وعدم قدرته على الانفكاك منه، وتشير أيضًا إلى إصرار الشاعر على التعبير عن مشاعره، والإلحاح في إظهارها بصورة أنتجت عبارات متوازية دلاليًا وتركيبيًا.

وبالنظر إلى المثال الأول نجد أن إصرار الشاعر على تذكر محبوبته، وعدم قدرته على الخروج من سيطرة التذكر تجلى في تكرار عبارة (إلاّ ذكرتها) بصورة رأسية متوالية أوحت بثبات وتوالي تذكر المحبوبة في تجربته الشعورية والتزامه به.

ونجد في المثال الثاني أنّ التكرار المتوالي الرأسي (عشية لا) كشف عن عدم قدرة الشاعر على التخلص من إحساسه بألم تلك المدة الزمنية التي فوجئ خلالها بخبر تزويج عفراء، فقد خرج للبحث عن مهرها، إلا أنه عندما عاد وجدها قد زوجت برجل غيره، لذا عاد الشاعر إلى التركيب نفسه في البيت الذي يليه تعبيرًا عن شعوره بضعف الحيلة والمفاجأة المقترنة بانعدام القدرة على التصدي لأمر تزويجها أو تعطيله.

ويتوالى فعل الترك في المثال الثالث مقترنًا بتاء التأنيث الساكنة مرتين، وتاء التأنيث الساكنة ونون الوقاية وياء المتكلم مرة واحدة تعبيرًا عن إحساس الشاعر بالوحدة وإثارةً للشفقة التي تحركت لها مشاعر المتلقي بصورة متوالية ومنسجمة مع توالي تكرار تعبير الشاعر عن مشاعر الوحدة.

ويكرر الشاعر الخاصية نفسها في المثال الرابع؛

تكرارًا يشير إلى إلحاح الشاعر في التعبير عن أمنيته المدفوعة بدافع نفسي متأجج مشوب بالحزن والألم، وأنه لا يستطيع التخلص من هذه الأمنية مع علمه باستحالة وقوعها.

إن خاصية التكرار المتوالي الرأسي برزت في شعر عروة وارتبطت بسياقات معينة، فأصبحت سمة أسلوبية قادرة على الكشف عن دلالات متنوعة، وإضافة نسق لغوي مستقل خاص بتجربته الشعورية ومعبر عن استقلاليته: «إن منظومة العلاقات الموجودة بين عناصر العمل الأدبي، وكذلك بين مستويات هذه العناصر، تضفي على العمل الفني نوعًا من الاستقلالية بعد إنتاجه، وتسمح له بأن يطرح نفسه ليس كنظام عادي بسيط، بل كبنية مركبة متنامية» (تحليل النص الشعري، ١٩٩٥م، ص١٣٠).

وملحوظ أيضًا في شعر عروة بن حزام خاصية التكرار المتوالي الأفقي، ومنها قوله (الديوان، ص٢٤):

عشيّةَ لا عفراءُ دانٍ ضرارهـــا
فَتُرْجَى ولا عفراءُ مِنْكَ قَريبُ

وقوله (الديوان، ص٣٣):

وَإِنِّي إِنْ بَكَـــــيْتُ بَكَيْتُ حقًا
وإنّكِ في بكائـــــكِ تكذبينا

وقوله (الديوان، ص٤١):

وَأَوْرَثْتَني غمًّا وكربًا وحسرةً
وأورثتَ عـــــيني دائمَ الهملانِ

وقوله (الديوان، ص٤٤):

فيا ليتَ محيانا جميعًا وليتنا
إذا نحـــــنُ متنا ضمّنا كفنانِ

إنّ إحساس الشاعر في الأبيات السابقة، وفي غيرها من الأبيات التي تكررت عبارتها بصورة أفقية، إحساس متوقد لا يستطيع الشاعر بسببه الانتظار حتى ينتقل إلى البيت الذي يليه ليكرر عبارته المقصودة، التي هي بؤرة أحاسيسه، وإنما لجأ التكرار العبارة في البيت نفسه بدافع الإحساس المتوهج والرغبة في سرعة التعبير عن مشاعره وتأكيدها.

ويتكرر فعل الأمر في مستهل إحدى قصائد عروة بن حزام ثماني مرات، ودلالة هذا التكرار هي توتر الشاعر الشديد واضطرابه النفسي الذي منعه من الثبات وفرض عليه رغبة التحول السريع والانتقال إلى مكان آخر.

إنّ فعل الأمر (عُوْجا) عكس أوجاع الشاعر الشديدة، التي دفعته أن يطلب من صاحبيه الوقوف السريع وعدم التحرك حتى يدركهما، فهو مثقل بآلامه بعد نبأ زواج عفراء، لا يستطيع الانتقال والحركة.

ويؤكد فعل الأمر (انتظراني) ضعف الشاعر وعجزه عن السير، كما يعبر عن توتره الشديد، فهو لا يريد البقاء وحده بل يرغب في اللحاق بهما، فقد تكالبت عليه الأحزان والهموم. ونجد في فعلي الأمر

(أجملا، احملاني) دلالة الاستغاثة وطلب العون من أجل أن يحملوه إلى ديار عفراء أملًا في الشفاء مما به.

ويؤيد وجود دلالة التوتر في تكرار أفعال الأمر، تكرار صيغة النهي (لا تزهدا، لا تعذلاني) بمعنى الأمر، وهي صيغة دالة على طلب النجدة خشية الهلاك.

ومن معطيات التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام بنية الضمائر التي ارتبطت في شعره بالتجربة الشعورية، فأصبحت ذات تجليات عدة كشفت عن حالات شعورية صاحبت الشاعر فسيطرت على أسلوبه.

لقد حضر ضمير المتكلم في شعر عروة بن حزام حضورًا كثيفًا لافتًا، وسبب ذلك أن شعره يتمحور حول ذاته تعبيرًا عنها وكشفًا لآلامها، وأنه مرتبط بحالات انفعالية خاصة بالشاعر، فهو عندما قال (الديوان، ص٤٥):

تحمّلتُ زفراتِ الضّحى فَأَطَقْتُها

وما لي بزفراتِ العشيِّ يدانِ

وقال (الديوان، ص٣٦):

متى تكشفا عنّي القميصَ تَبَيَّنا

بِيَ الضُّرَّ من عَفـْراء يا فَتَيَانِ

وقال (الديوان، ص٣٠):

أَمُنْصَدِعٌ قَلبي مِنَ البَيْنِ كُلَّمَا

تَرَنَّمَ هَدّالُ الحَمَامِ الهواتفِ

أراد أن يعبر باستخدام ضمير المتكلم عن حبه لعفراء الذي أعقب الشجو واللوعة والوجد في نفسه، وأن يكشف عن إحساسه بالغدر، ويبث معاناته التي أصابته بالحزن والأسى، ودفعته إلى الحديث عن ذاته، مستخدمًا ضمير المتكلم في معظم شعره، وهو أقرب الضمائر إلى غايته وإلى شعره الغنائي المتدفق بالوجدان.

وأما معطيات ضمير المخاطب فتتجلى ضمن تجارب شعورية متعددة تختلف عن معطيات ضمير المتكلم، منها تصاعد الحالة الشعورية لدى الشاعر، ففي قوله (الديوان، ص٢٤):

فما بي من سقمٍ ولا طيفِ جِنّةٍ

ولكنَّ عَمِّي الحِمْيَرِيَّ كَذُوبُ

عشيّةَ لا عفراءُ دانٍ ضرارها

فَتُرْجَى ولا عفراءُ مِنْكَ قَريبُ

فلستُ برائي الشّمسَ إلا ذكرتها

وآلَ إليَّ منْ هواكِ نصيبُ

نلحظ عندما يئس الشاعر من قرب مزار عفراء، واشتدت عليه الذكرى، تصاعدت انفعالاته فجرَّد من نفسه شخصًا آخَرَ يخاطب الشاعر؛ ليقنعه بحقيقة بُعده عن عفراء وأنها ليست قريبة منه.

لقد أوجد شعور اليأس صوتين في هذا البيت، صوت الشاعر، وصوت آخر يحدثه بحديث جعل الموقف أكثر عمقًا وأوضح دلالة على يقين الشاعر ببعد عفراء، كما أدّى تصاعد الموقف وتنامي الحالة الشعورية إلى التفات الشاعر من ضمير الغائب في قوله

(ذكرتها) إلى ضمير المخاطب في قوله (هواك) وذلك من أجل استحضار المحبوبة، والاستعاضة عن غيابها وبعدها بحضور وقرب مجازي متجسد في ضمير المخاطب، وغاية الالتفاف هنا خلق تواصل دائم أساسه المشاركة الوجدانية.

وفي موضع آخر يتحول الشاعر من ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب، يقول (الديوان، ص٢٢):

وإنّي لتعروني لذكـــراكِ رعدة
لها بين جسمي والعظـامِ دبيبُ
وما هوَ إلاّ أن أراهـــا فجاءةً
فَأُبْهَتُ حتى مَا أَكَـادُ أُجِيبُ

إن تحول الشاعر من مخاطبة المحبوبة إلى الحديث عنها بصيغة الغائب كشف عن حاجته إلى التعبير عن مشاعره تجاه عفراء في موقفين مختلفين، الأول تذكر المحبوبة، والثاني رؤيتها فجأة، فعندما لا تكون المحبوبة موجودة أمامه يشعر بالاضطراب والقلق، وعندما تكون ماثلة أمام عينيه يشعر بالحيرة والدهشة الشديدة. وفي الحالتين إشارة إلى شدة الشوق، واستمرار الوجد، سواء خاطب محبوبته أو تحدث عنها بصيغة الغائب.

الكشف والإيضاح من أهم معطيات ضمير المخاطب في شعر عروة، يقول (الديوان، ص٢٦):

وأحبسُ عنكِ النّفسَ والنّفسُ صبّةٌ
بِذِكْراكِ وَالممـــشى إلَيكَ قَريبُ

فالشاعر يتحدث مع محبوبته حديثًا مباشرًا يبتغي من ورائه الإفصاح عن ولعه الشديد بها مع قربها منه، وأنه مجتهد في كتمان حبه مخافة ظن الوشاة.

وفي موضع آخر يتجلى ضمير المخاطب لغرض الإفهام، قال عروة (الديوان، ص٣٣):

أحقـــاً يا حمامةَ بطـــنِ وجٍّ
بهذا النّـوحِ إنَّـــكِ تصدُقينا
غلبتـــكِ بِالبُـــكَاءِ لأَنَّ لَيْلِي
أواصـــلهُ وإنّـــكِ تهجعينا
وَإنِّي إنْ بَكَيْتُ بَكَـــيْتُ حقّا
وإنّكِ في بكائـــكِ تـكذبينا

إنّ إحساس الشاعر بعمق معاناته التي أثارها نوح الحمامة، دفعه إلى الموازنة بين حاله وحال الحمامة النواحة بُغية الإفهام بأن بكاءه صادق وليله طويل وشوقه شديد، وأنه أشد منها شوقًا وحزنًا، وما صوتها إلا صدى لأشواقه المهتاجة.

ويأتي ضمير المخاطب في شعره رغبة في الالتماس والرجاء أن يُحمل إلى أرض عفراء وينعم برؤيتها، قال عروة (الديوان، ص٣٥):

أَلاَ فَاحْمِلاَنِي بارَكَ الله فِـــيكُما
إلَى حَاضِرِ الرَّوْحَـــاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

ويأتي أيضًا عندما يزداد توتر الشاعر ويحتد انفعاله، يقول

(الديوان، ص٤١):

فيا عمّ يا ذا الغَدْرِ لا زِلْتَ مُبْتَلىً

حليفًا لهمٍّ لازمٍ وهـــــــوانِ

غدرتَ وكانَ الغدرُ منكَ سجيّة

فَأَلْزَمْتَ قلبي دائمَ الخفـــــقانِ

لقد أسهم توتر الشاعر في بناء التشكيل اللغوي لضمير المتكلم الذي مكّن الشاعر من مخاطبة عمه، ومواجهته بحقيقة غدره الذي أصبح سجية له، وبيان عواقب الغدر التي أورثت عروة الكرب والحسرة.

ويلجأ الشاعر إلى ضمير المخاطب للتأكيد، يقول (الديوان، ص٤٥):

فواللهِ ما حدّثتُ سرّكِ صاحبًا

أَخًا لِي ولا فَاهَـــتْ بِهِ الشَّفَتانِ

فعندما أراد عروة أن يؤكد كتمانه لسر الحب لجأ إلى ضمير المخاطب تأكيدًا لصدقه، فالصادق يواجه غيره ويكون موجودًا أمامه، كما أنه استخدم أسلوب القسم زيادة في التأكيد، ووصف الصاحب بالقرب الشديد، وأنه بمنزلة الأخ، ومع ذلك فهو لم يخبره بسر حبها.

وظاهر قوله (ولا فاهت به الشفتان) تكرار لدلالة الشطر الأول، إلا أن باطنه يحمل دلالة أكثر عمقًا، هي نفي الحديث عن حبها من غير وعي أو ناسيًا. ويؤيد رغبة الشاعر في النفي إسناده فعل القول للشفتين وليس له.

وقد قلَّ حضور ضمير الغائب في شعر عروة بن حزام، والأصل في حديث عاشق فارقته معشوقته، كثرة حضور ضمير الغائب تحدثًا عن المعشوقة الغائبة، إلا أن عروة استعاض عن ذلك بذكر اسم المحبوبة صراحة في مواضع كثيرة من شعره، مما أدّى إلى قلة حضور ضمير الغائب، رغبة منه في الاقتراب من المحبوبة وتأكيد حضورها بذكر اسمها، فهي ليست غائبة عن وجدانه وإن غابت عن واقعه. إنّ هذا التنسيق اللغوي بين الغياب الحقيقي والحضور المجازي وبين الضمير الغائب الدال على عفراء والتصريح باسم عفراء هو نتيجة التجاذب الشعوري في وجدان الشاعر بين الرغبة في وجود عفراء، والقلق من غيابها. وقد استطاع عروة معالجة هذا التجاذب بتغليب اسم عفراء في تشكيله اللغوي وتقليل الاعتماد على ضمير الغائب للإشارة إليها رغبة منه في تأكيد حضورها في نفسه وشعره معًا.

وأما حضور ضمير الغائب في شعره، فملحوظ ارتباطه بمشاعر الوجد والأسى، يقول (الديوان، ص٣٦):

إِذَا رَامَ قلبي هَجْرَهَا حالَ دونَه

شَفِيعانِ من قَلْبِي لها جَـــدِلانِ

ويقول (الديوان، ص٢٢):

وما هوَ إلاّ أن أراها فجـــاءةً

فَأُبْهَتُ حتى مَا أَكَـــادُ أُجِيبُ

وعلّة ذلك أنّ الشاعر في هذه التجربة الشعورية ومثيلاتها قد غالبه الحزن واشتد عليه الأسى فانفرط عقد التغليب من يده، وتحدث -متأثرًا بمشاعره -عن عفراء باستخدام ضمير الغائب وليس بذكر اسمها صراحة كعادته في شعره.

وهكذا نجد أن توظيف بنية الضمير سواء أكان ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب ساهم في تماسك شعر عروة التركيبي ودقة التعبير الدلالي المتوائم مع تجربته الشعورية.

ويتجه التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام إلى نسق العبارة الاعتراضية تعبيرًا عن حالة شعورية خاصة، ولإضافة دلالة أكثر عمقًا من دلالة العبارة التي وقع الاعتراض بين جزأيها الرئيسين، يقول الشاعر (الديوان، ص٣٥):

أَغَرَّكما لا بَارَكَ الله فيكـــــــما
قميصٌ وَبُرْدا يَمـــــنةٍ زَهَوانِ

ويقول (الديوان، ص٤٤):

فيا ليتَ عمّي يومَ فرّقَ بينـــنا
سُقيْ السُّمَّ ممزوجًا بِشَبِّ يَمانِ

ويقول (الديوان، ص٤٦):

فأنتَ ولم ينفعكَ فرّقتَ بيننا
ونحنُ جميعٌ شـــــعبنا متدانِ

لقد انفتحت الجمل الاعتراضية في الأبيات الثلاثة على دلالات متعددة جسّدت حزن الشاعر على فراق عفراء، وارتفاع وتيرة إحساسه بالألم الشديد مما دفعه إلى اعتراض عبارته بالدعاء على صاحبيه بزوال البركة في البيت الأول. والتأكيد في البيت الثاني على يوم الفراق بوصفه نهاية مؤثرة، وأنه حاصل فعل عمِّه الشائن من خلال الجملة الاعتراضية (يوم فرق بيننا). وإثبات عدم جدوى فعلة عمه في البيت الثالث باستخدام جملة اعتراضية (ولم ينفعك) إشارة إلى فعلته التي ألحقت الضرر بابن أخيه وأساءت لوشيج القرابة بينهما.

إنّ تشكيل الجمل الاعتراضية الآنفة كشف عن دلالات عميقة تجول في نفس الشاعر، فبدا خطابه قويًا متماسكًا لم يضره الاعتراض بين الجزأين المتلازمين، وذلك لأنه اعتراض مرتبط بحالة عروة الشعورية.

ويلجأ الشاعر في تشكيله اللغوي إلى الثنائية اللفظية باستخدام عنصر التضاد للتعبير عن تجربته الشعورية، فالطباق في قوله (الديوان، ص٢٥):

عشيّة لا خلفي مكرٌّ ولا الهوى
أَمَامي ولا يَهْوى هَوايَ غَرِيبُ

يكشف عن إحساسه القوي بصعوبة المأزق الذي أوقعه فيه حب عفراء، فهو في حالة حرجة، لا يمكن أن يتراجع عن حبه، ولا أن يظفر به. وقد تمكن الشاعر باستخدامه لهذا العنصر من إبراز حالته الحرجة والتأكيد على حيرته الشديدة.

ويقول (الديوان، ص٢٦):

وما عَجَبِي مَوْتُ المُحِبِّينَ في الهوى
ولكنْ بقاء العاشـــــقينَ عجيبُ

فالموت والبقاء دلالتان مختلفتان جمعهما الشاعر للتعبير عن معنى واحد، هو عذاب العشاق ومعاناتهم المستمرة، ومع أنّ الموت يعني الفناء والهلاك إلا أن هذه الدلالة المتجاورة مع دلالة البقاء أحدثت اضطرابًا في دلالة المفردات وانسجامًا في دلالة البيت، وأشارت إلى موت العاشق في حال الهجر، وبقائه في حال الوصل، فهو بين هذا وذاك يعاني الاضطراب والقلق.

وتتزاحم الثنائية اللفظية في قوله (الديوان، ص٣٣):

غلبتُكِ بِالبُـــــكَاءِ لأَنَّ لَيْلِي
أواصلهُ وإنّـــــكِ تهجعينا
وَإِنِّي إنْ بَكَـــيْتُ بَكَيْتُ حقًا
وإنّكِ في بكائـــكِ تكذبينا
فلستِ وإنْ بكيتِ أشدَّ شوقًا
ولكنِّي أُسِـــــرُّ وتعلنينا

قناعة الشاعر القوية بأن نوحه أشد وأصدق من نوح الحمامة، وأن نوح الحمامة ما هو إلا ترنيمات وأصوات بلا شعور دفعته إلى تكثيف المتناقضات والاستفادة منها في إثارة مفارقات متعددة تؤكد أن نوح الشاعر تغلب على نوح الحمامة، وأن بكاءه أكثر صدقًا، وشوقه أغلب، وما نوح الحمامة إلا صوت هيج مشاعر الشوق والحزن في نفسه.

وملحوظ في شعر عروة بن حزام إلى جانب غنائيته، اتساق الأحداث والدلالات بعضها في إثر بعض، وانسياقها لتصبح مكونًا سرديًا يسهم في التشكيل اللغوي لشعره، ومن ذلك قوله (الديوان، ص٤٠):

فرُحْتُ مِنَ العَرّافِ تسقُطُ عِمَّتِي
عَنِ الرَّأْسِ ما أَلْتاثُـــــــها بِبَنانِ
معي صاحبا صِدْقٍ إذَا مِلْتُ مَيْلَةً
وكانَ بِدَفَّي نِضْـــــــوتي عَدَلاني
ألا أيّها العرّافُ هل أنـــتَ بائعي
مكانكَ يومًا واحـــــــدًا بمكاني

ويقول (الديوان، ص٤٢):

ألا يا غرابيّ دمـــــنةِ الدّارِ بيّنا
أَبالصَّرْمِ من عـــــفراءَ تَنتحبانِ
فَإنْ كَانَ حقًا ما تقُولاَنِ فاذهبا
بلحمي إلى وكريكـــــما فكلاني
إذَنْ تَحْمِلاَ لَحْـــمًا قلِيلًا وَأَعْظُمًا
دِقَاقًا وقَلْبًا دائمَ الخفـــــــقَانِ
كُلاَني أَكْـــــلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
ولا تهـــــضما جنبيَّ وازدرداني
ولا يعلـمنَّ النّاسُ ما كانَ ميتتي
ولا يَطْعَـــــــمَنَّ الطَّيْرُ ما تَذَرَانِ

ويقول (الديوان، ص٥٠):

عجبتُ منَ القيسيِّ زيدٍ وتربهِ
عَشِيَّةِ جوِّ الماءِ يخـــــــتبِرانِي
هما ســــــــألاني ما بعيرانِ قُيِّدا
وشـــــــخصانِ بالبرقاءِ مرتبعانِ

هما بكرتـــــانِ عائطانِ اشتراهما
منَ الســـــوّقِ عبدا نسوةٍ غزلانِ
هما طرفا الخوديـــــنِ تحتَ دجنّةٍ
منَ اللّيلِ والكلبـــــانِ منطويانِ
فَبَاتَا ضَجـــيعيْ نِعْمَةٍ وَسَلامَةٍ
وســـــادهما منْ معصمٍ ومتانِ
وأصبحتا تحتَ الحجالِ وأصبحا
بِدَوِيَّةٍ يَحْدوهما حَـــــــــدْيانِ

يتبين من خلال الأبيات السابقة أنّ عروة لم يقصد السرد لذاته، وإنما لجأ إليه كوسيلة من وسائل التعبير عن حالته والتصوير لواقعه. إن رغبة الشاعر في وصف حالته بعد فراق عفراء، وتوضيح المواقف التي مرت به، والتفصيل في عرضها تعبيرًا عن شدة معاناته وعظم مصيبته، مكنته من سرد الأحداث وتتابعها، وقد ساعده في سرد الأحداث اتجاهه إلى التفكير والبرهنة على شناعة فعل عمه، كما أن لغته الواضحة التي لم تكن موغلة في الإيحاء ساهمت في توالي السرد.

لقد أدّت المقاطع السردية السابقة إلى رصد الأحداث التي مرّ بها عروة، واستجلاء تفاصيل قصة حبه لعفراء، واتصاف شعره بصفة التسلسل المنطقي، والترابط في التعبير عن الأحداث المرتبطة بتجربته الشعورية، وقوة بناء القصيدة وتماسكها.

ونلحظ في بعض المواقف الشعرية أنَّ المكون السردي قد عزَّز في شعر عروة عنصر الحكاية المقترنة بالأداء الحركي، ففي المثال الثاني يطلب الشاعر من غرابيٍّ ديار المحبوبة اللذين زاد انتحابهما لفراق عفراء مستخدمًا حرف التنبه (ألا) للتنبه على التتابع الحكائي الحركي الذي سيأتي في الأبيات اللاحقة للتعبير عن ألم الشاعر بعد فراق عفراء وزوال عافيته وهلاك جسده أن يأخذا لحمه بعد أن هلك إلى وكريهما ويأكلانه، ويؤكد الشاعر أنهما سيحملان لحمًا خفيفًا وعظامًا دقيقة اقتات الفراق منها وسلب قوتها وغلظتها. ومع أن الشاعر أصبح جثة هزيلة إلا أن قلبه مازال دائم الخفقان، وفي ذلك إشارة على استمرار حبه وتعلقه بعفراء وأنه لم ينثني عنه حتى بعد موته. ويزداد انفعال الشاعر فيطلب من غرابيٍّ دار عفراء أن يأكلا جسده أكلًا قويًا وسريعًا لم ير الناس مثله، ولا يهضما جنبيه إنما يبتلعانه بلعًا سريعًا. ثم يوصي الشاعر غرابيه بإخفاء سر ميتته ومنع الطيور من أكل ما تبقى منهما.

إنَّ هذا السرد الحركي المتمثل في أفعال الحركة الحكائية (اذهبا بلحمي، فكلاني، تحملا لحمًا قليلًا، كلاني أكلًا، لا تهضما جنبي)، يعكس الاضطراب النفسي والتوتر الشديد اللذين يموران في نفس الشاعر ويدفعانها إلى الحركة خلال الحكاية، تعبيرًا عن الاستسلام الممزوج بمشاعر القهر المرير واليأس المستحكم من عودة عفراء إليه. إن سرد الأحداث المرتبطة بمعاناة الشاعر في الحب وما كابده من كروب وأوصاب وآلام فراق، منح شعر عروة سعةً وعمقًا في

التعبير عن تجربته الشعورية وما آلت إليه من حزن وكمد.

كما أسهم التكرار في تلاحم وانسجام السرد مع شعر عروة ومن ذلك قوله (الديوان، ص٤١):

فما تركا من رُقْيَـــــــة يَعْلمانِها
ولا شـــــــرْبَةٍ إلاَّ وقد سَقَيَانِي
فما شفـــــــيا الدّاءَ الّذي بي كلّهُ
وما ذَخَرَا نُصـــــــحًا ولا أَلَوانِي
فقالا: شـــــفاكَ اللهُ، والله ما لنا
بِما ضُمِّنَتْ منـــكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
فرُحْتُ مِنَ العَرّافِ تسقُطُ عِمَّتِي
عَنِ الرَّأْسِ ما أَلْتـــــــاثُها بِبَنانِ
معي صاحبا صِدْقٍ إذَا مِلْتُ مَيْلَة
وكانَ بِدفِّتي نضـــــوتي عدلاني
فيا عـــم يا ذا الغَدْرِ لا زِلْتَ مُبْتَلى
حليفـــًا لهمٍّ لازمٍ وهـــــــوانِ
غدرتَ وكانَ الغدرُ منكَ سـجيّةً
فَأَلْزَمْتَ قلبي دائمَ الخفـــــقانِ
وأورثتني غمّا وكربًا وحســـــرةً
وأورثتَ عيني دائمَ الهمـــــــلانِ

ملحوظ في الأبيات السابقة أنَّ الشاعر كرر ما النافية أربع مرات، وأن هذا التكرار دل على استحالة بُرء عروة مما به، ويأسه من سلامة قلبه وصحة بدنه، كما كرر لفظ الجلالة للدعاء في المرة الأولى والقسم في المرة الثانية، وكرر معنى الميل للإشارة إلى ضعف جسده وخور قوته، وتأكيد حالة الانحراف الجسدي المتأثرة بآلام الحب وأوجاعه.

كما نلحظ تكرار كلمة (الغدر) للتأكيد على خبث عمه وخداعه، وأنَّ الخديعة لازمة له لا تنفك عنه، وللتأكيد أيضًا على عاقبة هذه الخديعة التي حرمت الشاعر لذة الحياة، وهو أثر مؤكد بتكرار كلمة (أورثت) الدالة على لزوم وثبات ما خلّفه عمه له من غم وكربة وحسرة، والتعريض بعمه الذي لم يورثه مالًا أو مجدًا، وإنما أورثه القهر والغدر.

ونلحظ أن انتشار أسلوب التكرار أثناء سرد عروة لأحداث ذهابه للاستشفاء، أبعد سرد الأحداث عن الرتابة والمباشرة، وأضفى عليها كثافة في الشعور ونغمًا في الإيقاع، وجذب انتباه المتلقي نحوها.

ومع أنَّ عروة بن حزام اتجه إلى سرد بعض المواقف والأحداث، فإنه لم يصل إلى مستوى السرد القصصي المتكامل، بل اتسم السرد في شعره بالإيجاز الذي لم يسلب لغة الشعر الكثافة والتركيز، وكان على مستوى السرد الشخصي وحكاية الأحداث المرتبطة بتجربته الشخصية، وحاجته إلى القص، وهو مستوى الاضطرار إلى السرد، الذي ذكره ابن طباطبا في «عيار الشعر» وليس فن السرد أو أسلوبه، يقول ابن طباطبا: «وعلى الشاعر إذا اضطُرَّ إلى اقتصاص خبر في شعر دبّره تدبيرًا يسلس له معه القول، ويطرد فيه المعنى،

فبنى شعره على وزن يحتمل أن يُخشى بما يحتاج إلى اقتصاصه، بزيادة من الكلام يخلط به، أو نقص يحذف منه. وتكون الزيادة والنقصان يسيرين، غير مخدَّجين، لما يستعان فيه بهما، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتضيه، بل تكون مؤيدة له، وزائدة في رونقه وحسنه» (عيار الشعر، ١٩٧٧م، ص٨٤). وهكذا فإنّ ظهور السرد في شعر عروة يعدُّ نواة للشعر القصصي ولفن الأجناس الأدبية المتداخلة الذي ظهر في العصور الأدبية المتأخرة.

والحوار من المعطيات الأسلوبية التي أسهمت في التشكيل اللغوي لشعر عروة بن حزام، وقد نهض الأسلوب الحواري في شعر عروة على دلالتي الإثبات والنفي ومن ذلك قوله (الديوان، ص٣٧):

إذَا رَامَ قلبي هَجـْرَهَا حالَ دونَه
شَفِيعانِ من قَلـــْبِي لها جَدِلانِ
إذَا قلتُ لا قالا: بلى، ثمَّ أَصْبَحَا
جَمِيعًا على الرَّأْيِ الـــذي يَرَيانِ

وقوله (الديوان، ص٣٩):

جعــلتُ لعرّافِ اليمامة حكمهُ
وَعَرّافِ حَجـــْرٍ إنْ هما شَفياني
فَقالاَ: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ
وقاما مع العُوَّادِ يَبتـــــَدِرانِ
نعم، وبلى، قالا: متى كنت هكذا
لِيَسْتـــــَخْبِرانِي قُلْتُ: منذ زمانِ

وقوله (الديوان، ص٤١):

تحدّثَ أصحابي حديثًا سمعتهُ
ضُحَيّا وَأَعْنَاقُ المَطِـــــيِّ ثَوانِ
فقلتُ لهم: كلاّ. وقالوا. جماعةً
بلى، والذي يُـــدْعى بِكلِّ مكانِ

استند الحوار في المثال الأول على عدة وسائل إقناعية هدفها إذكاء الحوار بما يفيد دوام وصل المحبوبة ورفض الهجر، ومن هذه الوسائل لفظة (حال) الدالة على المنع الشديد واستحالة وقوع قلبه في الهجر، والحيلولة دون ذلك، ومنها المزاوجة بين جعل القلب راغبًا في الهجر والترك، ورافضًا للصد والبعد في آن واحد.

وكذلك تثنية لفظة (شفيع) للدلالة على قوة الجانب الرافض للهجر، فالشفيعان أقوى من الشفيع في الدفاع عن المحبوبة ورفض هجرها وطلب الشفاعة لها. كما تُوحي لفظة (الشفاعة) بالمحاولة اللينة والطلب برفق مرة بعد مرة حتى يحصل المراد.

وتقديم الضمير العائد على المحبوبة (لها) على قوله (جدلان) من الوسائل الإقناعية التي توحي بتعلق الشاعر بمحبوبته وتأكيد كونها المقدمة في الذكر على ما سواها. وتكشف لفظة (جدلان) إحساس الشاعر تجاه محبوبته التي يحاول الدفاع عنها ويشتد في الخصام والمجادلة من أجل وصلها ونفي الهجر.

وهناك وسيلة إقناعية أخرى تساند ما سبقها للتعبير عن تعلق قلب الشاعر بمحبوبته، وحضور

أسلوب الحوار المعبر عن تجربة الشاعر الشعورية، وهي أسلوب الإثبات والنفي (إذا قلت: لا، قالا: بلى). إن لفظة (القول) تفيد تأكيد المقولة وإثباتها، كما أنّ المجانسة بين (قلت) و(قالا) أي بين ما يقوله قلب الشاعر وما يقوله الشفيعان، تفيد قوة الحوار وسرعته، حيث جاء الفعل (قالا) مباشرة بعد الفعل (قلت) وفي هذا ما يشير إلى سرعة رد الطرف الثاني الرافض للهجر وقوته وثباته على إرادته، فكلما قال الطرف الأول قولًا، رد عليه الطرف الثاني بقوة وسرعة تؤكد ثبات حب الشاعر، وأنه مهما حاول الخلاص من أسر حب عفراء وألم هجرها رده إلى الوصل سلطان الحب وشدته.

ويستمد البناء الحواري قوته من الإجابة بحرف الجواب (بلى)، فهذا الحرف يشعرنا بإصرار عروة على وصل المحبوبة وتمسكه الشديد بها، وفيه تصديق وتأكيد لرفض الهجر، فهو حرف ينفي ما قبله ويبطل إرادة هجر المحبوبة.

ويدل حرف العطف (ثم) على أنّ الطرف الثاني (الشفيعان) أقوى من الطرف الأول (القلب) ذلك لأنه بما يحمله من معنى الترتيب والتراخي يوحي للمتلقي بأنّ الطرف الثاني انتهى من مرحلة المجادلة ثم انتقل إلى مرحلة أخرى جديدة هي مرحلة الاتفاق على الرأي الواحد. وقد أكَّد الفعل (أصبحا) الدال على التحول معنى الانتقال المتصف بالترتيب والممتزج بالقوة والثبات والمؤكد بلفظة (جميعا) الدالة على اتحاد الشفيعين واتفاقهما على الرأي القائل بعدم هجر عفراء.

وهكذا فإنّ البناء الحواري السابق والممتزج بعناصر تشكيلية لغوية منسجمة مع رؤية الشاعر، أسهم في الكشف عن تجربة عروة الشعورية، ودفع الأحداث نحو ذروتها، وأدّى إلى تكثيف المشاعر والدلالات.

وأمّا الحوار الصادر من جهة واحدة، ومنه قوله (الديوان، ص٣٤):

أَلم تَحْلِـــــــــفا بِالله أَنِّي أَخُوكُمَا
فلمْ تفعـــــــلا ما يفعلُ الأخوانِ
ولم تَحْـــــــــلِفا بِالله أن قدْ عَرَفْتُمَا
بذي الشِّيحِ رَبْعًا ثُمَّ لا تَقِفـــــانِ
ولا تَزْهدا في الذُّخْرِ عندي وَأَجْمِلاَ
فَإِنَّكـــــُمَا بِيْ اليـــــومَ مبتَـــــلِيَانِ

فإنه أكثر بطأً في تحريك الأحداث، وأقل كثافة شعورية، لاتجاهه نحو السرد القائم على الجمل الإنشائية، وإظهار الضعف والحاجة إلى المساعدة.

ومن عناصر التشكيل اللغوي التي أسهمت في بناء تجربة الشاعر الشعرية، عنصر الصورة. وهي من أبرز المعطيات الفنية والشعورية في التشكيل الشعري، وعندما نبحث عن دورها في التعبير عن حب عروة العاثر، وآلام نفسه التي تكالبت عليه إثر خيانة عمه، نجده دورًا موزعًا بين فنون الاستعارة، الكناية، التشبيه، والتصوير.

أمّا الاستعارة فكانت أكثر فنون الصورة حضورًا في شعره، وسبب ذلك؛ أنّ الشاعر شُغل بالتعبير عن آلام حبه، عن تشبيه شيء بشيء هيئة ومعنى، وانخرط في التعبير عن شعوره، لا يرى إلا طرفًا واحدًا، هو فراق محبوبته المؤكد بتزويجها من غيره، فعندما أراد عروة إيضاح ما حصل معه، لجأ إلى تشكيل صورة ذات طرف واحد ظاهر، قادرة على الامتزاج مع شعوره دون أن تكون مقيدة بأطراف أو أدوات تعيق هذا الامتزاج.

تشكّلت أغلب صور الشاعر من فن الصورة الاستعارية، لأنَّ الصورة الاستعارية تتسم بالتوسع والتصرف، وينسجم مع هاتين السمتين ميل الشاعر إلى التوسع في التعبير عن شعوره وعمق أحاسيسه. كما تتسم الصورة الاستعارية بالإيجاز، وتتلاءم هذه السمة مع رغبة الشاعر في الإيجاز والتكثيف، لأنه محزون مكروب، لا قدرة له على الحديث، يميل في تعبيره عن آلامه إلى التركيز والتكثيف.

وتكشف كثافة حضور الاستعارة في تجربة عروة الشعرية عن العلاقة بين سمات الاستعارة التي فقدت أركانها الثلاثة، واستخدمت اللفظ في غير ما وضع له، وقربت بين المتباعدين، وسمات تجربة الشاعر التي فقدت الحبّ والمحبوبة وكل ماله علاقة بها، والتي كانت سببًا في إحلال مشاعر السعادة في غير محلها، فمحلها قلب الشاعر، ولكنها حلت في قلب من تزوج عفراء وتنعَّم بقربها، وحلَّ محلها الحزن والألم في قلبه. كما اتسمت تجربته الشعورية بالرغبة في الجمع بين المتباعدين؛ عروة وعفراء، والتقريب بينهما؛ لذا لجأ إلى الاستعارة التي تتسم بسمة الجمع بين المتباعدين في الصورة الاستعارية والتقريب بينهما.

وملحوظ ميل الشاعر في صوره الاستعارية إلى الصورة الاستعارية الحركية، كقوله (الديوان، ص٢٢):

وإنّي لتعروني لذكـــــراكِ رعدةٌ
لها بين جســـمي والعظامِ دبيبُ

وقوله (الديوان، ص٢٥):

فَوَا كَبِدًا أَمْسَـــتْ رُفَاتًا كَأَنَّمَا
يُلَذِّعُهَا بِالمَوْقِـــدَاتِ طَبِيبُ

وقوله (الديوان، ص٥٣):

بِيَ اليأْسُ أَوْ داءُ الهُيَامِ شَرِبْتُهُ
فَإِيَّاكَ عَنِّي لا يَكُنْ بِكَ ما بِيا

أحدثت الصور الاستعارية الحركية في شعر عروة تفاعلًا متسقًا مع تجربته الشعورية، حيث عبرت عن تزايد الألم في نفسه بعد أن تخللت أوجاع الحب جسده وأصابته بالهزال، وعبرت أيضًا عن الاضطراب الداخلي وثورة مشاعره، وسعيه الحثيث لتدارك ما حصل وإعادة عفراء إلى كنف حبه الصادق والاقتراب منها، ويدل أيضًا ميله إلى الاستعارة الحركية على استمرار نبض وحركة الحب في قلبه.

إنّ استخدام الفعل الحركي في تشكيل الصورة الاستعارية أكسب شعر عروة سمة حركية زادت من إحساس المتلقي بعمق تجربته، وقوة عاطفته وتأجج مشاعره، فهو عاشق لم يستسلم لفراق المحبوبة أو يركن للهدوء العاطفي، ويكف عن إذكاء مشاعر الشوق والوجد، إنما استمر في التعبير عن جيشان عواطفه بكثرة إيراد الأفعال وسمات الحركة في صوره الشعرية.

وملحوظ في شعر عروة بن حزام مجموعة من الصور الشعرية التي تجاوزت بنيتها اللغوية البيت الواحد أو البيتين، وذلك كقوله (الديوان، ص٣٦-٣٧):

إذَا رَامَ قـلبي هَجْرَهَا حالَ دونَه
شَفِيعانِ من قَلْبِي لها جَـــدِلانِ
إذَا قلتُ لا قالا: بلي، ثمَّ أَصْبَحَا
جَمِعيًا على الرَّأْيِ الـــذي يَرَيانِ

وقوله (الديوان، ص٤٥):

ويا ليت أَنَّا الدَّهْرَ في غيرِ رِيبة
بعيرانِ نرعى القفرَ مؤتلـــفانِ
يُطَرِّدُنا الرُّعْيَـانُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
يقولـــــونَ بَكْرا عُرَّةٍ جَربَانِ
إذا نحن خِفْنا أن يفـــرق بيننا
ردى الدهـــر دانى بيننا قرنان

وقوله (الديوان، ص٤٦):

فواللهِ لولا حبُّ عفراءَ ما التقى
عليَّ رواقا بيتكِ الخلـــــــقانِ
خُلَيْقانِ هَلْهالانِ لا خَـيْرَ فيهما
إذَا هَبَّتِ الأَرْواحُ يَصْطَـــقَانِ
رواقانِ تهوي الرّيحُ فوقَ ذراهما
وبِاللّيْلِ يسرِي فيـــهما اليَرقانِ

إنَّ البناء اللغوي الممتد في الصور الشعرية السابقة وفي غيرها من الصور الشعرية سهَّل اندماج المكون الذهني واللغوي للصورة المقصودة في التشكيل اللغوي للنص الشعري، فالإتيان بشفيع من قلب الشاعر للدفاع عن المحبوبة ودمجه في التجربة الشعرية، يتطلب فيضًا تعبيريًا يساعد المتلقي في استيضاح صورة المشبه به ودوره في الصورة. فالشفيع الذي انبرى من قلب الشاعر للدفاع عن المحبوبة، دلّ على تعلق عروة الشديد بعفراء وعدم قدرته على الاستغناء عنها، فقلبه الذي مال إلى الهجر هو ذاته الذي يحول دون وقوعه.

وكذلك فإنّ تشبيه الشاعر نفسه ومحبوبته بالبعيرين، يستدعي إيضاح طرف المشبه به لإقناع المتلقي بأهمية التشبيه والتأثير فيه. وقد أثارت صورة البعيرين الممتدة عددًا من الدلالات والإيحاءات أهمها رغبة عروة في الاقتراب من المحبوبة، والخلاص من ملاحقة الوشاة وأحقاد البشر، وسلامتهما بتحولهما إلى بعيرين من مكر زوجة عمه وجشع عمه.

كما استدعى دمج صورة الرواقين في تجربة الشاعر

الاستمرار في تصوير رواقيٍّ بيت والد عفراء، وأثر ذلك في الكشف عن رداءة مظهر عمه وبخله وخلو بيته من الخير والبركة والجمال، وسوء عناية زوجة عمه ببيتها وإهمالها له.

إن تجربة عروة الشعورية استدعت امتداد الصورة الشعرية، بهدف إيضاح التجربة، والتعبير الواسع عن الدلالات والمشاعر، مما أدّى إلى زيادة المكون الذهني واللغوي، وأسهم في استكمال بناء القصيدة، من خلال أسلوب السرد لمواقف ومعطيات المشبه به، الذي ساعد أيضًا في إيضاح الصورة ودمجها في بناء التشكيل اللغوي للنص الشعري.

ولا شك أنّ هذا الامتداد الذي استوجب زيادة المكونات الذهنية واللغوية منح شعر عروة خصوصية تليق بتجربته في الحب، وتفردا في معاناته جراء غدر عمه، وجشعه، ومكر زوجة عمه، وفراق عفراء الذي أعقب في نفسه الشوق والوله.

وأما فن التشبيه فإنّ عروة بن حزام يتجه إليه في بناء تشكيل الصورة الشعرية وفق تجربته شعورية خاصة، ومن ذلك قوله (الديوان، ص٢٥):

فَوَا كَبِدًا أَمْسَـــتْ رُفَاتًا كَأَنَّمَا

يُلَذِّعُهَا بِالمَوْقِـــدَاتِ طَبِيبُ

وقوله (الديوان، ص٣٩):

كَأَنَّ قَطاةٌ عُلِّقَتْ بِجَناحَـــهَا

على كبدي منْ شـــدّةِ الخفقانِ

وقوله (الديوان، ص٤٨):

فويلي على عفراءَ ويـــــلٌ كأنّهُ

على النَّحْرِ والأَحشاءِ حَدُّ سِنَانِ

وقوله (الديوان، ص٤٩):

وقد تَرَكَتْ عـــفراءُ قلبي كَأَنَّهُ

جَنَـــــاحُ غُرابٍ دائمُ الخَفَقَانِ

نلحظ في الأبيات السابقة، وفي غيرها مما ورد في شعر عروة بن حزام، أن الشاعر عندما أراد التعبير عن ألمه الشديد وأثر معاناته على قلبه وجسده لجأ إلى التشبيه ولم يلجأ إلى الاستعارة، طلبًا في سهولة التعبير عن الألم الشديد الذي لا يصلح معه إلا الوضوح، وسهولة إخراج الصورة من النفس المكلومة وسلاسة نقلها إلى المتلقي.

فكبده من حرقة الشوق ووجد الفراق كأنها تعرضت لحرق موقد، وكأن جناحي طائر القطاة قد اشتبكا فيها، وكأن شوقه لعفراء حدُّ سنان يجز نحره وأحشاءه، وكأن قلبه جناح غراب من شدة الخفقان.

إن تجربة عروة الحزينة شكلت جزءًا من تصويره وفق نمط التشبيه ولم تشكله وفق نمط الاستعارة، وذلك لاختلاف المواقف الشعورية، فالشاعر في الأبيات السابقة يعاني آلامًا نفسية وجسدية شديدة، استطاع أن يبرزها ضمن بنية لغوية سهلة واضحة، فهو في موقف المتألم، لا يمكنه التوسع أو التصرف في اللغة، وإنما أبرز آلامه القاسية بأسلوب سهل واضح،

من خلال إبراز طرفي التشبيه الذين يعمل كلٌّ منهما في تسهيل نقل معاناة الشاعر إلى المتلقي وسرعة إيضاح ما يريد التعبير عنه والتفاعل معه.

وعنصر الكناية من عناصر بناء التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام، وقد مال الشاعر إلى وضع الدال في غير معناه، مع إمكانية إرادة المعنى الحقيقي لأسباب مرتبطة بتجربته الشعرية، ويتضح ذلك في قوله (الديوان، ص٤٢):

ألا لعنَ اللهُ الوشـــــاةَ وقولهمْ
فُلانَةُ أَمْسَـــتْ خُلَّةٌ لِفــُلاَنِ

وقوله (الديوان، ص٣٧):

أَمامي هوىً لا نومَ دونَ لِقَائِـــهِ
وَخَلْفِي هوىً قد شــفَّني وبَرَاني

وقوله (الديوان، ص٤٦):

فيا عَمِّ لا أُسْقِيتَ من ذي قَرابَةٍ
بلالًا فقدْ زلـــّتْ بكَ القدمانِ

وقوله (الديوان، ص٥٢):

وإنّ غدًا باليـــــومِ رهنٌ وإنّما
مَســـــيرُ غدٍ كاليومِ أَوْ تَريَانِ

ملحوظ في المثال الأول حدة انفعال الشاعر وزيادة توتره، وذلك في قوله (ألا لعن الله الوشاة وقولهم)، فقد أثار غضبه حديثُ الوشاة الذي لازم قصته، وسعيهم لإشاعة سر حبه، وإفساد ما يرمي إلى إصلاحه مع عمه. إلا أن الوشاة أتوه بما لا يطيق سماعه، وكان عليه توجيه اللعن إلى الوشاة دون القول، وذلك لأنَّ القول قولهم وليس قول غيرهم، ولكنه قصد باللعن الوشاة وقولهم معًا تعبيرًا عن شدة غضبه وألمه النفسي الشديد مما فعله هؤلاء في السابق، ومما يفعلونه الآن، وهو إشاعة خبرٍ زاد ألمه وغضبه.

إنّ مقولة القول: «فلانة أمست خلة لفلان» هي الدافع الرئيس وراء حدة انفعال الشاعر وغضبه في الشطر الأول من البيت. ففي هذه المقولة لمحة دالة على معنى خفي رفض الشاعر إظهاره غضبًا على الوشاة، وحزنًا على حدوث الواقعة المفجعة التي أقضّت مضجعه والمستترة خلف مقولة القول؛ هذه الواقعة هي زواج عفراء بغيره، ولا يمكن أن يصرح الشاعر بخبرها، فقلبه لا يتحمل هذا النبأ على لسانه لذا لجأ إلى الكناية، لأنها أخف وطأً على مشاعره من التصريح باسمها مقرونًا باسم رجل آخر غيره.

وتنسجم الكناية في المثال الثاني مع تجربة عروة الشعورية، حيث تستر في جزئها الأول «أمامي هوى» وجود قصة حب في حياته، تمكنت ولا يقدر على الخلاص منها. أما جزؤها الثاني «وخلفي هوى» فيوحي بقصة حب معطلة، يشوبها الحزن والألم وتنقصها السعادة والاستقرار.

ويستمر التشكيل اللغوي لعنصر الكناية في شعر عروة على هذا النحو المرتبط بالتجربة الشعورية التي تسعى في أجزاء منها إلى الخفاء وترك المعروف لمنح المتلقي فرصة

الكشف عنها، وتكثيف المعنى وكسبه مزيدًا من القوة والتأييد. فالكناية في المثال الثالث «زلت بك القدمان» تكشف عن معاناة الشاعر مع عمه، وأن عمه فاقد للحكمة مخالف للصواب، كما تشير إلى فساد رأيه في تزويج عفراء برجل آخر غير ابن عمها الذي رغب بها ورغبت به، وفي تكليفه مالًا يطاق مهر لها، وأن موقفه تجاه ابن أخيه موصوف بالخذلان والغدر.

وهناك جانب آخر من عناصر تشكيل الصورة في شعر عروة بن حزام، لا يقف عند حدود الصورة بالمفهوم الفني، وإنما يتعداها لتصوير المواقف المرتبطة بالانفعالات والممتزجة بالتجربة الشعورية ووصفها وصفًا ليس غايته التشبيه، بل تكوين مشهد يزيد من صدق التجربة وعمقها، دون أن يكون مرتبطًا بالخيال.

يقول عروة (الديوان، ص٢٣):

لئنْ كانَ بردُ الماءِ عطشانَ صاديًا

إليَّ حبـــــيبًا، إنّها لحـــــبيبُ

ويقول (الديوان، ص٤٠):

فرُحْتُ مِنَ العَرّافِ تسقُطُ عِمَّتِي

عَنِ الرَّأْسِ ما أَلْتاثُهـــــا بِبَنانِ

معي صاحبا صِدْقٍ إذَا مِلْتُ مَيْلَةً

وكانَ بدفّتي نضـــوتي عــدلاني

ويقول (الديوان، ص٤٦):

خُلَيْقانِ هَلْهـــا لانِ لا خَيْرَ فيهما

إذَا هَبظَّتِ الأَرْواحُ يَصْطَفِـــقَانِ

رواقــانِ تهوي الرّيحُ فوقَ ذراهما

وبِاللّيْلِ يـــــسرِي فيهما اليَرَقــانِ

التصوير في الأبيات السابقة لم يجنح إلى الخيال، ولم يركن إلى الواقع، وإنما أضاف للواقع شيئًا من مسحة الخيال من خلال موقف يعبر عن انفعال ما. ففي المثال الأول يصور الشاعر حبه لعفراء كحبه للماء البارد في حال العطش الشديد. ومع أن هذا التصوير يخلو من التشبيه أو الاستعارة، إلا أنه ربط بين الطرفين على سبيل التقريب والمماثلة، الطرف الأول حبه لعفراء، والطرف الثاني حبه للماء البارد على عطش شديد.

ومثله ما جاء في المثال الثاني، حيث منح التصوير مشهد سقوط عمَّة الشاعر وعدم قدرته على ربطها، ومشهد ميلانه عن ناقته وحرص صاحبيه على تعديله وصفًا أجمل من الواقع وأكثر صدقًا، منه عبر عن ضعف الشاعر وهلاك جسده بعد هلاك نفسه، وعدم قدرته على الحركة، وشعوره بالحزن واليأس وحاجته إلى العون والشفقة.

والتصوير في المثال الأخير لا يصف مشهد رواقي بيت عمه الباليين رديئي النسج اللذين يصطفقان مع هبوب الريح ويملؤهما الدود ليلًا. إنما يصف شيئًا خفيًا مرتبطًا بالتجربة الشعورية. حيث لم يكن الغرض من التصوير نقل صورة واقعية فحسب، وإنما مزج التصوير الواقعي بالتصوير الأدبي المعبر عن مدلولات متعددة ساندت الشاعر في التعبير عن تجربته، أهمها

الإشارة إلى سوء حال عمه وبعده عن معاني الكرم والشهامة، وسوء تدبير زوجته وإهمالها لرواقي بيتها والعناية بهما وسعيها وراء المال. إن هذا التصوير يجمع بين قبح الظاهر وقبح الباطن، فقد أقدم عمه برأي من زوجته على تدبير مكيدة تبعد عروة عن عفراء وتجبره على السفر لأجل تزويجها بغيره.

ومع أن الصورة الفنية وتصوير المشاهد والانفعالات لم يصلا إلى حد الجنوح في الخيال لدى عروة بن حزام، فإنهما اعتمدا على المؤثرات الداخلية ووفرة الانفعالات. وسواء أكانت الصورة حسية أم معنوية، مشاهدَ أم مواقفَ، فإن المحرك الأول لها هو الشعور المرتبط بالتجربة، وهو الذي منحها سمة التكثيف، وذلك لأنه شعور صادق قوي، لم يكن متصنعًا أو ضعيفًا يُلزم المنشئ بالإطالة. كما أن الصورة المتجلية بدافع الشعور هي من أهم معطيات التشكيل اللغوي الدالة على الانفعالات لدى الشاعر.

وهكذا فإنّ الحكم على الصورة في الشعر العربي القديم بالصنعة الشكلية حكم عام لا يصدق على الشعراء جميعهم، فالتشكيل اللغوي للصورة الشعرية في شعر عروة بن حزام لم يلح على الصنعة الشكلية، ولم يكن ملتزمًا بالعناصر اللغوية المعجمية ذات الاتجاه التحقيقي البحت، إنما مارس شيئًا من عدم الملاءمة بين العناصر المختلفة، فالكبد رفات، والهيام شراب، والويل حد سنان، والهوى مكانه في الأمام. وعروة في مواضع عدة من بنائه الشعري لم يعبر مباشرة عما يريد قوله، وهذا ما أكسب شعره لغة شعرية معبرة وأبعده عن الإصرار على الحرفية «والإصرار على الحرفية يوقف دورة التوليد في مرحلتها الأولى وينزع في الوقت ذاته عن اللغة الشعرية معناها الحقيقي» (بناء لغة الشعر، ١٩٩٣م، ص١٥٥). لذا فإن شعره ومن سار على منواله من الشعراء القدماء يعد باكورة اللغة الشعرية ذات الإيحاءات المعبرة والدلالات العميقة.

وهكذا فقد تمخضت عن دراسة شعر عروة بن حزام على ضوء التشكيل اللغوي عدد من النتائج أهمها:

١- إن أهمية التشكيل اللغوي برزت في بناء النص وتأدية الوظائف الجمالية والتعبيرية وتكامل جميع الوظائف اللغوية ونقل تجربة الشاعر والكشف عن أبعادها الإبلاغية والإيحائية.

٢- إن تحليل النصوص من خلال دراسة التشكيل اللغوي من أهم عناصر التحليل التي تكشف عن جماليات النص، وأكثرها رحابة وعمقًا، وذلك بسبب نظرة هذا التحليل الشمولية إلى النص وامتداده على رقعة واسعة من المعطيات البنائية كالمعطى المعجمي، الصوتي، الأسلوبي، التركيبي والتصويري. والنظر إلى النصوص بمنظار التشكيل اللغوي يتنوع بتنوع فكر المحلل وثقافته ويتجدد بتجدد القراءات، وهذا التنوع يمنح النص ثراءً وعمقًا، لذا فإنّ دراسة

الشعر العربي القديم على ضوء التشكيل اللغوي سيمنحه كثافة في العلاقة بين الدال والمدلول من خلال البحث عنها، ومدى ارتباطها بتجربة الشاعر وانفعالاته القادرة على إعادة صياغة النص من جديد.

٣- إن قصة حب عروة لابنة عمه عفراء، وغدر عمه، وتزويجها من غيره تحولت في شعر عروة بن حزام من كونها قصة مؤثرة، إلى بنية دلالية مركزية قام على أساسها شعر عروة كله، فلم تخلُ قصيدة في ديوانه من موضوع هذه القصة الذي كان المحرك الأول للألفاظ والأصوات والتراكيب والصور، لذا فإن التشكيل اللغوي في شعر عروة بن حزام معادل فني لقصة الشاعر وعلاقته بعفراء وتجربته الشعورية.

٤- إنّ جزءًا من السياقات اللغوية في شعر عروة بن حزم خاضعة لسمتي التماثل والتنوع كالالتفات والتكرار وغيرهما، واندماج هاتين السمتين المختلفتين لا يعني الاضطراب أو التناقض، إنما هو استجابة لمشاعر الشاعر المتعددة وانفعالاته المتباينة، فالشعر صورة الشعور، التي تنعكس عليها امتزاج المتباين واتحاد المختلف، امتزاجًا واتحادًا يمتدان على جميع عناصر البناء اللغوي لشعر الشاعر ويشكلان سمة عضوية تتواءم مع تجربة الشاعر.

٥- إنّ شعر عروة بن حزام اتسم في مجمله بما يمكن أن نسميه الزائد الدلالي ونقصد به تكرار الحديث عن قصة حبه في مواضع متعددة من شعره، وأنّ هذا الزائد الدلالي هو جزء مهم من أجزاء التشكيل اللغوي، ذلك لأن غاية الشعر التأثير وليست الإفادة والإخبار، وتكرار الشاعر قصة حبه مع تنوع في المشاعر، وتباين في الانفعالات واختلاف في الدوال أقوى في الكشف عن أحاسيس الشاعر وفيض مشاعره، وأدعى لاستثارة المتلقي، وأكثر تعزيزًا لتجربة الشاعر.

قائمة المراجع

ابن حزام، عروة. *ديوان عروة بن حزام*. جمع وتحقيق وشرح: أنطوان محسن القوال. بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

ابن طباطبا، محمد بن أحمد. *عيار الشعر*. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٧م.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن. *أسرار البلاغة*. القاهرة: مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن. *دلائل الإعجاز*. القاهرة: مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

الرباعي، عبدالقادر. *الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق*. الأردن: دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

عبدالعظيم، محمد. *في ماهية النص الشعري إطلالة إسلوبية من نافذة التراث النقدي*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

عبدالنور، جبور. *المعجم الأدبي*. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

عبيد، محمد صابر. *عضوية الأداة الشعرية*. الأردن: عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

العذاري، ثائر. *في تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية*. دمشق: رند للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

العشماوي، محمد زكي. *قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١م.

العطوي، مسعد بن عيد. *العاشق العفيف عروة بن حزام*. الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

فلفل، محمد عبده. *في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق*. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م.

كوين، جون. بناء *لغة الشعر*. ترجمة: د. أحمد درويش. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

لوتمان، يوري. *تحليل النص الشعري بنية القصيدة*. ترجمة: د. محمد فتوح أحمد. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٥م.

مصلوح، سعد عبدالعزيز. *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠١٠م.

مصلوح، سعد عبدالعزيز. *في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية*. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

منصور، عزالدين. *دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر*. بيروت: دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

هدارة، محمد مصطفى. *دراسات في الشعر العربي*. الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٠م.

هلال، محمد غنيمي. *النقد الأدبي الحديث*. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.

يعقوب، إيميل. شيخاني، مي. بركة، بسام. *قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية*. بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

الدوريات:

القرالة، زيد خليل. "*التشكيل اللغوي وأثره في بناء النص*" . مجلة الجامعة الإسلامية (سلسة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد (١)، (٢٠٠٩م)، ص٢٣٩.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ١٤١-١٦٠، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

جهود "يوسف الخال" في حركة الحداثة النقدية

عدنان علي محمد الشريم

أستاذ مساعد بقسم مهارات تطوير الذات، عمادة السنة التحضيرية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٥/ ١١/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١٢/ ٣/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : الحداثة، النقد، مجلة شعر، الشعراء العرب الحداثيون، التراث.

ملخص البحث: يسعى هذا البحث الذي جاء تحت عنوان: "دور "يوسف الخال" في حركة الحداثة النقدية"، إلى الوقوف على دور الشاعر والناقد العربي اللبناني يوسف الخال في مسيرة حركة الحداثة الشعرية والنقدية العربية في القرن العشرين. إذ شكّل الخال علامة بارزة على صعيد الحركة الأدبية بشقّيها: الإبداعي، والنقدي على حد سواء، فهو من الناحية الإبداعية: يمثّل أحد أبرز الشعراء الحداثيين العرب في حقبة خمسينيات القرن العشرين، وهو من الناحية النقدية يمثل أحد أبرز المنظرين لحركة الحداثة الشعرية العربية التي رافقتها آنذاك. ويحاول البحث في بعض جوانبه الوقوف على أبرز الجهود النقدية التي سعى الخال إلى نقلها إلى الأوساط الأدبية والنقدية العربية، ولا سيَّما بعد اتصاله بأبرز أعلام الحركة الأدبية والنقدية الغربية أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك) ضمن البعثة اللبنانية إلى الأمم المتحدة، وذلك في الحقبة الممتدة بين عامي (١٩٤٨- ١٩٥٥م). وقد استطاع الخال أن ينقل جهوده هذه إلى الأوساط العربية عبر مجلته "شعر" التي أسسها مع عدد من أعلام الشعر العربي الحداثي سنة ١٩٥٧م.

وقد تضمن البحث جملة من المحاور وهي: سيرة الخال الثقافية، وكذلك الخال شاعرًا وناقدًا، وتناول البحث مجلة الخال "شعر"، ثم تناول دور الخال والحداثة الشعرية، وموقفه كذلك من التراث واللغة.

وقد سعى الباحث إلى الإفادة من المنهج الوصفي الاستقرائي، علاوة على الانفتاح على بعض المناهج النقدية الحديثة كالمنهج التحليلي، الأمر الذي ساعدنا على تناول حيثيات البحث بأسلوب علمي نقدي. وأما ما يخص مصادر الدراسة ومراجعها فقد أفاد الباحث من مجمل الدراسات الحديثة التي اهتمت بتطور حركة الحداثة في الأدب العربي والغربي على حدٍّ سواء.

"Yousuf Alkhal's role in the Critical Modernity Movement"

DR. Adnan Ali Mohammad Al Shriem
Department of Self, development Skills ,Preparatory Year Deanship,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 5/11/1437H; Accepted for publication 12/3/1438H)

Keywords: modernist, critic, magazine poetry, modernists Arab poets, heritage.

Abstract: This research seeks to identify the role of the Lebanese poet and critic Yousuf Al-Khal in the march of the Arabic critic movement in the twentieth century. Al-Khal shaped a milestone in terms of the literary movement, in its both aspects; creativity and critic. From the creative side he is one of the most outstanding modernists Arab poets in the fifties of the twentieth century, and from the critic side he is one of the leading preachers for the modern poetry movement that came along at that time.

The research tries also to highlight the main critics' efforts which Al-khal tried to transfer to Arabian literary and critics, particularly after his contact with a group of well-known Western critics in the literary and critical movement during his stay in the United States of America (New York), while working with the Lebanese mission to the United Nations in the years between 1948 to 1955. Al-Khal was able to convey efforts to the Arabian communities through his magazine called " Shiār " (Poetry), which he established in 1957 with a number of well-known Arab modern poets.

The research has addressed a group of topics, that include the cultural biography of Yousuf Al-Khal, and his role as a poet and critic, likewise pointed out to Yousuf Al-Khal's magazine "Shiār". The research also indicated the part he played in the modernist poetry, then the attitude of Yousuf Al-Khal from the heritage, and finally his attitude from the language.

The research sought to take advantage of the inductive descriptive approach as well as keeping in the mind some of the new critical methods, such as the analytical method, the thing that helped us to address the aspects of this research in a scientific and critical approach. Regarding this research sources and references, the researcher benefited from overall recent studies, which focused on the evolution of the movement of modernity in the Arab and Western literature.

التمهيد

سيرة يوسف الخال الثقافية:

تظل سيرة الشاعر العربي اللبناني يوسف الخال (١٩١٧-١٩٨٧م) الثقافية، عصيّةً على هذه الفقرة التي نحن بصددها، إذ تحتاج سيرة الخال، إذا ما أردنا استعراض منابعها وجوانب تشكلها ومنعطفاتها إلى مساحة واسعة قد لا تتناسب وطبيعة هذه الدراسة المقتضبة. ولا بدّ من الإشارة إلى أن ثمة دراسة جادة استطاعت إلى حدٍّ بعيد، وبشكل لا يخلو من الإحاطة والشمولية، أن تغطي هذا الجانب من حياة الخال[١]. ومن المفيد-هنا-أن نعرّج بشيء من الاقتضاب على سيرة الخال الثقافية والأدبية.

ولد الشاعر يوسف الخال في ٢٥ كانون الأول عام ١٩١٧، في قرية "عَمَار الحُصُن" إحدى قرى وادي النصارى في شمال سورية. ثم نزحت عائلته إلى طرابلس (لبنان)، حيث تعلّم في المدرسة الأمريكية للصبيان، وأنهى المراحل الابتدائية والثانوية، ومن الكلية الأمريكية في حلب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، حيث درس الفلسفة على المفكر شارل ملك، ثم تسلّم رئاسة تحرير مجلة "صوت المرأة" سنة ١٩٤٧م من الصحافي الأديب رشدي المعلوف وسلّمها بعد عام إلى الأديب الشاعر فؤاد سليمان صاحب "درب القمر". انتقل الخال سنة ١٩٤٧م إلى الولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك) ضمن البعثة اللبنانية إلى الأمم المتحدة برئاسة الدكتور شارل مالك. وفي أمريكا كانت له علاقات متينة مع أدباء وكتّاب وشعراء أمريكيين، حيث اطّلع بعمق على التجربة الأدبية من خلال مجلة (Poetry) وكل من الشعراء إزرا باوند (Ezra Pound) وولت ويتمان (Walt Whitman) وروبرت فروست (Robert Frost). أعجب الخال "بعزرا باوند" أيما إعجاب حتى إنه اتخذه قدوة ومثالًا على الصعيد الفني والأدبي مشبهًا إياه بالمسيح المخلص كما يستدل من قصيدته" إلى عزرا باوند" التي تتصدر "البئر المهجورة". وقد سبق للخال أن تسلم رئاسة تحرير "جريدة الهدى" الصادرة في نيويورك ١٩٥٢، وعمل لمدة وجيزة في مجلة" الصياد" ١٩٥٥، ليستقر به الحال مدرِّسًا للأدب العربي في الجامعة الأمريكية في لبنان. (أبو سيف، ٢٠٠٥م، ص١٥).

لقد اطّلع الخال أثناء إقامته في أمريكا، وهي الأعوام الواقعة بين (١٩٤٨-١٩٥٥م)، على مختلف

(١) تعد دراسة جاك أماتايسس السالسي: يوسف الخال ومجلته شعر، والصادرة عن بيروت، دار النهار بالتعاون مع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ٢٠٠٤ إحدى أبرز الدراسات المطولة في حياة يوسف الخال الأدبية والثقافية. وقد سبق لجاك أماتايسس أن تقدم ببحثه هذا لنيل درجة الماجستير تحت إشراف البروفيسور صموئيل موريه في الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٩٥، ويعد هذا البحث الأوسع والأشمل في التعامل مع نشاط الخال، شاعراً ومنظّراً، وإنساناً.

أوجه النشاط الشعري الذي كان يشهد مع نهايات النصف الأول من القرن العشرين، حركات تجديديّة تؤسس للحداثة الشعرية. (انظر: بواردي، ٢٠٠٣م، ص٤٩)، ومن هنا فإنَّ من أهم المؤثرات الثقافية التي طبعت شخصية الخال الأدبية والفنية، تلك التحولات شبه الانقلابية التي عرّفها الشعر الإنجليزي على يد طائفة من شعراء الحداثة آنذاك.

لقد أصبحت السنوات الثمانية التي قضاها الخال في أمريكا، والتي تعرّف من خلالها إلى تطور الحركة الشعرية في أمريكا، نواة تجربة الشاعر الأدبية التي أثّرت فيما بعد على توجّهاته الأدبية، فيما يتعلق بالتعامل مع الموروث واللغة والتخطي. ويمكن القول في هذا الجانب، إنّ الخال كان قد وجد في الحضارة الغربية، بفلسفتها وتفكيرها المنطقي، الحل الأنسب للحاق الحركة الأدبية العربية بركب الحضارة العالمية. (انظر: بواردي، ٢٠٠٣م، ص٤٩-٥٠).

ولهذا، فإنّ الحركة الصورية التي أسسها الشاعر عزرا باوند (Ezra Pound) يمكن أن تعد من أهم هذه المؤثرات، التي طبعت شخصية الخال الأدبية والفنية "ومن مبادئها الرئيسة تحطيم التقاليد الشعرية في سبيل خلق شعر يلائم العصر، ومن ذلك تحرير الشعر من قيود العروض المألوفة معلنة أن النظْم يجب أن يكون وفق الإيقاع الموسيقي، لا وفق مقياس عروضي ما. كما دعت إلى استعمال اللغة التي يتخاطب بها صفوة الناس. وفي هذه الفترة انصرف يوسف الخال أيضاً إلى مطالعة الشعر الإنجليزي والأمريكي، ومن المحتمل أن يكون (ديوان الشعر الأمريكي) (١) الذي نشره عام ١٩٥٨، حصيلة تلك المطالعات، وقد أكّد الخال أنه كان يقوم بتجارب

(١) ديوان الشعر الأميركي: الذي جمعه يوسف الخال ونقله إلى العربية دون مساهمة مترجمين آخرين والصادر عن دار مجلة شعر في تشرين الثاني ١٩٥٨، في هذا الديوان نجد عرضاً لتطور الشعر الأميركي "من الكلاسيكية التقليدية إلى التعبير الذاتي الحر عن تجربة الحياة، من خلال أبرز أعلامه منذ القرن السابع عشر حتى القرن العشرين. وفضلاً عن تعريف القارئ العربي بالشعر الأميركي التي هي الغاية المعلنة الأولى، نجد أهدافاً أخرى يجلوها يوسف الخال في المقدمة، حيث يتبسط في الكلام على وولت ويتمان (W. Whitman)، (١٨١٩-١٨٩٢)، والإشادة بدوره الحاسم في إخراج الشعر من مرحلة التقليد ومعالجة الموضوعات المبتذلة، إلى مرحلة استلهام الحياة ومعاناة تجاربها. وذلك أنه أطلق الخيال من كل قيد قديم وأسلوب مألوف. يقول يوسف الخال:" بفضله [أي وولت ويتمان (W. Whitman)] انطلقت حركة "الشعر الحر" التي دعت إلى التخلص من الأوزان المألوفة واعتمادهم نغم خاص بالشاعر، يمنحه قدراً كبيراً من حرية التعبير عن تجربته الشعرية، كما يضفي عليها نعمة البساطة.[...] وبفضل ويتمان أيضاً عرف الأدب العربي هذا الأسلوب الشعري عن طريق أمين خولي الريحاني، وجبران. وهو الأسلوب الذي دعي منذ ذلك الحين بـ الشعر المنثور". (السالمي: ٢٠٠٤، ص ٢٠٨).

شعرية مستقلة بمعزل عن المحاولات التجديدية التي ظهرت في العالم العربي. وكان "ت. س. إليوت" T. S. Eliot(١٨٨٨-١٩٥٨) في طليعة الشعراء الذين ترجم أشعارهم متأثراً بأساليبه الفنية، خصوصاً في استعمال الأساطير والتلميحات والتاريخية". (السالسي،٢٠٠٤، ص٥٩).

يوسف الخال شاعراً وناقداً:

تبقى مسألة التعرض لقضية اشتراك المبدع الأدبي في العملية النقدية أمراً ذا أهمية، خصوصاً في هذا الجانب من الدراسة، وذلك لأنَّ الخال حاله كحال غيره من الشعراء، كان يمارس النشاطين الإبداعي والنقدي على السواء في مجلة "شعر".

وفي هذا الصدد يذهب "عبدالمجيد زراقط" إلى القول:" إنّ صلة النقد بممارسة الإبداع ينبغي أن تظل باستمرار حاضرة في الذهن، كما أنها تخولنا القول: إن الناقد- الشاعر كان النموذج الجيد الذي تنسب إليه الإجادة في النقد. وإن يكن هذا القول-الحُكم يصدق، بشكل دقيق وواضح على الشاعر-الناقد العربي، فإننا نجد في النقد الغربي أحيانًا ذلك التوحد الشخصي للشاعر الناقد، وبشكل بارز جداً في الأدب الإنكليزي، حيث نجد شعراء كـ "درايدن" و"وردزورث" و"كولريدج" و"ماثيو آرنولد" و"ت. س. إليوت" أهمّ علامات بارزة في النقد أيضاً".(زراقط،١٩٩١، ص ص٨٩، ٩٠).

إنَّ الإدراك المعرفي بالعمل النقدي لدى الخال سبقته ممارسة للإبداع الشعري، الأمر الذي أتاح له تمرساً أكثر عمقاً في خفايا الأثر الفني الشعري، هذا النموذج المزدوج المكمِّل، كان المسيطر على الشاعر- الناقد يوسف الخال، وكذلك الحال على تجمع مجلة "شعر"[1]. فقد يضطر الشاعر الحديث في حالات كثيرة إلى القيام بالدفاع عن نماذج كتابته، أو عن طريقه الإبداعي الجديد الذي قد يجابه في كثير من الأحوال بالرفض.

إنَّ ما ذهب إليه زراقط في تصنيفه للشعراء اللبنانيين وفق اتجاهاتهم النقدية، وهو ما أشرنا إليه آنفاً، يجعلنا نتوقف عند موقع الخال بشيء من الإيضاح، خصوصاً أنه موضوع هذه الدراسة، فقد كان الخال من بين الشعراء الذين يمارسون الفعاليتين المتميزتين- الإبداعية والنقدية، مازجاً بين المعرفة والخبرة وبين التعلّم والتعليم: إبداعاً وتنظيراً.- وهنا-

(١) يصنف عبدالمجيد زراقط في دراسته:" الحداثة في الشعر العربي المعاصر" في تقسيمه للشعراء اللبنانيين ممن عملوا في تجمع مجلة "شعر" وفق اتجاهاتهم النقدية كلاً من كإلياس أبو شبكة، وأنسي الحاج، وأمين نخلة في موقع عبثية النقد، وأدونيس، والخال، وخليل حاوي في موقع المزج بين المعرفة والخبرة والتعلّم والتعليم، ويوسف غصوب، وجورج صيدح، وجورج غانم، وشوقي أبي شقرا ضمن ملاحظات انطباعية وتعليقات وآراء سريعة. (انظر: زراقط، ١٩٩١، ص٩٠).

لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ الخال كان لديه مفهوم مغاير لتلك الآراء التي تنفي أن يكون دور للنظرية النقدية في عملية الخلق؛ ومن هذه الآراء: "أن النظريات كلها لا تصنع شاعراً ولا تخلق قصيدة". وكذلك، "إن القصيدة الكبيرة تستخرج منها النظرية ولا تسبقها، وأنه يجب أن تنبجس النظرية من النص الكتابي. فالنظرية من هذه الزاوية عقيمة الفائدة، فما نفع أن تكتب قصيدة وفق هذه النظرية."(أدونيس، ١٩٧٩، ص١٥٧). إننا نجد المفهوم المغاير لهذه الآراء لدى الخال، حيث يقول:" لكن كان لنا مفهوم للقصيدة وعلى أساسه كنا نكتب القصيدة وننقد قصائد الآخرين.". (نقلاً عن: زراقط، ١٩٩١، ص ٩١، مجلة "المنار"، ع ٣٢/ ٣-٦، ١٩٧٨، ص ص١٨و١٩).

ومهما يكن ما عناه الخال من مفهوم القصيدة- الذي يكتب على أساسه القصيدة وينقد من خلاله قصائد الآخرين؛ فقد يعني مفهوم القصيدة، هنا شيئاً آخر لا يتطابق ومفهوم النظرية، كأن يعني الرؤيا الخاصة بمعناها العام، وليس مجموعة من المبادئ العامة المتناسقة التي تنبثق من التفحص الواعي لظاهرة معينة-فإنّ الوعي المسبق بهذا المفهوم أياً تكن درجته، يبقى له الدور الأكبر في عملية الإبداع الشعري. (انظر: زراقط، ١٩٩١، ص ٩١).

لقد مارس الخال النشاط النقدي بوصفه أحد الرواد الذين انطلقوا بالحداثة الشعرية من خمسينيات القرن العشرين. فالخال في هذا النشاط نراه يمتد إلى مسافات بعيدة، خصوصاً أنه يملك- كما أشرنا آنفاً- مفهوماً للشعر كان يصدر عنه ويمارس النقد انطلاقاً منه، وهو مفهوم كما يقول: " تعلمناه بالمعرفة والخبرة وعلّمناه بالقول والفعل. وهو لا يزال يتسع ويعمق ويضرب أصوله في التراث حتى يجعل الحد الحاسم الفاصل بين المفهومين القديم والجديد حداً حاسماً وفاصلاً حقاً."(الخال، ١٩٧٨، ص ٣٣).

ومن الجدير بالإشارة، أنّ الخال فيما يمارسه من نشاط نقدي، كثيراً ما يبدو ذا ثقة بقدرته على البحث ومعرفة أصوله؛ فأسلوبه ينطوي على علمية واطلاع واسع متفحص، وهو لا يطلق أحكامه هذه جزافاً، بل نجده يناقشها متسلحاً بالمعرفة والمتابعة لأصول النقد والتأليف قديمها وحديثها على السواء؛ فهو عندما يناقش كتاب الشاعرة نازك الملائكة "قضايا الشعر المعاصر" يبقى يوجه إليها كثيراً من الانتقادات والعثرات التي كثيراً ما وقعت بها أثناء إعدادها لهذه الدراسة، يقول الخال:" وضعت لدراستها عنوان "قضايا الشعر المعاصر"، وكم كانت خيبتنا مريرة حين أخذنا الكتاب وكدنا لا نعثر فيه على قضية جوهرية واحدة في الشعر العربي المعاصر[...] هذا إلى ما جاء في الكتاب من آراء ارتدادية متزمتة خانت "حركة الشعر الحر" التي تدّعي المؤلفة "اكتشافها" ومن معالجة بعض الموضوعات معالجة خالية من الروح

العلمية والإخلاص للحقيقة، وهما صفتان حاولت المؤلفة أن تقنع نفسها بأنها تتوخاهما في بحثها.

ثم يقول الخال: لا نريد أن "نتمرجل" على المؤلفة الشاعرة فنعلمها أصول التأليف، أو نرسم لها كيفية معالجة الموضوع. يكفي أن نقول لها الآن أن اسم الكتاب لا ينطبق على مسماه...". (الخال، ١٩٧٨، ص٣٣، ٣٤).

وليس هذا فحسب، بل يستمر الخال في الكشف عن عيوب كتاب الملائكة، فيقارنه بكتاب آخر في نقد الشعر الحديث، وهو كتاب **"قضية الشعر الجديد"** لمحمد النويهي، يقول الخال:" أما كتاب نازك الملائكة فيتردى بالانكفاء والرجعية والضيق-ضيق النفَس (بفتح الفاء لا تسكينها)، وإساءة الفهم-فهم الوزن العربي التقليدي، بل وزن الشعر عموماً وفهم اللغة العربية وإمكاناتها، وفهم الإنسان خصوصاً العربي، على أنه قادر على التغيّر والتكيف والتخطي. وأما كتاب النويهي فبخلاف ذلك تماماً. وهو على ما فيه من حدود، إسهامٌ قيّمٌ في إرساء قواعد حركة الشعر الجديد."(الخال، ١٩٧٨، ص٥٤).. من هنا، يتكشف لنا مدى إتقان الخال لأصول التأليف والبحث إلى حد "المرجلة" -على حد تعبيره.

إن ما يريده الخال للنقد " أن يقصر مجاله على نجاح المحاولة من حيث هي محاولة لا من حيث مراعاتها للقواعد والأصول الموضوعية"(مجلة الآداب، ع ١١، ١٩٥٩، ص ١٠٥). وهو في هذا، يتفق مع الشعراء الآخرين في أنّ القصيدة، بمعزل عن أي شفيع خارجي هي الأساس في النقد. ويريد الخال للنقد أيضاً أن يجيب عن أسئلة تتعدد بتعدد هموم الشاعر الحديث الساعي إلى التأسيس والتحول، فمسائل مثل: التجريب واللغة الشعرية والصِّلة بالتراثين: العربي والعالمي.. صارت هماً أساسياً له، إضافة إلى هم النقد الأساسي المعروف، وهو دراسة النص وتمييزه وتقديره... ومما يقوله يوسف الخال، في هذا الصدد: "يجب أن يعنى النقد المعاصر بالأسئلة التالية: هل هذا النتاج الشعري تجريبي؟ هل يعبر عن تجربة صادقة لمشكلة الشاعر-الإنسان ولقضايا العصر؟ هل يعي الشاعر مشكلة التعبير، أي اللغة؟ هل يشارك بصلته التراكمية الحميمة بتراث العرب الشعري في التجارب الشعرية الراهنة في عالم الحضارة؟... ماذا يريد الشاعر أن يقول، هل هذا جديد وهل قاله بنجاح وهل هو معاصر؟". "(مجلة الآداب، ع٢٢، ١٩٦٢، ص١٠٧، ١٠٨).

يوسف الخال ومجلته "شعر":

عاد يوسف الخال بعد إقامته في الولايات المتحدة (١٩٤٨-١٩٥٥)، إلى بيروت مسكوناً "بفكرة تجديد الشعر العربي"(خير بك، ١٩٨٦، ص٦٣). حيث ألحّت عليه آنذاك فكرة إصدار مجلة باسم **"شعر"**

تكون المقابل بالعربية مبدأً ومنهجاً لمجلة "Poetry" الأمريكية الصادرة عام ١٩١٢ بتوجيه من الشاعر "إزرا باوند"، وتولت تحريرها الشاعرة "هارييت مونرو" وكانت تهدف إلى إنعاش الشعر وتجديده. (لؤلؤة، مجلة شعر، ع٤٣، صيف، ١٩٦٩، ص٥٨).

وقد أجرى الخال عام ١٩٥٦ اتصالات عديدة مع العناصر الأدبية القادرة على الإسهام في خلق حركة شعرية حديثة، تلك التي ظلت تراوده في أثناء إقامته في الولايات المتحدة. وقد أسفرت هذه الاتصالات المتعددة عن تشكيل النواة التأسيسية-لما أصبح يُطلق عليه-تجمّع شعر. وفي هذا الصدد يقول كمال خير بك: "يوسف الخال، أدونيس، خليل حاوي، نذير عظمة: هؤلاء هم الشعراء الأساسيون الذين شكلوا نواة شعر في البداية، والذين سينضم إليهم عدد من النقاد الشبان: كأسعد رزوق وأنسي الحاج وخالدة سعيد."(خير بك، ١٩٨٦، ص٦٣).

لقد أعلن التجمع الذي أصبح يشكل النواة الرئيسة عن تأسيس "مجلة فصلية موجهة بصورة حصرية، لخدمة قضية الشعر والدفاع عنها، وحملت المجلة، بالفعل تسمية "شعر" وأصبح يوسف الخال نفسه رئيساً لتحريرها. وقد صدر عددها الأول في كانون الثاني عام ١٩٥٧.". (خير بك، ١٩٨٦، ص٦٤).

ظل يوسف الخال، منذ أن ظهر العدد الأول من مجلة شعر وحتى صدور العدد الأخير منها، رئيس تحريرها، وقد عرّفته المجلة لقرائها في عددها الثاني، وجاء في تعريفها: " يوسف الخال: تخرج في الفلسفة من الجامعة الأمريكية ببيروت حيث يدّرس الفكر والأدب العربي، أقام في نيويورك ثماني سنوات التحق خلالها بالأمم المتحدة، وعاد إلى لبنان عام ١٩٥٥، له: الحرية، هيروديا."(مجلة شعر، ع٢، ١٩٥٧، ص١٠٤).

إن الخال، رغم هذا التعريف، لم يكن شاعراً معروفاً إلا في نطاق ضيق لا يتجاوز أوساطاً لبنانية معينة، فالحرية (١٩٤٥) ليس إلا ديواناً يضم قصائد عمودية، وليس في هذه القصائد ما يميزها عن مئات، بل آلاف القصائد العمودية التي نشرت قبل صدور المجلة. أما "هيروديا" فمسرحية شعرية صدرت في نيويورك (١٩٥٤) ولا يكاد أحد في الوسط الشعري العربي يعرف عنها شيئاً. (انظر: مهدي، ١٩٨٨، ص١٨).

لقد هدفت حركة "شعر"، منذ بداية تأسيسها، وبصورة علنية إلى القيام بمهمة نقد الشعر العربي المعاصر وإعادة تقييمه، وأن تقدم ليس عملاً شعرياً "بديلاً" فحسب، وإنما، كذلك، أُسَساً وقواعدَ يجب الانطلاق منها في النقد وبناء الصورة الجديدة.

ولكي تتمكن حركة "شعر" من ممارسة أحكامها النقدية من إدانة أو قبول للشعر العربي المعاصر، فإنها تقتضي جملة من المبادئ والمعايير النقدية، التي يمكن

من خلالها ممارسة أنشطتها التي تنطوي عليها هذه الحركة بمجملها. ومن هنا فإن مراجعة مجموع منشورات تجمُّع "شعر" ومختلف المحاضرات والمقابلات والتصريحات التي أدلى بها أعضاء التجمُّع، وكذلك المؤلفات التي صدرت عنه- وهو أمر من غير الممكن في هذه الدراسة الوقوف عليه- تجعلنا نستخلص المبادئ والأسس النقدية التي ظلت حركة "شعر" تصدر عنها في نشاطها النقدي.

لقد شكّل بيان يوسف الخال الفعل الافتتاحي لحركة "شعر"، إذ يبدو ذا أهمية خاصة، لأنه يمثل الوثيقة الأولى في المرحلة الأولى من نشاط هذه الحركة. والمرجع الأولي لتصوراتها المجدَّدة. (انظر: خير بك، ١٩٨٦، ص ٦٥).

ففي العدد الثاني لمجلة "شعر" وتحت زاوية "أخبار وقضايا" نشرت المجلة ملخص محاضرة ليوسف الخال في اجتماع لمجلة **"محاضرات الندوة اللبنانية"** بعنوان "مستقبل الشعر العربي في لبنان"[1]. ومما يعرض الخال إليه في هذا البيان، تطور حركة الشعر اللبناني منذ مطلع القرن العشرين إلى أواخر سنوات الخمسين ليصل في استنتاجاته إلى أنّ "الشعر الحالي في لبنان ليس حديثاً إلا بالمعنى الزمني للكلمة. فهو متأخر بالقياس إلى الشعر الأوروبي، ومقلد بالقياس إلى التراث الشعر العربي."(خير بك،١٩٨٦، ص٦٧)، وقد تمثل الخال بشعر سعيد عقل في مجموعته "رندلي" للوصل إلى الخلاصة التي جاء فيها: "إن الشعر اللبناني الحاضر شعر تقليدي، وهو شعر متخلف عن هذا العصر. إنه في كلتا الحالتين شعر غير حديث. إن هذا الشعر لا يختلف في خصائصه الجوهرية عن الشعر العربي التقليدي. فعمود الشعر هو هو، ووحدة البيت لا القصيدة هي هي، الوزن والقافية لم يجر عليهما أيّ تعديل، الأغراض الشعرية القديمة، بالرغم من بعض المحاولات في المسرحية والقصص والملحمة، ما تزال هي الأغراض الشعرية الحاضرة والنظر إلى الأشياء أو الخبرة الكيانية في الحياة، وهذا هو الأهم، ما برحت تصدر عن عقلية اجترارية "عقيمة". "(خير بك، ١٩٨٦، ص٦٧)، وبمعنى آخر يرى الخال أن هذا الشعر لا يواكب الحركة الشعرية الغربية، التي أصبحت من منظاره معياراً للتطور والتقدم الشعريين. وقد جاء هذا في القسم الأول من البيان.

وما يهمنا في هذا الجانب من الدراسة ما جاء في القسم الثاني من البيان الذي يُعد من وجهة نظر النقاد والدارسين، التنظير الأول لحركة مجلة "شعر"، في مجال

---

(١) نُشر بيان يوسف الخال "مستقبل الشعر العربي في لبنان" في "محاضرات الندوة اللبنانية، مجلة "شعر"، ع٥، ١٩٥٧، ص ص ٣٦٧-٣٨٤. انظر التعليقات حول هذا البيان في: خير بك : ١٩٨٦، ص ص ٦٥-٦٩. وانظر مهدي: ١٩٨٨، ص ٣٣-٣٤. وانظر: باسيليوس،٢٠٠٣، ص١٤٦-١٤٧. وانظر: السالسي: ٢٠٠٤، ص ص١٩٢-١٩٣.

محاولة ترتيب القواعد والمنهجية الشعرية التي تدعو الحركة إليها؛ إذ يوصي الخال من خلاله ببعض الاقتراحات النظرية الأولية التي من شأنها القيام بشعر "طليعي تجريبي" يقوم على الأسس الآتية:

"أولاً: التعبير عن التجربة الحياتية على حقيقتها كما يعيها الشاعر بجميع كيانه-أي بعقله وقلبه معاً.

ثانيًا: استخدام الصورة الحية-من وصفية أو ذهنية-حيث استخدام الشاعر القديم التشبيه والاستعارة، والتجريد اللفظي، والفذلكة البيانية، فليس لدى الشاعر كالصورة القائمة على التاريخ أو الحياة وما يتبعها من تداع نفسي يتحدى المنطق ويحطم القوالب التقليدية.

ثالثًا: إبدال التعابير والمفردات القديمة التي استنزفت حيويتها بتعابير ومفردات جديدة مستمدة من صميم التجربة ومن حياة الشعب.

رابعًا: تطوير الإيقاع الشعري العربي وصقله على ضوء المضامين الجديدة، فليس للأوزان التقليدية أية قداسة.

خامسًا: الاعتماد في بناء القصيدة على وحدة التجربة والجو العاطفي العام لا على التتابع العقلي والتسلسل المنطقي.

سادسًا: الإنسان في ألمه وفرحه، خطيئته وتوبته، حريته وعبوديته، حقارته وعظمته، حياته وموته-هو الموضوع الأول والأخير. كل تجربة لا يتوسطها الإنسان هي تجربة سخيفة مصطنعة لا يأبه لها الشعر الخالد العظيم.

سابعًا: وعي التراث الروحي-العقلي العربي وفهمه على حقيقته وإعلان هذه الحقيقة وتقييمها كما هي دونما خوف أو مسايرة أو تردد.

ثامنًا: الغوص إلى أعماق التراث الروحي-العقلي الأوروبي، وفهمه، والتفاعل معه.

تاسعًا: الإفادة من التجارب الشعرية التي حققها أدباء العالم. فعلى الشاعر اللبناني الحديث أن لا يقع في خطر الانكماشية كما وقع الشعراء العرب قديماً بالنسبة للأدب الإغريقي.

عاشرًا: الامتزاج بروح الشعب لا بالطبيعة. فالشعب مورد حياة لا تنضب، أما الطبيعة فحالة آنية زائلة. (مجلة "شعر"، ع٢، ١٩٥٧، ص٩٨-٩٩).

إن بنود الانطلاق الآنفة الذكر تكشف عن نية في وضع الأسس النظرية للتيار الحديث في الشعر العربي، وهي علاوة على ذلك تشكل القاعدة الفكرية الأولى لحركة "شعر" في طور نشوئها الأول. وعند مراجعة هذه البنود مراجعة فاحصة، نجدها ترتكز بشكل رئيس وربما لافت على "الوجود"، والعملية الشعرية وفق الرؤية الوجودية تفاعل مع الوجود الإنساني، في مختلف مستوياته الخارجية والداخلية. فمادة الشعر تنبثق عن تجربة عاطفية وعقلية تمارس محتويات الوجود. وأما لغة الشعر وإيقاعه، فهما ينبثقان من

كونهما أداة تعزيز للتفاعل بين عملية الخلق الشعري والوجود. ومن ثمَّ فإنّ اختيارهما يتبع لاعتبارات خدمة كل منهما لحركية هذه العلاقة.

وقد سعى الخال في ضوء الحركة التجديدية هذه إلى الحد من قداسة القوانين المتوارثة، ولهذا فهو يزيل العائق أمام التفاعل الإنساني مع التراث العربي على أساس التقييم العقلاني، وكذلك مع حضارات الشعوب الأخرى والإفادة من تجاربها الحضارية، وخصوصاً، تجاربها العقلية والأدبية. ومن هنا، يصبح تميّز الشعر بوصفه مادة إبداع، مرهوناً بما يقدمه لدفع هوية الوجود نحو التحرر والإنسانية.

لم يكن الخال ليلغي الدور الفاعل للتراث العربي في تكوين العملية الشعرية الحديثة، ولكنه يدعو إلى ربط هذا التراث مع إخضاعه إلى عملية نقدية عميقة، بل إلى غربلته إذا صح التعبير. فهو يدعو إلى الإبقاء على كل ما يصلح من هذا التراث عقلانياً ويمكن الإفادة منه، ويرفض مسبقاً كل ما فيه من تحديدات مسبقة. وينفذ الخال من خلال هذا البيان نحو العالميّة التي نادت بها حركة "شعر" كجزء من التفاعل الإنساني الكوني. ولهذا يبقى تقدم الشعر العربي اللبناني مرهوناً بمدى إفادته من التراث العالمي، الأوروبي منه على وجه التحديد. إذ تأتي هذه الدعوة ضمن محاولة الخال الخروج عن التراث العربي المحدود، وذلك من أجل إيجاد بديل حضاري عقلاني موازٍ للحضارة الغربية.

إن الخال في بيانه "لم يتطرق بشكل منهجي إلى بناء نظرية شعرية متكاملة تأخذ على عاتقها تحديد الأسس لعملية اختراق واضحة المعالم. وقد يرجع سبب ذلك إلى البلبلة التي رافقت حركة الشعر الحديث في تعريف نفسه وأهدافه. أو بكلمات أخرى حصل الاضطراب في طريقة انخراط النظريات الأدبية الأجنبية الغربية، وملاءمتها والواقعَ الحضاري الفكري العربي. فبقيت هذه النظريات محطّ تجارب شعرية لم ترافقها نظرية موجِّهة، بشكل موسّع وشامل. ومع ذلك يبقى بيان الخال الأول من نوعه الذي اختار الخروج في توصياته عن القواعد السابقة، خصوصاً فيما يتعلق برفض اللغة والإيقاع العربيين التقليديين، ونفي صفة القداسة عنهما ومزج الشعر في معركة الوجود الإنساني كندّ للفلسفة. ودعا هذا البيان بشكل جليّ وواضح، إلى التمثّل بالآداب الأجنبية كشرط لتطوّر الأدب العربي."(بواردي، ٢٠٠٣، ص١٤٨).

يوسف الخال والحداثة الشعرية:

إنَّ الحداثة [١] في مفهومها العام تقوم على "محاولة استكشاف التفاعلات المركبة للوجود من أجل

(١) للوقوف على مفهوم الحداثة وتفاعلاتها ومركباتها عربياً وعالمياً، انظر: (جبرا، ١٩٧٩، ص ص١١٧-١٤٢، وانظر: أدونيس، ١٩٨٣،ج٣). وانظر:(بنيس،١٩٨٨، ص ص١٠٩-١٣٠). وانظر: (الجابري،١٩٩١).

الوصول إلى ماهية حياة مستمرة ومتحركة، تسير في منحى مستقبلي لا يعرف الهدوء ولا المعايير الثابتة. والحداثة في حركتها المستمرة تصطدم والثابتَ المنبعث من إرهاصات ماضوية تحاول الإبقاء على وضعية المسلمات القبْلية. ويعد الرافد الثقافي في الحداثة أهم الروافد، عطاءً، لأنه الوحيد الذي يجمع بين المتخيّل الإنساني وواقعه المعاش، وهو دائم البحث عن حياة إنسانية أفضل، لذا فهو ينحو، أولاً، منحى الغوص في أعماق إنسانية لاستجلاء حركيتها، وثانياً، منحى الفردانية والشخصانية التي تميز الفرد عن الجماعة، وتعيد تعريفات انتمائه لها. فالفرد/ الشخص، في سياق الحداثة، ينتمي إلى الجماعة من خلال فرادته المبدعة وينسجم معها، طوعاً، لكن دون امتزاج يفقده هويته الشخصية." (بواردي،٢٠٠٣، ص٢).

لقد ظلت مسألة تخلف العالم العربي وفقدان الحداثة فيه، من أبرز المسائل التي انشغل بها الخال، فطالما شكا الخال هذا الوضع المتردي في كثير من كتاباته وتصريحاته العديدة، فهو يقول: "إن روح العصر الحديث [...] بقيت على هامش حياتنا القديمة المهترئة البالية وظل أثرها عاجزاً حتى الآن، عن تغيير حياتنا وبعث روح الجدة والابتكار في نفوسنا وعقولنا".(الخال، مجلة شعر، ع٥، ١٩٥٧، ص٣٧٦، نقلًا عن: السالسي، ٢٠٠٤، ص١٥٤، ١٥٥)، وفي مدخل كتابه "الحداثة في الشعر" يقول أيضاً:" أمّا أن يصبح العالم الحديث عالمنا، أي أن لا يقوم بيننا وبينه حاجز فلا يعني أننا أصبحنا تماماً فيه، أي إننا تبنينا جميع معطياته ومفاهيمه (الصالح منها والطالح)، في حياتنا. فلو كان الأمر كذلك، لما كانت القضية المصيرية التي تجابه العرب اليوم على اختلاف بيئاتهم، هي: كيف ننشئ مجتمعاً حديثاً في عالم حديث. هذا التناقض بين كوننا شكلاً في العالم الحديث وبين كوننا جوهراً في خارجه، يضطرنا إلى معاناة قضايا مجتمع قديم في عالم حديث، ومعاناة قضايا عالم حديث في مجتمع قديم."(الخال،١٩٧٨، ص٥- ٦).

لقد حاول الخال أن يبرز أهم عناصر ومقومات الحداثة في مقالة له بعنوان "الحداثة نظرة حديثة إلى الوجود"، إذ يقول: "مهما قيل في الحداثة يظل القول الأهم فيها أنها في كل شيء لا في الشعر وحده، موقف كياني من الحياة في المرحلة التي نجتازها. فهي ليست أشكالًا يقتبسها الإنسان أو زيًا يتزيّا به، لأن المهم هو ما وراء الأشكال والأزياء. هذا الماوراء هو ما نسميه بالعقلية". (الخال: ١٩٧٨، ص١٦). ومن هنا، فإنّ العقلية الحديثة تعني من وجهة نظر الخال، أن يأخذ الإنسان بالجوهر لا بالمظهر. وليست مظاهر الحياة الحديثة التي غزت البلاد العربية جوهر الحياة الحديثة، بل الأخذ بأسبابها الروحية والعقلية. وقد ركز الخال على ضرورة أن يحيا الإنسان العربي حياة العقل. فالخال يسجل موقفه هذا في افتتاحية بعنوان: "حياة العقل"

نشرها في مجلة "آفاق"، إذ يقول:" لكي نحيا حياة العقل، علينا أن نحرر العقل-نحرره من قيود السلفية والنقل[...] ونحرره أيضاً من ربقة الجهل[...] جهل المبادئ والأصول الأولى لكل علم وأدب وفن. ونحرره أيضاً من أنفسنا: من الذاتية التي تنغلق على الفراغ وترفض النقد،[...] ولكي نحيا حياة العقل، علينا أن نؤمن بالعقل- بقدرته على المعاينة الحقيقية ورؤيتها والخضوع لها[...]. ولكي نحيا حياة العقل علينا أن ندخل شراكة العقل في التاريخ وفي العصر، فالعقل المنقطع المنعزل المكتفي بنفسه، لا يكون[...]. هذه الشراكة تتخطى القومية والدين وتتجاوز الحدود والسدود[...]. فالانكماش على الذات والخوف من الانفتاح، والاختباء وراء التقديس والتحريم مناخ لا يترعرع فيه العقل أو تنهض الحضارة...". (الخال، مجلة آفاق، ع ٢:١، ١٩٥٩، ص٣-٤، وانظر: السالسي، ٢٠٠٤، ص١٥٤، ١٥٥).

وفيما يتعلق بالحداثة الشعرية، فإنّ الخال لا يفتأ يقدم تصوراته عنها ومن ذلك قوله: "الحداثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف وهي لا ترتبط بزمن. فما نعتبره اليوم حديثًا يصبح في يوم من الأيام قديماً. وكل ما في الأمر أن جديداً ما طرأ على نظرتنا إلى الأشياء فانعكس في تعبير غير مألوف... إلى أن يقول: والخلاصة أن الحداثة في الشعر لا تعتبر مذهباً كغيره من المذاهب، بل حركة إبداع تماشي الحياة في تغيرها الدائم ولا تكون وقفاً على زمن دون آخر. فحيثما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها فتتبدل نظرتنا إلى الأشياء، يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجية على السلفي والمألوف. فالمضامين والأشكال تمشي جنباً إلى جنب، لا في الشعر وحده، بل في مختلف حقول النشاط الإنساني أيضاً" (الخال، ١٩٧٨، ص ١٥، ١٧).

إنّ الحديث عن الخال ودوره البارز في حركة الحداثة الشعرية العربية المعاصر، لا يأتي، بأي حال من الأحول، منبتاً عن دور مجلته "شعر"، التي بدأ يؤسس لها بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٦، وهو دور يسعى، منذ البداية، إلى تأسيس مشروع نهضوي حداثوي حمل على عاتقه، الخروج بالحركة الشعرية العربية إلى آفاق أوسع وتفكير يُعنى بالأبعاد العميقة للتعبير الشعري، بحيث يَنْشُد هذا التعبير التحرر من سيطرة القديم كأمر مفروض مسبقاً.

إن ما يميز المشروع الحداثي الذي نهضت به حركة "شعر" وعلى رأسها يوسف الخال، تلك الرؤيا التجديدية التي فجرت إمكانات الخلق الشعري. وهي محاولة تجديدية تنضاف إلى ما سبقها من محاولات تجديدية، كان الشعر العربي قد شهدها مع أوائل القرن العشرين. إلى أن وصل أوجها في الأربعينيات من ذلك القرن. غير أن ما يميز رؤية حركة "شعر" هذه، وهي متزامنة مع تلك المحاولات التجديدية أنها جاءت

"بوعي أكثر جذرية وبرؤية أكثر شمولاً." (أدونيس،١٩٩٣، ص ٥٢).

إنّ الحداثة التي سعت حركة شعر إلى تأسيسها هي حداثة المضمون في العمل الشعري وهي بهذا تتجاوز حداثة الشكل التي تقف عند حدود التغيير والتلاعب بأنساق التفاعيل الخليلية.

ومن هنا، فإنّ يوسف الخال يسوّغ هذه اللهفة نحو تأسيس مضمون حديث مغاير بقوله: " فنحن في عصر نبحث فيه عن سبيل للخروج من الأزمة التي نعانيها من جرّاء فقدان إيماننا بالأسس القديمة التي كان يقوم عليها مجتمعنا الإنساني، أمام هذا البحث أليس من الطبيعي أن نتلهف للمضمون؟ ومن جهة ثانية كان النقد العربي منصرفاً إلى اللغة والأسلوب كأنما الأدب محض لغة وأسلوب، فقد كان هكذا بالفعل حين ركن أسلافنا إلى إيمانهم بالأسس التي قام عليها مجتمعهم فلم يعد أمامهم إلا الاجترار وابتكار الأساليب التي تقفهم على إتقان هذا الاجترار، أوَليس من الطبيعي إذن أن نتلهف نحن أبناء هذا الجيل الثائر الباحث للمضمون..؟"(الخال، مجلة شعر،ع٢٤، صيف ١٩٦٢، ص١٥١).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ الثورة الفكرية والمضامين الشعرية التي كان الخال يدعو إليها من خلال مجلته "شعر"، ينبغي أن تستتبع بتطور لاحق للشكل، فقد فهم الخال أن المضمون الحديث هو الذي يخلق شكله المناسب المعبر عن تجربة الشاعر، وفي هذا الصدد يقول الخال:" فالشكل في الشعر على أهميته وضرورته تابع للمضمون وناجم عنه تماماً، كمل لو شئت تعبئة كمية معينة من القمح في كيس فأنت تأخذ الكمية وتبحث عن كيس يناسبها وبالطبع لا تفعل العكس وهكذا في الشعر يأتي المضمون أولاً، وأصالة المضمون أي صدق معاناته وتجربته يتطلب شكلاً أصيلاً يلائمه، ومراعاة لخصائص الشعر في الإيقاع والرهافة وخلق جو من التوتر والبهجة الروحية وحمل القارئ على المشاركة الكاملة في تجربة الشاعر ومعاناته."(الخال، مجلة "شعر"، ع ١٣، كانون الثاني،١٩٦٠، ص١١٨).

لقد تعرض الخال من خلال جهوده النقدية إلى جملة من المسائل التي شكّلت في مجملها نقلة حداثية على صعيد حركة الشعر العربي المعاصر. ولعل من أهمية بمكان، الإشارة إلى هذه المسائل، التي سأعرض إلى بعضها، كانت في بعض الأحيان تتقاطع ورؤية تجمع "شعر"، وهي في أحيان أخرى تختلف وتبتعد كثيراً أو قليلاً عن هذه الرؤية. ولا أدعي بأنني سأقف على مواطن التقاطع والاختلاف بين أعضاء حركة "شعر"، إذ يحتاج ذلك إلى مساحة واسعة، قد لا تتناسب وهذه الدراسة، بل سأكتفي هنا، بالوقوف المقتضب على مواقف الخال اتجاهها. ومن هذه المسائل:

- موقف الخال من التراث:

لقد جاء في موضع آنف من هذه الدراسة من خلال التعرض إلى بيان الخال "مستقبل الشعر العربي في لبنان"، ما يمكن أن يكشف عن موقف الخال من التراث. ولكي لا أنزلق في عيب التكرار، فإنني، هنا، أحاول استجلاء هذا الموقف من خلال ما تيسر لي من آرائه النقدية التي بثها في أعداد مجلة "شعر". هذا بالإضافة إلى آراء النقاد والدارسين الذين اهتموا بدراسة الخال نفسه.

يرى يوسف الخال أن التراث الحقيقي الذي ينبغي أن ننتمي إليه هو "التراث الكوني أو الإنساني."(الخال، مجلة "شعر"، ع٢٤، صيف ١٩٦٢، ص١٥٢). ومن هنا، يذهب الخال إلى أن التراث هو جهد الإنسان المتراكم عبر التاريخ في كل مكان وزمان، وهو يسميه بالحضارة الإنسانية الواحدة أو التراكم الثقافي أو نتاج العقل. وهذه الحضارة الإنسانية الواحدة يحمل لواءها الغرب وفي هذا الصدد يقول الخال:" فالحضارة الغربية هي حضارة الإنسان المتراكمة عبر التاريخ، وما نعتت بالغربية إلا لأنّ الغرب أو أوروبا قد أعطاها في الألف سنة الأخيرة أكثر مما أعطتها أي منطقة جغرافية أخرى." (هيئة التحرير: مجلة "شعر"ع١٥، صيف،١٩٦٠، ص١٣٩)؛ ولهذا، جاءت الدعوة إلى "تحقيق شراكة تراثية إنسانية"، من خلال "التواصل الفعال مع الشعر المعاصر في العالم." (هيئة التحرير: مجلة "شعر"ع٩، صيف١٩٦١، ص١١٧).

لقد أعلن الخال في رسالة بعث بها إلى سلمى الخضراء الجيوسي عن موقفه تجاه التراث عامة، بقوله: "لن يكون لنا مستقبل ما لم نعد إلى الإسهام في الحضارة الإنسانية من جديد". (الخال، مجلة "شعر"،ع١٥، ١٩٦٠، ص١٣٨). ونحن لا نستطيع أن نتمثل نشاط الخال على الصعيد الثقافي، وتقييمه إلا من هذا المنطلق، فمنذ أن أسس الخال مجلة "شعر" ركز على ضرورة تجاوز مقولة أن التراث العربي تراث مستقل مكتف بذاته ويشكل واقعاً نهائياً.

وفيما يخص قضية التراث في شعر الخال فقد تصدى لها في مجموعته "البئر المهجورة، إذ نجد في بعض قصائدها كقصيدة "الدارة السوداء"، وقصيدة "الحوار الأزلي" صوراً شديدة الواقعية والتشاؤم، على الرغم مما فيها من أمل بالخلاص. وقد استعمل الخال" صوراً مختلفة لوصف حالة التراث العربي يمكن إعادتها جميعها إلى نمط واحد يتألف من وجهين متضادين، كأنه بهذا التضاد الجدلي الذي يذكرنا بالفكر الهير قليطي، أراد إجلاء الحقيقة، أي ما هو عليه التراث وما يجب أن يكون. وأهم هذه الصور: الجفاف والمطر، السفر والعودة، الموت والقيامة، الهجران واللقاء." (السالسي،٢٠٠٤، ص١٥٨).

ومن الأهمية بمكان أن نقف مرة أخرى عند رسالة الخال إلى "الجيوسي"، حيث يقول فيها: "إن آلهة العالم العربي قد ماتت، والثوريون الحقيقيون هم الذين أدركوا أنها قد ماتت فعمدوا إلى دفنها لكي تبعث من جديد آلهة تجسد أحلام الجيل وآماله كما تجسد واقعه ومصيره [...]، ألم يدفن العرب آلهة الجاهلية؟ أفلا تظنين أننا في نهضتنا أو ثورتنا الحاضرة نحو حياة أفضل يجب أن ندفن آلهة جاهليتنا في سبيل بعث آلهة حية متجددة على صورتنا اليوم ومثالنا؟" (الخال، مجلة "شعر"، ع١٥، ١٩٦٠، ص١٤٠).

فالخال هنا يشبه التراث بالآلهة. وهو بهذا التشبيه يلمّح إلى هالة التقديس التي تحيط بالتراث العربي وليس هذا فحسب، بل ربما كان يقصد إظهار التواصل التاريخي ووحدة التراث منذ الوثنية القديمة المشار إليها بالآلهة، حتى العصر الحاضر الذي يسوده الإيمان بإله واحد. ولكن جوهر الفكرة يكمن في حقيقة الخلاص. ويلاحظ أن الخال في هذه المقابلة بين موت الآلهة وقيامتها، وموت التراث وقيامته، يضع يقينه ببعث التراث العربي على مستوى واحد مع إيمانه الثابت بقيامة المسيح. وفي سبيل إعادة سير الخلاص على الأرض.

وفي نهاية هذه الوقفة المقتضبة على موقف الخال من التراث، لا بدّ من التأكيد على أنَّ الخال لم يكن يدعو إلى إلغاء دور التراث العربي في تكوين العملية الشعرية الحديثة، ولكنه يدعو إلى إخضاعه إلى عملية نقدية عميقة هذا بالإضافة إلى ضرورة ربطه مع التراث الإنساني الكوني. ولهذا، فهو يدعو إلى الإبقاء على كل ما يصلح من هذا التراث عقلانياً ويمكن الإفادة منه، ويرفض مسبقاً كل ما فيه من تحديدات مسبقة. وتأتي هذه الدعوة ضمن محاولة الخال الخروج عن التراث العربي المحدود، وذلك من أجل إيجاد بديل حضاري عقلاني موازٍ، للحضارة الغربية.

- موقف الخال من اللغة:

ظلت قضية اللغة هاجساً عالقاً في تنظير يوسف الخال النقدي في مرحلة ما قبل إنشاء مجلة "شعر"، وأثناء صدورها، وحتى بعد توقفها عن الصدور، حيث برزت هذه القضية هماً حداثياً لم يستطع الخال تجاوزه، بل أوقعه في شرك فشل تجربة مجلة "شعر" التي اصطدمت، حسب تعبيره بجدار اللغة.

وإذا ما انتقلنا إلى مجلة "شعر"، فإننا نجد ثمة توجهاً نحو تبني العامية وإعطائها دوراً مجاوراً للغة الفصحى في الشعرية العربية، فعلى الرغم من أن هذا التوجه لم يفصح في بداية الأمر عن ذاته في شكل تنظير نقدي إلا أن نشر قصيدة "كزبي" (طراد، مجلة "شعر"ع١، نيسان،١٩٥٧، ص٢٠-٢١). باللهجة اللبنانية لميشال طراد لا يخلو من دلالة. (انظر: أبو سيف:٢٠٠٥، ص١٨٦. وانظر: خير بك:١٩٨٦، ص٨٧).

إنّ الوثيقة الأولى التي تعرض لمشكلة اللغة بصورة مباشرة، تلك التي جاءت في (العدد الرابع من مجلة "شعر")، ففي هذا العدد، نشر الخال مقالة نقدية عن مجموعة من القصائد العامية لميشال طراد، وتبدو أهمية هذه المقالة نابعة من كونها مكتوبة باللغة المحكية. غير أنَّ المهم، هنا، هو الإشارة إلى نقطتين أساسيتين فيها:

أولاها: التأكيد على حرية التعبير التي يتيحها استخدام اللغة المحكية للشاعر، بما أنّ هذه اللغة لم تتلق ثقل الموروث التقليدي، و"ميراث الإتباع والمحاكاة".

ثانيتها: اقتناع المؤلف بأنّ هذه اللغة وإن لم "تتجاوز بعد مستوى اللهجة المحكية"، فإنها ستشكل "حجر زاوية المستقبل. (انظر: خير بك،١٩٨٦، ص٨٧).

شكّلت قصيدة "كزبي" لميشال طراد، وكذلك مقالة الخال، وكلتاهما مكتوبتان باللهجة المحكية، توجهاً مستتراً من الخال في الترويج للكتابة بالعامية، والذي أفصح عنه بشكل مباشر في كلمته التي ألقاها في مؤتمر روما للأدب الذي انعقد عام ١٩٦١، حيث ذهب الخال إلى ضرورة فضّ التناقض الصارخ الذي يعانيه الأدب العربي بين كونه شكلاً في العالم الحديث وجوهراً خارجه مما اضطره إلى معاناة قضايا مجتمع قديم في عالم حديث، ومعاناة قضايا عالم حديث في مجتمع قديم. (انظر: خير بك،١٩٨٦، ص٨٨).

ركز الخال أثناء تطرقه إلى العوائق التي تواجه النشاط الأدبي في العالم العربي على الصعوبات اللغوية التي يواجهها الكاتب العربي، والتي تتمثل بكون هذا الكاتب يرجع إلى ثلاث "لغات" مختلفة حينما "يفكر ويتكلم ويكتب" يقول الخال: فنحن نفكر بلغة، ونتكلم بلغة، ونكتب بلغة"(أبو سيف،٢٠٠٥، ص١٨٨)، وهو يرى "في إصرار العرب على الإبقاء على اللغة في سباتها" دليلاً آخر على أن العقل العربي ليس "عقلاً حديثاً" ولا "عقلاً علمياً، بما إنه يُخضع الواقع الموضوعي إلى رغباته الذاتية. (انظر: خير بك،١٩٨٦، ص٨٨).

إنَّ الحل "الحداثي" الذي يراه الخال منقذاً للأدب العربي في تعبيره الحي والحر هو استعمال "اللغة المحكية" المتطورة على ألسنة شعوبها، فهذه هي لغة الحاضر والمستقبل واستخدامها في الكتابة كما في الحديث أمر محتوم، وعندئذ نتغلب على هذه الصعوبة الأساسية في وجه أدب عربي حي، مبدع، حديث. (انظر: أبو سيف،٢٠٠٥، ص١٨٨).

حاول الخال أن يجعل من "اللغة الفصحى" جداراً وعائقاً أمام تقدم حداثة الشعر العربي المعاصر، داعياً إلى أن هدم هذا الجدار لا يكون إلا باستحضار التجربة الشعرية الغربية بأبعادها كافة.

وقد استمر الخال بعد إيقاف مجلة "شعر"[١] عن الصدور ينتهز كل فرصة للتبشير "باللهجة المحكية"، وقد ترك الكتابة باللغة العربية الفصيحة وصار يكتب باللهجة المحكية، وبهذه اللهجة أصدر كتاباً هو "الولادة التانية"، وكتب مجموعة قصائد بعنوان" مذكرات كلب".

الخاتمة

لقد استطاع الشاعر والناقد العربي يوسف الخال أن يؤسس لمشروعه الحداثي بشقيه الإبداعي والنقدي على حدٍّ سواء، وذلك بوصفه يشكل أحد أبرز الشعراء العرب الحداثيين في حقبة خمسينيات القرن العشرين، وهو من الناحية النقدية، يمثل أحد أبرز المنظرين لحركة الحداثة الشعرية العربية التي رافقتها آنذاك.

وقد مكّنت إقامة الخال في أمريكا ضمن البعثة اللبنانية إلى الأمم المتحدة، من الاطلاع على أوجه النشاط الشعري المختلفة، وما رافقها من حركات تجديدية تؤسس للحداثة الشعرية الغربية، هذا إذا ما أضفنا إليها تجاربه وثقافته التي سبقت هذه البعثة، من خلال اطلاعه على الشعر العربي الجديد في مختلف اتجاهاته، كل ذلك أسهم في تشكل نواة تجربة الشاعر الأدبية التي أثّرت فيما بعد على توجهاته الأدبية فيما يتعلق بالتعامل مع الموروث واللغة والتخطي.

ومن النتائج التي خلصت الدراسة إليه يمكن أن نجملها على النحو الآتي:

أولًا: إنّ ممارسة الخال للنشاط النقدي أتاح له تمرسًا أكثر عمقًا في خفايا الأثر الفني الشعري، وهو ينطلق من أهمية النقد للشاعر الحديث، ولاسيما أنه يضطر في حالات كثيرة للدفاع عن نماذج كتابته، أو عن طريقه الإبداعي الجديد، الذي يجابه في كثير من الأحيان بالرفض.

ثانيًا: لقد آمن الخال منذ اللحظة الأولى لانطلاقة مشروعه الحداثي من ضرورة توافر الأداة الحقيقية التي تتبلور من خلالها حركة الحداثة الشعرية، فكانت مجلة "شعر" التي أسسها على غرار مجلة (Poetry) الأمريكية هي الحاضنة الحقيقة التي استقبلت تلك المحاولات الشعرية الجديدة.

ثالثًا: وفيما يتعلق بعلاقة الخال بالتراث، فقد لاحظت الدراسة أنّ الخال لم يكن ليلغي الدور الفاعل

---

(١) صدرت المجلة في أربعة وأربعين عدداً، في إحدى عشرة سنة غير متتالية، ويمكن إذ ذاك الإشارة إلى مرحلتين في حياة "شعر" المرحلة الأولى: وامتدت من شتاء عام ١٩٧٥، حتى العدد٣١/ ٣٢، صيف خريف العام ١٩٦٤. وهي مرحلة أساسية للمجلة، كانت فاعليتها وتأثيرها على الساحة الأدبية من الأهمية، بحيث شكلت مختبراً لنضوج الحداثة العربية الناشئة والمتخبطة بين التبعية والأصالة، أما المرحلة الثانية، فامتدت من العدد ٣٣/ ٣٤، شتاء -ربيع العام ١٩٦٧، حتى العدد ٤٤، خريف عام ١٩٦٩. انظر: (بواردي: ٢٠٠٣، ص ص٤٨،٤٧).

للتراث العربي في تكوين العملية الشعرية الحديثة، ولكنه يدعو إلى ربط هذا التراث مع إخضاعه إلى عملية نقدية عميقة، وهو يدعو إلى الإبقاء على ما يصلح من هذا التراث عقلانيًّا ويمكن الإفادة منه، وهو يرفض مسبقًا كل ما فيه من تحديدات مسبقة. ويذهب الخال إلى أن التراث الحقيقي الذي ينبغي أن ننتمي إليه هو التراث الكوني أو الإنساني.

رابعًا: لقد شكّلت قضية اللغة منذ انطلاقة مشروع الخال الحداثي، هاجساً عالقاً في تنظيره النقدي، حيث برزت هذه القضية هماً حداثياً لم يستطع الخال تجاوزه، بل أوقعه في شرك فشل تجربة مجلة "شعر" التي اصطدمت، حسب تعبيره، بجدار اللغة. ولعل الحل "الحداثي" الذي يراه الخال منقذاً للأدب العربي في تعبيره الحي والحر هو استعمال "اللغة المحكية" كلغة أدبية فاعلة.

ومهما يكن من أمر، يبقى أن نقول: لقد ظلت جهود الخال المبكرة في حركة الحداثة الشعرية والنقدية، تلقي بظلالها وتداعياتها على مسيرة الحركة الأدبية والنقدية العربية إلى يومنا هذا.

المراجـــع

أدونيس، علي أحمد سعيد: *الثابت والمتحول بحث في الإتّباع والإبداع عند العرب*، ج٣، بيروت، دار العودة، ١٩٨٣.

أدونيس، علي أحمد سعيد: *صدمة الحداثة*، ط٢، بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.

أدونيس، علي أحمد سعيد: *ها أنت أيها الوقت*، بيروت، دار الآداب، ١٩٩٣.

بنيس، محمد: *حداثة السؤال: بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة*، بيروت، المركز الثقافي العربي،١٩٨٨.

بواردي، باسيليوس حنا: *مجلة شعر والحداثة الشعرية العربية*، أطروحة دكتوراه، جامعة حيفا، ٢٠٠٣.

جبرا، إبراهيم جبرا: *ينابيع الرؤيا*، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٩.

الجابري، محمد عابد: *التراث والحداثة: دراسات ومناقشات*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩١.

الخال، يوسف: *قصائد في الأربعين*، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٠.

الخال، يوسف: *الحداثة في الشعر*، ط١، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨.

الخال، يوسف: *الأعمال الشعرية الكاملة*، ط٢، بيروت، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٧٩.

خير بك، كمال: *حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر-دراسة حول الإطار الاجتماعي-الثقافي للاتجاهات والبُنى الأدبية*، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦.

زراقط، عبدالمجيد: *الحداثة في الشعر العربي المعاصر*، ط١، بيروت، دار الحرف العربي للطباعة والنشر،١٩٩١.

السالسي، جاك أماتايسس: *يوسف الخال ومجلته شعر*، ط١، بيروت، دار النهار بالتعاون مع المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ٢٠٠٤.

أبو سيف، ساندي سالم: *قضايا النقد والحداثة دراسة في التجربة النقدية لمجلة (شعر) اللبنانية*، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥.

مهدي، سامي: *أفق الحداثة وحداثة النمط-دراسة في حداثة مجلة شعر بيئة ومشروعاً ونموذجاً*، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، ١٩٨٨.

الدوريات:

الخال، يوسف: "*رسالة إلى سلمى الخضراء الجيوسي*"، مجلة "شعر" ع(١٥)، (١٩٦٠).

الخال، يوسف: "*قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة*"، مجلة "شعر"، ع(٢٤)، (صيف ١٩٦٢).

الخال، يوسف: *مستقبل الشعر في لبنان*، "محاضرات الندوة اللبنانية، مجلة "شعر" ع(٥)، (١٩٥٧).

طراد، ميشال: "*كزبي*"، مجلة "شعر"، ع(١)، (نيسان،١٩٥٧).

لؤلؤة، عبدالواحد: "*فضية الشعر الحر في العربية*"، مجلة "شعر"، ع (٤٣)، (صيف ١٩٦٩).

هيئة التحرير: "*أخبار وقضايا*"، مجلة "شعر" ع(١٥)، (صيف،١٩٦٠).

هيئة التحرير: "*أخبار وقضايا*"، مجلة "شعر" ع(٩)، (صيف، ١٩٦١).

هيئة التحرير: مجلة "الآداب"، بيروت، ع (١١)، (١٩٥٩).

هيئة التحرير: مجلة "الآداب"، بيروت، ع (٢٢)، (١٩٦٢).

هيئة التحرير: مجلة "شعر" بيروت، لبنان، ع(٢)، (١٩٥٧).

هيئة التحرير، "*أخبار وقضايا*"، مجلة "شعر"، ع (١٣)، (كانون الثاني، ١٩٦٠).

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ١٦١-١٩٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

"النّخلة والجمل": قراءة نقديّة

عمر بن عبد العزيز السيف

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢/ ١/ ١٤٣٨هـ، وقبل للنشر في ١٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : كتاب "النخلة والجمل"؛ نقد النقد؛ الشعر الجاهلي؛ الشعر النبطي؛ التراث الشفهي؛ شعر أهل المدر؛ أشعار البادية.

ملخص البحث: هذا البحث هو محاولة لتفكيك الأسس والمصادر المعرفيّة التي تأسّس عليها كتاب "النخلة والجمل" للباحث مرسل بن فالح العجمي، مع تقديم قراءة نقديّة إبستمولوجيّة لما بذله المؤلّف من جهد علميّ. لقد أسّس المؤلّف بحثه على فرضيّة مفادها أنَّ الشعر النبطي شعرٌ جاهلي ولكن بلغة ملحونة، وهي فرضيّة قال بها الكثير من الباحثين، ولكنّ المؤلف حاول أن يرسم لنفسه طريقًا مختلفًا لربط الشعر العربي قبل الإسلام بالشعر النبطي، وتبيان العلاقة المكانيّة واللسانيّة والإنسانيّة بين الأدبين، مع محاولة اجتراح منهج بديل للدراسة المقارنة يقوم على ما سمّاه المؤلّف "فضاءات الحاء" عوضًا عن الأغراض التقليديّة التي تُفتّت الشعر وتشظّيه، حسب رأيه. والحقيقة أنّ هذه الدراسة يمكن أن تفيد المتلقّي وتقدّم إضافة مهمّة في حقل دراسات الأدب العربيّ قبل الإسلام، فمعظم الدراسات التي أُعدّت عن الشعر الجاهلي كانت بأيدي مستشرقين أو كتّاب عرب في عواصم بعيدة عن منابع الشعر الجاهلي، ولذلك بنوا أحكامهم على قراءات مكتبيّة، دون العودة إلى البيئة التي أنتجت الشعر الجاهلي لمساءلة تراثها، ودراستها أنثروبولوجيًّا وثقافيًّا ولغويًّا، والاستفادة من نتائج هذه الدراسات لفهم الشعر الجاهلي، واستيعاب دلالاته. فالأحكام التي وقرت في الدرس الأدبي أصبحت مسلّمات لا يمكن الحيد عنها. لقد أبان الكتاب عن بصيرة واضحة للمؤلّف، وقدرة عالية على فهم الأدبين الجاهلين والنبطي، غير أنّه وقع في أخطاء منهجيّة استوجبت مثل هذا البحث، أهمّها إصدار الأحكام دون مسوّغات مقنعة، والاضطراب المنهجي، إضافة إلى عدم أصالة بعض النتائج التي توصّل إليها الباحث وعزاها لنفسه.

"The Palm Tree and the Camel": A critical Reading

DR. Omar AbdullAziz Alsaif
Associate Professor , Arabic Language , College of Arts,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 2/1/1438H; Accepted for publication 18/5/1438H)

Keywords: The Palm Tree and the Camel, Criticism of critical theory, Jahili poetry, Nabati poetry, oral traditions, Bedouin poetry, rural poets..

Abstract: This article is an attempt to deconstruct the basis and cultural references used as the background of the book entitled "The Palm Tree and the Camel," by Mursel Faleh AlAjamy. The article will also introduce an epistemological critical reading of the literary effort exercised by the author in writing the book. In the book, the author's basic assumption is that Arabia's contemporary folklore poetry is a continuation of the Jahili (pre-Islamic) poetry, but is clad in corrupted language. While this assumption was touted by many authors before him, AlAjamy tries in his book to strike a new path to relate the pre-Islamic poetry to the current folklore poetry of Arabia, and to illustrate the spatial, linguistic, and anthropological ties between the two genres. Towards this goal, AlAjamy elaborated a new method of comparative reading of the genres of love, war, and eulogy to replace the traditional methods of reading and interpreting them which fragments the literary texts, as he claims. The reality is AlAjamy's study does benefit the reader, and it introduces a valuable addition to the field of Arab studies of pre-Islamic literature. Up to his work, most studies of Jahili literature were produced by orientalists, or by Arab authors isolated in faraway lands from the land of birth of this poetry. These authors, however, built their judgments on theoretical knowledge without mining of the linguistic, anthropological, and cultural environment in which it was produced, and without using the results of these fields to understand the Jahili poetry and its meanings. In undertaking this project, AlAjami was faced with a set of entrenched maxims. He, however, showed superb command of both genres of poetry in tackling this formidable task. Unfortunately, he made some methodical errors which this article tries to point out. The most important errors are the pronouncement of judgements without convincing evidence, methodology errors, and claiming some previously published results to himself.

يعدُّ كتاب "النّخلة والجمل علاقات الشّعر النّبطي بالشّعر الجاهلي" من الكتب التي تتغيّا اكتشاف الرّوابط بين الشّعر الجاهلي والشّعر النّبطي، وهي أطروحة مهمّة تناولها عددٌ من الدّارسين بالنّقد، وسعى مؤلِّف الكتاب مرسل بن فالح العجمي[١] إلى أن تحقّق معرفته العميقة بهذين النّمطين من الشّعر إضافات قيّمة.

صدرت الطّبعة الأولى من الكتاب عام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢ عن دار آفاق في الكويت، في أربعمائة وسبع وثمانين صفحة، مقسّمة إلى ثلاثة أقسام:
١- دراســـات (في مائتين وخمس وأربعين صفحة).
٢- مختارات (في مائتين وثلاث عشـــرة صفحة).
٣- ملاحق (في ست عشرة صفحة). وقد نال الكتاب احتفاءً بارزًا من الباحثين (أحمد هادي، ٢٠١٢م)، ورُشّح لجائزة زايد للكتاب في حقل الفنون والدّراسات النقديّة (د.م، ٢٠١٤م)، وهي إحدى أهمّ جوائز الكتاب في الوطن العربي.

العنوان: يطرح العنوان الرّئيس ثنائيّتين ميّزتا العرب في الجزيرة العربيّة، مهد الشّعر الجاهلي والشّعر النبطي، وهما النّخلة والإبل. ولقد ارتبطت النخلة بأهل المدر والجمل بأهل الوبر، فهما مصدرا أموالهم وغذائهم ومتاعهم، وكما ارتبطت النخلة وأهل المدر بالرسوخ والمكث، ارتبط الجمل وأهل الوبر بالتّرحال والانتقال؛ ومن ثمّ أصبحت النّخلة والجمل الرمزين الرئيسين لأهل الجزيرة. ولا شكّ في أنَّ هذا العنوان يُحيل إلى تقابل ينبغي أن تتناوله الدّراسة بين أهل المدر وأهل الوبر لاستشكاف مناطق الالتقاء والافتراق بينهما على المستوى الفنّيّ ومن ثمّ الاجتماعي.

ويبيّن الكتاب هدف البحث الرّئيس وهو إبراز "علاقات الشّعر النّبطي بالشّعر الجاهلي"، ومن ثمّ، فالعنوان يوضّح أنّ غاية الكتاب استكناه علاقة الشّعر النّبطي بالشّعر العربي قبل الإسلام، مع مراعاة الاختلافات الاجتماعيّة بين أهل المدر وأهل الوبر، وما يمكن أن تحيل إليه على المستوى الفنّي.

وأمّا علاقة النّبطي بالجاهلي، فهو مبحث متداوَل،[٢] ولكنّ معظم الّذين تناولوه تنقصهم المنهجيّة في التّحليل، حتّى وإن كانت معلوماتهم واسعة وذات قيمة عالية، كمحمّد بن عبدالله بن بليهد، وخالد الفرج، وعبدالله بن خميس، وسعد الصويّان الذي

(١) هو أستاذ الأدب والنقد في جامعة الكويت، وله العديد من الأعمال العلميّة، منها تحقيق كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي؛ والرحلة الأخرويّة العلائيّة: أطراف رسالة الغفران؛ والسّرديات: مقدِّمة نظريّة ومقتربات تطبيقيّة؛ وتيارات نقديّة معاصرة؛ والفنّ القصصي في الكويت؛ والبحث عن آفاق أرحب: مختارات من القصّة القصيرة الكويتيّة المعاصرة.

(٢) وقد تناولت هذه الجهود باختصار في بحثي: "فهم الشعر وتفسيره وتأويله، مقدّمة نظريّة". بحث مقدّم للنشر.

اتّصف عمله بالعمق والمنهجيّة والتّرتيب، وأثّر في بعض الباحثين، وكان تأثيره واضحًا وجليًّا في هذا البحث الذي نحن بصدده.

وأمّا ثنائيّة الجمل والنّخلة فهي أيضًا ثنائيّة مطروحة، ابتداء من ابن خلدون الذي رأى في البداوة نقيضًا للحضارة، وأقام مقارنات في التكوين الثّقافي والتكوين الجسدي والتكوين الأخلاقي (ابن خلدون، د.ت، ج١، ص١٢٠-١٢٨)، مثلما تناول هذه الثنائيّة معظم من درسوا الشّعر النّبطي. ويُعدّ سعد الصويّان من أهمّ من درس هذه الثنائيّة، فقد عقد مبحثًا بعنوان "البداوة والحضارة: تضاديّة أم تكامل" (٢٠١٠م، ص٣٢١-٣٤٤)، وبثّ أفكاره عن هذه الثنائيّة في معظم إنتاجه، وقد تكون فكرة كتاب العجمي مستقاة من مبحث "ثنائيّة الرّموز" للصويّان الذي بدأه بقوله: "تحتلّ النخلة في نفس الحضري ذات المكانة التي تحتلّها الإبل في نفس البدوي" (الصويّان، ١٤٣١هـ، ص٣٧٣)، ثم تعمّق في الحديث عن هذه الثنائيّة التي بنى العجمي كتابه عليها.

القسم الأوّل: دراسات:

قسّم المؤلّف القسم الأوّل إلى خمسة أجزاء (مقدِّمات؛ علاقات؛ تواريخ؛ الشّعر الجاهلي: التّجربة والتّعبير؛ الشّعر النّبطي: التّجربة والتّعبير).

المقدِّمات

يبيّن المؤلّف أنَّ الفرضيّة التي ينطلق منها البحث هي أنَّ الشّعر النّبطي شعرٌ جاهلي، ولكن بلغة ملحونة (مرسل العجمي، ٢٠١٢م، ص١٨). وهي فرضيّة لافتة للاهتمام، وتتطلّب عملًا ضخمًا لإثباتها، ثم يذهب العجمي إلى أنَّ غاية الكتاب القصوى تتمثّل في إعادة النّظر في دراسة الشّعر الجاهلي انطلاقًا من الشّعر النّبطي، بحثًا عن السّمات المشتركة بينهما على مستوى اللّغة، والتّجربة الإنسانيّة، والبناء الفنّي (العجمي، ص٢٠). ونظرًا إلى عناية الباحث المباشرة بهذا الهدف في البحوث من قبيل بحث "فهم الشعر الجاهلي وتفسيره وتأويله: مقدّمة نظريّة"، وبحث "فهم الشّعر الجاهلي وتفسيره وتأويله: بنية النّسيب أنموذجًا"، وبحث "الرّحلة بين القصيدتين الجاهليّة والنّبطيّة"؛[1] فقد اتّجه هذا البحث إلى استكمال عمل الباحث العجمي برؤية ناقدة. إنَّ السّمات المشتركة لا تعني التّماثل في كلّ شيء عدا الإعراب كما تبنّت فرضيّة الكتاب، والبحث عن الخصائص المشتركة ليس عملًا جديدًا، فقد سبق إليه عدد من الباحثين، بيد أنَّ المطلوب هو إعادة قراءة الشّعر الجاهلي في ضوء بناء القصيدة النبطيّة ودلالاتها ومحرّكاتها، والبيئة التي أنتجتها وسمات إنسان تلك البيئة الذي يُعدُّ امتدادًا لإنسان البيئة الجاهليّة. فعلى سبيل المثال، يُلحظ أنَّ

(١) هذه البحوث الثلاثة مقدّمة للنشر.

الثّور الذي يرد في معظم قصائد العصر الجاهلي منعوتًا بصفات مثل "أحقب" ليس إلاّ "الوضيحي" المعروف، يقول معتّق الزايدي الجهني:

يـــا راكـب اللي نـاعـتـيـن هـــداده
يـــرعى ثمان ســـــنين عشب الـمرابيع
خـــرجـه متـــوبـك زاهيٍ في شـــداده
ومكـــلّف دشـــــنة على كـلّ توضيع
مثـــــل الوضيحي وان جفل مع حماده
والا النداوي يوم يـــأخذ تنـاويـــع

فهو يشبّهه بالوضيحي أو الصّقر، وهما تشبيهان متداولان من نعوت النّاقة في العصر الجاهلي. فجميع الصّفات الّتي ذكرها الشّعراء الجاهليّون عن الثّور تطابق الوضيحي، ولكنّ قرّاء الشّعر الجاهليّ كانوا متردّدين في كنه هذا الحيوان، وظلّت ملامحه حاضرة دون أن يُحدّد نوعه. كما أنَّ بناء القصيدة الجاهليّة يمكن أن يُفهم استنادًا إلى بنية القصيدة النبطيّة، ولكن مع الأخذ في الحسبان أنَّ التغيّر الفنّي أمر بدهيّ، وأنّ بقاء الشّعر قرونًا طويلة بدون تغيّر أمر مستحيل.

وقد بيّن المؤلّف في مقدّمته، أنّ ممّا يطمح إليه هو أن يكون تأليفه هذا "محفّزًا أو مستفزًّا لكتابات لاحقة، تُصوّب وتُعمّق، وتعدّل ما يطرحه هذا الكتاب" (ص٢٠)، وليست هذه الوريقات إلّا تحقيقًا لهذا الهدف واستجابة لذلك النّداء.

علاقـــات

علاقة الشّعر النّبطي بالشّعر الجاهلي:

١- **العلاقة المكانيّة**: أشار المؤلّف إلى أنَّ مناطق انتشار الشّعر النّبطي شملت الجزيرة العربيّة، ما عدا اليمن، إضافة إلى الجزيرة الفراتيّة وبادية الشّام وصحراء سيناء، وأنّ هذا التّوزيع الجغرافي الشّعري يتطابق ومناطق الشّعر الجاهلي. على أنّ أسباب التركّيز على هذه المناطق دون سواها لم توضّح. فاليمن يتضمّن أنواعًا من الشّعر العامّي تقترب من النّبطي، مثل الحميني[1]. ولبعض الأقاليم اليمنيّة، مثل مأرب، شعر نبطيّ لا يختلف كثيرًا عن شعر المناطق المتاخمة لها من الشمال. كما أنَّ شعر أقاليم تهامة في عسير وجازان مختلف تمامًا عن النبطي. وأمّا شعر سيناء فهو قريب من الشّعر النّبطي وإن لم يتطابق معه، على أنّ سيناء لم تعرف موطنًا للشّعر الجاهلي.

---

(١) يمكن الاطلاع على نماذج منه في الجزء السابع عشر من الكتاب المعروف **الأزهار النادية من أشعار البادية "القسم الحميني"** (كمال، ١٤١٨هـ، ج١٧). وقد ذكر الأديب إبراهيم بن أحمد الحضراني في الجزء السادس عشر من **الأزهار النادية من أشعار البادية** عن أوزان الأدب اليمني العامّي أنّ "اليمني ليجد لهذه الأوزان سيطرة كبيرة على أعصابه، وهيمنة على مشاعره، وغذاء لفكره وقلبه. أمّا غير اليمني، فقد يصعب عليه تذوّق موسيقاه، وإن فهم الشيء الكثير من لغته، ولا يجد فيه من المتعة واللذة ما يجده اليمني" (كمال،١٣٩١هـ، ج١٦، ص١٢).

ومع ذلك ففكرة المؤلِّف منطقيّة من حيث الرّابطة المكانيّة، ذلك أنّ هذا الشّعر يمثّل الثّقافة النجديّة، مثلما كانت الفصحى في العصر الجاهلي مأخوذة من لغات هذه المناطق. فموطن الشّعر النّبطي هو نجد والمناطق المتاخمة ابتداءً من شمالي نجران حتّى بادية الشّام، ومن عالية نجد غربًا في جبال الحجاز حتّى صحراء الدّهناء، دون إهمال تلك القبائل الّتي تتحرّك من نجد وإليها. ولا أعلم قبيلة أو منطقة ارتبطت بالشّعر النّبطي وليس لها علاقة بإقليم نجد، سواء علاقة جوار أو استيطان. وقد بيّن محمد بن عبدالله ابن بليهد أنّ شعراء المعلّقات كلّهم أو جلّهم، كانوا من نجد.[١] ومع أنّ ثمّة أنواعًا أخرى من الشّعر العامّي غير الفصيح وجدت في مصر والعراق والشّام والخليج العربي، وصلتها بالبيئة النّجديّة لم تكن قويّة، بيد أنّ الشّعر النّبطي لا يكاد يوجد في بيئة منبتّة عن نجد. واللّافت للاهتمام أنّ هذا الشّعر جزء من تراث بعض قبائل عسير التي تسكن الضفّة الشرقيّة لجبال السّراة، إذ تقترب تلك القبائل من اللّغة النجديّة وتقرض الشّعر النّبطي، مختلفين في ذلك عن سكّان تهامة أو الجبال في تلك القبائل.[٢] فكما كانت نجد المهد الحقيقي للشّعر الجاهلي، فإنّها استمرّت كذلك مهدًا للشّعر النّبطي الذي يُعدّ الامتداد الحقيقيّ للشعر الجاهلي (الباحث، ص٣٥).

٢- **العلاقة الإنسانيّة**: وتتحدّد في استمراريّة الحياة في مناطق الشّعر النّبطي على النّمط نفسه منذ العصر الجاهلي، ويعزو المؤلّف ذلك إلى سببين: أوّلهما غياب السّلطة المركزيّة، والآخر تهميش السّلطة المركزيّة حواضر تلك الأقاليم. ويرى أنّ العلاقة بينهما كانت تنحصر في الممارسة المعيشيّة وفي الصّوت الشّعري، وأنّ الشّعر النّبطي يمكن أن يكون مدخلًا مناسبًا إلى اكتشاف الشّعر الجاهلي من ثلاثة مجالات: أوّلها القيم الاجتماعيّة، والثّاني وصف الحياة الاجتماعيّة ومكوّناتها، والثّالث أسماء الأماكن. وهذه العلاقة بلا شكّ توطئة مهمّة قصد إثبات الصّلة بين الأدبين.

٣- **العلاقة اللّسانيّة**: وهذه العلاقة من أهمّ العلاقات التي يؤسّس عليها المؤلِّف فرضيّته، إذ

(١) ذكر ابن بليهد أنّ شعراء المعلقات العشرة كلّهم من نجد ما عدا امرأ القيس، الذي كانت أكثر إقامته في نجد (ابن بليهد، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٤).

(٢) على سبيل المثال؛ نقل منديل بن محمد الفهيد قصيدة = نبطيّة بدويّة عن سالم بن صويلح من آل عطيّة من غامد البادية؛ لأنّ غامد –كما يقول الفهيد–فئتان: غامد البادية وغامد الحاضرة (الفهيد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٧، ص٤٣). وتنقسم بعض قبائل عسير والباحة في المملكة ثلاثة أقسام: سكّان تهامة الذين يقطنون مناطق تهامة ما بين جبال الحجاز والبحر، وسكّان الجبال، والقسم الثالث هم سكّان السفوح الشرقيّة لجبال الحجاز، وهم غالبًا أهل وبر، وأكثر قربًا من الثقافة النجديّة.

يذهب إلى أنّ "كلّ المفردات الواردة في الشّعر النّبطي، ما لم تكن مقترضة من لغة أخرى، يمكن ردّها إلى جذر عربي صحيح" (العجمي، ص٢٩). بل يمكن القول إنّ هذه المفردات يُرجّح أن تكون عربيّة خالصة سواء دوّنت المعاجم دلالاتها أو لم تدوّن، وربّما تكون أُحدثت كلمات جديدة وفق قوانين التطوّر اللغوي. وأمّا المفردات غير العربيّة فهي قليلة جدًّا، وربّما أقلّ عددًا من المفردات غير العربيّة في الشّعر الجاهلي.

ويؤكّد المؤلّف هذه العلاقة عبر خمس ظواهر لهجيّة كانت عند عرب الجزيرة في الجاهليّة، ولا تزال حاضرة، وهي الكشكشة؛ والشنشنة؛ والكسكسة؛ والوقف على نون الوقاية مع حذف ياء المتكلم؛ وحذف ألف الغائبة. ثم بدأ المؤلّف يستعرض وجود هذه الظواهر في العصر الجاهلي، وامتدادها إلى العصر الحديث، وأماكن الحديث بها. والحقيقة أنّ الكشكشة والكسكسة، كما وردت في المصادر القديمة، ولاسيّما في مجالس ثعلب التي نقل عنها المؤلّف، ظاهرتان مختلفتان عن الظاهرتين المعروفتين في نجد والبحرين اليوم، فهم "يجعلون مكان الكاف الشين، وربما جعلوا بعد الكاف الشين والسين، يقولون: إنّكش وإنّكس" (ثعلب، د.ت، ص١١٦)، ونسب أحمد بن فارس الكشكشة إلى أسد، وبيّن أنّها بإبدال الكاف شينًا فيقولون "عليش" بمعنى "عليك". وقيل: يصلون بالكاف شينًا فيقال "عليكش"، ويوصل بالكاف سينًا في كسكسة ربيعة فيُقال "عليكس" (ابن فارس، ١٩٩٧م، ص٢٩)، ومن ثمّ فلم يقل أحد إنَّ الكسكسة هي الحرف النّجدي النّاتج عن إدغام التّاء والسّين الذي يُبدل به الكاف في بعض المواضع، ولا أنّ الكشكشة هي الحرف المنتشر في مناطق الخليج والعراق بمزج الشّين والتّاء Ch في نطقه عوضًا عن الكاف في بعض المواضع. فهذا الأمر حفّز بعض اللّغويين المجتهدين في مجمع اللّغة الافتراضي أن يقرّروا أنّ هاتين الظّاهرتين لم تُذكرا في كتاب أهل اللّغة، ومن ثمّ اقترحوا مصطلحيْ "التّستسة" و"التّشتشة" (حمود العبيد، ٢٠١٥م). وقد لا يكون هذا القرار الأصوب، فالأنسب ما ذهب إليه المؤلِّف، على أنَّ من الخطأ منهجيًّا إخفاء ما بيّنه اللّغويون فيما يخصّ هذين الحرفين. فالعجمي أورد رأيه وكأنَّه مسلّمة لا تقبل الجدال، مع أنّه مجرّد رأي يستدعي مناقشة، بل إثباتًا.

٤- **العلاقة الشعريّة**: وتتجلّى في مستويات ثلاثة: مستوى تداولي؛ ومستوى موضوعاتي؛ ومستوى بنيوي.

ويقصد المؤلّف بالمستوى التّداولي أنّ النوعين يعتمدان على التّداول الشّفهي؛ فالمقصود لديه سمة "الشّفهيّة" وتأثيرها في الشّعر. وهذه السّمة مأخوذة من سعد الصويان عند ربطه بين البيئتين (١٤٢٠هـ، ص٨٥).

وأفاد العجمي أنَّ ثمّة عوامل أسهمت في خلق العلاقة الشعريّة، هذه العلاقة تشابه التّجربة الإنسانيّة في القصيدتين الجاهليّة والنبطيّة، على المستويين الحضاري والوجودي، وعلى المستوى الثقافي؛ من حيث إنتاج القصيدة وتلقّيها وتداولها ومن حيث وظيفتها؛ وتشابه بنية القصيدة. فضلًا عن ذلك يرى العجمي أنَّ هناك تعالقًا نصيًّا مفاده أنَّ القصيدة الجاهليّة أثّرت في النبطيّة، والنبطيّة أثّرت في الفصيح المعرب.

ويستشهد في النّوع الأوّل بقصيدة أوردها الصويان عارض فيها الشّاعرُ محمّد القاضي مطوّلة امرئ القيس، وكان مطلع قصيدة القاضي:

ذوايب متون الليل عن ذيله الضافي

كما ساق موجٍ طوف موج على طافي

ثم يتحفّظ المؤلِّف على وصف الصويّان ذاهبًا إلى أنَّ هذه القصيدة معارضة نبطيّة لمعلّقة امرئ القيس، فهو يرى أنَّ هذا النصّ إنّما هو "تنبيط" للقصيدة الجاهليّة، والقصد منه ذيوع القصيدة في فضاء يتذوّق الشّعر النبطيّ. ولا يقتصر المؤلّف على ذلك وإنّما ينقل القضيّة المعروفة بسرقة إيليا **أبي** ماضي قصيدة الطين من الشّاعر النّبطي علي الرّمثي، ويرى أنّها لا تعدو أن تكون تفصيحًا للشّعر النّبطي، غير أنّ العجمي جانب الصّواب في هذا الرأي. ذلك أنّ علاقة النّبطي بالجاهلي قد لا تطرح في هذا المقام أصلًا، إضافة إلى أنّ قصيدة أبي ماضي إن قبلنا أنّها متأثّرة بالنصّ النّبطي فهي قصيدة حديثة في سياقاتها ولغتها ومضامينها، ومنقطعة عن الشعر الجاهلي.

ومع أنّ المؤلّف يصدر عن رؤية شموليّة واضحة، فإنّه لم يستطع أن يقسّم مبحثه هذا بشكل مناسب، ذلك أنّ مضامينه متداخلة، يعوزها التنظيم المنهجي. فالرّابط اللّساني متداخل مع الشّعري، وكلاهما مرتبطان بالمكان من جهة، وبالعلاقة الإنسانيّة بمختلف تمثّلاتها من جهة أخرى.

تواريـــــخ

١- تاريخ الإنسان: استعرض الباحث تأريخ الإنسان في المنطقة العربيّة ابتداء من العصر الحجري القديم، وبيّن أمكنة وجود الإنسان في الجزيرة العربيّة، وأهمّ ما عرضه المؤلّف هو مفهومه للجزيرة العربيّة، إذ يراها تمتدّ من السّاحل الجنوبي لليمن حتّى الحدود السوريّة التركيّة، ومن الحدود العراقيّة الإيرانيّة حتّى صحراء سيناء غربًا. وهذا التحديد يعكس رؤية ليست دقيقة. فالجزيرة العربيّة هي المعروفة حاليًّا[١]، وأمّا الشّام والعراق فهي مناطق استوطنها العرب منذ

(١) وذكر البكريّ أنّه نُقل عن الأصمعيّ أنّ طولها من "أقصى عدن أبين إلى ريف العراق، وأنّ عرضها من جُدّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطرار الشام"[أي أطرافه] (البكري، د.ت، ص٦).

القدم، ولكنّها حتمًا ليست داخل حدود الجزيرة العربيّة (فضل العماري، ١٤٣٧هـ، ج١، ص١٠)، قال ابن حوقل: "وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومضر الجزيرة [الفراتيّة] حتّى صار لهم بها ديار ومراع، ولم أرَ أحدًا عزا الجزيرة إلى ديار العرب؛ لأنَّ نزولهم بها وهي ديار الفرس والرّوم في أضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة، فنزلوا على خفارة فارس والرّوم" (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص٢٩)، فلم يقل أحد إنّ الجزيرة الفراتيّة جزء من ديار العرب، فضلًا عن القول إنّها جزء من جزيرة العرب. وربّما أوضح هذا التحديد لجزيرة العرب سبب نفي المؤلّف لما أسماه "أسطورة عزلة الجزيرة العربيّة"، فالجزيرة العربيّة بهذا التّعيين الذي يشمل العراق والشّام لا يمكن أن تكون معزولة، فقد يصحّ أمر الانعزال إلى الجزء الصحراويّ منها. وأمّا العراق والشّام فما كانتا يومًا معزولتين، ولم يقل باحث بذلك. ومن أهمّ الملحوظات التي تسجّل في شأن المنهجيّة التي اعتمدها المؤلّف أنّه لا يحيل في الكثير من المواضع على المراجع التي استقى منها، بل يكتفي بالإشارة الآتية: اعتمدت في المعلومات المقدّمة على...، ثم يسرد قائمة من المؤلّفات دون تحديد صفحاتها.

٢- تاريخ اللّسان:

بدأ المؤلّف هذا المبحث بمسألتين مهّد من خلالهما لتأريخ اللغة العربيّة. المسألة الأولى تخصّ تسمية اللّغة الأمّ لما يعرف باللّغات السّاميّة، والأخرى تتعلّق بالخصائص المشتركة لهذه اللّغات. وقد اقترح تغيير اسم "اللّغة السّاميّة الأمّ" و"اللّغات السّاميّة" بـ"اللّغة العربيّة الأمّ"، إذ ينبغي أن تُنسب إلى المكان الذي قيلت فيه، أو إلى الأقوام الذين أصبحوا يُعرفون بها: العرب (ص٨٠)، ثم استعرض المؤلّف الأماكن المطروحة مهدًا للساميين وحصرها في ثلاثة، (أرمينيا وأفريقيا وجزيرة العرب)، في حين أنّ الأماكن المطروحة تشمل مرتفعات كردستان حتّى أرمينيا، ووادي ما بين النهرين (العراق)، وأفريقيا، وشمالي سوريا، إضافة إلى جزيرة العرب (حسن ظاظا، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١١-١٧). ويعدّ ما بين النهرين أحد أهمّ الاحتمالات، ولكنّ المؤلّف لم يناقشه، ربما لأنّ مفهوم الجزيرة العربيّة واسع لدى المؤلّف. وقد استُبعدت أرمينيا واكتُفي بمناقشة خيار أفريقيا مع باحث واحد هو لبنسكي، في حين ترى مجموعة من العلماء هذا الرّأي، منهم تيودور نولدكه وجورج بارتون. ولعلّ الاعتراض الأهمّ الذي لم يذكره العجمي هو: كيف اختفت من أفريقيا جميع اللغات السامية ولم تعد إلى الظهور إلّا في المستعمرات الفينيقية على السّاحل في قرطاجة؟ (ظاظا، ص١٤)، أمّا الحبشة، فصلتها باليمن تجعل إمكانيّة تأثّرها بالأقاليم العربيّة التي تتاخمها عبر البحر أكبر من تأثيرها فيها.

بعد ذلك، استعرض العجمي الخصائص المشتركة بين اللغات الساميّة، التي سمّاها الجَزَريّة على المستويات: **الصوتي والمعجمي والنحوي**، فتوصّل إلى أنّ اللغة العربيّة الشماليّة تتقارب مع اللغة الأم على المستوى الصوتي (ص٨٥)، وتمثّل الامتداد اللغوي الأقرب إليها على المستوى المعجمي (ص٨٧). وأمّا المستوى النحوي فقد زالت علامات الإعراب عن معظم اللغات القديمة وبقيت العربيّة الشماليّة محتفظة بهذه الخصيصة (ص٩٠). وفي هذا الموضع ناقش المؤلّف دعوى خلوّ الفصحى من علامات الإعراب التي قال بها بعض المستشرقين، ثم بيّن أنّ أوّل من قال بأنّ الإعراب من ابتكار النحاة هو محمد بن المستنير (قطرب)، يقول: "ينطلقون من فكرة قطرب حول اللغة المصنوعة من قبل النحاة" (ص٩١)، فقد أوضح العجمي أنّ قطرب ذكر ذلك، بيد أنّ موقف قطرب مختلف بعض الشيء، إذ يرى أنّ إعراب الكلام كان للدلالة على المعاني، وأنّ العرب حرّكت أواخر الكلم كراهية لاجتماع ساكنين، مما قد يبطّئ وتيرة الحديث، وأنّهم لم يلتزموا حركة واحدة؛ لأنّهم أرادوا الاتّساع في الحركات (جلال الدين السيوطي، د.ت، ج١، ص١٨٥-١٨٦). وقد ردّ هذا الرأي وناقشه معظم النحاة، حيث نقل السيوطي أنّ مخالفيه قالوا: "لو كان كما ذكر لجاز جرّ الفاعل مرّة ورفعه أخرى ونصبه" (السيوطي، ج١، ص١٨٧). فقطرب لم يزعم أنّ النحاة "صنعوا" الإعراب، بل يراهم ضيّقوا واسعًا من كلام العرب. كما أنّه يضيف مسوّغًا آخر للعرب بهذه الحركات، وهو تسهيل سرعة الكلام.

والحقيقة أنّ هذا الموضوع مثار وسبق أن نوقش كثيرًا، فعباس محمود العقّاد يختار العربيّة عوضًا عن الساميّة، حيث يقول: "بلاد الشعوب التي تُعرف بالسامية –أو على الأصح العربيّة–هي شبه جزيرة العرب" (العقاد، د.ت، ص١٢٠)، ويرى محمد خليفة التونسي أنّ مصطلح اللغات العروبيّة أقرب إلى الواقع اللغوي، وإلى ذلك ذهب علي فهمي خشيم (خالد الشناوي، ٢٠١٣م). والمقصود أنّ هذا الرأي ليس جديدًا، وقد تناوله الكثير من الباحثين قديمًا وحديثًا، ودارت نقاشات كثيرة وسجالات بشأن تغيير الاسم، ولا سيّما أنّ الساميّة لغة مفترَضة، كُوّنت خصائصها من مقارنة مجموعة لغات على المستويات الصرفية والصوتية والنحويّة والمعجمية، وكانت الخصائص الأهمّ مستقاة من العربيّة. وكان يمكن للمؤلّف أن يحيل إلى تلك الآراء والنقاشات؛ ليستخرج رأيه ويبني عليه ما يمكن أن يخدم أطروحة الكتاب.

وقد ختم المؤلّف هذا المبحث بتقديم تصوّر تاريخي لتحولات اللغة العربية، يعتمد في جانب منه على المعطيات الأثريّة، وفي جانب آخر على علم اللغة المقارن، فيقسّم العصور إلى أربعة: أولها عصر **اللغة**

العربيّة الأم، ثم عصر **العربية القديمة**، التي تكوّن فيها المجتمع البدوي، ومن ثمّ تحوّلت المنطقة إلى حاضن للغة بسبب الانعزال الذي اقتضاه النمط البدوي، ثم **العربيّة الشماليّة**، التي أصبحت لغة عابرة للهجات مع بدايات الشعر الجاهلي، وأخيرًا **العربيّة المعياريّة**، حيث ظهرت الازدواجيّة اللغويّة.

وفي رأيي، إنّ هذا التحقيب لا يقوم على أساس لغوي أو أركيولوجي، بل هي "خاطرة" يحتاج كلّ جزء منها إلى دراسة، ولكنّ المؤلّف يقدّمها جميعًا في أربع صفحات. فعلى سبيل المثال، العربيّة الشماليّة وُجدت مع الجنوبيّة، يقول أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيّتهم بعربيّتنا" (محمد الجمحي، ٢٠٠١ م، ص٢٩)، فهي ليست طورًا منفصلًا.

يبدو لي من هذا المبحث أنّ العجمي يملك آراء وجيهة، لكنّه يتبنّاها دون تسويغ علمي حقيقيّ، فهو يقدّم شواهد بسيطة يمكن نقضها بسهولة بأدلّة مضادة، ثم يبني حكمًا، ويكون هذا الحكم قاعدة لبناء أحكام أخرى. وما هذا التحقيب الذي تأسّس على مدخلين لغوي وأركيلوجي، كما يقول، إلا مثالًا لمنهجيّة المؤلّف في الاستدلال، فكلّ ما عرضه يمكن نقضه بسهولة كما مرّ، وكان حريًّا بالمؤلّف أن يناقش مناقشة حقيقيّة، أو يحيل إلى دراسة ناقشت تلك الجزئيّة ويكتفي بتبنّي موقفها.

٣- تاريخ البيان

بدأ المؤلّف حديثه عن الشّعر الجاهلي بمناقشة تأريخ الجاحظ الشهير لعمره بأنّه بدأ قبل الإسلام بمائة وخمسين إلى مائتي سنة، وقد ردّ المؤلّف هذا الرأي كما ردّه غيره بالحجج المعروفة بأنّ للشعر إرهاصات ولم يبدأ في لحظة معيّنة[1]، وأنّ لغة الحياة اليومية تطوّرت إلى اللغة الأدبيّة، وليس ثمّة نصّ أوّل بدليل ورود ابن خذام في شعر امرئ القيس. ولكنّي أرى حجّة أهمّ وأعلق بموضوع البحث، وهي حجّة تبيّن خطأ الجاحظ وابن سلام وتكشف أسباب اتّخاذهما هذا الرأي، فالذاكرة الشفهيّة قصيرة، والشعر الجاهلي شعر شفاهي يتلاشى أو يذوب في نصوص أحدث، ولذلك لم يبق في الذاكرة العربيّة من الشعر الجاهلي إلاّ أواخره، وهذا ما حدث للشعر النبطي، فطبيعة الشعر النبطي الشفهيّة جعلت ذاكرته قصيرة ما عدا بعض القطع التي دُوّنت. فخصيصة الشعر الشفهيّة هي ما أوهم بهذا التقسيم الذي حرّره عقل كتابي يبني على ما يشعر به.

وحين يشرع المؤلّف بتحقيب القصيدة الجاهليّة إلى مرحلة **البدايات، ثم النضوج والانتشار، فالذروة والنهايات**، يذكر أنّ أقدم محفوظات القصيدة الجاهليّة تعود إلى مطلع القرن الثالث الميلادي ثم وصل الشعر

(١) ممّن ناقش هذا الرأي: (حسين عطوان، ١٩٨٧م، ص٦٨-٧٢).

في القرن السادس إلى درجة عالية من النضج والانتشار، وبلغت القصيدة الجاهليّة الذروة زمن الدولة الأمويّة، ثم بدأت النهاية مع قيام الإمبراطوريّة العباسيّة. ورأي الباحث منطقي، بيد أنّي أرى أنّ القصيدة بلغت الذروة قبيل الإسلام، ثم ارتبكت مع بزوغ فجر الإسلام بسبب التوجّس والجنوح إلى الاستبراء للدين، غير أنّ الشعر ظلّ في الذروة في جميع أمكنته ما عدا مكة والمدينة وما حولهما، ثم اتحدتا في العصر الأموي مع بقيّة مناطق الشعر العربي. ويرى المؤلّف أنّ النهاية كانت مع ظهور شعر مدني ينطلق من واقعه الاجتماعي المعقّد، محاولًا قطع صلاته بالجاهلي على المستويين الموضوعي والفني (ص١٠٨). ويبدو أنّ العراق منطقة شعريّة معروفة في الجاهليّة، وذلك لاتصالها الشديد بالبيئة النجديّة، ثم قوي الاتصال مع موجة المهاجرين إلى البصرة والكوفة مع بداية العصر الأموي وتأجّج النزاعات والعصبيات القبليّة في المدينتين اللتين خُطّطتا بناء على الانتماءات القبليّة (شوقي ضيف، ١٩٧٦م، ص١٥٣-١٦١)، مما استوجب استحضار الشعر وقودًا لنيران العصبيّة، ولم يلبث الشعر حتّى تحوّل عن طبيعته النجديّة ليتأقلم في بيئاته الجديدة فانفصل عن منبته، وفي المقابل بقي الشعر في نجد يتناول الطلل والناقة والثور والظليم حتى عصر الشعر النبطي.

ويسوق المؤلّف حكمًا مفاده أنّ القصيدة في الجزيرة فقدت الإعراب في أواخر القرن السابع وبداية الثامن الهجري، مع أنّ الشعر الهلالي لم يكن معربًا، وهجرة بني هلال كانت في القرن الرابع (أبو عبدالرحمن الظاهري، ١٩٨٢م، ص٥٢)، ومن ثمّ فالمؤلّف يصدر حكمًا دون أن يقنع القارئ بأدلّـته.

ثم ينتقل إلى الشّعر النّبطي؛ ليناقش تسميته، ويورد أطرافًا من النقاش المعروف عن ربطه بالأنباط، بيد أنّه يُحمد له إحالته إلى سعد الصويان وغسان الحسان اللذين درسا هذا الموضوع باستفاضة، ثم أكمل المؤلّف مدارسة التسمية من وجهين: مصدر تسمية ذلك الشعر بالنبطي، والأسماء الأخرى المرادفة للنبطي، كالعامي والشعبي والبدوي.

واستهلّ المؤلّف تحقيبه الشعر النبطي بمناقشة نشأة اللحن عند العرب. ويبدو لي أنّ معظم الخلط الذي يقع فيه أهل اللغة عند تناول الكثير من الظواهر سببه الفكرة الراسخة أنّ جميع العرب كانوا يتحدثون لغة واحدة معربة في عصور الاحتجاج، ثم تبلبلت الألسن في وقت واحد في جميع الحواضر المتباعدة جغرافيًّا، ولم يلبث أهل البادية أنْ أصابهم اللحن وفي وقت واحد أيضًا، فهذه الفكرة الخاطئة التي تناقض سيرورة اللغات سبّبت الكثير من الأوهام.

ويفرّق العجمي بين اللحن عند البادية وعند الحاضرة، فاللحن كان في النحو والصرف، وبقيت

الدلالة عربيّة. وفي رأيي ارتبطت الفصاحة بالبدو، وهي نظرة قديمة بدأها العلماء واللغويون العرب ثم امتدت إلى العصر الحديث، فالبدو أفصح من الحاضرة، حتى جعل العلماء الاحتجاج بهم متأخرًا عن الحاضرة كما هو معروف، وأكثر اهتمامًا به.(١) وقد تناول خير الدين الزركلي المقارنة بين شعري البدو والحضر، وأبدى إعجابًا بتميّز البدو الشعري الذي تظهر فيه الوعورة والارتجال على الحضري الذي تتبدى فيه الصنعة والتكلّف (خير الدين الزركلي، ص١٦٥-١٧٣). وهذه النظرة مسوّغة علميًّا، فالبيئات المنعزلة تحتفظ بخصائصها اللغويّة أكثر من غيرها، إضافة إلى ما تميّز به أهل البادية من القدم من حفظ الأشعار والأمثال،(٢) والاستشهاد بالمأثور اللغوي. ولا نزال إلى اليوم نرى في أبناء البادية تميّزًا من الناحية اللغوية.

ولكن ينبغي التفريق بين حاضرة نجد والحواضر المتاخمة لغير العرب، فحاضرة نجد لا تختلف عن باديتها إلا قليلًا، وتتميّز مفرداتها بالفصاحة، ويمكن العودة إلى استشهاد ابن بليهد أعلاه بقصيدة امرئ القيس: "والذي دعانا إلى إيراد هذه الأبيات أنّ الدلو وعراها ووذمها والتكريب وجميع هذه الألفاظ بمعانيها باقية من عهد امرئ القيس إلى يومنا هذا" (محمد ابن بليهد، ج١، ص٥٠-٥١).

وكما سعى المؤلّف إلى تحقيب الشعر العربي؛ فقد قدّم محاولة لتحقيب الشعر النبطي بأسلوب إحصائي يعتمد على إيراد نصوص من الشعر النبطي القديم، مستفيدًا من جهود سعد الصويّان في جمع أقدم النصوص النبطيّة من مظانّها وترتيبها تاريخيًّا من القديم إلى الحديث. وقد ذكر العجمي أنّ الشعر النبطي كان شائعًا منذ مطلع القرن السابع على الأقلّ، وقسّم الشعر النبطي القديم إلى مرحلتين أساسيّتين، **أولاهما** كانت من عام ٧٢٥هـ حتّى ١١٢٠هـ، وهي مرحلة تميّزت بطغيان البحر الهلالي والتصريع في البيت الأوّل، إضافة إلى غلبة غرض المديح بشكل طاغ. والمرحلة **الأخرى** بدأت عام ١١١٥هـ واستمرّت حتى الربع الأخير من القرن العشرين، وهي مرحلة بحر المسحوب مزدوج القافية الذي كان محدودًا في القرن الثاني عشر، لكنّه طاغٍ في القرن الثالث عشر. ولي ملحوظتان على هذا التحقيب: أولاهما أنّ منهجيّة

(١) روى السيرافي من قوله: "حدثنا أبو بكر بن دريد، قال: رأيت رجلًا في الوراقين بالبصرة، يفضل كتاب (المنطق) ليعقوب بن السكيت، ويقدم الكوفيين؛ فقيل للرياشي، وكان قاعداً في الوراقين، ما قال، فقال: إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد، أصحاب الكواميخ، وأكلة الشوارير، أو كلام يشبه هذا" (السيرافي، ١٣٧٤هـ، ص٦٨).

(٢) يصف شفيق الكمالي البدوي "فكلامه موزون معقول في عبارة صريحة وسرعة انطلاق نحو الهدف، يزخرفه بضرب الأمثال والتشبيهات التي تصدر عن رؤية ومعرفة" (الكمالي، ٢٠٠٢م، ص٢٠).

التحقيب بين الفصيح والنبطيّ متباينة، فهو يقيس شيئًا على شيء مختلف تمامًا، فلِمَ لم تكن المقارنة على المستوى الموسيقي والعروضي مثلًا، أو على مستوى الأغراض، أو أيّ مستويين متماثلين؟ والآخر أنّ الشاعر يستعمل مفهوم البحر في النبطي دون أن يبيّن الإشكالات العروضيّة التي تعتريه، فالبحر في الشعر النبطي مختلف عنه في الفصيح وإن تقاربا، ومن ثمّ كان من المهمّ أن يبيّن هذه الإشكاليّة ويعالجها.

بعد ذلك انتقل الشاعر إلى دراسة العلاقة بين الشعر الجاهلي والشعر النبطي في ضوء مقاربة موضوعاتيّة تطبيقيّة، تحت عنوانين متماثلين "الشعر الجاهلي: التجربة والتعبير" و"الشعر النبطي: التجربة والتعبير".

الشّعر الجاهلي: التّجربة والتّعبير

حدّد المؤلّف مدوّنة للشعر الفصيح لدراستها، وهي "شرح القصائد السبع الطوال" للأنباري، و"جمهرة أشعار العرب" للقرشي، و"المفضليّات"، و"الأصمعيّات"، و"كتاب أشعار الهذليّين" للسكري، معتمدًا على تصنيف النص الشعري إلى شذرة ومقطوعة وقصيدة ومطولة. ولم يذكر المؤلّف مسوّغات اختيار هذه المدوّنة: "اعتمدت في البحث عن التجربة المقدمة في الشعر الجاهلي على عدد محدد ومحدود من المختارات الشعريّة القديمة" (ص١٣٩)، ولكنّه وقع في خطأ منهجي، فالمدوّنة تتضمّن شعرًا جاهليًّا ومخضرمًا وإسلاميًّا، مع أنّ المؤلّف نصّ أعلاه على تمثيلها القصيدة الجاهليّة. كما فرّق بين الشذرة والمقطوعة والقصيدة والمطوّلة بعدد الأبيات. ومع أنّ العدد ليس محدّدًا كافيًا، وأنّ القصيدة إمّا مقطوعة أو قصيدة؛ فإنّ اختياره هذا التقسيم اختيار يُحترم، ولاسيّما لو استطاع تسويغه منهجيًّا.

وكانت أوّل ملحوظة استنتجها المؤلّف بعد الإحصاء هي: "تُناقِض النسبةُ القليلةُ للنصوص التي تبدأ بمقدمات طللية ذلك الحكمَ المتسرّعَ الذي يعمّم موضوعة الوقوف على الأطلال على الشعر الجاهلي" (ص١٤٢). والذي لا شكّ فيه أنّ إثبات هذا الحكم كان بعد دراسات وتحليلات وأبحاث مستفيضة، إضافة إلى ما قاله الأوائل، بيد أنّ نقض الحكم هو الذي كان متسرعًا. ولذا، من المفيد أن أناقش هنا بنية القصيدة العربيّة،[1] فالقصيدة الجاهليّة انقسمت إلى ثلاثة أقسام: الأولى **قصيدة الرجز** التي قد تتضمّن البيتين والثلاثة وتحوي موقفًا انفعاليًّا آنيًّا، يقولها الرجلُ إذا "خاصم أو شاتم أو فاخر" (ابن قتيبة، ج٢، ص ٦١٣)؛ **والمقطوعة** القصيرة التي قد تكون مجرد تفريغ لشعور آنيٍّ أو حاجة نفعيّة مما يُقلّل من أدائها

(١) سأستفيد في هذه المناقشة ممّا ورد في كتاب **بنية الرحلة في القصيدة الجاهليّة الأسطورة والرمز**، (السيف، ٢٠١٠، ص١٠٩-١١٣).

الجمالي الذي يتوافر للقصيدة المكتملة. وأمّا النوع الثالث فهو **القصيدة المكتملة**، وهي القصيدة ذات البنى الثلاث: نسيب ورحلة وفخر (أو مديح، أو غيره). وقد جعل بعض النقاد القصيدة المكتملة هي الأصل، والقطعة بقايا لقصيدة كاملة أو قصيدة ناقصة البناء (ستيتكيفيتش، ١٩٨٥م، ص٦٥). وقد تكون القصيدة مكوّنة من بنيتين: نسيب ورحيل، أو نسيب وغرض رئيس، أو رحيل وغرض رئيس فتكون القصيدة ذات بنية ثنائية فهي غير كاملة. وتتكوّن المقدّمة النسيبيّة من عناصر Motives وهي الأطلال والظعائن، والمرأة، والخمرة، والشيب والشباب، وشكوى الزمن والطيف والخيال. وقد يتفرّد أحد هذه العناصر بالمقدمة النسيبيّة، وقد تحوي أكثر من عنصر تتفاعل مع بعضها أو تتصادم؛ لتنتج الكثير من الدلالات والصور وقد تتعدد بنى القصيدة وتزيد على ثلاث، ولكنّ التحليل يُبيِّن -في الغالب- بنى القصيدة الرئيسة، والعلاقات بينها. فالنسيب "مفتاح القصيدة، ويساعد الشاعر في إشعال الفكرة التي تعقب النسيب مهما كانت؛ إذ لم يكن النسيب من أجل المرأة -كما قد يبدو- ولكنّه من أجل تحفيز قريحة الشاعر، واستثارة ذوق المتلقّي" (J.BRILL, 1990, P20). لذلك، تعدّ المقدّمة النّسيبيّة فضاءً دلاليًّا واسعًا لنقّاد الشعر.

فالقصيدة العربيّة تشمل الرجز والمقطوعة والقصيدة المكتملة، وبنية النسيب مجموعة عناصر أهمّها الوقوف على الأطلال، ولكنّ المؤلّف ارتكب أخطاء فادحة حين جمع الشذرات (كمّا سمّاها) والمقطّعات والقصائد والمطوّلات، وخلط جميع الأوراق؛ ليصل إلى حكم مبتسر وغير دقيق، ولم يُبنَ على منهجيّة علميّة، بل إنّ المؤلّف نقضه في الصفحة نفسها حين بيّن أنّ هناك نمطين، هما نمط المقطوعات ذوات الموضوع الواحد، ونمط القصائد والمطوّلات الذي يبدأ غالبًا "بالوقوف على الطلل أو مناجاة الطيف أو الإشارة إلى ذكر الحبيبة الراحلة" (ص١٤٣). فلم يقل أحد من الباحثين إنّ المقطوعات تبدأ بالوقوف على الطلل، ولكنّها تمثّل أهمّ عناصر بنية النسيب في القصيدة المكتملة.

- **أصوات التجربة:**

ويقدّم المؤلّف اعتراضه هنا على دراسة الشعر الجاهليّ بطريقة تفتيتيّة يتوزّع فيها النصّ إلى أغراض، واختار ما سمّاه **فضاءات الحاء**، وهو يعني أنّ موضوعات القصيدة الجاهليّة يمكن تقسيمها بناء على ثلاث موضوعات (جمع موضوعة) تبدأ بحرف الحاء، وهي **الحرب**؛ و**الحسب**؛ و**الحزن**.

ويناقش المؤلّف تجليات **الحرب** في ضوء انبثاقه من المحور الرئيس (الفروسية)، وتتمثّل عبر تجليّات رفض الذل والهوان؛ واقتحام الموت في لحظة الخطر؛ والاعتذار عن الفرار من المعركة؛ وإنصاف العدوّ المهزوم.

وقبل مناقشة هذه التجليّات؛ ينبغي أن نفهم صورة الرجل المثال في الذهن العربيّ قبل الإسلام، وهو الأنموذج الذي دارت حوله قصائد الفخر والمديح، وكذلك قصائد الهجاء التي تغيّت نقض تلك الصفات. فالمعتقدات العربيّة القديمة التي كانت تقدّس القمر كانت تجعل الرجل المثال أحد تجليّاته، والرجل المثال رجل محارب يأخذ من الإله بعض خصائصه. ويمكن فهم تلك الصورة من خلال وصف ابن الكلبي للصنم "ود"، يقول: "قلت لمالك بن حارثة: صف لي ودًّا حتى كأنّي أنظر إليه. قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذُبِر عليه حلّتان، متّزر بحلّة، مرتدٍ بالأخرى. عليه سيف قد تقلّده. وقد تنكّب قوسًا، وبين يديه حربة فيها لواء، ووفضة فيها نبل" (هشام ابن الكلبي، د.ت، ص٥٧). فهو كأعظم ما يكون من الرجال، ومن ثمّ كانت صفات "ودّ" كامنة في نفوس كثير من الشعراء حين يريدون الإشادة برجل مثال؛ فهم يخلعون عليه صفات "ودّ" أو الإله القمر. إنّ قيمة الرجل المثال في الشعر الجاهلي لا تكمن في وهب الخير والامتناع عن الشرّ كما دعا إلى ذلك الدين الإسلاميّ، وإنّما الرجل المثال هو من يقدر على أن يهب الشرّ لأعدائه والخير لأحبّته، فهو يقترب من صورة الإله وقدرته. فالرجل المثال هو الرجل/ المحارب، والرجل/ الغيث (السيف، ٢٠٠٩م، ص٢٣٥-٢٤٩). ويوضّح هذا المعنى ما نقله ابن هشام في السيرة النبويّة: قال هاشم بن حرملة لعامر الخصفي: قل فيّ بيتا جيدًا أثبك عليه؛ فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشمًا: ثم قال الثاني، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه:

أحيا أباه هاشـــــــم بن حرملـة
يـــوم الـهبـات ويـوم اليـعـمـلـة
ترى الملـــوك عنـــده مـغـربـلة
يقتـــــل ذا الذنب ومن لا ذنب له

فلما قال الرابع: **"يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له"** أعجبه فأثابه عليه (ابن هشام، د.ت، ج١، ص١٠١). فلم يجزه إلا بعد أن أقرّ له بالقدرة على الظلم. وهنا، يتماثل الشعر الجاهلي مع الشعر النبطي (ص ٣٨٥)، في أنّ الرجل المثال هو من يعطي الشرّ لأعدائه والخير لأقربائه ومحبيه، فمن يعطي الخير دون الشرّ رجل ناقص. ومن ثمّ كانت الحرب وسيلة تحقيق الكمال، فالرجل الذي لا يخوض الحرب لا يمكن أن يكون كاملًا، والقبيلة التي لا تحارب ليست كاملة ولا مثالًا. والنصّ المشهور لمحمد بن سلام الجمحي يؤكّد ذلك؛ يقول: "فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أنْ يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعدُ فزادوا في الأشعار" (ابن سلام، ص٣٩)، فالحرب

ترفع قيمة القبيلة، وتزيد هيبتها في نفوس خصومها. ولو ركّز المؤلّف على هذا الرابط الذي أراه مهمًّا بين الشعر الجاهلي والنبطي لخلص إلى نتائج أهمّ من هذه التقسيمات التي لا تحيل إلى شيء ذي قيمة.

والفضاء الثاني هو **الحسب**، وهو بتعريف المؤلّف "ما يعدّه الإنسان من مفاخر، سواء كانت له أو لآبائه أو لقبيلته" (ص١٤٦)، مع أنّ الرأي المعروف ينصّ على أنّ الحَسَب هو: الشَّرَفُ الثابِتُ في الآباءِ، وهو ما يَعُدُّه الإنسانُ مِن مَفاخِرِ آبائِهِ (جمال الدين ابن منظور، ٢٠٠٤م)، بيد أنّ الرأي الذي ساقه المؤلّف معتبر ومُتداول. ومعظم ما ورد من أمثلة وشواهد يقترب من فضاء الحرب، فهو مدح وفخر وهجاء بالحرب، وليست ثمّة حدود تفاصل بين الفضاءين. أمّا الفضاء الثالث فهو **الحزن**، وجعله متمثلًا في الرثاء، حيث ينقسم إلى قسمين: البكاء على ميت، سواء كان هذا الميت شخصًا محبوبًا أو شخصًا مؤثّرًا، والبكاء على الشباب. ولا أعلم لِمَ حصر المؤلّف الحزن في رثاء الميت ورثاء الشباب، فالحزن قد يَرِد في جميع الأغراض، ففي الفخر مثلًا يمكن أن نطالع قصيدة الحصين بن حمام الشهيرة في فخره الحزين وهو يقاتل بني عمومته (الحصين بن الحمام، ٢٠٠٢م، ص٨١-٨٥)، فهو وإن كان يفخر بفعالهم، فإنّه يبيّن حزنه على قتل من كانوا أعزّة. والحزن قد يكون في المطالع الغزليّة من قبيل قصيدة بشامة بن الغدير:

هَجَـــرْتَ أُمَامَةَ هَجْرًا طَوِيلاً
وَحَمّـــــلَكَ النَّأْيُ عِبْئًا ثَقِيلاً
وَحُمِّلْـــــــتَ مِنْهَا عَلَى نَأْيِهَا
خَيَـــــالاً يُوَافِي وَنَيْلاً قَلِيْلاً
وَنَـــظْـرَة ذِي شَـجَنٍ وَامِـقٍ
إِذَا مَا الرَّكَـائِبُ جَـاوَزْنَ مِيْلاً

(المفضل الضبّي، د.ت، ص٥٥-٦٠)، فالحزن بادٍ وهو يحمل خيالها وذكريات لحظات الفراق الحزينة، وهي موضوعة تتكرّر كثيرًا. فالحزن ليس مقصورًا على ما بيّنه المؤلّف الذي كان يقصد رثاء الميّت ورثاء الشباب، ولكنّه اختار الحزن عوضًا عن الرثاء؛ ليكمل فضاءات الحاء التي اختارها. والحقيقة الواضحة هي أنّ رثاء الشباب يعكس قلق الإنسان الأزليّ من الزمن، وهو قلق عالجته الأديان ولاسيّما الإسلام، في حين كان الشاعر الجاهليّ يعاني من هذا القلق، وقد انعكس على شعره في مواضع غير قليلة.

وبعد استكمال فضاءات الحاء، بقيت موضوعات لم يدرجها المؤلِّف فيما ذهب إليه، فأضافها، وهي: موضوعات الحياة اليوميّة، وموضوعات مكانيّة. وقسّم موضوعات الحياة اليوميّة إلى ثلاثة أقسام: ١- الرّديّات، ٢- الخصومات الزوجيّة، ٣- وصف نعلين. وبنى المؤلّف القسم الأخير على أبيات محدودة لأبي خراش الهذلي فحسب. أمّا الموضوعات المكانيّة فتمثّلت في ثلاثة مواضع، أولها وصف البيئة البحريّة

لشعراء شواطئ الخليج العربي، واستشهد المؤلِّف بأشعار "سكّان شواطئ الخليج العربي الذين عرفوا الحياة البحريّة والغوص على اللؤلؤ منذ أزمنة سحيقة،" (ص١٥٢)، والصحيح أنّ الشعراء الذين ذكرهم المؤلّف، في الغالب، لا ينتمون إلى الساحل،(١) ولكنّ ثقافة البحر ليست ببعيدة عنهم ولا غريبة عليهم، ولاسيّما أنّ بعض سكّان بادية نجد وحاضرتها قد يضطرهم نقص المياه وشحّ الأمطار إلى البحر بشكل مرحلي أو دائم. والبيئة الثانية كانت البيئة الزراعيّة في يثرب مستشهدًا بشعر أُحيحة بن الـجُلاح. أمّا البيئة الثالثة فكانت جبال الحجاز في شعر الهذليّين.

ومع الاحترام الكامل لجهد المؤلّف المبذول قصد اكتشاف بديل عن الأغراض التي تفتّت الشعر، كما ذكر، فإنّ هذه الفضاءات متوهّمة وغير متجانسة، فهو يجعل الحرب والحسب والحزن أهمّ التجارب الإنسانيّة العابرة للتاريخ؛ أي "التي تحضر عند الإنسان في كلّ زمان ومكان،" (ص١٤٣)، وكأنّه اختار العنوان "فضاءات الحاء" ثم حاول أن يجد ما يمكن أن يملأها. والسؤال الذي يُطرح في هذا الصّدد: أين موضوعة المرأة، وأين موضوعة الناقة، اللّتان لا تردان في الحرب إلا قليلًا؟ وهاتان الموضوعتان من أهمّ موضوعات الشعر العربي قبل الإسلام. ثم إنّه اختار الحزن، وحصره في الرثاء، مع أنّ الرثاء ليس من الأغراض الأساسيّة لشعر الرجل قبل الإسلام. يقول بروكلمان: "على أن إظهار الحزن لم يكن يناسب رجال القبيلة، كما كان لائقًا بنسائها، وخاصة بالأخوات. ومن ثمَّ بقي تعهد الرثاء الفنّي من مقاصدهنّ حتى عصر التسجيل التاريخي،" (بروكلمان، ب.ت، ج١، ص٤٨)، فالمجتمع العربي يحمِّل الرجل مهمّة الثأر، ويعطي المرأة دور الباكية المحرِّضة. كما أنّ هذه الفضاءات غير متجانسة، فاقتران الحزن بالحرب والحسب ليس في محلّه.

- معماريّة التعبير

ويقسّم المؤلّف النصوص إلى قسمين: المطولات والقصائد، والشذرات والمقطوعات. ثم يشير إلى آليات تكوين النصوص، وهي المحفّزات الشعريّة، والروابط الصيغيّة، والعلامات الختاميّة. وهو يرى

(١) مع أنّ مقدّمة ديوانه تشير إلى أنّ طرفة بن العبد وُلد في البحرين (طرفة بن العبد، ١٤٢٤هـ، ص٥)، فإنّه كما هو واضح من أطلاله من أهل عالية نجد، ولكنّ مقتله كان في البحرين (العماري، ١٤٣٦هـ، ج٧، ص٢٥٥). وقال البكري: "قال طرفة، وهو يومئذٍ بناحية ناحية تبالة وبيشة وما يليهما." (البكري، ص١٦). كما أنّ الأعشى من أهل منفوحة في اليمامة، وإن كان أكثر التطواف والرحيل، مثلُه مثلُ خاله المسيب بن علس، وهو شاعر نجدي رحل إلى شرق الجزيرة وغربها وجنوبها. (هزاع الشمري، ٢٠٠٧م، ص٣٤٩). أمّا المخبّل السعدي فينتمي موطنًا إلى "الحزَن والصُّمّان والدّهناء." (الضامن، ٢٠١٠م، ج٢، ص٢٦١)، فمعظم الشعراء الذين استشهد بشعرهم لا ينتمون إلى البيئة البحريّة، ولكنّهم ليسوا بعيدين عنها.

المحفّزات الشعريّة متمثلة فيما سمّاه "شعريّة الاستهلال"(ص١٥٩)، لكنّه لا يلبث أن يجعلها تشمل شعرية الاستهلال (المطالع) والممارسات العروضيّة (التصريع) والروابط الداخليّة (حسن التخلص). (ص١٦١) فالمؤلّف لم يكن محدّدًا في استعمال مصطلحاته، وظلّت عائمة، بل وحاول المؤلّف تجنّب استخدام المصطلح المعروف الخاصّ بالمقدّمة الشعريّة وهو (النسيب)، فسمّاه "شعريّة الاستهلال"، وهي تسمية تتضمّن حكمًا قيميًّا وليست توصيفًا محايدًا.

ويعتقد المؤلّف أنّ تعدّد الموضوعات في القصيدة الواحدة يكون لغايات **نفسيّة**، كما في حديث المرّار بن منقذ عن الشيب، أو لغايات **فنيّة** كما في المطوّلات السبع، أو لغايات **تأثيريّة** كما في قصيدة المديح. في حين أنّ هذه الغايات تتداخل، فغاية الشّيب الفنيّة حاضرة دائمًا، فهي ترد سريعًا عند أكثر الشعراء، ومردّ ذلك "أنّ الحديث عن الشيب كان ضمن سياق عام يلتزم فيه الشاعر ببناء القصيدة، ولم يكن الشيب مقطعًا رئيسًا في ذلك البناء، بل جزءًا من المقطع الخاص بالنسيب." (علي جماح، ١٤٢٦هـ، ص٤٥٦)، فالشيب يحضر لأسباب نفسيّة وأسباب فنيّة أيضًا، مثلما أنّ الغاية التأثيريّة لا تنفصل عن الغايتين النفسيّة والفنيّة.

وسعى العجمي إلى دحض رأي ابن قتيبة في نصّه الشهير الذي يقسّم فيه القصيدة المكتملة إلى بُنى: "وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار..." (ابن قتيبة، ١٤١٨ه، ص٧٥)، ثم ختمه بالقول: "وإذا كان هذا التوصيف يصدق على قصائد المدح، فإنّه، في الوقت نفسه، قد اختزل الشعر القديم كلّه في هذه القصيدة، ويكفي أن نعرف أنّ ستًّا من المطولات السبع لم تكن قصائد مادحة لنرفض ونردّ هذا الاختزال." (ص١٦٢) ومع أنّ هذا النصّ تناول قصيدة المديح،(١) كما أبان المؤلّف، فإنّه ينال أهميّته من تقسيمه لبنية القصيدة المكتملة، وهو تقسيم أقرّ به المؤلّف واتّبعه في حديثه عن معماريّة القصيدة، وقد نُقد نصّ ابن قتيبة بأنّه لم يبنِ حكمه على بناء القصيدة العربيَّة قبل الإسلام الذي ينطلق من النسيب إلى الرحلة ثم الفخر، وإنَّما بنى حكمه على النمط الأموي الذي ابتدأ في أواخر العصر الجاهلي، ولوَّن القصيدة بلون المديح (وهب روميّة، ١٤٠٢هـ، ص١٧٠). وهذا النقد لا يلغي أهميّة هذا النصّ ومركزيّته في فهم بنية القصيدة العربيّة قبل الإسلام التي انقسمت إلى

(١) وقد تَبع ابنَ قتيبة في ذلك ابنُ رشيق؛ يقول: "والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاوز وما أنضى من الركائب وما تجشَّم من هول الليل وسهره وطول النهار وهجيره، وقلة الماء وغؤوره، ثم يخرج إلى مدح المقصود؛ ليوجب عليه حقَّ القصد وذمام القاصد ويستحقّ منه المكافأة" (ابن رشيق القيرواني، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٢٠١).

ثلاثة أجزاء رئيسة: النسيب والرحلة والغرض الرئيس، وهذا الغرض الرئيس كان يغلب عليه الفخر قبل الإسلام والمديح بعده.

وقد عمل العجمي على تصنيف أبيات القصيدة الاستهلاليّة أو ما سمّاه **شعريّة الاستهلال**، فأبان أنّها تكون في اثنتي عشرة ممارسة شعريّة وهي: مخاطبة الرفيق؛ الإشارة إلى الديار؛ اسم المحبوبة؛ النظر إلى الراحلين؛ الوقوف على الأطلال؛ الشكوى من العاذل؛ التهديد؛ تبليغ الرسالة؛ تحذير الأقارب من الظلم؛ إسداء النصح؛ الفخر بالذات أمام الآخرين. وهذا التقسيم أوقع المؤلّف في خللين منهجيين، وهما:

١- تتداخل هذه الأنماط أو الممارسات، كما سمّاها المؤلّف، بشكل يجعل فصلها أو تقسيمها أمرًا متعذرًا، فهو يفرّق بين الإشارة إلى الديار والوقوف على الأطلال، ويجعل قول لبيد بن ربيعة إشارة إلى الديار:

عَفَتِ الدّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا
بِمِنَى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

في حين أنّه يصرّح بأنّه كان واقفًا على الأطلال:

فَوَقفتُ أسْأَلُها وكَيْفَ سُؤالُنَا
صُمّاً خوالِدَ ما يُبِينُ كلامُها

كما يجعل لاسم المحبوبة قسمًا مستقلًّا، ويمثّل بقول طرفة:

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

ثم يضيف الطيف قسمًا مستقلًّا، ويمثّل بقول تميم بن أبي مقبل:

طَافَ الخَيَالُ بِنَا رَكْبًا يَمَانِيا
وَدُونَ لَيْلَى عَوَادٍ لَو تُعَدِّيْنَا

فاسم المحبوبة يحضر في الطلل وفي الطيف، والوقوف على الأطلال يتداخل مع الإشارة إلى الديار، فلا يمكن استبانة قسم مستقلّ محدّد المعالم.

٢- هناك خطأ بنيوي، فالمؤلّف حاول استنتاج أقسام الاستهلال الشعري دون تفريق بين القصائد والمقطوعات، فالاستهلال في القصائد يكون عبر النسيب بعناصره المعروفة، من الأطلال والظعينة والخمرة والشيب والشباب والطيف والخيال وشكوى الزمن، في حين أنّ المقطوعة تكون في موضوع محدّد ويكون استهلالها جزءًا من الموضوع، وهذا الخطأ جعل الباحث يجترح أنواعًا لا يمكن أن تكون ضمن شعرية الاستهلال، فتحذير الأقارب من الظلم، على سبيل المثال، مرتبط بموضوع القصيدة وليس استهلالًا شعريًّا.

ثم تناول المؤلّف **الرّوابط الدّاخليّة: حسن التخلّص**، وكذلك **الخواتيم**، وبدأ بمقاربة تطبيقيّة للبحث عن بنية النصّ الجاهلي من خلال أربعة نصوص هي: معلقة طرفة، ومرثيّة أبي ذؤيب، وقصيدة علقمة، ومرثيّة أعشى باهلة. فهو اختار مرثيّتين للبحث عن بنية النصّ الجاهلي، مع أنّه ممّا وقر

عند دارسي الشعر الجاهلي أنّ قصيدة الرثاء مختلفة في بنيتها عن القصيدة الجاهليّة التقليديّة، كما ذُكر أعلاه. وإذا أمعنّا النظر في مرثيّة أبي ذؤيب الهذلي فسنجدها مختلفة، فالشاعر الجاهلي لا يَقتل الثور الوحشي، بل يجعله منتصرًا؛ لأنه أراد الفخر بناقته القوية التي تشبه في قوتها ثورًا قويًّا لا يمكن أن يُقتل، ولكنّ أبا ذؤيب يرسم صورة الحمار الوحشي، ثم يرسم صورة الثور ويفيض القول في هلكه، ويتحدث عن مصرع البطل الفارس الكامل السلاح، وينعت هذا البطل وموقفه إزاء بطل آخر، يصطرعان ويتشاجران بالسلاح فإذا به قد خرَّ قتيلًا. فالثور الشجاع قتَّل الكلاب ببسالة، إلا أنّ الصائد تدخَّل:

فَبَـــــدَا لَـهُ رَبُّ الكِـلابِ بِكَفِّهِ
مِنْهَا وَقَـامَ شَـــرِيْـدُهَا يَتَضَـوَّعُ
فَـــرَمَى لِيُنْقِـذَ فَرَّهَـا فَهَـوَى لَهُ
سَهْـمٌ فَأَنْفَـذَ طُرَّتَيْـهِ المِنْـــــزَعُ

(الضبّي، ص٤٢٧)، فالثور انتصر على الكلاب، فتدخّل القانص ورماه بسهم المنية فقتله وتمكَّنت منه الكلاب. وهذه أوّل قصيدة يُقتل فيها الثور، وهي لا تمثّل العصر الجاهلي بقدر ما تمثّل العصر المخضرم الذي بدأت فيه العقائد العربيّة قبل الإسلام، وواكب هذا التغيُّرَ الثقافيّ تغيّرٌ فنّي في بناء القصيدة. وهناك من يرى أنّ قتل الثور بسبب غلبة العقيدة الشمسيّة، إذا علمنا أنّ هذه الظاهرة محصورة في قبيلة هذيل، فهذيل تسكن قرب ثقيف حيث تقديس اللاّت رمز الإلهة الشمس (عبدالله الفيفي، ١٤٢٢هـ، ص٢٦٦).

واللاّفت للنّظر أنّ المؤلّف لم يلتزم دائمًا بالنّموذج البديل الذي أقرّه لمعماريّة القصيدة العربيّة قبل الإسلام، فمع أنّه سمّى النّسيب "شعريّة الاستهلال"، ورفض تقسيم ابن قتيبة، فإنّه لا يلتزم برؤيته التي اختطّها، إذ يقول عن قصيدة طرفة: "انتقل الشّاعر من النّسيب إلى وصف النّاقة...،" (ص١٦٩) مع أنّه قسّم قصيدة طرفة إلى محاور وهي: الاستهلال؛ ووصف النّاقة؛ والفخر الذاتي؛ والشكوى؛ والفخر الذاتي؛ والفخر الذاتي؛ والختام.

الشّعر النّبطي التّجربة والتّعبير

أصوات التّجربة:

بدأ المؤلّف باستكمال الجانب التطبيقي الذي ابتدأه في الشّعر الفصيح فيما سمّاه **فضاءات الحاء**، فقد طبّق أنموذجه المقترح على الشّعر النّبطي، وبدأ بموضوعة **الحرب ثم الحسب ثم الحزن**، مستحضرًا في هذه الفضاءات التفريق بين شعر البدو وشعر الحاضرة في نجد. ومحاولة التفريق هذه مهمّة، ولكنّ القارئ يتساءل لِمَ كانت في فضاءات الشّعر النبطيّ دون الفصيح؟ ولعلّ المسوّغ الذي استند إليه يكمن في أنّ الشعر الفصيح دُرس، أو أنّه يريد أن يعرف ما آلت إليه القصيدة الجاهليّة في علاقتها بالشّعر النّبطي، بيد أنّ المؤلّف لا يقول ذلك ولا يشير إليه.

وبعد استكمال هذه الفضاءات، استعرض موضوعات الحياة اليوميّة التي قسّمها إلى الموضوعات الآتية: الحرب والحب؛ الإخوانيّات والنقائض؛ القهوة بين الحاضرة والبادية؛ غيرة الشعراء على شعرهم؛ التحسّر على عدم حضور المعركة؛ المحاكاة الساخرة. ثم استعرض الموضوعات المكانيّة. وستسعى الأسطر القادمة لمحاولة إثراء ما عرضه المؤلّف من معلومات وتحليلات ذات قيمة، مع بيان مكامن الخلل المنهجي في رؤية المؤلّف.

أولًا: طبيعة الشّعر بين البيئتين: هناك فروق نسبيّة بين البادية والحاضرة أثّرت في ملكة الشّعر لدى شعراء البادية والحاضرة، وأهمّها:

١- **وظيفة الشّعر**: الشّعر لدى البدو وسيلة تربويّة أساسيّة لتقويم السلوك والحضّ على محاسن الأفعال والتحذير من رديئها، إضافة إلى أهميّتها في صقل قدرة الفرد اللّغويّة والارتقاء بها. كما أنّ البدويّ بطبيعته يميل إلى المبالغة، وهو ما يحقّقه له الشعر. ولا يختلف أهل الحاضرة كثيرًا عن أهل البادية في ذلك، بيد أنّ انتشار الكتابة نسبيًّا جعل مكانة الشعر تنحسر بعض الشّيء.

٢- **الدّين**: اتّفق الباحثون على ضعف تديّن البدو في شبه الجزيرة العربية، وبالغ بعض الباحثين حتّى ظنّ أنّ البدو لم يدخلوا الإسلام إلا قليلا، ويرى آخرون أنّ بدو شمال الجزيرة كانوا أضعف تدينًا من بدو نجد الذين اتصلوا بدعوة الشّيخ محمّد بن عبدالوهّاب مبكّرًا.(١) وكان البدو أنفسهم يشعرون أنّهم أقلّ تديّنًا من الحاضرة، وقد لا يرى بعض أبناء بادية الشمال الدّين إلاّ مرتبطًا بالحاضرة، وثمّة أبيات تنسب للجربا من شمّر:

الدّين يصلـــح للّذي مهنته غرس
راعـــــي قليبٍ دبّر الحبّ صاعه
وإلاّ غلامٍ طمّن الكـــف للمرس
يـــعـطي لـطلاب الـجـنايا رتاعه
ياهل مشاويل الرمك رايكم عمس
مير اجلـــبوها وارخصوا بالمباعة
يامـــا حلى الزغروت يا ناقع الورس
ياللي نقـــاريش الهـــوى في ذراعه

(الصويّان، ١٤٣١هـ، ص٣٤٩)، ولذلك، بادر أهل البادية بترك البادية والاتجاه إلى الهجر حينما زاد تديّنهم وقت الإخوان. فجنوح أهل الحاضرة في نجد إلى التديّن أثّر في تعاطيهم الشّعرَ، فبقيت بعض الأغراض التي تدعو للتقوى ومكارم الأخلاق، وأعرض أكثرُ ذوي التُّقى عن الشّعر، وذلك لارتباطه بالغزل والهجاء والعصبيّة(٢). ومن غير الواضح ما إذا

(١) ويرى الكمالي أنّ بدو نجد أُجبروا على تأدية الفروض الدينيّة (الكمالي، ص٤٠).

(٢) يُروى أنّ الشيخ عبدالله بن فيصل، قاضي بلدان المحمل والشعيب، ردّ شهادة أحد الشعراء؛ لأنّه شاعر غزل، فما كان من الشاعر إلا أن فاجأ الشيخ بقوله: وما رأيك يا شيخ بمن قال: "راقٍ رجم العنا طلعة الشمس" (وهي قصيدة=

كان الموقف من الشعر سببه ارتباط الشعر بهذه الأغراض، أم أنّ الموقف من الشعر أفضى إلى أن يتجنّبه الصلحاء والأتقياء، ومن ثمّ تُرك للشباب العابث وللأقلّ التزامًا بقيَم المجتمع. ولعلّ قصّة أهل بلدة الحريق الشهيرة حين منعوا شاعرهم محسن الهزّاني، وهو من الأسرة الحاكمة آنذاك، من مرافقتهم لصلاة الاستسقاء ما يؤكّد ذلك[١]. كما أنّ تديّن أهل الحاضرة أثّر في موقفهم من أمور أخرى، مثل: السلب، والاحتكام إلى السلوم، وتوريث النّساء. فقد كان احتكام البدو إلى السلوم واحتكام الحضر إلى الشرع، وقد أفتى المشايخ والعلماء في بداية قيام الدّولة السّعودية بتحريم الاحتكام إلى السلوم والعادات التي عُدّت من الجاهليّة[٢]. ولا يعني أنّ السلوم لم تكن تحكم الحاضرة، وإنّما كان سلطانها عليهم أقلّ.

فالشّعر يرفع منزلة صاحبه عند البدو، ولذلك لم يستنكف شيوخ القبائل عن قول الشّعر، بل كان ذلك من كمال سجاياهم، فمعظم شيوخ القبائل شعراء، كراكان ابن حثلين ومحمد بن هادي ابن قرملة وتركي ابن حميد، في حين يقلّ الشعراء في أمراء البلدات النجديّة، بل إنّ الكثير منهم يتخلّى عن أشعاره، وربّما أحرقها[٣].

٣- **التعليم**: ومن الاختلافات التي لم يراعِها المؤلّف هو انتشار التعليم نسبيًّا، فشعراء الحاضرة في معظمهم "نالوا قسطًا من التعليم مكّنهم من القراءة والاطّلاع على دواوين الشّعر العربي التي تأثّروا بها...وقد وُجد بينهم من كان لديه قسط من التعليم، ومن كان على اتصال مباشر بالأدب العربي والشّعر الفصيح عن طريق المطالعة والقراءة. فالقصائد المهملة (التي تخلو جميع أبياتها من الحروف المنقّطة)، والمنقّطة (التي تخلو جميع أبياتها من الحروف المهملة)، التّي نظّمها القاضي وابن لعبون والعوني وغيرهم؛ لا تدلّ فحسب على أنّ هؤلاء الشّعراء كانوا متعلّمين (فأين للشاعر الأمي أن يميّز بين الحروف المهملة والحروف المعجمة؟)، بل تشير أيضًا إلى أنّهم كانوا على دراية بما يجري في دنيا الشّعر بالمنطقة وفي العالم العربي، يتأثّرون به ويتفاعلون معه، وكانوا على علم بتيارات الأدب الفصيح في عصوره المتأخّرة". (الصويّان، ١٤٣١هـ، ص٨٠-٨١)، وقد تأثّر الشاعر محمد بن لعبون بقصيدة علي بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ):

= غزليّة للشيخ في مطلع شبابه)، فردّ عليه الشيخ: "هذاك يوم كان حميّر مثلك الآن" (الحمدان، ١٤٠٩هـ، ص٢٦).

(١) حتى إن لم تثبت القصة؛ فاستمرار تداولها في الثقافة الشعبيّة يؤكّد نظرتهم إلى الشعر.

(٢) الفتاوى "الصادرة من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، رحمه الله، نصَّت على أن التحاكم إلى السلوم يعدُّ تحاكماً إلى غير شرع اللهَّ." (القحطاني، د.ت، ص١٨٣).

(٣) يقال إنّ الشاعرين سعد بن مقرن، وعبدالعزيز بن الشيخ، رحمهما الله، أحرقا أشعارهما قبيل وفاتهما (الحمدان، ص٤٨).

سقى صوب الحيا أرض الحجاز

وجاز مراتع الغـــــــيد الجواز

في قصيدته المعروفة:

سقى صوب الحيا مـــزنٍ تهامى

على قبرٍ بتلعـــــــات الحجازِ

(الزايدي، ٢٠٠٧م)، على حين أنّ البدوي لم يقرأ الشّعر الفصيح[١]، فعلاقة الشعرين البدوي والحضري بالشّعر العربي قبل الإسلام كانت متينة، وذلك لكونهما امتدادًا ثقافيًّا واجتماعيًّا وفنيًّا له. إضافة إلى ذلك، كان أدباء الحاضرة يستهجنون الشّعر النّبطي، "ويربؤون بأنفسهم أن يدوّنوه، فضاع منه الشيء الكثير، بل الأكثر،" (خالد الفرج، ٢٠٠٢م، ص١٤)، فالشاعر النبطي لم يحظ بالاهتمام الكافي في الحواضر لأسباب دينيّة وثقافيّة، فالمتعلّمون القادرون على حفظه كتابةً يستنكف كثير منهم عن العناية بالنبطيّ والاهتمام به تورّعًا أو استدناء.

٤- **اختلاف البيئتين**: فالحاضرة بيئة زراعيّة مستوطنة، والبادية قوم رُحّل يتتبعون مساقط الغيث. هذا الاختلاف أفرز فروقًا بين البيئتين، منها أنّ "حياة البداوة تحدّ من إمكانية التكديس والتخزين والتوفير، وبالتّالي من مفهوم الملكيّة الفرديّة،" (الصويّان، ١٤٣١هـ، ص٤٠٥). فهم كثيرًا ما يغزون ويُغزون، وينهبون ويُنهبون، والإبل "أسلاف" فيما بينهم، وقد تنزل عليهم سنوات القحط، ولذلك لا يمكن تحقيق الثّراء، ممّا يجعل الكرم وسيلة تحقيق المآثر في ظلّ استحالة الادّخار والكنز. أمّا الحضر، فهم لا يختلفون كثيرًا، إذ يغزون ويُغزون أيضا، وينهبون ويُنهبون[٢]، وإنْ بشكل أقلّ من أهل البادية، إلاّ أنّ الوعي الديني بعد الحركة الإصلاحيّة حدّ من ذلك. كما أنَّ سنوات الجدب والآفات لا تغادرهم أزمانًا طويلة[٣]، وموارد القرية لا تكفي إلّا عددًا محدودًا من السكّان، فإذا زاد العدد أُخرج بعض السكّان منها حربًا أو سلمًا[٤]،

(١) يقول خير الدين زركلي: "وقلّ في شعر البادية من يتفق له أن يتلقى في صغره شيئًا من مبادئ علوم العربية" (الزركلي، ١٩٢٣م، ص١٦٥).

(٢) ذكر المؤرّخ محمد الفاخري في أحداث ١٠٧٢هـ "أنّ أهل البير أخذوا قافلة لأهل العيينة قاضبينها في معاويد أخذت لهم." (الفاخري، ١٤١٩هـ، ص٩٤).

(٣) ذكر الفاخري في أحداث عام ١١٣٦: "وغارت آبار، وجلا أهل سدير، ولم يبق في العطّار [قرية في إقليم سدير] إلا أربعة رجال، وغارت آباره إلا ركيّتين، وكذلك العودة [قرية في إقليم سدير أيضًا] إلا ركيّتين، جلا كثير من أهل نجد إلى الأحساء والبصرة والعراق"(ص١٢٢-١٢٣).

(٤) الأمثلة الكثيرة مبثوثة في كتب تاريخ نجد عن الحروب، ولكنّ هناك مثالًا واضحًا على الخروج السلمي حينما خرج آل مدلج من بني وائل من بلدة أشيقر عام ٧٠٠هـ، وقصة الخروج أنّ أهل أشيقر قسّموا البلد إلى قسمين: يوم يخرج فيه الوهبة من تميم بأنعامهم وسوانيهم للمرعى، ومعهم سلاحهم، ويقعد بنو وائل في البلد يسقون نخيلهم، ويوم يخرج فيه بنو وائل. وحينما خـــرج بنو وائل في أحـــد =

والهجرة مستمرّة، فإمكانيّة الثّراء قليلة وإن كانت أكثر منها عند أهل البادية.

ففي ضوء هذه المعطيات؛ يمكن أن تكون الدّراسة المقارنة بين شعر البدو وشعر الحضر أكثر منطقيّة.

ثانيًا: مداخلات واستدراكات:

١- ذكر المؤلّف أنّ موضوعة الحرب هي الطاغية في شعر البادية، في حين تطغى موضوعة الحب عند أهل الحاضرة. ويمكن فهم مسوّغات ذلك في ضوء ما تقدّم في التفريق بين طبيعة الشعر في البيئتين، فشعراء الحواضر أكثر اطّلاعًا على دواوين الشعر العربي، وطرقًا للأغراض المتنوّعة في الشعر، إضافة إلى ما سبق قوله عن نزعة التديّن التي جعلت الشّعر ميدانًا لغير الملتزمين بقيم المجتمع المبالغة في المحافظة. كما أنّ كثرة الحروب بين القبائل البدويّة تجعل موضوعة الحرب مهمّة في تخليد مآثرهم وأيّامهم.

٢- يشعر القارئ أنّ المؤلّف يحاول أن يستقصي موضوعات الشّعر، ممّا اضطرّه إلى إضافة موضوعات هامشيّة، مثل: "وصف نعلين" في الفصيح، و"غيرة الشّعراء على شعرهم" في النبطي. وأظنّ المؤلّف كان سيخرج بنتائج أهمّ لو درس التكوين البنيوي بين القصيدة الجاهليّة والنبطيّة، أو ما سمّاه "معماريّة القصيدة"، ولربّما أدّى به ذلك إلى أن يستبعد الموضوعات الهامشيّة التي ترد عرضًا وليست جزءًا من بنية النصّ الشعري. كما أنَّ عنصر "غيرة الشّعراء على شعرهم" لم يتضمّن موتيفًا بنيويًّا في القصيدة، ولكنّه تضمّن ثلاث حكايات، ممّا قد يضعف منهجيّة الكتاب.

٣- ويتبع هذا القسم موتيف آخر وهو "المحاكاة الساخرة" التي لم يجدها المؤلّف إلّا في نصّين، أحدهما في بعض النصوص الإخوانيّة لبعض مرافقي الملك عبدالعزيز، رحمهم الله جميعًا، والآخر في محاكاة ساخرة فكهة لتركي ابن حميد الذي قدّم "وصفًا غرائبيًّا لبعير مهجّن بين أمّ نعامة، وأب بعير" (ص٢٢٦). والملحوظة الأولى تتبع ما سبق أنّ نصّين لا يمكن أن يقوما بقسم منفصل، ولا سيّما أنّهما نصّان متمايزان ومختلفان ولا يؤدّيان معنى واحدًا. والملحوظة الأخرى أنّ الشّاعر ابن حميد، في نظري، لم يكن ساخرًا في هذا النصّ، بل كان يدين لنعت عربيّ قديم من نعوت النّاقة، يقول:

ياراكب اللي ما يـــــداني الصفيري
هميـلع من نقوة الهجــن سـرسـاح
أمّه نعامـــــة واضـــربوها بعيري
جا مشبهاني على خُف وجنـــــاح

= الأيام؛ أغلق الوهبة الأبواب ومنعوا بني وائل من الدخول، فالمكان لا يسع الجميع (عبدالله البسام، د.ت، ج١، ص١٧).

عليه خرج من ســـــلوك الحريري
عصـاه عود البَروقة عقب ما فــاح
يسرح من الطايف ويمسي البصيري
سِـفايفه مثـل الغرابـين طُـفـــاح
مزهبك يا راعيه تمر ومضـــــيري
واحذر تِشِبّ النار يجفل من الضاح
والى ورد يشـــرب ثمانـــين بيري
غـرافهن تسعـين ودليـهــن مــاح
رجلـــيه بالحـــرة وصدره يسيري
ويشرب براسه من على جـمـة رماح
يا ويـــــش هو شيّ طويل قصيري
يسبـق زعاجـيل الهوا يوم ينـمـاح

فالمؤلّف يقول إنّ الشّاعر يسجّل بهذا النصّ الفكه احتجاجًا على تلك الصّيغة المتكرّرة "يا راكب اللي" (ص٢٢٦)، وأظنّ أنّ سبب تصنيف هذه الأبيات في السّخرية هو جواب الشّاعر محمد بن هادي ابن قرملة عليها، يقول:

يا تركـي بن حميد وش ذا البعــيري
ما تجلـبونه كان تبـغون الاربـــاح
لا عــاد له خـف وجناح يطيـــري
أنا اذكـر الله كيف راعيه ما طـــاح
يا ربعنـــــا يا كبر كذب الامـيري
ويا حلو كذب مروية علط الارماح
كيف النعامـــــة نوخت للبعيري
أقول ذا كذب على الناس فضـاح

ولقد أنكر نسبة هذه الأبيات لابن حميد وابن هادي الباحثُ فايز البدراني الحربي بقوله: " إنّ تركي بن حميد بريء من هذه الأبيات براءة الذّئب من دم يوسف، وإنّ القصيدة والردّ عليها من صنع الرّواة والعابثين" (فائز البدراني، ١٤٣٢هـ، ص٨٧-٨٨). والقصيدة صحيحة النسبة لابن حميد، والمعنى لم يكن ساخرًا كما ذهب المؤلّف. فالصّورة التي رسمها ابن حميد لناقته صورة أسطوريّة متداولة في الشّعر الجاهليّ، تتمّمها ضخامة هذا الجمل وسرعته بشكل أسطوري. وتشبيه الناقة أو البعير بالظّليم أو النّعامة تشبيه معروف وكثير في القصيدة الجاهليّة، وحينما يقول **"أمّه نعامة واضربوها بعيري"**، فالمقصود هو أنّ هذا الجمل كان في خلقته بين هذين الكائنين، وكأنّ أمّه نعامة وأباه بعير. وهو يستحضر أيضًا أسطورة بدويّة، فإذا أراد أهل البادية أن تنجب الناقة ولدًا ركبيًّا لا يُلحق في جريه؛ يبيّتونها في الخلاء ليضربها جمل متوحّش يسمّيه بعضهم "التّيه"، على اعتبار أنّه في الخلاء وغير مستأنس، كقول الشاعر: **"اللي كنّها بكرة التيه"**،(جريدة النهار، ٢٠١٦)، ويسمّيه آخرون "ريري"، وهناك من يقول: إنّه الظليم (ذكر النعام)، وعليه يُروى بيت تركي بن حميد: **"يا راكبٍ من عندنا فوق ريري"**، ويُروى: **"أمّه نعامة ضرّبوها بريري"**،[1]

(١) وهذه المعلومة استقيتُها من الدكتور خالد بن عايش الحافي العتيبي، رئيس قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة الملك سعود.

فابن حميد يمتثل للنعت المتداول للجمل في العصر الجاهلي بأنّه يُشبه الظليم، أو نتيجة تزاوج النعام والجمل. وتتفق الدراسات التي عُنيت بالشعر الجاهلي على كثرة ورود الظليم والنعامة؛ لتشبيه الناقة أو البعير بهما. وقد أحصى أحد الباحثين مجموع الشعر الذي قيل في النعام في العصر الجاهلي والمخضرم فكان يناهز خمسمائة قصيدة لأكثر من خمسين شاعرًا (عبدالحميد المعيني، ١٩٩٩م، ص١٧٤)، وكان أهمّ مسوّغ لإيراد لوحة النعامة هو تشبيهها بالناقة. وثمّة نصّ للجاحظ يشرح المقصود في أبيات ابن حميد، ويكشف نظرة العرب المتجذّرة للنعامة: "وفي النَّعامة أنّها لا طائرٌ ولا بعير، وفيها من جهة المَنْسِمِ والوظيف والحَرَمَةِ، والشقّ الذي في أنفه، ما للبعير، وفيها من الرِّيش والجَناحَين والذَّنبِ والمِنقارِ، ما للطائر،" (الجاحظ، ١٩٦٦م، ج٤، ص٣٢١)، وفي المثل المشهور "مثل النعامة لا طيرٌ ولا جمل" (الميداني، ١٩٥٥م، ج٢، ص٢٩٠)، فالشاعر ابن هادي قلب المعنى الأسطوري الرّاسخ في الوجدان العربي إلى صورة ساخرة حينما جعله كذبًا **"يا ربعنا يا كبر كذب الاميري،"** وظنّ المؤلّف أنّ الغاية من هذا التّشبيه المحاكاة الساخرة، في حين أنّ الشاعر يستحضر أسطورة قديمة مستمرّة لخلق المهابة في وصفه هذا الجمل.

٤- ذكر المؤلّف أنّ الفخر الجماعي في الشّعر النّبطي يتمحور حول القبيلة في شعر البادية، وحول البلدة في شعر الحاضرة. والصحيح أنّ الفخر في شعر الحاضرة يشمل القبيلة والبلدة معًا، والعصبيّة القبليّة في حاضرة نجد لا تقلّ عن باديتها[1]، بل إنّ التنوّع القبليّ في البلدات النّجديّة قد يؤجّج العصبيّة القبليّة ويجعلها أشدّ ضراوة من القبيلة البدويّة.

٥- يستطرد المؤلّف في تناوله بعض القضايا الهامشيّة في متن الكتاب، فحينما ذكر اسم الشاعر فيحان العرجاني حاول أن يبيّن أنّ اسمه كُتب فجحان خطأً بسبب مخطوطة بحرينيّة قديمة (ص٢٢-٢٢٣)، وكان من الأنسب أن تدرج مثل هذه الاستدراكات في الحاشية وليس في متن الكتاب.

٦- تناول المؤلّف القهوة بين الحاضرة والبادية، ومع أنّ سعد الصويّان كان حاضرًا في معظم أجزاء هذا الكتاب، وإن لم يُذكر ذلك صراحة؛ إلا أنّ حضوره في هذا الجزء كان حدّ التطابق، ولا أريد

---

(١) يكاد لا يخلو شعر شاعر من القرى النجديّة من الفخر بالقبيلة، فمحسن الهزاني يفخر ببلدته وقبيلته معًا:

ديرة شيوخٍ من عرانين وايل

لهم باللقا يوم الملاقى وقايع

ويفاخر الشاعر عبدالله بن صقيه بقبيلته في قصيدته "التميميّة. عبدالله بن علي بن صقيه، (ابن صقيه، ١٤٠٨ه، ص٤٣٢-٤٤٤)، ويفاخر ببلدته ويدعو له في قصيدة مطلعها:

عسَى الحيَا يسْقِي شعيب الصفرّات

يأخذ له أشهر ما يغيض خباريه

(ابن صقيه، ص٤٤٦-٤٤٧).

القول إلى حدّ السرقة. فالعجمي يشير إلى أنّ هناك فرقًا موضوعاتيًّا بين حضور القهوة في شعر الحاضرة والبادية، منتهجًا تحليل قصيدتي محمد العبدالله القاضي، أنموذجًا لشعر الحاضرة، ودغيّم الظلماوي، أنموذجًا لشعر البادية. وخلص العجمي إلى أنّ تناول القاضي استحضر الجانب الفنّي باستدعاء عنصر الخمرة القديم، ولكنّ الشاعر الحضري لم "**يشاركه أحد في قهوته، وإنّما اكتفى بقهوته وحيدًا،**" (ص٢١٦) في حين يعدّ الظلماوي القهوة لضيوفه وليس لنفسه، ثم يؤكّد المؤلّف أنّ القهوة "تحوّلت عند أهل البادية، وهي مجرد شراب حار، إلى قيمة رمزيّة نشأت حولها ممارسات طقوسيّة،" (ص٢١٨) وهو يشير إلى أنّها تُعطى أولًا لمن يستحقها من الرجال، ويُبدأ أولاً بمن في صدر المجلس ثم يبدأ من اليمين، وفي حال تجاوز أحد الحاضرين فإنّ ذلك يعدّ إهانة كبيرة بأنّ هذا الرجل "معقّب الفنجال"، "**فإذا ظهر بين الأعداء فارس شجاع يخشون بأسه، صبُّوا فنجال قهوة في مجلس القبيلة، وقالوا هذا فنجال فلان. من يشربه؟**" (ص٢١٨)، وشرب الفنجال تعهد والتزام بملاقاته في الميدان وقتله. واللافت أنَّ هذا الكلام منقول من كتاب سعد الصويّان ثقافة الصحراء دون إحالة، فالصويّان تناول طقوسيّة إعداد القهوة، وفرّق بين الحاضرة والبادية في شرب القصيدة؛ ليصل إلى أنّ الحاضرة تناولوا موضوعة القهوة من زاوية فنيّة بحتة، "**وينتهي الأمر بالشاعر الحضري أن يشرب قهوته لوحده،**" إضافة إلى استدعاء المرأة في القصيدة الحضريّة عند الصويّان ومن ثمّ العجمي. وقد استخلص الصويّان أحكامه تلك من قصيدتي محمد العبدالله القاضي ودغيّم الظلماوي، إضافة إلى نماذج أخرى أصّل فيها فكرته وعمّق طرحه، وبيّن أنّ شعراء الحضر "لم يستخلصوا من القهوة معنى إنسانيًّا ورمزًا اجتماعيًّا،" والبدو يصرفون القهوة عن الجبان والبخيل؛ ليعيّر بأنّه "معقّب الفنجال"، إضافة إلى ذلك، "**فإذا كان بين صفوف الأعداء فارس يخشون بأسه، صبُّوا فنجال قهوة في مجلس الشيخ أمام جموع القبيلة، وقالوا هذا فنجال فلان، من يشربه؟**" (الصويّان، ص٣٢١)، ومع يقيني أنَّ العجمي أخذ من الصويّان بإحالة وبدون إحالة، كما هو واضح، وقد يكون هذا الموضع أبرز المواضع إلاّ أنّ العجمي لم يقصد السرقة، ولم تكن تنقصه الأمانة العلميّة ليحيل، بيد أنّ سعد الصويّان وكتاباته الرّائدة في هذا المجال استحوذت عليه، فأصبح من العسير أن يميّز بين ما هو من أفكاره هو وما أقنعه به الصويّان. والأمر الآخر أنّ الصويّان في الجزء الذي نقله عنه العجمي لم يكن موفّقًا، والنّتائج التي خلص إليها وتبعه فيها العجمي غير دقيقة، فشعر القاضي كان لغاية فنّية كما ذكر الصويّان، مستحضرًا الخمرة صراحةً في نصّه "خمرٍ إلى منّه تساقى بالأرياق،" ولذلك كان الوصف فنيًّا، وهو

غاية في حدّ ذاته، وليس سبيلًا إلى تحقيق غاية أو قيمة، وذلك بسبب تأثّره بنموذج الشعر الجاهلي القديم في وصف أدوات الخمرة وآلاتها وأقداحها وطريقة إعدادها. وقد قرن الشاعر القهوة بالمرأة، تمامًا كما كانت الخمرة تقترن بالمرأة في بنية النّسيب، فالشّاعر كثيرًا ما يشبّب بالمرأة ثم يشبّه ريقها بالخمرة، ويمضي بعد ذلك في وصف الخمرة.

وفضلًا عن ذلك، ينقضُ الحكمَ غيرَ الصحيح الذي ذهب إليه الصويّان في أنّ الشاعر الحضري يخلد إلى تناول القهوة وحده؛ عشراتُ القصائد المبثوثة في كتاب "الصفوة مما قيل في القهوة" لمؤلّفه أحمد الدامغ[1]، وشواهدُ كثيرة في دواوين الشعراء وفي المختارات الشعريّة تثبت ذلك. وسيُكتفى ببيتين لمحمد ابن مدىبيغ (رحمه الله):

يا دلتي لايجزعـك واهـج النـار
ماجبتـــك إلا باغـيٍ تحْضنينـه
أبي ليا جونـا مشاكيـل وخيـار
أقلّطك والـرزق ربـي ضمينـه

(عوض سعودي، ٢٠١١م، ص١٠٨)، ويمدح دباس بن راشد ابن دباس والده في قصيدة يجيب بها على قصيدة والده بقوله:

راعي معاميل بها العبد جلّاس
للبنّ يشري بالســـنين العسيرة
هذي امركّبها وهذي بمحماس
وهذي يصبّه للوجـــيه السفيرة

(عبدالله الحاتم، ١٩٨١م، ج١، ص٢٦٧)، كما أنّ "معقَّب الفنجال" عند الحاضرة مثله عند البادية؛ يقول عبدالله ابن صقيه:

عدّه على اللي ينطح الضد لا اعتدى
اللي ســـــيوف الهند بالزند يرويها
وعدّه على اللي يكرم الضيف لى لفى
ريف الركـــاب اللي تخوع باهاليها

(ديوانه، ص٣٦٩)، ويستمرّ الشاعر في تعداد من يستحقّون ألا يتعداهم "الفنجال". فبناء حكم على قصيدة واحدة أو اثنتين بناء مغلوط، وإن أخطأ الصويّان في ذلك **خطأً علميّا مقبولًا**، فخطأ العجمي مضاعف؛ لأنّه نقل حكمًا خاطئًا، دون فحص وتحرٍ، ونقله دون إحالة أو إشارة، وكأنّه هو من استخلص تلك النتيجة.

والحدود التي تفصل بين بادية نجد وحاضرتها ضئيلة، إلاّ ما سبّبته التباينات التي ذُكرت أعلاه. وهناك حركة تأثير وتأثّر بين البيئتين المتداخلتين، علاوة على أنّ أهلّ البادية قد يتحضّرون وأهل الحاضرة قد يتبدّون، فلا يمكن أن توجد قطيعة ثقافيّة بين البيئتين.

(١) (أحمد الدامغ، د.ت، ص٢٩، ٣٠، ٣٩، ٦٥، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢).

- **معماريّة التّعبير**

قسّم المؤلّف النصّ النّبطي إلى نمطين متمايزين: أوّلهما نمط طويل متعدد الأغراض، وآخر قصير يدور حول موضوع واحد. وقسّم النّمط الأوّل إلى استهلال، وموضوع، فخاتمة. وبيّن أنّ **شعريّة الاستهلال** تتجلّى في الصّيغ الآتية: صيغة "يقول"؛ والبدء بأحكام أخلاقيّة؛ والشكوى إلى الله؛ ومخاطبة الركب المسافر؛ والوقوف على الدّيار؛ والشّكوى من تغيّر الأحوال؛ وإرسال مندوب ليبلّغ رسالة. ويظهر **حسن التخلّص** في النّمط متعدّد الموضوعات، ولا سيّما في قصيدة المديح، قصد إضفاء التّماسك على النصّ الشّعري. ومن أشهر صيغ الرّبط القوليّة "وخلاف ذا"، وهناك تخلّص داخليّ يتبدّى جليًّا في قصائد المديح، مثل قصيدة أبي حمزة العامري التي مدح فيها الشريف (كبش) بن منصور. أمّا **الخاتمة** فتكون في أغلب الحالات بالصلاة على الرسول ﷺ، ولها وظيفتان: فنيّة دالّة على اكتمال النصّ، وتداوليّة لإعلان انتهائه. فضلًا عن تنبيه المؤلّف المهمّ إلى كونها خارجيّة؛ أي مجتلبة، وليست جزءًا من بنية النصّ. إنّها نهاية النصّ الخارجيّة، ولعلّ الشاعر قد يكون أتمّ نصّه قبل هذه الخاتمة بنهاية حقيقيّة بنيويّة تستكمل الدّلالة وتتممّها. واللاّفت أنّ المؤلّف لم يستطع الاعتماد على التقسيم الذي أقرّه، فهو يقول: إنّ "الشّعراء قد اعتمدوا في ربط موضوعة الرّحلة بموضوعة المدح على...،"(ص٢٣٨)، فهو لم يجعل الرّحلة موضوعة مستقلّة، لكنّه يعود إلى التقسيم التقليدي (النسيب، الرحلة، الغرض الرئيس)؛ لأنّه قدّم بديلًا عنه غير كاف.

القسم الثّاني: المختارات: وتضمّنت نصوصًا جاهليّة وأخرى نبطيّة بشرح المؤلّف. أعقبها ببعض **الملاحق** التي منها أعضاء النّاقة، وألوان الإبل، وأعضاء الحصان. ولم يوضّح أسباب إيرادها هذه الملاحق بما يكفي.

خـــاتـــمـــة

طرح المؤلّف في هذا الكتاب إشكاليّة مهمّة عن علاقة الشّعر العربي قبل الإسلام بالشّعر النّبطي، وهي مسألة توالى على الاهتمام بها والبحث فيها أجيال من الباحثين، الذين أثْروا هذا الموضوع وما استطاعوا الإحاطة به لشساعته، وظلّت تلك العلاقة تتطلّب المزيد من الأبحاث والدّراسات الجادّة؛ لذا كان اختيار العجمي هذا الموضوع في محلّه. أمّا الفرضيّة التي سعى البحث إلى تأكيدها فهي أنّ الشعر النبطي شعرٌ جاهلي ولكن بلغة ملحونة، وقد حاول المؤلّف إثبات هذه الفرضيّة بعقد دراسات مقارنة بين الأدبين. ولعلّ إحدى أهمّ مشكلات قراءة الشّعر العربي قبل الإسلام تكمن في أنّ قرّاءه كانوا من خارج بيئاته الجغرافيّة، يحلّلونه وهم في عواصم عربيّة بعيدة عن الجزيرة العربيّة، ومنقطعة ثقافيًّا

ومعرفيًّا عن صحاري الجزيرة وبيئاتها وعاداتها وتقاليدها. فكانت علاقتهم بالشّعر الجاهلي عن طريق ما يقرؤونه في معجمات اللغة وكتب الأدب. وأمّا الباحث العجمي فهو يملك رؤية وبصيرة بالشّعرين الجاهلي والنّبطي معًا، وهي رؤية ساعدته في اختيار الموضوع واقتياده، إلّا أنّه وقع في أخطاء منهجيّة، كان أهمّها أنّ المؤلّف متأثّر بأطروحات سعد الصويّان إلى حدّ الاستلاب. كما أنّ المؤلّف لم يعقد دراسة مقارنة بين أهل المدر وأهل الوبر إلّا في الشّعر النّبطي، واجترح ما سمّاه فضاءات الحاء، وهي فضاءات ارتأى أنها تكون بديلًا عن تفيت الشّعر في أغراض، فكانت منهجًا تلفيقيًّا غير واضح المعالم، لم يستطع المؤلّف أن يعتمده هو نفسه في دراسته. أظنّ أنّ المؤلّف تمكّن من وضع الأسئلة، واختيار الجادّة، وقصّر في المسير بأن حاد كثيرًا عن طريق المنهجيّة العلميّة.

شكر وتقدير:

أُنجز هذا البحث بدعم من قبل مركز بحوث الدراسات الإنسانيّة، عمادة البحث العلميّ، جامعة الملك سعود.

المراجـــع

المصادر والمراجع العربيّة:

الأيوبي، سعيد: *عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي* (الرباط: مكتبة المعارف، ١٩٨٦).

البدراني، فائز بن موسى الحربي: *قصص وأشعار من قبيلة حرب*، ط١، (الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ).

بروكلمان، كارل: *تاريخ الأدب العربي*، نقله إلى العربيّة عبدالحليم النجار، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

ابن بليهد، محمد بن عبدالله، *صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار*، ط٣، (الرياض: د.د، ١٤١٨هـ).

البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسيّ: *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، حقّقه وضبطه: مصطفى السقا، ج١، (بيروت: عالم الكتب، د.ت).

ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى: *مجالس ثعلب*، شرح وتحقيق: عبدالسلام هارون، ج١، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *كتاب الحيوان*، بتحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ط٢، (القاهرة: شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٦).

الجادر، محمود: *"مدخل إلى بنية القصيدة العربيّة قبل الإسلام"*، أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، مج٦، ع٢ (١٤٠٩هـ).

جماح، علي بن ناصر بن عبدالله: "*موقف الشعراء من الشيب من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي*"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، شوال ١٤٢٦هـ، ع٥٢.

الجمحي، محمد بن سلام: *طبقات فحول الشعراء*، قرأه وشرحه أبو فهر محمود محمد شاكر، ج١ (جدة: دار المدني، د.ت).

الحاتم، عبدالله بن خالد: *خيار ما يُلتقط من شعر النبط*، ط٣، ج١، (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨١).

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: *كتاب صورة الأرض*، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٩٢).

الدامغ، أحمد بن عبدالله: **الصفوة مما قيل في القهوة**، ج٢، (الرياض: د.د، د.ت).

ابن خلدون، عبدالرحمن المغربي: *مقدّمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت).

د.م، جائزة زايد للكتاب تعلن القائمة الطويلة في "الفنون والدراسات النقديّة"، **جريدة البيان**، أبو ظبي، ١٤ يناير ٢٠١٤.
http://www.albayan.ae/five-senses/culture/2014-01-14-1.2040276

د.م، "قصة وقصيدة"، **جريدة النهار**، ع٢٨٣٠، ٢٨ يوليه ٢٠١٦،٢٣ شوال ١٤٣٧، الكويت.
http://www.annaharkw.com/annahar/Article.asp?id=674392&date=28072016

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني: *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، تحقيق عبدالحميد هنداوي، ج١، ط١ (بيروت: المكتبة العصريّة، ١٤٢٢هـ).

روميّة، وهب: *الرحلة في القصيدة الجاهليّة*، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ).

الزايدي، خالد: "*الشريف يكشف سرقة ابن لعبون لقصائد ابن معصوم المدني وبراعته في تحويل الفصيح للعامية*"، جريدة الرياض، ع ١٤٣٨٧، ١٤ نوفمبر ٢٠٠٧.

الزركلي، خير الدين: *ما رأيت وما سمعت*، (القاهرة: المطبعة العربيّة ومكتبتها، ١٩٢٣).

ستيتكيفيتش، سوزان بينكني: "*القصيدة العربيَّة وطقس العبور دراسة في البنية النموذجيَّة*،" مجلة مجمع اللغة العربيَّة، م٦٠، ج١ (كانون الثاني ١٩٨٥).

السيرافي، القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله: *أخبار النحويين البصريين*، تحقيق: طه محمد الزيني، ومحمد عبدالمنعم خفاجي، ط١، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٤هـ).

السيف، عمر بن عبدالعزيز: *بنية الرحلة في القصيدة الجاهليّة الأسطورة والرمز*، ط١، (بيروت: مؤسسة الانتشار، ٢٠١٠).

الرجل في شعر المرأة دراسة تحليليّة للشعر النسوي القديم وتمثّلات الحضور الذكوري فيه، (بيروت: مؤسسة الانتشار، ٢٠٠٩).

السيوطي، جلال الدين: *الأشباه والنظائر في النحو*، تحقيق: عبدالمنعم سالم مكرم، ج١، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت).

الشمري، هزاع عيد: *لاميّة المسيب بن علس*، ***مجلة الدرعية، السعوديّة***، مج٩، ع٣٦، يناير ٢٠٠٧.

الشناوي، خالد نعيم: "فقه اللغات العروبيّة"، ١٣ أغسطس ٢٠١٣. متاح على الموقع:
http://giooid.blogspot.com/2013/08/blog-post_7973.html

ابن صقيه، عبدالله بن علي: *ديوان التميمي*، ط٣ (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ).

الضامن، حاتم الضامن: *"المخبل السعدي: حياته وما تبقّى من شعره"*، تحقيق وليد السيراقبي، مجلة معهد المخطوطات، مصر، مج٥٤، ج٢، نوفمبر ٢٠١٠.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى: *المفضليات*، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط٦، (بيروت: د.د، د.ت).

ضيف، شوقي: *تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي*، ط٧، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦).

ظاظا، حسن: *الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغويّة والحضاريّة عند العرب*، ط٢، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشاميّة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الظاهري، أبو عبدالرحمن ابن عقيل: *ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد*، (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٢م).

العبيد، حمود عبدالرحمن: *القرار السابع عشر: "التستة" و"التشتشة"*، مجمع اللغة العربيّة الافتراضي:
http://almajma3.blogspot.com/2015/06/blog-post_7.html
[استُخرج بتاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠١٥م].

ابن العبد، طرفة: *ديوانه*، اعتنى به: حمدو طمّاس، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٤هـ).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: *كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر*، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت).

العقاد، عباس محمود: *إبراهيم أبو الأنبياء*، (صيدا- بيروت: منشورات المكتبة العصريّة، د.ت).

العماري، فضل بن عمّار: *موسوعة مواطن القبائل وطرق القوافل في الجزيرة العربيّة*، ط١، (الرياض: د.د، ١٤٣٧هـ).

العمري، محمد العمري: *البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها* (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩).

عوض، عوض سعودي: *"القهوة العربيّة"*، مجلة الثقافة الشعبيّة، س٤، ع١٥، المنامة، خريف ٢٠١١.

الفاخوري، محمد بن عمر: *تاريخ الفاخري*، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ).

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، *الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها*، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧).

الفرج، خالد بن محمد: *مقدمة ديوان عبدالله الفرج*، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز بن سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٢).

الفهيد، منديل بن محمد: *من آدابنا الشعبيّة في الجزيرة العربيّة*، ط٢، (الرياض: شركة مطابع نجد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٧.

الفيفي، عبدالله: *مفاتيح القصيدة الجاهليّة نحو رؤية نقديّة جديدة (عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا)*، ط١ (جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٤٢٢هـ).

ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الكوفي: *الشعر والشعراء*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، ج١، (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٨هـ).

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: *الأعراف والعادات القبلية المخالفة للشريعة الإسلامية*، (د.م: د.د، د.ت).

ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب: *كتاب الأصنام*، بتحقيق أحمد كمال زكي (القاهرة: الدار القوميّة، د.ت).

الكمالي، شفيق عبدالجبار: *الشعر عند البدو*، ط٢، (بيروت: كتب، ٢٠٠٢).

مجموعة من المؤلفين: *خزانة التواريخ النجدية*، جمع وترتيب وتصحيح عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، مقدمة ط١، (الرياض: د.د، د.ت).

المري، الحصين بن الحمام: *سيرته وشعره*، جمع وتحقيق شريف علاونة، (عمّان: دار المناهج، ٢٠٠٢).

المعيني، عبدالحميد: *"النعام والحياة في الشعر الجاهلي"*، مؤتة للبحوث والدراسات -العلوم الإنسانية والاجتماعية-الأردن، مج١٤، ع٥، ١٩٩٩.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري: *لسان العرب*، مادة حسب، (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤).

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري: *مجمع الأمثال*، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: مطبعة السنّة المحمدية، ١٩٥٥).

هادي، أحمد: *النخلة والجمل قارن بين الشعر الجاهلي والشعر النبطي*، جريدة الرياض، ع١٦١٨١، ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٣هـ الموافق ١٢ أكتوبر ٢٠١٢، http://www.alriyadh.com/775696.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري البصري، *السيرة النبويّة*، حقّقها وضبطها وشرحها مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت).

اليوسف، يوسف: *مقالات في الشعر الجاهلي*، ط٢ (الجزائر: دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعيّة، ١٩٨٠).

المصادر والمراجع الأجنبيّة:

BRILL, E; GENRES IN COLLISION: NASIB AND HIJA,'' *JOURNAL OF ARABIC LITERATURE*, VOL XXI, PART.1, MARCH (1990).

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ١٩٧-٢١٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

نداء الآخر في المقابلات الإعلامية في ضوء نظرية تحليل المحادثة

عبدالرحمن الفهد

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢/ ٧/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ٢٨/ ١١/ ١٤٣٧هـ)

الكلمات المفتاحية : النداء، تحليل الخطاب، تحليل المحادثة، الخطاب الإعلامي.

ملخص البحث: كثير من الدراسات القديمة درست قضية النداء وأشارت إلى أنَّ الغرض الرئيس لاستعماله هو التنبيه وطلب إقبال المخاطب، لكن هذا البحث باعتماده على حوارات حية من مقابلات إعلامية يحاول أن يكشف عن أغراض جديدة تظهر في هذا السياق المختلف، من مثل محاولة أخذ الدور، أو التعريف بالضيف، أو حتى تغيير الموضوع.

وتستعين هذه الدراسة بمقاربة تحليل المحادثة التي تعتمد على تحليل حوارات مسجلة حقيقية ومقدمة للقارئ في نماذج قريبة جداً من المحادثة الأصلية المسموعة، وهذا الأسلوب يساعد أولاً على معرفة نمو المحادثة الحقيقية، ومراقبة الأحداث الصغيرة التي تتصارع داخل هذا الحوار، وتسهم أيضاً في إعطاء القارئ الفرصة لمقارنة التحليل بالنص الأساسي ومعرفة دقة تحليل ما يجري داخل هذه الحوارات.

A Conversation Analysis of Address Terms in Broadcast Interviews

Abdulrahman Al-Fahad
Assistant Professor in the Arabic Department at King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 2/7/1437H; Accepted for publication 28/11/1437H)

Keywords: Address terms, discourse analysis, conversation analysis, media discourse.

Abstract: Many traditional studies have examined the issue of address terms and stated that the main reason for using these address terms is to get some attention of the addressee, while this study, by using live interactions in media context, shows new purposes of using address terms, such as taking the turn, introducing guests and shifting the topic.

The study draws heavily on the principles of conversation analysis approach, which uses real recorded interviews that are transcribed and presented to readers as close as possible to the original data. This strategy helps first perceive the real development of the talk and observe the small actions that occur during the interaction, as well as giving the chance for the readers to examine the accuracy of the interaction analysis.

مدخل:

تحظى قضية استعمال أسماء المخاطبين في الحوارات وتبادل الدور بكثير من الاهتمام في الدراسات الحديثة لتحليل الخطاب واللسانيات الاجتماعية؛ إذ إن مناداة الآخرين وما تحمله من مستوى في المخاطبة لها أهمية كبيرة في الإفصاح عن المسافة الاجتماعية بين المتحدثين، فالشخص الذي قد نناديه بلقب "دكتور" في أول لقاء رسمي معه ربما نناديه باسمه الأول أو كنيته حين يصبح ضمن دائرة الأصدقاء والمقربين. هذه التغيرات في استعمال النداء ليست مرتبطة فقط بالقُرب والبُعد من الآخر، بل هي أيضاً متأثرة بالثقافة المحيطة التي ترسم تلك الحدود والمسافات الاجتماعية، فبعض المجتمعات قد تسمح بمستوى من النداء في سياق معين -كالبيئة التعليمية أو المقابلات الإعلامية-لا تقبل به مجتمعات أخرى. فعلى سبيل المثال، ورغم قلة الدراسات المقارنة بين إستراتيجيات نداء الآخر في اللغة العربية وغيرها من اللغات فإنَّ الأسطر القادمة ستوضح بمثال حواري حقيقي أثر الثقافة على مخاطبة الآخرين في الحوارات الإعلامية الرسمية، ففي دراسة أجرتها رندل شورت (Rendle-Short، 2007)، حول طريقة مناداة الضيف في المقابلات الجادة والإخبارية في الإعلام الأسترالي، وجدت أنَّ المذيع ينادي ضيفه بلقبه الأخير إضافة إلى مستر أو دكتور (Mr. Howard)، أو بوظيفته الرسمية (Prime Minster رئيس الوزراء)، وهذا الأمـــر يتطابق أيضاً مع ما وجده كلايمن (Clayman, 2010)، في المقابلات الإخبارية في الإعلام الأمريكي، إذ يظل المذيع يحتفظ بالمسافة الاجتماعية بينه وبين ضيفه طوال اللقاء مستعملاً لقب الضيف أو وظيفته الرسمية. في المقابل، وجد الباحث (٢٠١٣)، في دراسة لاحقة أنَّ الأمر لا ينطبق تماماً على ما ذُكر في الدراستين السابقتين في المقابلات الرسمية العربية؛ فالمذيعون العرب يلتزمون غالباً بهذه المسافة الرسمية الاجتماعية، وبنداء ضيوفهم بألقاب رسمية مقاربة لما ذكر في الدراستين السابقتين مثل: (معالي الوزير، صاحب السمو، فضيلة الشيخ)، أو استعمال كلمات ابتدائية مناسبة لشهادة الضيف أو وضعه الاجتماعي مثل: (دكتور، أستاذ، مهندس، شيخ)، مضافة إلى الاسم الأول فقط، غير أنَّ بعض المذيعين السعوديين -خلافاً لما وجد في الثقافة الأمريكية والأسترالية- يميل أحياناً إلى تقليص هذه المسافة باستعمال ألقاب غير رسمية كما في المثال الآتي الذي يتحدث فيه المذيع إلى ضيفه وكيل وزارة الصحة:

مثال ١ الإخبارية، القرار، ٢٦/ ٧/ ٢٠١٠م، المذيع: عثمان الغامدي، الضيف: د. محمد بن حمزة بن خشيم

١- م: ... وفيما يخص هذه القرارات وهذا التوجه المأمول معنا في الاستديو وكيل وزارة الصحة.

٢- للتخطيط والتطوير الدكتور محمد بن حمزة بن خشيم أهلاً بك أبو خالد وحياك الله

٣ - ض: أهلاً وسهلاً بكم.

فالمذيع في السطرين الأول والثاني يعرّف ضيفه للمشاهدين بطريقة رسمية ابتدأها بوظيفته ثم باسمه كاملاً مضافاً إلى لقب (دكتور)، لكنه لاحقاً وبعد التعريف به التفت إليه واختار أن يناديه بـ (أبو خالد)، وهذه الكنية ليست رسمية ولا يعرف المشاهدون أنَّ أكبر أبناء وكيل وزارة الصحة للتخطيط والتطوير يُسمَّى (خالداً)، فمناداته بهذا المستوى الذي يحصل غالباً بين الأصدقاء والمعارف وتفضيله لـ(أبو خالد)، على (دكتور محمد)، هو محاولة من المذيع للتودد إلى المخاطب وجعل المسافة بينهما قريبة، كما لو كان الحوار بين شخصين يعرفان بعضهما جيداً.

الحديث حول أسماء المخاطبين ومناداتهم حديثٌ متشعبٌ وطويل، لكن القضية التي يحاول أن يركز عليها هذا البحث تحديداً ليست في نقاش درجة مستوى مناداة الآخرين، بل محاولة معرفة الأسباب الكامنة خلف استعمال تلك الأسماء في الحوارات الإعلامية العربية، وبعبارة أخرى لماذا يقول أحدنا مثلاً حين يسأل شخصاً ما: ما رأيك محمد؟ رغم أنه قادر على التساؤل عن رأي الآخر دون الحاجة إلى مناداته أو استعمال اسمه في الحوار. لدينا بعض الدراسات التي ناقشت هذه القضية في اللغة الإنجليزية (Clayman, 2012, 2013; Rendle-Short, 2010; Butler. Danbv. and Emmison, 2011)، وفي الحوارات الإعلامية تحديداً (Rendle-Short, 2007; Clayman, 2010; Jaworski and Galasinski, 2000)، وتوصَّلت إلى أنّ نداء الآخر في الحوار قد يستعمل لعدة أغراض مثل: الاعتراض على الطرف الآخر، أو ذكر كلام مهم وصادق، أو محاولة تغيير الموضوع، أو تجاوز التداخل في الكلام. أمَّا الدراسات التي ناقشت وظائف النداء في السياق الحواري العربي فتكاد تكون منعدمة، وهذا ما يحفز الباحث هنا لمحاولة استكشاف ما يظهر في الاستعمالات العربية ومقارنتها بما وجد في الثقافات الأخرى.

إذا عدنا إلى كتب النحو القديمة وحاولنا أن نعرف ما كتب حول وظيفة النداء وأغراضه سنلحظ جليّاً أن استعمال النداء ارتبط تفسيره كثيراً بمحاولة طلب المتكلم إقبال المخاطب، فقد نص سيبويه مثلاً على أنَّ حروف النداء ينبه بها المدعو (١٩٨٨)، وابن السراج (١٩٨٥)، يعرف النداء بأنَّه تنبيه المدعو ليقبل عليك، وسنجد أيضاً أنَّ كتب البلاغة أشارت إلى استعمالات أخرى للنداء خرجت عن غرضه الرئيس، كالاستغاثة (يا أولي القوة للضعفاء)، والتعجب (يا لجمال الربيع)، والندبة (يا ولداه)، وإظهار التحسر والحزن (يا شبابي وأين مني شبابي)، وغيرها من الأغراض التي تُعرف من خلال السياق اللغوي (انظر عتيق: ٢٠٠٩).

لكن الواقع أنَّ قضية النداء لم تحظ بدارسة معمقة لمعرفة الأسباب التي تتجاوز طلب المتكلم إقبال المخاطب إلى محاولة الكشف عن الوظائف الكامنة الأخرى التي تقف خلف استعمالات النداء في السياقات الاجتماعية الحيّة، كالحوارات أو حتى الأحاديث اليومية، فإنَّ تحليل الكلام ضمن سياقه الحواري بين الناس يكشف لنا أغراضاً جديدة غير تلك الأغراض التي تقف عند حدود الجمل أو الأمثلة اللغوية المجتزأة من السياق الحواري. فلو أمعنا النظر -على سبيل المثال-في الحوار القادم سنجد أنَّ المذيع قد استضاف أربعة ضيوف في حلقة واحدة، ولينقل الدور من ضيف إلى آخر كان يجب عليه أن يختار ضيفاً كل مرة ليوجه إليه السؤال، وهذا الاختيار -كما يؤكِّد ليرنير (٢٠٠٣)- قد يكون بطرق جسدية كالنظر تجاه أحد الضيوف، أو بطرق لفظية كما فعل المذيع حين اختار أحد الضيوف باسمه (دكتور زهير الحارثي)، بعد انتهاء كلام الضيف الأول؛ فبادر الضيف حينها بالتقاط الدور والإجابة عن ذاك التساؤل:

مثال٢ العربية، بانوراما،١٠/ ١٢/ ٢٠١٤م، المذيع: محمد الطميحي، الضيوف: ١. الدكتورة موزة غباش، ٢. الدكتور سامي النصف، ٣. الدكتور زهير الحارثي، ٤. السيد صالح القلاب.

١ - ض١: ... واعتبارها نموذج للمنطقة العربية بحيث تتحول فعلًا إلى مقوم رئيسي لوحدة وكيان عربي واحد.

٢- م: دكتور زهير هناك أيضاً ملف بالغ الأهمية ظهر في كلمة الشيخ صباح آل صباح عندما تحدث عن التهديد .

٣- الأبرز الذي ستواجهه دول الخليج في المستقبل وهو انخفاض المورد الرئيسي لاقتصاد دول مجلس التعاون.

٤- الخليجي وهو النفط، هل هناك موقف إستراتيجي موحد لدى دول مجلس التعاون اتضح من خلال البيان.

٥- الختامي بما يتعلق بهذا التهديد؟

٦ - ض٣: يعني حقيقة أتوقع يعني أن دول الخليج ...

فالقضية هنا ليست قضية لفت انتباه وطلب الإقبال فقط، بل هي أيضاً إشعار للمتلقين جميعاً أنَّ السؤال موجه للدكتور زهير وأنّه هو من عليه أن يأخذ الدور بعد فراغ المذيع من سؤاله، وكما تشير مدرسة تحليل المحادثة (Conversation Analysis)، في نظام أخذ الدور (turn-taking)، فإنَّ المتحدث الحالي في المحادثات اليومية له حرية اختيار الشخص الذي يعقبه في الحديث، أو جعل الأمر خياراً مفتوحاً للجميع، وإذا اختار المتحدث شخصاً محدداً باسمه، أو بالإشارة إليه فإنَّ النظام الحواري يحتم على الشخص المختار أن

يلتقط الدور بعد المتحدث الحالي (Sacks et al, 1974)، وهذا لا يعني أنّ ثمة تجاوزات لهذا النظام كما لو ظفر بالدور شخص ما رغم اختيار المتحدث لشخص آخر في الحوار، لكن هذه التجاوزات لا تعني غياب النظام أصلاً، بل هي من قبيل الخروقات التي تحصل في كثير من الأنظمة.

إذا عدنا إلى الاستماع إلى حوارات إعلامية مرة أخرى سنلحظ أيضاً أن نداء الآخر في الحوارات لا يقتصر على الحديث الدائر بين مجموعة من المتشاركين في الحديث، بل يمتد أيضاً إلى المحادثات الثنائية التي تدور بين متحدث ومخاطب واحد فقط، ففي المثال الآتي نجد أنَّ المذيع في آخر الحلقة يوجه سؤالاً إلى ضيفه باستعمال اسم المخاطب في السطر الرابع، رغم أنَّ الحديث ممتد لفترة طويلة بين هذين الشخصين ولا يوجد شخص ثالث ينافس المتلقي في أخذ دفة الحديث حتى يجعل المذيع مضطراً إلى تحديد الشخص المقصود بالكلام الموجه إليه:

مثال ٣ العربية، نقطة نظام،١٠/ ١/ ٢٠١٥م، المذيع: حسن معوض، الضيف: الشيخ أحمد أبو ريشة

١ – ض: لا بد من هناك خزن إستراتيجي آآ

٢ – م: طيب

٣– ض: سيوزع وسنقوم بشراء سلاح من الدول المصنعة للسلاح

٤ – م: طيب شيخ أحمد يعني قبل الفاصل بعض زعماء العشاير يقولون بأنهم مالم يحصلوا على التسليح اللازم

٥– والمناسب فإنهم سيتوقفون أو سيمتنعون عن مكافحة داعش، هل تعتقد بأن هذه الإمكانية واردة؟

هذا المثال يشير إشارة واضحة إلى أنَّ النداء واستعمال أسماء المخاطبين في الكلام هو أكثر تعقيداً مما يبدو عليه للوهلة الأولى، إذ تحتاج هذه القضية إلى دراسة متأنية وتحليل مجموعة ضخمة من الحوارات؛ لفهم الأسباب الكامنة التي قد تكون خلف استعمال النداء في حواراتنا العربية، بعيداً عن محاولة تحديد الشخص الموجه إليه الكلام، أو حتى الاكتفاء بالتفسير العام للنداء أي طلب الانتباه وإقبال المخاطب.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على منهج مدرسة تحليل المحادثة الذي يركز على التحليل الكيفي وتتبع الظواهر اللغوية في النص عن طريق التسجيلات وتحليل الحوارات الواردة فيها. لقد ظهرت هذه المدرسة بعد فترة طويلة كان يعتقد فيها أنّ الأحاديث اليومية مشوشة وغير قائمة على نظام واضح تستند

عليه، فتوصّلت المدرسة لاحقاً إلى كثير من النتائج في الأحاديث والحوارات وآلية حديث الناس، مثل: نظام أخذ الدور (turn-taking)، والتنظيم التسلسلي (sequential organisation)، والتفضيل (preference)، وإصلاح الكلام (repair)، وغيرها من الظواهر والأفعال الكلامية التي تؤكد أنَّ ثمة نظامًا يسير عليه الناس في أحاديثهم اليومية (انظر Sidnell, 2010; Clift, 2016).

ورغم أنّ المدرسة في بداياتها كانت تركز على تحليل المحادثات اليومية (daily conversation)، فإنَّها لاحقاً توسعت وأصبحت ناجعة في الوصول إلى دقائق الظواهر اللغوية في حوارات ذات طابع رسمي أكثر، كالحوارات الإعلامية والقضائية والتعليمية وغيرها من الحوارات، التي يختلف فيها نظام تبادل الدور عن النظام المتبع في الأحاديث اليومية. ولتوضيح هذا الاختلاف نجد مثلاً أنَّ الثنائيات المتلازمة المستعملة في المحادثات اليومية تتعدد استعمالاتها، فالحوار اليومي قد يضم وحدات كثيرة متنوعة، مثل: وحدتي الدعوة مقابل القبول أو الاعتذار، والطلب مقابل القبول أو الرفض، والتقييم مقابل الاتفاق أو الاختلاف وغيرها من الثنائيات التي تتوزع بين جزئين يكمل أحدهما الآخر، في حين أنَّ المقابلات الإعلامية متوزعة غالباً على وحدتي السؤال والجواب، بل إننا نجد أيضاً أنَّ ثنائية السؤال والجواب المستعملة في كثير من السياقات الاجتماعية لها نظام يختلف من سياق إلى آخر، ففي المحادثات اليومية هناك استعمال لوحدة ثالثة بعد تسلّم الجواب؛ لإشعار الطرف الآخر بتسلّمه أو التعليق عليه (جميل، اها)، قبل الانتقال إلى السؤال الذي يليه، ونجد أيضاً أنَّ المعلم في السياق التعليمي قد يستعمل هذه الوحدة الثالثة؛ ولكن لغرض آخر وهو الحكم على إجابات الطلاب بالصحة والخطأ قبل الانتقال إلى سؤال جديد مثل (صحيح، خطأ). في مقابل هذا، فإنَّ الحوار في المقابلات الإخبارية الجادة لا يستعمل هذه الوحدة الثالثة الدارجة في الحياة اليومية أو في الفصول الدراسية، بل يعتمد على وحدتي السؤال والجواب فقط، ويُتوقع من المذيع أن ينتقل إلى السؤال التالي بعد تسلّم الجواب دون الوقوف وإصدار أحكام على الجواب السابق (انظر Heritage Hutchby, 2006 and Clayman, 2011;). ولعل الأمثلة كثيرة في النتائج التي توصّلت إليها المدرسة في تفاصيل النظام الواحد، أو في الفروقات بين الأنظمة المستعملة في الأحاديث اليومية والسياقات الأخرى الأكثر رسمية، لكنها في آخر الأمر تريد أن تؤكد بعد دراسات معمقة وتسجيلات طويلة وجودَ نظام لغوي يسير عليه الناس في حواراتهم المختلفة.

ما يميز المدرسة أيضاً اعتمادها على التسجيلات الصوتية وتحليل الكلام بعيداً عن الفرضيات والادعاءات التي قد تحصل في بعض طرق التحليل

الأخرى التي توظف الاستبانات والاستمارات في تحليلها اللغوي، والاعتماد على تحليل ما يقوله الناس حقيقة في تلك التسجيلات أدق بكثير من سؤال الناس عن ظواهر لغوية مستعملة في حديثهم قد لا يدركون وجودها أصلاً، وتجتهد المدرسة أيضاً في تحويل هذه النصوص الصوتية إلى نص مكتوب يراه القارئ؛ مما يساعده على الحكم على النتائج والتحليل المقدم من الباحث دون الحاجة إلى العودة إلى سماع تلك التسجيلات (انظر Clift, 2016). كما يميز المدرسة أيضاً أنها تركز على الكيفية، أي كيف يتحدث الناس في حياتهم أكثر من تحليل المضامين ومعرفة القضايا التي يتحدث الناس حولها، وهذا تماماً ما يصبو إليه البحث من محاولة فهم الأسباب الدافعة لاستعمال أسماء المخاطبين بعيداً عن التركيز على القضايا والموضوعات التي يدور حولها اللقاء الإعلامي.

عينة البحث:

العينة المأخوذة للتحليل هي مجموعة من المقابلات والحوارات الإعلامية الجادة والرسمية مع مسؤولين، أو شخصيات اجتماعية شهيرة، أو أخرى لها ارتباط بالأخبار والأحداث الجارية، وهي مقابلات تختلف في نظامها عن مقابلات المشاهير (celebrity shows)، التي تميل إلى التبسط والحديث المقارب للمحادثات اليومية (انظر Heritage and Clayman, 2011). وهذه المقابلات والحوارات مستقاة من قناتين سعوديتين: قناة (MBC1) وهي قناة خاصة نشأت عام ١٩٩١م في لندن قبل انتقالها إلى دبي لاحقاً، وقناة (العربية) وهي قناة إخبارية نشأت عام ٢٠٠٣ تحت مظلة مجموعة (MBC) الإعلامية.

سيحاول البحث في الأسطر القادمة أن يبرز ثلاثة أغراض رئيسة وجدها الباحث تقف خلف نداء الطرف الآخر في المقابلات الإعلامية العربية:١. التعريف بالضيف، ٢. أخذ الدور، ٣. تغيير الموضوع. وكل هذه الأغراض ستكون مدعومة بما وجد في الدراسات السابقة لمدرسة تحليل المحادثة، مع ربطها بالنصوص العربية أثناء التحليل والنقاش.

التعريف بالضيف:

يشير كلايمن وهيرتاج (٢٠٠٢) إلى أنَّ المقابلات الإعلامية في شكلها العام تتكون من ثلاثة محاور رئيسة: مقدمة وفيها تعريف بالضيف وموضوع الحلقة، ووسط يسير فيه الحوار مراوحاً بين السؤال والجواب، وخاتمة يعلن فيها المذيع انتهاء الحلقة مع شكر يوجهه إلى ضيفه. فالتعريف بالضيف عادةً يحصل في المحور الأول كما رأينا في مثال (١)، إذ كان المذيع متوجهاً إلى الكاميرا حين افتتح الحلقة، فخاطب المشاهدين وعرفهم باسم الضيف ووظيفته (... معنا في الاستديو وكيل وزارة الصحة للتخطيط والتطوير

الدكتور محمد بن حمزة بن خشيم)، قبل أن ينتقل إلى المحور الثاني ليتبادل معه وحدتي السؤال والجواب. والتعريف أيضاً -كما تشير رندل شورت (٢٠٠٧)- قد يحصل أثناء اللقاء للتذكير باسم الضيف للمشاهدين الحاليين، أو التعريف به للمشاهدين الذين لم يدركوا مقدمة الحلقة، كما يحصل عادة بعد الفواصل أثناء اللقاء، إذ عادة ما يعيد المذيع التعريف بالضيف بمقدمة سريعة موجهة إلى المشاهدين كما في المثال القادم:

مثال ٤ العربية، مقابلة خاصة، ٢١/ ١١/ ٢٠١٤م، المذيعة: نجوى قاسم، الضيف: تمام سلام

١ - م: نعود مشاهدينا إلى هذا اللقاء الخاص مع دولة رئيس مجلس الوزراء اللبناني الأستاذ تمام سلام

٢ - أستاذ تمام قبل الفاصل كنا نتحدث عن ...

فالمذيعة بعد الفاصل توجهت إلى الكاميرا وخاطبت المشاهدين؛ لتعرّف بالضيف مرة أخرى قبل أن تعود إلى محور السؤال والجواب.

ولكن خلافاً لطريقة التعريف المعهودة الموجهة مباشرة للمشاهدين ستوضح الأسطر القادمة أنَّ بعض المذيعين لا يكتفي بالتعريف بالضيف ابتداءً أو بعد الفواصل كما في الأمثلة السابقة، بل ربما يميل أيضاً إلى التعريف بالضيف للمشاهدين أثناء الحوار ومن خلال النداء واستعمال اسم المخاطب. من الملاحظ أولاً أنَّ المذيع في اللقاءات الإعلامية العربية حين ينتقل إلى المحور الثاني، محور تبادل السؤال والجواب، ينادي ضيفه مستعملاً كلمات ابتدائية تشير إلى الاحترام والرسمية من مثل (دكتور، مهندس، شيخ، أستاذ)، مقرونة عادة بالاسم الأول فقط، كما هو موجود في الأمثلة السابقة (٢ و٣ و٤)، إذ استعمل المذيع الأول في مثال (٢) هذا التركيب (دكتور زهير)، ونادى المذيع الآخر ضيفه في مثال (٣) بـ(شيخ أحمد)، كما نودي الضيف في المثال (٤) بالطريقة ذاتها (أستاذ تمام). في المقابل، يلجأ بعض المذيعين أحياناً إلى مناداة ضيفه باسمه كاملاً أثناء تبادل الأدوار مقروناً بتلك الألقاب الابتدائية، وهو أسلوب غير مألوف في التفاعلات العربية، إذ ليس من الدارج أن ننادي أحداً باسمه كاملاً حين مخاطبته فنقول: (كيف حالك دكتور محمد بن خالد القحطاني؟)، بل عادة نكتفي بكلمة (دكتور، مهندس، شيخ، أستاذ)، أو نضيفها إلى الاسم الأول فقط فنقول: (كيف حالك دكتور؟ أو كيف حالك دكتور محمد؟). لنمعن النظر في المثال القادم وننظر كيف نادى المذيع ضيفه في السطر الثالث:

مثال ٥ العربية، إضاءات،١٤/ ٦/ ٢٠١٣م، المذيع: تركي الدخيل، الضيف: الأستاذ محمد سعيد حارب

١ – ض: ... المسلسل محتواه الأنيميشن يصنع في سنغافورة ومرحلة ما قبل الإنتاج وما بعد الإنتاج يتم صناعتها في دبي

٢– وما شاء الله الجنسيات التي تشتغل حتى في المسلسل يعني خليط من الجنسيات

٣ – م: طيب حضرتك حصدت أستاذ محمد سعيد حارب جوائز كثيرة برأيك من خدم الآخر ...

نلحظ هنا أنَّ المذيع ينادي ضيفه بـ(أستاذ محمد سعيد حارب)، (أستاذ + الاسم كاملاً)، وهو أمر مختلف عن الدارج والمألوف عند المذيعين في كثير من السياقات الحوارية العربية. ولعل التفسير الأقرب لهذه الإستراتيجية يعود إلى الرغبة بتذكير المشاهدين باسم الضيف، أو محاولة التعريف به للمشاهدين الذي لم يدركوا بداية الحلقة، وهذا التفسير يعززه المفهوم العام للمقابلة الإعلامية، وأنها ليست حواراً خاصاً بين شخصين، بل هي موضوعة ومرتبة لفائدة المشاهدين، ولذلك حين يتحدث المذيع مع الضيف سنجد أنَّ الضيف رغم أنه يقبل إلى المذيع بجسده، وعيناه لا تكاد تفارقان عينيه فإنَّ المذيع يؤمن أنَّ الضيف لا يخاطبه شخصياً، بل هو يخاطب الجمهور من خلاله. ولهذا السبب فإنَّ كثيرًا من التفاعلات التي تحصل عادة في الحوارات اليومية تغيب عن المقابلات الإعلامية، فعبارات الدهشة والتعجب مثلاً من جواب غريب لا تحضر في هذا السياق (Heritage 1985; Greatbatch 1988; Pomerantz, 1984)، فلا يُتوقع من مذيع في مقابلة رسمية جادة أن يعبر بكلمات من مثل (أوه يا ساتر، عجيب والله)؛ لأنَّ دور المذيع الحقيقي هو سؤال الضيف لا التفاعل معه بحوار أقرب إلى المحادثة الشخصية، وهذا الأمر ينطبق أيضاً تماماً مع الضيف، فهو يؤمن بأنَّ ما يسأل عنه المذيع من خلال الأسئلة أو نقولات تقود إلى أسئلة لا يلزم منها أن يتبناها المذيع، فقد يمارس ما يُسمَّى في المقابلات الإعلامية (محامي الشيطان، The devil's advocate) (Clayman and Heritage, 2002)، إذ يذهب المذيع إلى الاتجاه المعاكس لما يتبناه الضيف محاولاً خلق صراع يسهم في الإجابة عن كثير من التساؤلات التي يتبناها الجمهور، فالمذيع قد يؤدِّي دور الليبرالي مع الضيف المحافظ، ودور المحافظ مع الضيف الليبرالي، ومع ذلك كله فإنَّ الضيف لا يعتقد أنَّ المذيع يتبنى كل ما يطرحه في الحوار، وإنما هو يؤدِّي دوره الوظيفي محاولاً أن يمثل آراء شريحة من المشاهدين المخالفين لما يطرحه أثناء الحوار.

هذا السياق المختلف بوجود جمهور يستمع إلى هذا التفاعل خلق فروقات كثيرة في طبيعة التخاطب والتواصل في المقابلات الإعلامية، وواحدة من هذه الفروقات هي طريقة نداء الضيف، إذ رأينا في المثال السابق (مثال ٥) كيف ينادي المذيع ضيفه باسمه كاملاً

على خلاف ما هو دارج في الحوارات العربية الأخرى، إذ الهدف من هذا الأمر لم يكن طلب المتكلم إقبال المخاطب فقط، وإلا لاكتفى المذيع بما هو دارج في السياقات الأخرى باستعمال الاسم الأول، لكنه فضل ذكر اسم المخاطب كاملاً لغرض آخر غير طلب الإقبال والانتباه.

محاولة أخذ الدور:

تؤكد مدرسة تحليل المحادثة أنَّ تبادل الأدوار منتظم جداً حتى في الأحاديث اليومية، وهذا الانتظام يظهر في ترتيب من سيأخذ الدور بعد المتحدث الحالي، وكذلك المكان الذي يحدث فيه انتقال الدور. فالانتقال لا يحصل عبثاً في أي موضع من كلامنا، بل يحصل غالباً بعد اكتمال وحدة كلامية سواء كانت فقرة أو جملة أو حتى كلمة واحدة، فكلمات من مثل (نعم أو لا)، هي في الواقع وحدة مكتملة للإجابة عن سؤال يبدأ بـ(هل). وكما تشير المدرسة فإنَّ الإنسان يتحدث على شكل وحدات كلامية أثناء الحوار اليومي Turn (construction units)، وبعد انتهاء كل وحدة يحق للطرف الآخر أن يأخذ الدور، كما يحق للمتحدث أن يستمر بوحدة جديدة، وإذا أخذ الطرف الآخر دوره بالحديث فسيحكمه النظام السابق مجدداً، إذ سيتحدث من خلال وحدات كلامية، وحين يكمل كل وحدة سنواجه منطقة احتمالية لانتقال الدور (Transition relevance place)، فإما أن يستمر المتحدث بوحدة جديدة، أو ينتقل الدور لمتحدث جديد (Sacks et al, 1974). وكما أشير سابقاً في مدخل هذا البحث فإن أخذ الدور بعد انتهاء وحدة كلامية في المحادثات اليومية هو أمر مشروع لجميع المشاركين، ما لم يحدد المتحدث الحالي شخصاً معيناً؛ لينتقل الدور إليه كأن يسأل سؤالاً ويوجهه إلى ذلك الشخص.

ويفرق كثير من الباحثين بين تداخل الكلام (overlapping)، والمقاطعة (interruption)، فتداخل الكلام بين شخصين لا يعني محاولة أخذ الدور في منتصف وحدة كلامية وإجبار الآخر على الاستماع إلينا كما هو في المقاطعة، بل ربما يحصل التداخل في سياق ودي ليس الهدف منه فرض القوة والسيطرة، كأن يحاول الشخص الثاني أن يأخذ الدور من المتحدث الأول بعد أن أنهى وحدة كلامية، وفي الوقت نفسه استمر المتحدث الأول بإنشاء وحدة جديدة، حينها يتداخل الكلام وغالباً ما يتنازل أحدهما للآخر ويمنحه فرصة المواصلة (Schegfloff, 2000). وقد حلّل سيدنيل (٢٠١١) عدة أنواع من التداخل تحدث في المحادثات اليومية مبيناً كيف أنها تحصل بانتظام بين المتحاورين، وبيّن أيضاً أنّ كثيراً من المواضع التي يحصل فيها انتقال الدور في الأحاديث اليومية قبل اكتمال وحدة كلامية هي ليست من قبيل المقاطعة ومحاولة أخذ الدور عنوة، بل هي من قبيل التداخل

المنتظم المقصود. وقد شرح المصطلح الذي اقترحته جيفرسون (١٩٨٣) (Recognitional overlapping) – ويعني التداخل الإدراكي أو المقصود–بأمثلة حقيقية من محادثات إنجليزية، مبيناً كيف أنّ المتحدثين يتوقعون أحياناً إلى أين يتجه المتحدث، وما الكلمة التي ستنهي الوحدة الكلامية، فيبادرون بأخذ الدور قبل انتهاء هذه الوحدة. على أن ترجمة الأمثلة التي ذكرها قد لا تنقل الفكرة تماماً بسبب اختلاف التركيب بين اللغتين العربية والانجليزية، ولذا سأضرب مثالاً هنا مبسطاً يوضح هذا المصطلح من محادثة عربية، فلو مثلاً استقبل شخص ما صديقاً له في المطار قادماً للتو من مصر، وسأله هذا السؤال (كيف كانت رحلتك إلى مصر؟)، فإنَّ الشخص المخاطب ربما يبادر بالجواب مباشرة بعد كلمة (رحلتك) وقبل اكتمال السؤال؛ لأنه يتوقع بداهةً أنَّ السائل سيسأل عن رحلته الأخيرة، وليس عن رحلته إلى نيوزلندا مثلاً التي سافر إليها قبل سنتين.

أما المقاطعة ومحاولة أخذ الدور عنوة فهي قليلة جداً في الحوارات والمحادثات، إذ يشير ساكس وآخرون (١٩٧٤)، إلى أنَّ المحادثات عادة ما تقوم على حديث شخص واحد في كل وحدة كلامية، وانتقال الدور بين المتشاركين في الحديث ينتقل دون وجود ثغرات أو تداخلات، فمقاطعة الآخرين وعدم منحهم فرصة إكمال وحدتهم الكلامية لا يحصل إلا في التلاحي والصراعات الكلامية التي تخرج عن الدارج والطبيعي في حوارات الناس اليومية. هذا الكلام أيضاً ينطبق على الحوارات الإعلامية، فالأصل فيها أن تسير بانتظام بين السؤال والجواب إلى نهاية الحلقة، إلا في بعض اللقاءات الإعلامية التي تتسم بالصراع والجدال والاتهام كما وجد هاتشبي (١٩٩٢)، في بعض المقابلات الإذاعية، وكما نجد أحياناً في بعض اللقاءات العربية كبرنامج الثامنة على قناة (MBC) على سبيل المثال (انظر الفهد، ٢٠١٥)، إذ يحتد الحوار أحياناً فيخرج المذيع من وظيفته الرئيسة وهي إلقاء الأسئلة والبحث عن الإجابة إلى الاتهام والصراع مع الضيوف. النموذج الآتي يُظهر بعض ملامح الخروج عن طبيعة اللقاءات حين يحاور المذيع داود الشريان ضيفه الدكتور أحمد العيسى المتحدث باسم وزارة الصحة:

مثال ٦ MBC، الثامنة،١٠/ ٢/ ٢٠١٤م، المذيع: داود الشريان، الضيف: أحمد العيسى

١ – ض: عفواً عفواً خلني أكمل مداخلتي لأني عبر الهاتف أنا ما أستطيع اني آآآ [أسمع شيء]

٢ – م: [لأنك تقول] كلام مهوب

٣ – صحيح أخليك وش أخليك

٤ – ض: عطنا عطنا- [اسمعني للآخر اسمعني للآخر الله يسلمك]

٥ – م: [أنت قايل لك الوزير اطلع علشان تقول كلام مهوب صحيح؟]

٦ – ض: وبعدين [علق]

٧ – م: [مهوب صحيح] كلامك أحمد (.) بأمان الله

فالضيف يحاول أن يأخذ الدور ويطلب من المذيع أكثر من مرة أن يمنحه الفرصة لإكمال حديثه كما في السطر الأول (عفواً عفواً خَلْني أكمل مداخلتي)، وفي السطر الرابع (اسمعني للآخر اسمعني للآخر)، لكن المذيع يقاطعه ويرفض إعطاءه الفرصة بحجة أنَّ كلام الضيف غير صحيح، والحكم على إجابات الضيوف ليس من مسؤولية المذيع، فمهمته السؤال والاعتراض ونقل مقولات تناقض كلام الضيف لا أن يحكم على كلام بالضيوف بالصحة والخطأ إذا ما أراد أن يمارس المهنية والحياد في أثناء الحوار. ومثل هذه الممارسات تُظْهِرُ أن المذيع خرج من دوره الرئيس إلى صراع كلامي مع الضيف ضاع فيه محور السؤال والجواب، وأصبح أخذ الدور كما في السطر السابع ليس حاضراً بعد اكتمال أي وحدة كلامية، ومثل هذا الصراع الكلامي لا تظهر ملامحه فقط في كثرة المقاطعات، بل وحتى في طريقة إنهاء حديث الضيف إذ كانت غير مألوفة في الحوارات الإعلامية حين مارس المذيع سلطته في إدارة الحوار بمحاولة القطع المباشر لمداخلة الضيف كما يظهر في السطر السابع ومن خلال قول المذيع تحديداً (بأمان الله). مستوى المناداة المستعمل من قبل المذيع في السطر السابع أيضاً لا يتوافق مع المستوى المستعمل عادة في المقابلات الإعلامية (دكتور + الاسم الأول)، فالمذيع ينادي ضيفه الدكتور أحمد العيسى باسمه الأول مجرداً، وإن كان هذا الأسلوب (استعمال الاسم الأول فقط في الحوارات)، قد يدل في بعض السياقات على التودد والتقرب من الآخر، وتقليص المسافة بين المتحدثين، أو ما تُسمَّى بإستراتيجية التضامن كما تشير إليها كثير من الدراسات (انظر Brown and Ford, 2003; Holmes, 2013)، إلا أنَّ السياق التصارعي السابق بين المذيع وضيفه لا يساعد على هذا التفسير، بل ربما يشير إلى تفسير معاكس، فحذف الكلمة الابتدائية (دكتور) المستعملة عادة في الحوارات الإعلامية الرسمية قد يشير إلى عدم إعطاء الضيف حقه من الاحترام والتقدير (الفهد، ٢٠١٥).

هذا الصراع بين الطرفين ومحاولة أخذ الدور يجعل استعمال اسم المخاطَب حاضراً في كلام المتحدثين كثيراً، ليس لأجل لفت الانتباه وإقبال المخاطب فقط، بل لأجل أن يمنح أحدهما الآخر مهمة الحديث، ولذلك سنلاحظ أن المذيع في مقطع مباشر قبل المقطع السابق استعمل اسم الضيف مراراً؛ لمحاولة أخذ الدور كما يتضح في المثال الآتي:

مثال ٧ MBC، الثامنة،١٠/ ٢/ ٢٠١٤م، المذيع: داود الشريان، الضيف: أحمد العيسى

١ – ض: ... ولله الحمد والنعمة الوزارة اشتغلت على برنامج متكامل في هذا الموضوع وهذي ميزة أن

٢ – المنشآت الصحية بشكل عام هي تحت مظلة الوزارة وليست [منفصلة عنها لأنها تديرها إدارة]

٣ – م: [وي وين هي أحمد هذي الرقابة؟]

٤ – ض: متكاملة [تضع برنامج] متخصص [في]

٥ – م: [اصبر اصبر أحمد] [يا أحمد] لو سمحت يا أحمد الله يرضى عليك وين الرقابة اللي

أنت تتكلم عنها بوزارة الصحة؟ ما فيه رقابة حنا شايفين السوق مهوبْ صحيح هذا الكلام

فالمذيع نادى الضيف أربع مرات في السطر الثالث والخامس، إذ طرح السؤال أولاً مدمجاً فيه اسم الضيف (وين هي أحمد هذي الرقابة؟)، وحين لم يحصل على الدور اضطر إلى مناداة الضيف باسمه والطلب منه مباشرة بالتوقف ومنحه الدور لإلقاء السؤال (اصبر اصبر أحمد، يا أحمد، لو سمحت يا أحمد). هذا الاستعمال المكثف لاسم المخاطب يعود ببساطة إلى محاولة أخذ الدور، وهي محاولة تشكلت بصعود تدريجي من قبل المذيع في استعمال اسم المخاطب، إذ وضع اسم المخاطب أولاً مدمجاً في السؤال، وحين وجد مقاومة من الطرف الآخر في تسليم الدور اضطر إلى تكثيف النداء والطلب المباشر بالتوقف.

ورغم أن مثل هذا الحوار التصارعي وهذا النوع من المقاطعات غير وارد كثيراً في الحوارات الإعلامية، فإنّ الدور الموزع بانتظام بين المذيع وضيفه من حيث السؤال والجواب لا يسير دائمًا كحديث آلي بين الطرفين، بل ثمة تداخل في الكلام يحدث بين المذيع وضيفه، وهو كما ذكرنا سابقاً ليس محاولة لأخذ الدور عنوة وإجبار الآخر على الاستماع، بل هو تزاحم في مكان انتقال الدور حين يبدأ شخصان بالحديث في وقت واحد، فإما أن يؤثر أحدهما ويتنازل عن الدور للآخر، أو يتوقف أحدهما ويستعمل اسم المخاطب؛ ليطلب من الآخر منحه فرصة الحديث. لنلحظ الحوار القادم بين المذيع وضيفه وزير الصحة الدكتور عبدالله الربيعة، حين سأل المذيع عن مستشفى الحرس الوطني المنفصل عن وزارة الصحة ومدى قدرته على استقطاب أطباء كما كان المستشفى يفعل سابقاً:

مثال ٨ MBC، الثامنة، ٢٨/ ٤/ ٢٠١٢م، المذيع: داود الشريان، الضيف: الدكتور عبدالله الربيعة

١ – م: الآن الحرس هل بالكادر ذا يقدر يشتغل زي ما كان يشتغل أول؟ لا ما يقدر

٢– [ما يقدر] يجيب أطباء زي ما أنت تسوي

٣ – ض: [داود] يا داود يا داود احنا الآن حكمنا

٤ – م: امه

٥ – ض: واحنا ما شفنا المخرجات والمدخلات نتكلم بالعاطفة ...

نلاحظ أنَّ الضيف بدأ دوره بالحديث بعد انتهاء المذيع من وحدة كلامية (لا ما يقدر)، لكن المذيع استمر بإنتاج وحدة جديدة في السطر الثاني (ما يقدر يجيب أطباء زي ما أنت تسوي)، ولهذا فالضيف توقف عن الحديث في السطر الثالث حتى يكمل المذيع وحدته الجديدة، وحين اكتملت هذه الوحدة استعمل الضيف اسم المخاطب مكرراً (يا داود يا داود)؛ لضمان أخذ الدور وتسليم المذيع له بذلك. ونلحظ أيضاً أنَّ المذيع فعلاً منح الدور للضيف وانتقل إلى دور المستمع كما يظهر في السطر الرابع حين استعمل عبارة أو صوت (امه)، وهذا الصوت ومثله استعمال (اهاه) وما شابهها يسميها شيقلوف (Schegloff, 1982) (Continuers) ويسميها آخرون (Back channel) (انظر Drummond and Hopper, 1993) وهي تُستعمل عادة في منطقة احتمالية لانتقال الدور؛ لإشعار الطرف الآخر أننا نعرف أنَّ المتحدث لديه ما يضيفه؛ ولذا نحن نمنحه فرصة مواصلة الحديث. فصدور أصوات من مثل ما هو موجود في المقطع السابق (امه) هو ببساطة إشارة إلى انتقال المذيع إلى دور المستمع، وعدم وجود صراع على أخذ الدور كما هو موجود غالباً في المقاطعات الكلامية.

وخلاصة القول: إنَّ وجود المقاطعة أو حتى التداخل بين المتحدثين قد يشير إلى عدم سير الحوار بسلاسة بين المشاركين في تبادل الدور؛ مما يشجع استعمال أحد المتشاركين في الحوار اسم المخاطب الآخر؛ ليمنحه الدور في الحديث، فالمناداة هنا ليست لطلب إقبال المخاطب فقط، وإنما هي أيضاً طلب مباشر من الطرف الآخر أن يتوقف عن الحديث، وأن يمنح الآخر فرصة أخذ الدور والمشاركة في المحادثة.

تغيير الموضوع:

قضية تغيير الموضوع في أثناء الحديث هي واحدة من القضايا التي ناقشتها عدة دراسات من مدرسة تحليل المحادثة، وتحديداً آلية انتقال المتحدثين من موضوع إلى آخر. ولأنَّ المدرسة لا تركز على المضامين والموضوعات؛ فالمدرسة لم تهتم بتحليل تلك المضامين، وإنما ركزت على طريقة انتقال المتحدثين بين عدة مواضيع، إذ يشير مينارد (Maynard, 1980) مثلاً إلى أنَّ المتشاركين في الحديث يغيرون الموضوع حين يحل الصمت بينهم؛ لأنَّ الصمت إشارة إلى فشل في انتقال الدور في هذا الموضوع تحديداً؛ مما يدفع أحد المشاركين في الحوار إلى اختيار موضوع آخر حتى تسير فيه حركة

تبادل الدور من جديد، بل ثمة دراسات أخرى وجدت أنَّ المتحدثين باللغة الإنجليزية يستعملون عبارات نمطية قبل تغيير الموضوع (انظر Drew and) Holt, 1998 . أمَّا في العربية فلا توجد دراسات مكثفة حول هذا الموضوع إذا ما استثنيا رسالة دكتوراه لفادي حيلاني (Helani, 2008)، حول تغيير الموضوع في المحادثة العربية، وقد نشر جزءاً منها لاحقاً حول استعمال جملة (إن شاء الله) في المحادثات العربية وتحديداً في اللهجة السورية (Clift and Helani, 2010) ، إذ أشار البحث إلى أنَّ (إن شاء الله)، في المحادثة لها عدة وظائف في الاستعمال اليومي، وأن واحدة من تلك الوظائف هي إغلاق الموضوع المتحدث حوله تمهيداً لفتح موضوع جديد.

وإذا انتقلنا إلى الحوارات الإعلامية سنلحظ أيضاً أنَّ الحديث في المقابلات لا يرتكز عادة على موضوع واحد فقط، بل يتناول عدة موضوعات مختلفة ينتقل بينها المذيع تباعاً، أو قد ينتقل بين قضايا صغيرة داخل موضوع واحد كبير. فالدور المنوط بالمذيع دور محوري إذ هو القائد في المقابلة، ودوره أقوى من دور ضيفه، فهو مَنْ لديه القوة والسيطرة في الحوار الإعلامي بغض النظر عن قوة الضيف أو مكانته الاجتماعية، فالمذيع هو من يفتتح الحلقة، ويسأل الأسئلة، ويختار الموضوع، وينقل الآراء التي تنتقد الضيف، وهو الذي يقرر الاستمرار في الحديث عن موضوع أو الانتقال إلى موضوع آخر، أما الضيف فمع أنه قد يحظى بقوة اجتماعية أكبر من مستوى المذيع كأن يكون وزيراً أو حتى رئيس وزراء فإنَّ دوره في المقابلة أضعف من المذيع، إذ عليه مهمة الدفاع والتبرير، واتباع المذيع فيما يطلب، والانتقال مع المذيع في الموضوعات التي يتطرق إليها (Clayman and Heritage, 2002; Greatbatch, 1986).

وإذا كانت هذه هي مهمة المذيع فإنَّ له حق الخيار في أن يسأل أسئلة تتبُّعيَّة (follow-up questions) متعلقة بجواب الضيف، وتبحث عن تفاصيل أخرى للقضية السابقة، أو أن يبدأ بسؤال جديد يلامس قضية جديدة، وقد لاحظت رندل شورت (٢٠٠٧) أنَّ المذيعين في المقابلات الأسترالية يستعملون اسم الضيف حين ينتقلون إلى السؤال عن قضية جديدة. أمَّا في السياق العربي فيلاحظ في اللقاءات العربية أنَّ المذيع حين يبدأ دوره بمناداة الضيف، ودون وجود مضايقة في أخذ الدور كما في المقاطعة والتداخل، فإنَّ المناداة هنا غالباً ليست لأخذ الدور، وإنما إشارة إلى انتقال المذيع إلى قضية جديدة، كما يظهر هذا الأمر في المثال الآتي الذي يظهر فيه نائب رئيس الجمهورية اليمنية خالد بحاح. وقد كان السؤال الأول الذي يسبق هذا النص يدور حول مدينة المكلا وسيطرة المتطرفين عليها:

مثال ٩ العربية، مقابلة خاصة، ٥/ ٩/ ٢٠١٥م، المذيع: محمد الطميحي، الضيف: خالد بحاح

١ – ض: ... ونتمنى أن نتجاوز مرحلة العنف حتى في مدينة المكلا في الفترة القريبة ونتمنى أن تكون الأطراف تعي

٢ – أنها لن تكون تحت أي أطراف متطرفة من أي جهة كانت

٣ – م: ولكن هل المواجهة في المكلا مع القاعدة مؤجلة في الوقت الراهن؟

٤ – ض: بالتأكيد نحن ما زلنا نقول أن المكلا تترك لحالها المكلا مدينة تاريخية معروفة مثلها مثل مدينة صنعاء لا نريدها

٥– نريد الأطراف المسيطرة عليها أن تترك هذه المدينة وأن تعي ليس تترك وتذهب إلى منطقة أخرى ولكن تترك

٦ – التطرف بشكل كامل وتعود إلى منازلها تعود إلى أعمالها إلى مدارسها إلى قراها هذا ما نريده منهم جميعا

٧ – م: دولة الرئيس كان هناك زخم لعملية السهم الذهبي وخاصة في تحرير المحافظات الجنوبية وبالتحديد عدن

٨– ولكن هذا الزخم ..

فالمذيع هنا يناقش موقف الدولة اليمنية من الأطراف المتشددة المسيطرة على مدينة المكلا، وحاول أن يستعمل سؤالاً تتبعياً في السطر الثالث من خلال التأكد من موقف الدولة تجاه المتشددين ومدى استعدادها للدخول معهم في صراع (ولكن هل المواجهة في المكلا مع القاعدة مؤجلة في الوقت الراهن؟)، وحين يبدأ الدور بـ (لكن) فهي إشارة واضحة إلى محاولة إحضار تساؤلات أو نقولات مناقضة لما يقوله المتحدث، وهي إشارة أخرى أيضاً إلى أن الحديث مستمر في القضية التي يتناولها الجواب السابق. ولكننا في الجانب الآخر نلحظ أن المذيع في السطر السابع بدأ بقضية جديدة مستفتحاً دوره بمناداة الضيف (دولة الرئيس)؛ للإشارة إلى تغيير الموضوع وبداية قضية جديدة تتعلق بعملية السهم الذهبي المرتبطة بمدينة عدن.

النموذج السابق هو من تغيير المذيع الموضوعَ والانتقال إلى قضية منفصلة عن جواب السؤال السابق، وما ستوضحه الأسطر القادمة هو أن الضيف أيضاً قد يستعمل اسم المذيع للإشارة إلى الانتقال إلى تغيير الموضوع أو فتح قضية جديدة كما وجد ذلك "كلايمن" في بعض اللقاءات الإعلامية الأمريكية (٢٠١٠). في البداية لابد من التأكيد أنه يُتوقَّع من الضيف عادةً الإجابة عن الأسئلة المطروحة، واتباع المذيع في المواضيع والقضايا التي يناقشها، إلا أنه

وجدت بعض الممارسات التي يحاول بها الضيف تغيير الموضوع، أو بعبارة أعم يحاول أن يحيد عن هذه الأسئلة أو يهرب منها، كأن يسأل الضيف بدلاً من الإجابة، أو يمتنع عن الجواب، أو حتى قد يتهجم على المذيع. وقد وجد بعض الباحثين أن المقابلات السياسية غالباً ما تكثر فيها نسبة الحيدة مقارنة بأنواع المقابلات الأخرى، فالمقابلات التي تتسم بسهولة الأسئلة وبساطتها لا تظهر فيها الحيدة مقارنة بتلك المقابلات التي تتسم بالقسوة والمواجهة مع الضيوف (Alfahad, 2016; Bull and Elliott, 1998; Chilton, 2004; Harris, 2001)، ولعل الأمر يعود ببساطة إلى ما اقترحه بافيلاس وآخرون (Bavelas et al, 1988, 1990)، من أنَّ الناس يميلون إلى الهروب من الإجابة التي تحمل آثاراً سلبية متوقعة؛ فالإنسان عادة لا يهرب من الإجابة فيما لو سألناه عن اسمه، لكنه قد يفعل ذلك فيما لو توقع أن يترتب أمر سيء حين يفصح عن ذلك. ولهذا السبب فالمقابلات التي تتسم بالصراع والنقد والقسوة، وتلك التي تحمل كثيراً من الأسئلة المغلقة (close-ended questions)، والأسئلة التتبعية (follow-up questions)، غالباً ما ترتفع فيها نسبة الحيدة مقارنة بتلك التي يظهر فيها الهدوء والاحترام والأسئلة الجاهزة المرتبة مسبقاً.

في المثال الآتي نلحظ أن الضيف لم يعجبه السؤال الأول الذي طرحه المذيع، لكن الضيف بدلاً من التعليق على القضية التي أثارها المذيع فضّل أن يتحدث عن أداء المذيع، وطريقة إدارته للحلقة:

مثال ١٠ العربية، إضاءات، ١٥/٣/٢٠١٣م، المذيع: تركي الدخيل، الضيف: الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد

١ – م: أبو خالد في يناير ٢٠١٢م أجريت معك مقابلة في (إضاءات)، وقلت لي في نهاية تلك الحلقة أن شعر

٢- الغزل كثير لديك وليس قليلاً كما يظن البعض، وأن دواوينك التي تعنى بالغزل كثيرة وبخاصة أنك لا تزال

٣- تحب ولديك حبك الأثير حب زوجتك أم خالد؛ التي لا تفارقك في أسفارك، وكانت في الحلقة الماضية أيضاً

٤- رافقتك وهي في هذه الحلقة كذلك، لك أبو خالد أستاذ عبد الرزاق عبد الواحد قصيدة شهيرة اسمها "القُبلة

٥- الأولى"، ما هي قصتها؟

٦ – ض: تركي تفاجئني بهذا وذهني منصرف الآن مع العراق أُقسم لك، وتمنيت أن يكون مدخلي للعراق أولاً قبل أن

٧ – يكون مدخلي لنفسي

٨ – م: احذف السؤال الأول وحدّثني عن العراق الذي يعيش في داخلك أين هو الآن منك وأين أنت منه؟

٩ – ض: هو مني في القلب لا يبارحني ليل نهار ...

فالضيف هنا في السطر السادس لم يجب عن تساؤل المذيع كما هو متوقع من الضيوف، بل حاول أن يغيّر الموضوع وينتقد أداء المذيع في استفتاح هذه الحلقة بمثل هذا التساؤل، ونلاحظ أيضاً بوضوح أنَّ الضيف نادى المذيع (تركي) وكأنها إشارة للانتقال والتحول وعدم السير على ما رسمه المذيع.

على أنَّ تغيير الموضوع أو الإجابة عن قضية لم يسأل عنها المذيع لا تعني دائماً الخوف من تبعات السؤال، أو الهروب من إجابة تحمل آثاراً سلبية متوقعة، فربما يجد الضيف فرصة للحديث عن قضية قريبة من القضية المثارة في تساؤل المذيع كما في المثال القادم:

مثال ١١ العربية، إضاءات،١٩/٦/ ٢٠٠٩م، المذيع: تركي الدخيل، الضيف: الشيخ عمر البطوش

١ – م: تقول في صفحة ٣٤ من كتابك "ولذلك فإن الأئمة الكبار في هذا الزمان، الألباني وابن باز وابن

٢– عثيمين لم يكونوا قابلين البتة بهذه الجماعات الحركية الحزبية التكفيرية، بل كانوا محاربين لها منكرين

٣– عليها وبسبب ذلك تعرضوا للأذى، ما هو الأذى الذي تعرضوا له؟

٤ – ض: هذا أستاذ تركي قبل أن أتكلم عن الأذى هذا من أكبر الأدلة على أن السلفية الحقة هي منهج رباني

٥– ولا شيء فيها من التكفير والانحراف؛ لأن أئمة هؤلاء، أئمة السلفية هؤلاء كانوا غير قابلين بتلك

٦– الجماعات وكانوا يحاربونها ولهم جهود عظيمة فهؤلاء الأئمة هم الذين يعوّل عليهم ولا يعوّل

٧– على أغمار يدّعون السلفية.

٨ – م: من الذي ترى في تقديرك أنه.. يعني كيف تعرّض هؤلاء للأذى؟

٩ – ض: هؤلاء تعرضوا للأذى من جهات كثيرة أولاً اتهموا بالعمالة للحكام أو بالتخاذل أو بالجبن

١٠– أو بالإرجاء أو بأنهم ...

فسؤال المذيع في السطر الثالث كان واضحاً ومحدداً؛ إذ كان يبحث عن ماهية الأذى الذي تعرض له (الأئمة الكبار في هذا الزمان)، لكن الضيف في السطر الرابع بدلاً من الإجابة عن هذا السؤال فضّل أن يؤكد نقطة أخرى لم يسأل عنها المذيع (هذا أستاذ تركي قبل أن أتكلم عن الأذى هذا من أكبر الأدلة على أن السلفية الحقة هي منهج رباني ولا شيء فيها من التكفير والانحراف)، ونلحظ أيضاً أنَّ الضيف نادى المذيع (أستاذ تركي)، أثناء محاولته تغيير الموضوع، والحديث عن نقطة مختلفة عن القضية التي يتساءل عنها المذيع، ثم

عاد وأجاب عن هذا التساؤل في السطرين الأخيرين حين أعاد المذيع عليه السؤال مرة أخرى. وجميع هذه الأمثلة الثلاثة السابقة تشير بوضوح إلى أن مناداة الآخرين قد تستعمل في المقابلات الإعلامية للانتقال من الخط الذي يسير عليه الطرف الآخر، وكأنها علامة لبدء صفحة جديدة وقضية مختلفة.

خاتمة

ناقش هذا البحث قضية نداء الآخر في المقابلات الإعلامية؛ محاولاً معرفة الأسباب التي تقف خلف استعمال المناداة، فتوصل إلى: أنَّ نداء الطرف الآخر في المقابلات الإعلامية قد لا يكون لتحديد الشخص الموجه إليه الكلام فقط، كما في الحوارات التي يشترك فيها أكثر من ضيف، بل ربما يُستعمل لأغراض أخرى كالتعريف بالضيف للمشاهدين من خلال مناداته باسمه كاملاً قبل طرح السؤال، أو محاولة أخذ الدور بعد تداخل كلام المذيع مع ضيفه، أو عند محاولة المذيع أو الضيف الانتقال من موضوع إلى آخر. وجميع هذه الاستعمالات تشير إلى أنَّ النداء له استعمالات وأغراض أخرى في الحوارات والسياقات الحية، تتجاوز الغرض العام للنداء المبثوث في الدراسات القديمة وهو محاولة لفت الانتباه أو إقبال المخاطب.

هذا البحث ونتائجه هي محاولة بسيطة لفهم نظام المحادثة العربية انطلاقًا من تحليل محادثات حقيقية باستعمال منهج تحليل المحادثة، الذي يقوم على تحليل الحوارات من خلال تسجيلات صوتية ومحاولة تتبع الظواهر اللغوية والإستراتيجيات المستخدمة في المحادثة. على أن هذه القضية، قضية نداء الآخرين في الحوارات، تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي مع الاعتماد على مواد مستقاة من سياقات أخرى غير السياق الإعلامي، كالحوارات داخل فصول التعليم، وفي أروقة المحاكم، وبين الطبيب ومرضاه، أو حتى في الأحاديث اليومية، وهي سياقات مختلفة قد تسهم في إيجاد أغراض جديدة غير ما توصل إليه البحث؛ مما سيسهم أخيراً في تعميق فهمنا حول النظام المستعمل في الحوارات والمحادثات العربية.

شكر وتقدير :

يتقدم الباحث بالشكر الجزيل لمركز بحوث كلية الآداب وعمادة البحث العلمي في جامعة الملك سعود على دعمهما هذا البحث.

المراجع

المراجع العربية:

ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، ١٩٨٥ ، *الأصول في النحو*، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

سيبويه، ١٩٨٨، *الكتاب*، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.

عتيق، عبدالعزيز، ٢٠٠٩، *علم المعاني*، دار النهضة العربية، بيروت.

المراجع الأجنبية :

Alfahad, A. 2013. *A Conversation analysis of aggressiveness and deference in Arabic news interviews*. PhD thesis, Leeds University, Leeds, UK.

Alfahad, A. 2015. Saudi broadcast interviews: Moving towards aggressiveness. *Discourse & Communication*. *9*, 387-406.

Alfahad, A .2016, Equivocation in Arabic news interviews. *Journal of Language and Social Psychology*. *35*, 206-223.

Bavelas, J., Black, A., Bryson, L., and Mullett, J. 1988. Political equivocation: A situational explanation. *Journal of Language and Social Psychology*, *7*, 137-145.

Bavelas, J., Black, A., Chovil, N., and Mullett, J. 1990. *Equivocal communication*, London, UK: Sage.

Brown, R., and Ford, M. 2003. Address in American English. *Journal of Abnormal and Social Psychology*, 62, 375–85.

Bull, P., and Elliott, J. 1998. Level of threat a means of assessing interviewer toughness and neutrality. *Journal of Language and Social Psychology, 17*, 220-244.

Butler, C., Danby, S. and Emmison, M., 2011. Address terms in turn beginnings: managing disalignment and disaffiliation in telephone counseling. *Research on Language & Social Interaction*, *44*, 338-358.

Chilton, P. 2004. *Analysing political discourse: Theory and practice.* London, UK: Routledge.

Clayman, S. 2010. Address terms in the service of other actions: The case of news interview talk. *Discourse & Communication, 4*, 161-183.

Clayman, S., 2012. Address terms in the organization of turns at talk: The case of pivotal turn extensions. *Journal of Pragmatics, 44*, 1853-1867.

Clayman, S., 2013. Agency in response: The role of prefatory address terms. *Journal of Pragmatics, 57*, 290-302.

Clayman, S., and Heritage, J. 2002. *The news interview: Journalists and public figures on the air*. Cambridge: Cambridge University Press.

Clift. R. 2016. *Conversation analysis.* Cambridge: Cambridge University Press.

Clift, R., and Helani, F. 2010. Inshallah: Religious invocations in Arabic topic transition. *Language in Society, 39*, 357-382.

Drew, P., and Holt, E. 1998, Figures of speech: Figurative expressions and the management of topic transition in conversation. *Language in Society, 27*, 495-522.

Drummond, K. and Hopper, R., 1993. Back channels revisited: Acknowledgment tokens and speakership incipiency. *Research on Language and Social Interaction, 26*, 157-177.

Greatbatch, D. 1986. Aspects of topical organization in news interviews: The use of agenda-shifting procedures by interviewees. *Media, Culture and Society, 8*, 441-455.

Greatbatch, D. 1988. A turn-taking system for British news interviews. *Language in Society, 17*, 401-430.

Harris, S. 2001. Being politically impolite: Extending politeness theory to adversarial political discourse. *Discourse and Society, 12*, 451-472.

Helani, F. 2008. *The topic transition sequence and the management of topic change in mundane Arabic conversation.* PhD thesis, Essex University, Colchester, UK.

Heritage, J. 1985. Analyzing news interviews: Aspects of the production of talk for an overhearing audience. *In:* Van Dijk, T. and Teun, A. (eds.) *Handbook of discourse analysis.* London: Academic Press. 95–117.

Heritage, J. and Clayman, S., 2011. *Talk in action: Interactions, identities, and institutions*. Oxford: Wiley-Blackwell.

Holmes, J. 2013. *An introduction to sociolinguistics* (fourth Ed.). London: Routledge.

Hutchby, I. 2006. *Media talk: Conversation analysis and the study of broadcasting.* Maidenhead: Open University Press.

Hutchby, I. 1992. Confrontation talk: Aspects of 'interruption' in argument sequences on talk radio. *Text, 12*, 343-371.

Jaworski, A., and Galasinski, D. 2000. Vocative address forms and ideological legitimization in political debates. *Discourse Studies, 2,* 35–53.

Jefferson, G. 1983. "Two explorations of the organization of overlapping talk in conversation: notes on some orderliness in overlap onset". *Tilburg papers in language and literature*, 28, Netherland: Tilburg University, 11–38.

Sacks, H., Schegloff, E. and Jefferson, G. 1974. A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation. *Language, 50,* 696-735.

Schegloff, E.A., 2000. Overlapping talk and the organization of turn-taking for conversation. *Language in society, 29,* 1-63.

Schegloff, E. 1982. Discourse as an interactional achievement: Some uses of" uh-huh" and other things that come between sentences. *In:* Tannen, D. (ed.) *Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics, Analyzing discourse: Text and talk.* Washington, DC: Georgetown University Press. 71–93.

Sidnell, J. 2010. *Conversation Analysis: An introduction.* Oxford: Wiley-Blackwell.

Lerner, G. H. 2003. Selecting next speaker: The context-sensitive operation of a context-free organization. *Language in Society, 32,* 177-201.

Maynard, W. 1980. Placement of topic choices in conversation. *Semiotica, 30,* 263-290.

Pomerantz, A. 1984. Agreeing and disagreeing with assessments: Some features of preferred/dispreferred turn shapes. *In:* Atkinson, J. and Heritage, J. (eds.) *Structures of Social Action: Studies in Conversation Analysis.* Cambridge: Cambridge University Press, 57-101.

Rendle-Short, J. 2007. "Catherine, you're wasting your time": Address terms within the Australian political interview. *Journal of Pragmatics, 39,* 1503-1525.

Rendle-Short, J., 2010. 'Mate' as a term of address in ordinary interaction. *Journal of Pragmatics, 42,* 1201-1218.

مجلة الآداب، م٣٠، ع١، ص ص ٢١٩-٢٥٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٨/ ١٤٣٩هـ)

دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين لعام ٢٠١٤

علي أحمد عبدالله و شعيب عبدالمنعم

الأستاذان المساعدان بكلية الإعلام والاتصال، جامعة البحرين

(قدم للنشر في ٢٨/ ١٢/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١/ ٦/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية : وسائل الاتصال، الحملات الانتخابية، مجلس النواب، الإنستقرام، الواتساب.

ملخص البحث: هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة الوسائل الاتصالية المستخدمة في الحملات الانتخابية، ومدى اعتماد النواب البحرينيين الفائزين بعضوية مجلس النواب عام ٢٠١٤ على وسائل الاتصال المختلفة في حملاتهم الانتخابية، والتعرف على الأساليب التي استخدموها لمعرفة رد فعل الجمهور على رسائلهم الإعلامية أثناء حملاتهم الانتخابية، ومدى مراعاتهم للمستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي للجمهور في اختيار وسائل الاتصال، ومعرفة مدى أهمية وسائل الاتصال في نجاح حملاتهم الانتخابية.

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام استبانة تتألف من تسع وعشرين فقرة بعد التأكد من صدقها وثباتها بالطرق المناسبة. وقد طُبِقت على تسعة وثلاثين نائباً من الأربعين الذين فازوا بالانتخابات النيابية عام ٢٠١٤، بطريقة فردية من خلال الاجتماع بكلٍّ منهم بصورة مباشرة. وحُلِّلت البيانات التي حُصِل عليها باستخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS.

كشفت عملية تحليل البيانات عن نتائج عدة، ومن أبرزها: أنّ وسائل الاتصال الاجتماعي وبالأخص الانستقرام والواتساب، قد نالت المرتبة الأولى بين الوسائل الاتصالية التي جرى استخدامها في حملات النواب الانتخابية، في حين أظهرت الدراسة أنّ الراديو والتلفزيون كانا في ذيل الوسائل الاتصالية التي اعتمد عليها النواب، وأنّ جمهور الشباب قد نال المرتبة الأولى في اهتمامات النواب، في حين جاء جمهور الأطفال في المرتبة الأخيرة.

The Role of Mass Communication in the Parliamentary Elections' Campaigns in the Kingdom of Bahrain in 2014: A Field Study

DR. Ali Ahmed Abdullah
Department of Communication & Turism, College of Arts, University of Bahrain

DR. Shoaib Abdelmoneim Elghobashy
Department of Communication & Turism, College of Arts, University of Bahrain

(Received 28/12/1437H; Accepted for publication 1/6/1438H)

Keywords: Bahraini, parliament members, the communication methods, campaign, Instagram, WhatsApp

Abstract: This study aimed at identifying the nature of the communication methods used in the election campaigns followed by the members of the Bahraini parliament who wone the membership of the 2014 election, and the extent to which the members adapted the various means of communication in their campaigns, the methods used to measure the public reaction to their media messages during election campaigns, the extent to which members take into account cultural , social and political diversity of the public in choosing the means of communication, and to measure the importance of these means as the basis for the success of their campaigns.

The qualitative descriptive approach was followed using a structured questionnaire consisting of 29 items of which the validity and reliability were assured. This instrument was administered to 39 out of the 40 Bahraini parliament members through an individual meeting. The Statistical Package of the Social Sciences SPSS was used for data analysis.

The results of the data analysis revealed that the Instagram and WhatsApp were the most effective means of social communication used by the members in their campaigns. It was found that the radio and TV were the least used means by the members. In addition, in terms of demographic age groups, it was revealed that adolescents received the most attention from the members as a target audience. This is in contrast to children who, as an audience, received the least attention.

المقدمـــــة

تعدُّ وسائل الاتصال من أفضل وسائل التثقيف والتوعية، ومن أقوى أساليب التأثير والتغيير في وقتنا الحاضر، وقد أثّر توظيفها المنتشر في نواحي كثيرة من حياة الشعوب، حيث أكد العديد من الباحثين ومنهم شرام (Schram,1964) أنّ وسائل الاتصال تستطيع إعلام الناس عن التنمية الوطنية مركزة اهتمامهم لحاجتهم إلى التغيير، وتبين لهم الفرص المتاحة لديهم عند حدوث التغيير في المجتمع وكيفية، ومعاني، وطرق التغيير. بل إنّ الباحث كنج (Cheng, 1982) أوضح أنّ علماء الاتصال اكتشفوا في دراساتهم أنّ وسائل الاتصال لها تأثير مهم جداً في التنمية الوطنية.

وأوضح الباحث روو (Rao, 1966) أنَّ وسائل الاتصال يمكن أن يكون لها أدوار إيجابية في جوانب شتى، لعل من أبرزها الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي. وفي الجانب السياسي تحديداً، ذكر الباحث روو أن الاتصال يحث القادة التقليدين على الدفاع عن قواهم وسلطانهم وذلك بزيادة مستوى معلوماتهم، كما يساعد الجماهير في إدراك أهميتهم في توزيع السلطات، ويكون لهم حافز للعمل في المشاركة السياسية، ويدعم اتصال الحكومة لمعرفة حاجات الجمهور للقيام بعمل الخطط والبرامج التي تلبي حاجاتهم.

كما عملت وتعمل وسائل الاتصال على تثقيف الجماهير، وتأهيلهم، وتوسيع مداركهم، وزيادة تفاعلهم مع مجتمعهم وتقوية مساهمتهم في التنمية الوطنية (Robert & Pradip, 1988). ولا يخفى على أحد أنّ نقل المعلومات وتوصيلها للجماهير ومحاولة التأثير في أفكارهم هي إحدى الأهداف الرئيسة لوسائل الاتصال المختلفة.

وقد تنوعت وسائل الاتصال من اتصال شخصي يعتمد بدرجة أساسية على الاتصال المباشر بين الأفراد عن طريق اللقاءات واتصال غير مباشر عبر الهاتف، إلى أشكال أخرى من وسائل الاتصال مثل: الاتصال الجمعي، والجماهيري الذي يعتمد على الخطب والمحاضرات والتلفاز، والإذاعة، والصحافة، وغيرها. كما أبدع العقل البشري مؤخراً وسائل اتصال أكثر تفاعلاً مع الجماهير مثل: التويتر، والفيسبوك، والإنستقرام وغيرها. مما خلق منافسة كبيرة بين وسائل الاتصال بعضها البعض أثمرت عن تواصل تفاعلي أكبر مع الجماهير، وأكثر تأثيراً وتشويقاً وجاذبية وأكثر دراية وإلماماً بتوجهات الجماهير تجاه القضايا المختلفة وردّات فعلهم تجاه القرارات المختلفة، وهو ما يساعد كثيراً صانعي القرار والمعنيين.

وأصبحت جميع المجتمعات تعتمد إلى حدٍّ كبير على وسائل الاتصال كلٌّ حسب متطلبات شعبه والبيئة والظروف المجتمعية، فبعض هذه المجتمعات تستخدم وسائل الاتصال لمكافحة الأمية والأمراض، وبعضها تستخدم وسائل الاتصال في تطوير القدرات وتقديم

القيم الإنسانية الرفيعة وتطوير التعليم العالي (Ruggles, 1982). وكما في اليابان، فإنّ وسائل الاتصال كما أشار شيتره (Chitura,1978) تُستخدم في التعليم المدرسي، وفي تدريب المدرسين وتطوير قدراتهم (1984 Bates,). وتستخدم في التوعية الطبية كما في الولايات المتحدة الأمريكية (Hornick، 1988) وغيرها من المجالات.

كل هذه الاستخدامات وغيرها الكثير جعل وسائل الاتصال وثيقة الصلة ومتداخلة في العديد من المجالات والتخصصات، ولعل أبرزها في وقتنا الحاضر هي السياسة، حيث تستطيع وسائل الاتصال نشر المعلومات والأخبار والأحداث السياسية زمن حدوثها، مما يؤكد أنّ هناك علاقة وثيقة بين وسائل الاتصال بمختلف مستوياتها. وقد أشارت وايت لوك (Whitelock, 2010)، إلى تأثير وسائل الاتصال على العملية الانتخابية في أوروبا. كما أوضح الباحث العالم (١٩٨٧) أنّ هناك العديد من الدراسات التي تهتم بوسائل وأساليب الدعاية الانتخابية في النظم السياسية المختلفة، بل أكّد القاضي (١٩٩٥) الأهمية النسبية لوسائل وأساليب الاتصال الانتخابية وأثرها على هيئة الناخبين. فمثلًا كما يقول اليحياوي (٢٠١٣) أنَّ الاتصال الشخصي يمكِّن السياسيين، وقادة الرأي من الاتصال مع الجماهير بصورة مباشرة وبدون حواجز أو عوائق وجهًا لوجه كما يحدث من جانب مرشحين للانتخابات الأمريكية، الذين لا يكتفون باستخدامهم لوسائل الاتصال المختلفة، بل ويقومون بالتواصل المباشر عن طريق زيارات شخصية إلى المجمعات السكنية، وأحيانًا يقومون بزيارة الناس في منازلهم، مما يعمل كما أوضح حجاب (٢٠٠٧) على خلق علاقات ودية بين المرشح والناخبين، وبناء أواصر الثقة والعلاقات المتميزة بين المرشح والمواطنين في دائرته الانتخابية. وأكّد يوسف (٢٠٠٠) أنّ الانتخابات تعدُّ فرصة سانحة أمام المرشح السياسي لممارسة جهود اتصالية مباشرة بالناخبين.

أمّا على مستوى الاتصال الجمعي، فيشير شمس الدين (٢٠١٣) أنّ هذا النوع من الاتصال ينال مكاناً وسطاً بين الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري، ويتميز بالتفاعل بين أعضائه ووحدة الاهتمام والمصلحة، وذلك مثل لقاءات المرشحين السياسيين مع الدوائر الانتخابية من خلال الندوات والمحاضرات. ويبدو ذلك جلياً أيضًا في مستوى وسائل الاتصال الجماهيري، حيث يؤكِّد البشر (١٩٩٧) أنّ هذه الوسائل تمثل مصدراً مهمًا من مصادر التنشئة السياسية، وأن وسائل الإعلام تستطيع أن تؤثر على التوجهات المعرفية للفرد، وتنمي ثقافته السياسية بالقضايا والمؤسسات السياسية في مجتمعه وعن رجال السياسة أنفسهم. وتفسر هذه الدراسات كيفية استجابة الفرد وتفاعله مع ما يدور حوله من أحداث وقضايا.

وقد أدّت وسائل الاتصال الجماهيري دوراً كبيراً في تطور الأنشطة السياسية في العصر الحديث. ويربط شمس الدين (٢٠١٣) بين تطور النشاط السياسي والنمو في وسائل الاتصال، حيث إنّ السياسيين دائماً ما يبحثون عن الوسائل التي يمكن من خلالها التواصل مع الجماهير بصورة تسمح بتوصيل الأفكار والمعلومات المراد توصيلها، وأصبحت وسائل الإعلام ذات اتصال تفاعلي، مما يسمح بمشاركة الجمهور في العملية الاتصالية وذلك بسبب التطورات التكنولوجية الحديثة.

ولّما كانت وسائل الاتصال تنال هذه المكانة وتؤدِّي هذا الدور المهم في حياة الجماهير ولها القدرة الكبيرة والإمكانات الهائلة للتفاعل مع الجماهير، اهتمت بها كل القوى، والهيئات، والأحزاب، والدول واستخدمتها في صالح الدعوة إلى قضاياهم والدفاع عن مصالحهم، بل إنّ بعض الدول والحكومات لما رأت قوة وتأثير وسائل الاتصال حاولت كما أفاد حمادة (١٩٩٤) أن تُوظِّف هذه الوسائل لصالحها. وأشار القاضي (٢٠٠٢) إلى أنّ استخدام أسلوب الاستمالة العاطفية في الإعلانات التلفزيونية تعدُّ من الأساليب الدعائية المؤثرة في كثير من الأغراض ومنها الدعاية الانتخابية.

والحقيقة أنّ من بين أهم الأحداث التي تقوم فيها وسائل الاتصال بدور مهم وفعّال، هي عملية الانتخابات عموماً، سواء أكانت نيابية، أم نقابية أم مهنية؛ فلا يمكن أن تمرّ مثل هذا الانتخابات من غير أن توظف وسائل الاتصال، من خلال العمليات الدعائية، كي تؤدِّي دورها، سواءً أكانت هذه الانتخابات تجري في بيئات اتصالية تتسم بالديمقراطية أم لا، أو بين ناخبين مثقفين أم أميين، لأنّ الدعاية في تعريفها كما أشار حاتم (١٩٨٧) هي محاولة منظمة من جانب شخص أو أشخاص للهيمنة على اتجاهات الأفراد والجماعات عن طريق الإيحاء بقصد التحكم في سلوكهم، كما أنّها محاولة التأثير على اتجاهات أعداد كبيرة من الناس نحو قضايا أو وسائل مختلفة عليها ولها أهمية لدى جماعة خاصة.

وأوضح القاضي (١٩٩٥) أنّ الدعاية الانتخابية هي الأنساق الاتصالية المباشرة وغير المباشرة التي يمارسها مرشح أو حزب بصدد حالة انتخابية معينة، بهدف تحقيق الفوز في الانتخابات عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من أصوات الهيئة الانتخابية، أو هي استخدام وسائل الاتصال كافة في إقناع الناخبين بأحقية المرشح أو الحزب بأصواتهم، وتحريكهم ودفعهم نحو الإدلاء بشهادتهم في صناديق الاقتراع، وعدم تأثرهم بدعايات الخصوم، وتحصنهم ضد ما من شأنه أن يزعزع الثقة القائمة تجاه المرشح أو الحزب.

وتعدُّ الدعاية الانتخابية كما ذكر حجاب (١٩٩٨) لونًا من ألوان الدعاية السياسية والتي تهدف إلي خلق

فعل سياسي من خلال استخدام كافة الوسائل والأساليب الممكنة لتحقيق هذا الهدف، ويتعدد نطاق الفعل السياسي بتعدد المجالات للدولة التي فيها أنشطة جوهرية، وهي تهدف كعملية منظمة التأثير على الرأي العام. كما تعدُّ الدعاية السياسية حسب رأي المصالحة (٢٠٠٢)، شكلًا من أشكال الاتصال السياسي، الذي هو العلم الذي يدرس مجموعة الأنشطة والفعاليات التي يزاولها القائمون بالعملية الاتصالية من أجل تحقيق أهداف سياسية تهمهم على المستوى الذاتي، مثل: الزعماء السياسيين، والقادة الحزبيين، والبرلمانيين. وينصب جوهر الاتصال السياسي على إحداث التأثير، وتغيير الآراء والقناعات لدى الجمهور المستقبل باتجاه محدد هو ما يراه القائم بالعملية الاتصالية.

وأفاد عليوة (٢٠٠٠) أنّه إذا كان الاتصال بوجه عام، علم له أصوله وفنونه وله خصائصه وأشكاله، كما أن له مجالاته واستخداماته، فإنّ من بين المجالات التي يُستخدم فيها الاتصال مجال الحملات الانتخابية، فلم يعد ممكنًا أن تحصل أية عملية انتخابية، بلا إعداد وتجهيز وتخطيط ودراسة للممكن والمتاح والواجب والمباح في إطار هذه العملية. فإذا كانت العمليات الانتخابية في فترة من الفترات أو في قطر من الأقطار كان من الممكن أن تبدأ وتنتهي من غير دراسة، وإدارة محكمة، وخطط، وبرامج متقنة، فإننا اليوم في زمن من العبث أن يكون فيه من يزعم أنّ الحملات الانتخابية يمكن أن تدار بصورة ارتجالية أو بأسلوب عشوائي وليس بأسلوب علمي مدروس. فلم يعد خوض الحملات الانتخابية مجرد اجتهاد شخص أو خبرة موروثة، في أحسن الأحوال، وإنما أصبح علمًا يدرس في الجامعات، وفنًا تطبيقيًا يجوز تسميته "بتكنولوجيا إدارة الانتخابات"، بوصفه أحد أنشطة التسويق السياسي.

لقد بات من المؤكد أنَّ العملية الانتخابية لا يمكن أن تقع من غير إدارة لها، ولكي تنجح في مهمتها تلك، لابد من استخدامها للأشكال والأساليب والوسائل الاتصالية المتوفرة، والتي بدونها لا يمكن أن تتحقق الأهداف المنشودة والآمال المعقودة من ورائها. والواقع أنّه كما تختلف الأشكال الاتصالية المستخدمة في إدارة الحملات الانتخابية من زمن إلى آخر، فإنّها كذلك تختلف من قطر إلى آخر، ومن حزب إلى آخر، الأمر الذي يتطلب معه الاستعانة بأساليب وأشكال ووسائل اتصالية تتناسب مع تلك البيئة الاتصالية لإدارة العملية الانتخابية في مراحلها المختلفة.

وسوف تتناول هذه الدراسة الحالية بحث بيان دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية المجراة في مملكة البحرين عام ٢٠١٤، عبر دراسة ميدانية. وفي مملكة البحرين، يتم اختيار ممثلي الشعب في مجلس النواب عن طريق الانتخابات الحرة المباشرة. ولعل من

المفيد بيان تطور النظام السياسي والانتخابي بعرض تاريخي موجز قبل الولوج في تحديد مشكلة الدراسة وإجراءاتها، وهو ما نتناوله فيما يلي:

النظام السياسي والانتخابي في مملكة البحرين:

لقد كان الشيخ أو الحاكم في البحرين -قبل الاستقلال-يتمتع بالسلطتين التنفيذية والتشريعية، ولكن عمليًا كان الشيوخ يميلون إلى استشارة مجالسهم الخاصة، وذلك لغياب الدستور الذي ينظم العلاقة بين الحاكم وبين المؤسسات الإدارية. وكان الحكم ينتقل عن طريق مجلس العائلة الخليفية الذي يختار أي شخص من العائلة بعد وفاة الحاكم، دون التقيد بنظام وراثي. ولكن في نهاية القرن التاسع عشر رأى الحاكم وقتذاك وهو الشيخ عيسى بن علي أن يغير هذا النظام، فاستصدر وثيقة من أعيان البحرين وقّعوا عليها، وبمقتضاها يكون الحكم للابن الأكبر للشيخ الحاكم (الزياني، ١٩٧٧). ويتمحور النظام السياسي في مملكة البحرين في مرحلة ما قبل الاستقلال في كون الحاكم يمارس الحكم مباشرة أو عبر دائرة المستشارية ثم المجلس الإداري المعين، ولم تكن توجد آنذاك أية مجالس منتخبة، فيما عدا المجلس البلدي، كما لم تتوافر وقتها أو لم تصدر وثائق دستورية تنظم العلاقة بالتفصيل بين الحاكم وسائر مكونات المجتمع، فيما عدا بعض الصيغ المتعارف عليها في ذلك الوقت لإدارة البلاد لتحقيق بعض الأهداف، ولكنها لم تكن وثائق دستورية بصفة شمولية وتنظيمية.

أمَّا مرحلة ما بعد استقلال البحرين عن الاحتلال البريطاني في الرابع عشر من أغسطس ١٩٧١م، فقد أعلن حاكم البلاد آنذاك الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة الحاجة الملحة لإصدار دستور للبلاد، وأنّ مثل هذا الدستور سيحمي وحدة المجتمع وتماسكه، ويشكل ضمانة حصول المواطنين على حقوقهم الأساسية. وأكّد أيضًا على أن دستوراً حديثاً هو شرط أساسي للتنظيم السياسي للدولة، كما أنّه سيوفر للناس حق المشاركة في إدارة شؤون بلادهم في إطار من الشرعية الدستورية (نخلة، ٢٠٠٦).

وفي سبيل وضعها للدستور صدر عن الأمير عيسى بن سلمان آل خليفة في ٢٠ يونيه عام ١٩٧٢ مرسوم بقانون المجلس يقضي بإنشاء مجلس تأسيسي لوضع مشروع دستور للبلاد، ويتألف من اثنين وعشرين عضواً ينتخبهم الشعب بطريق الانتخاب العام السري المباشر، ومن عدد لا يزيد عن عشرة أعضاء يعينون بمرسوم، ويكون الوزراء أعضاء فيه بحكم مناصبهم. أي إنّ عدد المعينين بما فيهم الوزراء مساوٍ لعدد المنتخبين ٢٢ + ٢٢، وتم الانتهاء من صياغة الدستور في الجلسة الختامية في ٩ يونيو ١٩٧٣، وأقر الأمير مشروع الدستور وصدّق عليه من دون إبداء أية ملاحظات أو تحفظات عليه، وأُجريت انتخابات

المجلس الوطني (البرلمان)، بطريق الانتخاب العام السري المباشر في يوم الجمعة الموافق ٧ ديسمبر،١٩٧٣ وتألف المجلس من ثلاثين عضواً، كما ضم وزراء الحكومة بحكم مناصبهم (حمزة، ٢٠٠٢).

وفي ١٦ ديسمبر ١٩٧٣ افتتح الأمير الراحل الجلسة الافتتاحية للمجلس الوطني لدور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الأول، ولكنه وبسبب عدم وجود توافق بين الأعضاء والحكومة أدّى ذلك لحل المجلس وتجميد الدستور وذلك في عام ١٩٧٥، وبذلك تعطلت الحياة البرلمانية تماماً حتى عام ١٩٩٢، حيث أُنشىء مجلس شورى معين في هذا العام نفسه، هدفه إبداء الرأي والمشورة في القوانين التي تطرح عليه، وضم المجلس ثلاثين عضواً (نعمان، ٢٠٠٧).

وتسارعت الأحداث بعد ذلك، ففي مارس ١٩٩٩ تولّى الملك حمد الحكم وبادر بطرح مشروع إصلاحي، فأعلن في عام ٢٠٠٠ ميثاق العمل الوطني وفي ١٤ فبراير ٢٠٠٢ أعلن عن تعديلات على الدستور بناءً على ما تم التوافق عليه في ميثاق العمل الوطني، وشهدت المملكة في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٢، افتتاح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الأول للمجلس الوطني بمجلسيه _النواب والشورى _كما شهدت في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٦ افتتاح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الثاني، وفي ١٤ ديسمبر ٢٠١٠ افتتح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الثالث مدشناً فصلاً جديداً من هذه التجربة النيابية (عمر وأبوعامود، ٢٠١٢). وفي ١٤ ديسمبر ٢٠١٤ أُفتِتح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي الرابع لمجلس النواب.

وخلاصة القول: إن النظام السياسي والانتخابي في مملكة البحرين بعد الاستقلال كان يعتمد على عقد اجتماعي بين الحاكم والشعب. وينظم العلاقة بين الحاكم وبقية مؤسسات الدولة ويتمثل ذلك في الدستور، وأكّدت ذلك وثيقة ميثاق العمل الوطني، وما ترتب عليها من تعديلات على الدستور والمذكرة التفسيرية لتلك التعديلات والتعديلات الدستورية الصادرة في عام ٢٠١٢، والقوانين المنبثقة عنه والمنظمة للشؤون السياسية والانتخابية، ولعل أبرزها: قانون مباشرة الحقوق السياسية، وقانون مجلسي الشورى والنواب، وقانون الجمعيات السياسية الذي يعدّ أول قانون خليجي ينظم العمل السياسي الجماعي العلني على غرار الأحزاب السياسية.

أصبح حكم مملكة البحرين حسب المادة الأولى من الدستور وحسب المادة الأولى من قانون مباشرة الحقوق السياسية، نظامًا ديمقراطيًا، السيادة فيه للشعب مصدر السلطات جميعاً وللمواطنين –رجالاً ونساءً–حق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية بما فيها حق الانتخاب والترشح وإبداء الرأي في كل استفتاء يجري لأحكام الدستور

وانتخاب أعضاء مجلس النواب. كما أنّ هناك سلطة تشريعية تتكون من مجلسين: مجلس منتخب باسم مجلس النواب يتألف من أربعين عضواً ينتخبون بطريق الانتخاب العام السري المباشر وبإشراف قضائي، عملاً بأحكام المادة (٥٧) من الدستور والمادة السابعة من قانون مباشرة الحقوق السياسية، ومجلس معين باسم مجلس الشورى يتألف من ٤٠ عضواً يعينون بأمر ملكي حسب المادة (٥٢) من الدستور.

كان النظام الانتخابي في البحرين يتكون من خمس محافظات وُزِّعت الدوائر الانتخابية الأربعين على المحافظات الخمس في الانتخابات النيابية الثلاث السابقة في الأعوام (٢٠٠٢، ٢٠٠٦، ٢٠١٠). كان نصيب المحافظات كالآتي: الشمالية ٩ دوائر، العاصمة ٨ دوائر، والمحرق ٨ دوائر، والوسطى ٩ دوائر، والجنوبية ٦ دوائر. أمَّا في الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٤ فقد صدر المرسوم رقم (٧١/ لسنة ٢٠١٤ والذي على أساسه أُعيد ترتيب المحافظات؛ لتصبح أربع محافظات بدل خمس بنفس عدد الدوائر الأربعين موزعة على النحو الآتي: محافظة العاصمة ١٠ دوائر، والمحرق ٨ دوائر، والشمالية ١٢ دائرة، والجنوبية ١٠ دوائر (**الجريدة الرسمية، ٢٠١٤**).[1]

مشكلة الدراسة:

لا شك في أنَّ كل دراسة من الدراسات العلمية لا بد أن تقوم في الأساس على مشكلة بحثية، تثير الباحث وتدفعه نحو محاولة الكشف عما يحيطها من صعوبات أو ما يكتنفها من غموض، والمشكلة البحثية التي تنبني على أساسها هذه الدراسة، تتمثل في محاولة التعرف على طبيعة الدور الاتصالي الذي استخدمه أعضاء المجلس النيابي البحريني في إدارة العملية الانتخابية، في إطار حملتهم الدعائية في الانتخابات النيابية عام ٢٠١٤م، والتي يمكن صياغتها في هذا العنوان: دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين لعام ٢٠١٤م: دراسة ميدانية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. التعرف على طبيعة الوسائل الاتصالية المستخدمة في الحملات الانتخابية.

٢. معرفة مدى اعتماد أعضاء المجلس النيابي في مملكة البحرين للعام ٢٠١٤ (النواب) على وسائل الاتصال في حملاتهم الانتخابية.

---

(١) لمزيد من التفصيل عن النظام السياسي والانتخابي في مملكة البحرين يرجى الرجوع إلى العديد من المراجع أبرزها: (المجموعة التشريعية، ٢٠١٣)، و(رمضان، ٢٠١٤)، = و(الجاسم، والشاعر، ٢٠٠٠)، و(البحارنة، ٢٠٠٦)، و(الرميحي، ١٩٨٤)، و(طهبوب، ١٩٨٣)، و(عمر، وأبوعامود، ٢٠١٢)، و(فارس، ٢٠٠٨)، و(تطور النظام الدستوري في مملكة البحرين، ٢٠٠٦)، و(الخليفة، ٢٠٠٠)، و(المشهداني والمدرس، بدون تاريخ)، وغيرهم.

٣. تحديد الأساليب التي استخدمها النواب لمعرفة رد فعل الجمهور على رسائلهم الإعلامية أثناء حملاتهم الانتخابية.

٤. بيان مدى مراعاة النواب للمستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي للجمهور في اختيار وسائل الاتصال.

٥. الكشف عن أهمية وسائل الاتصال كأحد مقومات نجاح حملات المرشحين الانتخابية.

٦. كشف نوعية الجمهور الذي استهدفته الحملات الانتخابية للنواب.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من قلة الدراسات- في حدود ما اطلع عليه الباحثان – التي أُجريت حول دور وسائل الاتصال في الانتخابات النيابية في مملكة البحرين، ومن ثمَّ تمثل هذه الدراسة إضافة معرفية للتراث العلمي عن المجتمع البحريني في المجالين الإعلامي والحملات الانتخابية. كما تكتسب هذه الدراسة أهميتها كونها تنبع من محاولتها فهم وتلمس أنواع الاتصال المستخدمة في الانتخابات النيابية وأهداف هذا الاستخدام، والأساليب المستخدمة لمعرفة رد فعل الجمهور – وذلك حسب وجهة نظر أعضاء المجلس النيابي في مملكة البحرين (النواب)- في الانتخابات البرلمانية، مما قد يساعد في فهم النموذج الأفضل من الوسائل الإعلامية في المجتمع البحريني ولأي نوع من الجمهور.

تساؤلات الدراسة:

سعت الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما الوسائل الاتصالية التي استخدمها أعضاء المجلس النيابي البحريني (النواب) أثناء حملاتهم الانتخابية؟

٢- ما درجة اعتماد النواب على الوسائل الاتصالية في حملاتهم الانتخابية؟

٣- ما الأساليب التي استخدمها النواب لمعرفة رد فعل الجمهور على رسائلهم الإعلامية أثناء حملاتهم الانتخابية؟

٤- هل راعى النواب المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي للجمهور عند اختيار وسائل الاتصال حين التواصل معهم؟

٥- ما أهم مقومات نجاح حملات النواب الانتخابية، وما دور وسائل الاتصال في نجاحها؟

٦- ما نوعية الجمهور الذي استهدفته الحملات الانتخابية للنواب؟

منهج الدراسة:

اعتمد الباحثان في إجراء هذه الدراسة أساسًا على المنهج الوصفي. وهو منهج لا يقتصر على

استخدام أسلوب واحد في عملية جمع البيانات، وإنما يلجأ أحيانا إلى استخدام مختلف الأساليب

وأهمها الاستبانة (حسين،١٩٩٩). وقد اعتبر هذا المنهج ملائمًا لجمع المعلومات اللازمة لتحقيق أهداف

هذه الدراسة، لأنّ من الاتجاهات في دراسة السلوك الاتصالي للجمهور مع وسائل الاعلام تتجه نحو الاتجاه الوصفي.

نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى حقل الدراسات الوصفية، نظراً لأهمية المنهج الوصفي وبدرجة خاصة الاعتماد على الاستبانة كأداة للبحث في الحصول على المعلومات والحقائق التي تتعلق بالاتجاهات والآراء (ديوبولدب، ١٩٩٠م). والتي يرتبط بأهداف ووصف نماذج السلوك الإنساني مع وسائل الإعلام وأنماطها، والتي قد تتخذ دليلاً في الدراسات الخاصة بالتفضيل والاهتمام، حيث يهم الباحث بدراسة التعرض وكثافته، وأنماطه، مع وسائل الإعلام أو مفرداتها أو محتواها (عبدالحميد،١٩٩٣).

مجتمع الدراسة:

قام الباحثان بإجراء دراستهما الميدانية على أعضاء المجلس النيابي البحريني المنتخب في عام ٢٠١٤م (النواب)، وعددهم أربعون عضواً كما ينص على ذلك الدستور والقانون البحريني، وأخذ الباحثان بأسلوب المسح الشامل. وقد أجاب على الاستبانة تسعة وثلاثين عضواً من أصل أربعين، ولم يتمكنا من الحصول على إجابة عضو واحد فقط لتواجده خارج البحرين لدواعي العلاج ولفترة طويلة.

إجراءات إعداد الاستبانة:

استخدم الباحثان مجموعة من الإجراءات لإعداد الاستبانة، تتمثل في الآتي:

المقابلة غير المقننة Unstructured interview: وهي التي تحصل بدون إعداد مسبق للأسئلة بطريقة دقيقة وتفصيلية، كما تترك فيها الحرية للنائب في الاسترسال في عرض خبراته، وآرائه، وأفكاره، ووجهات نظره. وقد قابل الباحثان رئيس مجلس النواب البحريني، النائب أحمد الملا، والنائب الأول لرئيس المجلس، النائب علي العرادي، والنائب الثاني لرئيس المجلس، النائب عبدالحليم مراد. وقد طرح الباحثان العديد من الأسئلة تركزت حول كيفية إدارة الحملات الانتخابية والتخطيط لها، والوسائل والأساليب الاتصالية المستخدمة، وكيفية حصولهم على رد فعل الجمهور على رسائلهم الاتصالية وغيرها من الأسئلة. واستفاد الباحثان من الأجوبة في التعرف على طبيعة الدراسة، وساعدتهما في إعداد الاستبانة بصورة تلامس الواقع المعاش أثناء الحملات الانتخابية.

تصميم الاستبانة: صُمِّمت الاستبانة على نحو يفي بأغراض الدراسة. وقد مرت هذه الأداة بالخطوات المنهجية المختلفة، حيث بُنِيت الاستبانة كي تغطي الأسئلة كل أهداف الدراسة. فقد تم حصر مجموعة من الأبعاد الرئيسة التي تتمحور حول دور وسائل الاتصال في الحملات الانتخابية لأعضاء مجلس

النواب البحريني عام ٢٠١٤. وتتمثل هذه الأبعاد في الآتي:

البيانات الشخصية للنائب: أبرزها العمر، والنوع الاجتماعي، والمستوى التعليمي، عدد مرات الترشح، والمحافظة التي يمثلها، وتوجه عضو المجلس النيابي البحريني بمعنى هل هو مستقل أم ينتمي إلى جمعية سياسية؟ وتفصيل ذلك مبين في جدول رقم(١).

طبيعة وسائل الاتصال المستخدمة في الحملات الانتخابية: وهي حجم ونسبة استخدام النواب لأشكال الاتصال المختلفة (انظر الجداول ٢،٣،٤،٥)، وهي: **أولًا:** وسائل الاتصال الشخصي ومنها الزيارات التي يقوم بها النائب لأفراد المجموعات الصغيرة المكونة من أربعة أو خمسة أفراد، وكذلك اللقاءات التي يقوم بها النائب بترتيب مسبق مع النخب وقادة الرأي والمفاتيح الانتخابية، وأيضًا الاتصال المباشر والحديث بالهاتف الذي يقوم به النائب مع بعض الشخصيات المهمة بالدائرة الانتخابية. **ثانيًا:** وسائل الاتصال الجمعي، ومنها: المحاضرات، والخطب، والندوات، التي يقيمها النائب في المؤتمرات الانتخابية والمجالس وغيرها من الفعاليات خلال فترة الحملة الانتخابية. **ثالثًا:** وسائل الاتصال الجماهيري ومنها التلفزيون والإذاعة والصحافة. **رابعًا:** وسائل الاتصال الاجتماعي ومنها الأنستقرام، والتويتر، والفيسبوك، وغيرها.

اعتماد النواب على الوسائل الاتصالية المختلفة في حملاتهم الانتخابية: وهو مدى رضى النواب عن جهودهم الاتصالية وأدائهم فيها، عندما يعتمدون بشكل أساسي في حملاتهم الانتخابية على وسائل الاتصال المختلفة.

دوافع الاعتماد على وسائل الاتصال في الحملة الانتخابية: ومنها تعريف الناخبين بالنائب، و/ أو تحسين صورة النائب أمام الناخبين، و/ أو توصيل البرنامج الانتخابي، و/ أو الرد على الحملات الدعائية للمنافسين، كما هو مبين تفصيلًا في جدول رقم (٧).

الأساليب المستخدمة لمعرفة رد فعل الجمهور على رسائل النواب الإعلامية: ومنها تعليقات الناخبين على وسائل الاتصال الاجتماعي، و/ أو اتصال إدارة حملة النائب الانتخابية بالناخبين، و/ أو تعليقات وردود الناخبين على الهاتف الخاص بالنائب، و/ أو ملاحظات رواد مجلس النائب للنائب شخصيًا أو لأحد العاملين بحملته كما هو مبين في جـــــدول رقم (٨).

وسائل الاتصال المناسبة لمخاطبة جمهور الناخبين: بمعنى ماهي الوسائل الاتصالية التي استخدمت من قبل النواب في مخاطبة الجمهور بصفة عامة وبعض الجمهور الخاص، مثل: النخبة، وقادة الرأي العام، والشباب، والمرأة.

مقومات نجاح حملات النواب الانتخابية: ومنها تخصص النائب وثقافته وعلمه، و/ أو تواصل النائب الشخصي مع الناخبين، و/ أو انتماء النائب لجمعية سياسية، و/ أو قدرة النائب المالية، و/ أو وجود مؤسسة معاونة للنائب على مستوى عال من الخبرة الإعلامية وغيرها كما هو مفصل في جدول رقم(١٠).

نوعية الجمهور الذي استهدفته الحملات الانتخابية للنواب: مثل: النخبة، وقادة الرأي، والشباب، والعمال، والمرأة.

إجراءات الصدق للاستبانة:

حرص الباحثان على ضمان أعلى درجة من صدق الاستبانة في قياس ما أُعدِّت لقياسه وذلك باتباع الإجراءات المبينة آنفاً في إعدادها بصورتها الأولية. ثم قاما بعرضها على خمسة من المحكمين من أساتذة الجامعة والخبراء- وقد أبدى هؤلاء بعض الملاحظات على نوعية وترتيب الأسئلة. وبناء على ذلك قام الباحثان بإجراء عدد من التعديلات، لعل أهمها تعديل صياغة بعض العبارات حتى تكون أكثر فهمًا واستيعابًا، وتعديل صياغة بعض الأسئلة بما يتوافق مع التحليل الإحصائي لأفضل النتائج. وبهذه الإجراءات، تم التحقق من الصدق الظاهري للاستبانة، من حيث قدرتها على استخلاص واستيفاء الإجابة على أسئلة البحث كافة، مما يؤدِّي إلى تحقيق أعلى درجات من الدقة في عملية التحليل.

إجراءات الثبات:

ولضمان ثبات الاستبانة، طُبِقت على عينة استطلاعية تتكون من عشرة من المرشحين الذين شاركوا في الانتخابات النيابية لعام ٢٠١٤، ثم إعادة التطبيق عليهم بعد أسبوعين، وقد اتضح أنَّ هناك ارتباطًا مرتفعًا (.70) بين القياسين، وهو مؤشر جيد لضمان ثبات الاستقرار Test-Retest Reliability لهذه الأداة.

طريقة تطبيق الاستبانة:

قام الباحثان بتوزيع الاستبانة على النواب بصورة فردية، حيث كانا يجلسان مع أغلب النواب لشرح أهداف الدراسة وأهمية إجاباتهم عن جميع فقرات الاستبانة، ومتابعتهم للحصول على إجاباتهم وردودهم على الاستبانة. وبذلك استكملا الحصول على ردود جميع النواب عدا نائب واحد، حيث كان خارج البحرين لدواعي علاجية.

الصعوبات الميدانية:

واجه الباحثان العديد من الصعوبات أثناء تطبيق الاستبانة، أبرزها صعوبة الحصول على مواعيد من النواب لكثرة ارتباطاتهم، وطول الفترة الزمنية التي استغرقها الحصول على ردودهم وإجاباتهم على الاستبانة والتي استمرت أكثر من ثلاثة أشهر.

المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة، تم استخدام الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Package (SPSS for the Social Sciences في تحليل البيانات واستخراج الإحصاءات الوصفية اللازمة.

نتائج الدراسة:

أسفر تحليل بيانات الدراسة عن نتائج عدة، وتسهيلًا لعرضها جرى تنظيمها وفق أسئلة الدراسة. وفيما يأتي عرض لهذه النتائج:

١. **البيانات الشخصية:** يبين الجدول رقم (١) البيانات الشخصية وهي كالآتي:

العمر: الأعمار السنية للنواب تتراوح مابين (30–59) عامًا، وهي كالآتي: من (30–39) عام بنسبة (10.3٪)، ومن (40–49) عام بنســبة (61.5٪)، ومن (50–59) عام بنسبة (28.2٪). و**النوع الاجتماعي**: بلغت نسبة الذكور من النواب (92.3٪)، ونسبة الإناث (7.7٪). و**المستوى التعليمي**: بلغت نسبة النواب الذين يحملون المؤهل فوق الجامعي (30.8٪)، والذين يحملون المؤهل الجامعي (59٪)، أمّا الذين يحملون الشهادة الثانوية فبلغت نسبتهم (10.2٪). و**عدد مرات الترشح**: بلغت نسبة النواب الذين يترشحون لأول مرة (56.4٪)، ونسبة الذين ترشحوا مرتين (28.2٪)، أمّا الذين ترشحوا ثلاث مرات وأكثر فبلغت نسبتهم (15.4٪). و**المحافظة**: لقد كان توزيع النواب بحسب المحافظات الأربع متفقًا مع القانون البحريني وهم كالآتي: محافظة المحرق (٢٠,٥٪)، محافظة العاصمة (٢٥,٦٪)، المحافظة الشمالية (٢٨,٢٪)، والمحافظة الجنوبية (٢٥,٦٪). و**التوجه**: أمّا بشأن توجه النواب من حيث انتمائهم لجمعيات سياسية أو كانوا مستقلين، فقد بلغت نسبة المستقلين (87.2٪)، ونسبة المنتمين لجمعيات سياسية (12.8٪).

١. طبيعة الوسائل الاتصالية المستخدمة في الحملات الانتخابية:

يتعلق هذا المحور من الدراسة بطبيعة الوسائل الاتصالية التي استخدمها أعضاء المجلس النيابي البحريني لعام ٢٠١٤ (النواب) في حملاتهم الانتخابية. وقد قُسِّمت الاستبانة الأشكال الاتصالية إلى ثلاثة أشكال، الأول هو وسائل الاتصال الشخصي، ومنها الزيارات، الاتصال المباشر. والثاني هو وسائل الاتصال الجمعي والجماهيري، ومنها المحاضرات والرسائل النصية عن طريق الهاتف النقال، والصحف والتلفزيون والإذاعة...الخ. والثالث هو وسائل التواصل الاجتماعي، ومنها الانستقرام والواتساب والتويتر...الخ. وأسفرت نتائج الدراسة الميدانية عن الآتي: **الاتصال الشخصي**: أظهرت نتائج الدراسة (انظر الجدول رقم ٢)، أنّ نسبة كبيرة من النواب

بلغت (74.4٪) قد استخدموا الزيارات، أمَّا من (64.1٪). أمّا اللقاءات فقد بلغت نسبة من مارسوا الاتصال المباشر بالناخبين فقد بلغت نسبتهم استخدموها (53.8٪).

الجدول رقم (١). البيانات الشخصية للنواب.

العمر	٣٠-٣٩	٤	١٠,٣٠٪
	٤٠-٤٩	٢٤	٦١,٥٠٪
	٥٠-٥٩	١١	٢٨,٢٠٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
النوع الاجتماعي	ذكر	٣٦	٩٢,٣٠٪
	أنثى	٣	٧,٧٠٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
المستوى التعليمي	فوق الجامعي	١٢	٣٠,٨٠٪
	جامعي	٢٣	٥٩٪
	ثانوي	٤	١٠,٢٠٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
عدد مرات الترشح	لأول مرة	٢٢	٥٦,٤٠٪
	مرتان	١١	٢٨,٢٠٪
	ثلاث فأكثر	٦	١٥,٤٠٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

تابع الجدول رقم (١).

المحافظة	المحرق	٨	٪٢٠,٥٠
	العاصمة	١٠	٪٢٥,٦٠
	الشمالية	١١	٪٢٨,٢٠
	الجنوبية	١٠	٪٢٥,٦٠
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
التوجه	مستقل	٣٤	٪٨٧,٢٠
	ينتمي لجمعية سياسية	٥	٪١٢,٨٠
	المجموع	٣٩	٪١٠٠

الجدول رقم (٢). وسائل الاتصال الشخصي المستخدمة في الحملات الانتخابية

الزيارات	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	١٠	٪٢٥,٦
	موافق	٢٩	٪٧٤,٤
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
اللقاءات	غير موافق	١	٪٢,٦
	موافق إلى حد ما	١٧	٪٤٣,٦
	موافق	٢١	٪٥٣,٨
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
الاتصال المباشر	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	١٤	٪٣٥,٩
	موافق	٢٥	٪٦٤,١
	المجموع	٣٩	٪١٠٠

والاتصال الجمعي والجماهيري: أظهرت الدراسة الميدانية (انظر الجدولين رقم ٣ و٤)، أنّ الرسائل النصية على الهاتف النقال نالت مرتبة متقدمة بين الأشكال الاتصالية التي استخدمها النواب في حملتهم الانتخابية وبنسبة بلغت (87.2٪). وأفادت مجموعة كبيرة من النواب أنّ المجالس والديوانيات من الأشكال الاتصالية التي استُخدمت بكثرة وبلغت نسبتها (71.8٪). وجاءت اللافتات بعد ذلك بنسبة (61.5٪)، فيما بلغت نسبة مستخدمي المواقع الإلكترونية (٦٠,٥٪)، أمّا الصحافة فقد جاءت في مرتبة متأخرة نوعاً ما ولكن بنسبة جيدة بلغت (٤٨,٧٪). وقد أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هناك بعض الأشكال الاتصالية لم يستخدمها النواب في دعايتهم بصورة ملموسة. وقد تفاوتت درجة عدم الاستخدام، حيث جاءت شرائط الكاسيت في مقدمة هذه الأشكال التي لم تُستخدم وبنسبة بلغت (87.2٪). وجاء بعدها التلفزيون بحيث لم يُستخدم أبدًا بنسبة (61.5٪)، وبشأن الإذاعة فإنّ من لم يستخدمها أبدا بلغت نسبتهم (56.4٪).

الجدول رقم (٣). وسائل الاتصال الجمعي والجماهيري الأكثر استخداماً في الحملات الانتخابية

الرسائل النصية	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	٥	٪١٢,٨
	موافق	٣٤	٪87.2
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
الخطب والندوات في المجالس والديوانيات	غير موافق	٢	٪٥,١
	موافق إلى حد ما	٩	٪٢٣,١
	موافق	٢٨	٪٧١,٨
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
اللافتات	غير موافق	١	٪٢,٦
	موافق إلى حد ما	١٤	٪٣٥,٩
	موافق	٢٤	٪٦١,٥
	المجموع	٣٩	100%

تابع الجدول رقم (٣).

الملصقات	غير موافق	٢	٥,١٪
	موافق إلى حد ما	١٦	٤١,١٪
	موافق	٢١	٥٣,٨٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
الصحف	غير موافق	٥	١٢,٨٪
	موافق إلى حد ما	١٥	٣٨,٥٪
	موافق	١٩	٤٨,٧٪
	المجموع	٣٩	100%
المواقع الإلكترونية	غير موافق	٢	٥,٢٪
	موافق إلى حد ما	١٣	٣٤,٣٪
	موافق	٢٣	٦٠,٥٪
	المجموع	٣٨	100%

الجدول رقم (٤). وسائل الاتصال الجمعي والجماهيري الأقل استخداماً في الحملات الانتخابية

المؤتمرات	غير موافق	١٦	٤١٪
	موافق إلى حد ما	١٨	٤٦٪
	موافق	٥	١٣٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
التلفاز	غير موافق	٢٤	٦١,٥٪
	موافق إلى حد ما	١٢	٣٠,٨٪
	موافق	٣	٧,٧٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

تابع الجدول رقم (٤).

الإذاعة	غير موافق	٢٢	٥٦,٤٪
	موافق إلى حد ما	١٤	٣٥,٩٪
	موافق	٣	٧,٧٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
الكاسيت	غير موافق	٣٤	٨٧,٢٪
	موافق إلى حد ما	٣	٧,٧٪
	موافق	٢	٥,١٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
السي دي	غير موافق	٢٣	٥٩٪
	موافق إلى حد ما	١٢	٣٠,٨٪
	موافق	٤	١٠,٢٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

ووسائل التواصل الاجتماعي: دلت نتائج الدراسة (انظر الجدول رقم ٥)، أنّ الأغلبية من النواب يستخدمون الانستقرام والواتساب، إذ بلغت نسبة الذين يستخدمون الواتساب (89.7٪)، وبلغت نسبة الذين يستخدمون الإنستقرام (87.2٪). ويأتي بعد ذلك التويتر بنسبة (71.8٪). ويأتي في مؤخرة أشكال التواصل الاجتماعي المستخدمة في الانتخابات ولكن بنسب جيدة الفيسبوك بنسبة (48.7٪)، وبعد ذلك اليوتيوب بنسبة (46.2٪).

الجدول رقم (٥). وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمة في الحملات الانتخابية.

الإنستقرام	غير موافق	١	٢,٦٪
	موافق إلى حد ما	٤	١٠,٢٪
	موافق	٣٤	٨٧,٢٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

تابع الجدول رقم (٥).

الواتساب	غير موافق	١	٢,٦٪
	موافق إلى حد ما	٣	٧,٧٪
	موافق	٣٥	٨٩,٧٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
التويتر	غير موافق	٢	٥,٢٪
	موافق إلى حد ما	٩	٢٣٪
	موافق	٢٨	٧١,٨٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
الفيسبوك	غير موافق	٨	٢٠,٥٪
	موافق إلى حد ما	١٢	٣٠,٨٪
	موافق	١٩	٤٨,٧٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
اليوتيوب	غير موافق	٦	١٥,٤٪
	موافق إلى حد ما	١٥	٣٨,٤٪
	موافق	١٨	٤٦,٢٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

٢. اعتماد النواب على الوسائل الاتصالية المختلفة في حملاتهم الانتخابية:

أظهرت الدراسة الميدانية (انظر الجدول رقم ٦)، ارتفاع نسبة النواب الذين اعتمدوا بدرجة أساسية في حملاتهم الانتخابية على الوسائل الاتصالية المختلفة، وبلغت نسبتهم (94.9٪). أمّا الذين لم يعتمدوا بدرجة أساسية على وسائل الاتصال فكانت نسبتهم متدنية وبلغت (5.1٪). كما كشفت الدراسة الميدانية أنّ نسبة كبيرة من النواب راضون عن جهودهم الاتصالية في حملتهم الانتخابية وبلغت نسبتهم (87.2٪)، أمّا غير الراضين عن جهودهم الاتصالية فبلغت نسبتهم (12.8٪). وبخصوص درجة رضا النواب عن جهودهم الاتصالية فقد كشفت الدراسة عن ارتفاع درجة الرضا لدى النواب عن جهودهم الاتصالية، فبلغت نسبة الراضين (89.7٪).

الجدول رقم (٦). مدى رضا النواب عن جهودهم الاتصالية وأدائهم فيها.

التأثير الإيجابي لوسائل الاتصال عند التواصل مع الناخبين	نعم	٣٦	٪٩٢,٣
	لا	٣	٪٧,٧
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
الاعتماد بصورة أساسية على وسائل الاتصال في الحملة الانتخابية	نعم	٣٧	٪94.9
	لا	٢	٪5.1
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
الرضا عن الجهود الاتصالية	نعم	٣٤	٪87.2
	لا	٥	٪12.8
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
	غير راض	١	٪2.6
	راض إلى حد ما	٣	٪7.7
	راض	٣٥	٪89.7
	المجموع	٣٩	٪١٠٠

وفيما يتعلق بالدوافع التي أدَّت بالنواب إلى الاعتماد على وسائل الاتصال بدرجة أساسية كشفت نتائج الدراسة (انظر الجدول رقم ٧)، فقد جاء دافع توصيل البرنامج الانتخابي للناخبين في مرتبة متقدمة وبنسبة بلغت (82.1٪)، وجاء بعد ذلك دافع أنَّ وسائل الاتصال لها دور كبير في نجاح النائب في الانتخابات وبنسبة (٧٧٪)، وجاء دافع سعي النواب إلى تعريف جمهور الناخبين بهم بنسبة بلغت (61.6٪)، وجاء دافع الرد على الحملات الدعائية للمنافسين بنسبة (51.3٪)، ودافع تحسين صورة النائب أمام ناخبيه بنسبة بلغت (٤٦.2٪). وجاء في المرتبة الأخيرة وبنسبة لا بأس بها دافع أن الجميع يستخدم وسائل الاتصال، حيث بلغت النسبة (36٪).

أمّا النواب الذين لم يعتمدوا على وسائل الاتصال المختلفة (انظر الجدول رقم٦)، فكانت نسبتهم قليلة إذ بلغت (5.1٪) فحسب، وكانت دوافعهم مختلفة ويأتي

على رأسها دافع عدم إيمان النائب بالحاجة إلى وسائل الاتصال، ودافع اعتقاده أنّ تأثير وسائل الاتصال قليل، فضلًا عن أنها مكلفة مادياً... وإلخ.

الجدول رقم (٧). دوافع الاعتماد على وسائل الاتصال في الحملة الانتخابية

لتعريف الناخبين بالنائب	غير موافق	٢	٪5.1
	موافق إلى حد ما	١٣	٪33.3
	موافق	٢٤	٪61.6
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
لتحسين صورة النائب أمام الناخبين	غير موافق	١١	٪28.2
	موافق إلى حد ما	١٠	٪25.6
	موافق	١٨	٪46.2
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
لأنّ الجميع يستخدم وسائل الاتصال	غير موافق	٧	٪17.9
	موافق إلى حد ما	١٨	٪46.1
	موافق	١٤	٪36
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
لتوصيل البرنامج الانتخابي إلى الناخبين	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	٧	٪17.9
	موافق	٣٢	٪82.1
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
للرد على الحملات الدعائية للمنافسين	غير موافق	٤	٪10.2
	موافق إلى حد ما	١٥	٪38.5
	موافق	٢٠	٪51.3
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
لها دور كبير في نجاح النائب في الانتخابات	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	٩	٪23
	موافق	٣٠	٪٧٧
	المجموع	39	٪١٠٠

٣. الأساليب التي استخدمها النواب لمعرفة رد فعل الجمهور على رسائلهم الإعلامية أثناء حملاتهم الانتخابية:

فيما يتعلق بوقوف النواب على رد فعل الجمهور ومدى تأثره بالوسائل الاتصالية التي استخدموها تجاهه أثناء حملتهم الانتخابية، فقد دلت نتائج الدراسة (انظر الجدول رقم ٨)، أنّ نسبة الذين لديهم أساليب لمعرفة رد الفعل بلغت (٧٤,٤٪)، أمّا الذين لم تتوافر لديهم وسيلة لمعرفة رد فعل الجمهور فقد بلغت نسبتهم (٢٥,٦٪). كما توصّلت الدراسة إلى أنّ النواب قد تعددت لديهم الأساليب لمعرفة رد فعل جمهور الناخبين وقياس مدى تأثرهم بجهودهم الاتصالية أثناء الحملة الانتخابية، فجاءت تعليقات الناخبين على وسائل التواصل الاجتماعي (انستقرام – توتر- فيسبوك..الخ)، في مقدمة هذه الأساليب وبنسبة بلغت (٦٦,٧٪)، وجاء في المرتبة الثانية أسلوب انطباعات وملاحظات روّاد المجالس للنواب شخصيًا أو لأحد العاملين والمتعاونين معه (المفاتيح الانتخابية)، بنسبة بلغت (٥٦,٤٪)، وجاء بعد ذلك أسلوب تعليقات وردود الناخبين على الهاتف الخاص للنائب بنسبة بلغت (٥٣,٨ ٪). في حين جاء أسلوب اتصال إدارة حملة النائب الانتخابية بالناخبين (الاستبانات الهاتفية)، في المرتبة الرابعة بنسبة بلغت (٤٦,٢٪)، وجاء في المرتية الأخيرة أسلوب عمل استبانات مكتوبة من قبل إدارة حملة النائب الانتخابية لمعرفة رأي الناخبين فيه وبنسبة (٤٣,٦٪).

٤. مراعاة المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي للناخبين:

أظهرت الدراسة الميدانية (انظر الجدول رقم ٩)، أنَّ نسبة عالية بلغت (٧١,٨٪)، من النواب قد راعوا المستوى الاجتماعي، والثقافي، والسياسي للناخبين عند اختيارهم لوسائل الاتصال المختلفة، فيما ذكر عدد من النواب أنهم لم يراعوا هذه المستويات وبلغت نسبتهم (٢٨,٢٪).

وجاءت وسائل الاتصال الشخصي في مقدمة الأشكال الاتصالية التي تميز بها جهد النواب عند التواصل مع الشرائح المختلفة من الجمهور، فمثلًا جمهور النخبة وقادة الرأي بلغت نسبة استخدام الاتصال الشخصي معهم (٥١,٣٪)، وتمثل ذلك في اللقاءات المنفردة بين النائب وقائد الرأي، وكذلك الزيارات والجلسات المرتبة بمواعيد مسبقة.

الجدول رقم (٨). وسائل النواب لمعرفة رد فعل جمهور الناخبين.

توفُّر وسيلة عند النواب لمعرفة رد فعل الجمهور	**نعم**	**٢٩**	**٧٤,٤٪**		
	لا	**١٠**	**٢٥,٦٪**		
الأساليب التي اعتمدها النواب لمعرفة رد فعل الجمهور	تعليقات الناخبين على وسائل التواصل الاجتماعي (الإنستقرام، والتويتر، والفيسبوك...إلخ)	غير موافق	٠	٠٪
		موافق إلى حد ما	١٣	٣٣,٣٪
		موافق	٢٦	٦٦,٧٪
		المجموع	٣٩	١٠٠٪
	اتصال إدارة حملة النائب الانتخابية بالناخبين (الاستبانات الهاتفية)	غير موافق	٣	٧,٦٪
		موافق إلى حد ما	١٨	٤٦,٢٪
		موافق	١٨	٤٦,٢٪
		المجموع	٣٩	١٠٠٪
	تعليقات وردود الناخبين على الهاتف الخاص بالنائب	غير موافق	١	٢,٦٪
		موافق إلى حد ما	١٧	٤٣,٦٪
		موافق	٢١	٥٣,٨٪
		المجموع	٣٩	١٠٠٪
	عمل استبانات مكتوبة من قبل إدارة حملة النائب الانتخابية	غير موافق	٤	١٠,٢٪
		موافق إلى حد ما	١٨	٤٦,٢٪
		موافق	١٧	٤٣,٦٪
		المجموع	٣٩	١٠٠٪
	ملاحظات رواد المجلس للنائب شخصياً أو لأحد العاملين بحملته أو المتعاونين معه (المفاتيح الانتخابية)	غير موافق	٥	١٢,٨٪
		موافق إلى حد ما	١٢	٣٠,٨٪
		موافق	٢٢	٥٦,٤٪
		المجموع	٣٩	١٠٠٪

وبلغت نسبة استخدام النواب للاتصال الشخصي مع الجمهور النسائي (٣٨,٥٪)، سواء بصورة مباشرة بين النائب وهذا الجمهور أو بصورة غير مباشرة وذلك عن طريق الفرق الانتخابية النسائية للنائب، وينطبق ذلك على جمهور الشباب وبنسبة (٣٥,٩٪). وكذلك فإنَّ من أهم وسائل الاتصال التي انتهجها النواب في التواصل مع النخبة وقادة الرأي هي وسائل التواصل الاجتماعـــــي وبنسـبة (١٧,٩٪)، ونسبة

الجدول رقم (٩). وسائل الاتصال المناسبة لمخاطب جمهور الناخبين.

مراعاة المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي للجمهور	**نعم**	**٢٨**		**٪٧١,٨**
	لا	**١١**		**٪٢٨,٢**
وسائل الاتصال التي استخدمها النواب في مخاطبة مختلف فئات الجمهور مراعاة للمستويات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية	النخبة وقادة الرأي	الاتصال الشخصي (الاتصال المباشر المستمر من خلال اللقاءات المنفردة والزيارات والجلسات الانتقائية)	٢٠	٪٥١,٣
		وسائل التواصل الاجتماعي (التواصل عن طريق الوتساب والإنستقرام وغيرهما باستمرار)	٧	٪١٧,٩
		الرسائل النصية على الهاتف النقال	٤	٪١٠,٣
		الندوات	٣	٪٧,٧
		الصحافة	٢	٪٥,١
		التلفزيون	٢	٪٥,١
		الإذاعة	١	٪٢,٦
		المجموع	٣٩	٪١٠٠
	المرأة	الاتصال الشخصي (الزيارات واللقاءات المباشرة أو عن طريق المفاتيح الانتخابية النسائية)	١٥	٪٣٨,٥
		وسائل الاتصال الاجتماعي	١٢	٪٣٠,٨
		المحاضرات	٨	٪٢٠,٥
		الرسائل النصية على الهاتف النقال	٤	٪١٠,٢
		المجموع	٣٩	٪١٠٠
	الشباب	الاتصال الشخصي (الاتصال المباشر المستمر من خلال اللقاءات المنفردة، والزيارات، والجلسات الانتقائية)	١٤	٪٣٥,٩
		وسائل الاتصال الاجتماعي	١٢	٪٣٠,٨
		المحاضرات	٩	٪٢٣
		الرسائل النصية على الهاتف النقال	٤	٪١٠,٣
		المجموع	٣٩	٪١٠٠

(٣٠,٨٪) مع المرأة، وبنسبة (٣٠,٨٪) مع الشباب. وقد بيّنت الدراسة الميدانية أنّ هناك اختلافًا في نوعية وسيلة الاتصال من حيث الأهمية، فقد جاءت الرسائل النصية على الهاتف النقال للنخبة وقادة الرأي بنسبة لا بأس بها بلغت (١٠,٣٪). وجاءت أيضًا وسيلة المحاضرات بخصوص المرأة وبنسبة بلغت (٢٠,٥٪). وكذلك الأمر بشأن الشباب، إذ جاءت المحاضرات بنسبة بلغت (٢٣٪).

مقوِّمات نجاح حملات النواب الانتخابية:

أظهرت نتائج الدراسة (انظر الجداول ١٠، ١١، ١٢)، أنّ أهم مقوِّمات نجاح حملة النائب الانتخابية هي زيارات وتواصل النائب مع الناخبين وذلك بنسبة (٨٢٪)، أمّا المقوِّم الثاني من حيث الأهمية -حسب رأي النواب -فهو إنجازات ومشروعات النائب الخدمية في منطقته الانتخابية وبنسبة (٧٣,٧٪). وجاء في المرتبة الثالثة كَوْن النائب مستقلاً ولا ينتمي لجمعية سياسية وبنسبة (٥٦,٤٪).

وأمّا الاستخدام الفاعل لوسائل الاتصال المختلفة فجاء بنسبة (٥٠٪). وجاء المقوِّم المتمثل في تخصُّص، وعلم، وخبرة، وثقافة النائب بنسبة (٤٦,٢٪). أمَّا وجود مؤسسة معاونة على مستوى عال من الخبرة الانتخابية والإعلامية، فجاءت بنسبة (٣٦,٨٪). وجاءت قدرة النائب المالية وكذلك عائلته وقبيلته بنسبة (٣١,٦٪). في حين أجاب أكثر من نصف النواب بأنّ انتماء النائب لجمعية سياسية ليس من مقوِّمات نجاح نواب مجلس النواب البحريني لعام ٢٠١٤ وذلك بنسبة (٥٩٪).

كما أظهرت نتائج الدراسة أنّ النواب من النساء أجمعن بنسبة (١٠٠٪)، على أهمية أربع مقومات لنجاح حملات النواب الانتخابية وهي: أولًا: التخصص، والعلم، والثقافة، والخبرة، ثانيًا: الزيارات والتواصل مع الناخبين، ثالثًا: القدرة المالية، وأخيرًا: الإنجازات والمشروعات الخدمية للنائب في الدائرة الانتخابية.

الجدول رقم (١٠). مقومات نجاح حملات النواب الانتخابية.

تخصُّص النائب وعلمه، وثقافته، وخبرته	**غير موافق**	**٣**	٧,٦٪
	موافق إلى حد ما	١٨	٤٦,٢٪
	موافق	١٨	٤٦,٢٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

تابع الجدول رقم (١٠).

زيارات النائب وتواصله الشخصي مع الناخبين	غير موافق	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	٧	٪١٨
	موافق	٣٢	٪٨٢
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
انتماء النائب لجمعية سياسية	غير موافق	٢٣	٪٥٩
	موافق إلى حد ما	٧	٪١٨
	موافق	٩	٪٢٣
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
كون النائب مستقلاً	غير موافق	٥	٪١٢,٨
	موافق إلى حد ما	١٢	٪٣٠,٨
	موافق	٢٢	٪٥٦,٤
	المجموع	٣٩	٪١٠٠
قدرة النائب المالية	غير موافق	١٢	٪٣١,٦
	موافق إلى حد ما	١٤	٪٣٦,٨
	موافق	١٢	٪٣١,٦
	المجموع	٣٨	٪١٠٠
عائلة النائب وقبيلته	غير موافق	١٠	٪٢٦,٣
	موافق إلى حد ما	١٦	٪٤٢,١
	موافق	١٢	٪٣١,٦
	المجموع	٣٨	٪١٠٠
استخدام النائب الفاعل لوسائل الاتصال المختلفة	غير موافق	٣	٪٧,٩
	موافق إلى حد ما	١٦	٪٤٢,١
	موافق	١٩	٪٥٠
	المجموع	٣٨	٪١٠٠
إنجازات النائب ومشروعاته الخدمية	غير موافق	٢	٪٥,٣
	موافق إلى حد ما	٨	٪٢١
	موافق	٢٨	٪٧٣,٧
	المجموع	٣٨	٪١٠٠
وجود مؤسسة معاونة للنائب على مستوى عال من الخبرة الانتخابية والإعلامية	غير موافق	١٨	٪٤٧,٤
	موافق إلى حد ما	٧	٪١٥,٨
	موافق	١٤	٪٣٦,٨
	المجموع	٣٩	٪١٠٠

الجدول رقم (١١). مقومات نجاح الحملة الانتخابية موزعة على أساس الجنس.

			أنثى		ذكر	
مقومات نجاح الحملة الانتخابية موزعة على أساس الجنس	التخصص والعلم والثقافة والخبرة	غير موافق	٠	٪٠	٢	٪٥,٦
		موافق إلى حد ما	٠	٪٠	١٩	٪٥٢,٨
		موافق	٣	٪١٠٠	١٥	٪٤١,٦
		المجموع	٣	٪١٠٠	٣٦	٪١٠٠
	الزيارات والتواصل مع الناخبين	غير موافق	٠	٪٠	٠	٪٠
		موافق إلى حد ما	٠	٪٠	٧	٪١٩,٤
		موافق	٣	٪١٠٠	٢٩	٪٨٠,٦
		المجموع	٣	٪١٠٠	٣٦	٪١٠٠
	القدرة المالية	غير موافق	٠	٪٠	١٢	٪٣٣,٣
		موافق إلى حد ما	٠	٪٠	١٤	٪٣٨,٩
		موافق	٣	٪١٠٠	١٠	٪٢٧,٨
		المجموع	٣	٪١٠٠	٣٦	٪١٠٠
	الإنجازات والمشروعات الخدمية	غير موافق	٠	٪٠	٢	٪٥,٦
		موافق إلى حد ما	٠	٪٠	٨	٪٢٢,٢
		موافق	٣	٪١٠٠	٢٦	٪٧٢,٢
		المجموع	٣	٪١٠٠	٣٦	٪١٠٠

الجدول رقم (١٢). مدى اهتمام النواب في المحافظات بوسيلة الزيارات وتوجه النواب للجمعيات وعلاقته بوسائل التواصل الاجتماعي

		المحرق		الشمالية		العاصمة		الجنوبية	
استخدام الزيارات من قبل النائب كوسيلة من وسائل الاتصال الشخصي موزعة على نطاق المحافظات	غير موافق	٠	٪٠	٠	٪٠	٠	٪٠	٠	٪٠
	موافق إلى حد ما	٠	٪٠	٢	٪١٨,٢	٤	٪٤٠	٤	٪٤٠
	موافق	٨	٪١٠٠	٩	٪٨١,٨	٦	٪٦٠	٦	٪٦٠
		أنتمي إلى مجموعة سياسية						مستقل	
بعض وسائل الاتصال الاجتماعي واستخدامها على أساس التوجُّه	التويتر	غير موافق	٠		٪٠			٢	٪٥,٩
		موافق إلى حد ما	٠		٪٠			٩	٪٢٦,٥
		موافق	٥		٪١٠٠			٢٣	٪٦٧,٦
		المجموع	٥		٪١٠٠			٣٤	٪١٠٠
	الفيسبوك	غير موافق	٠		٪٠			٨	٪٢٣,٥
		موافق إلى حد ما	٠		٪٠			١٢	٪٣٥,٣
		موافق	٥		٪١٠٠			١٤	٪٤١,٢
		المجموع	٥		٪١٠٠			٣٤	٪١٠٠
	الواتساب	غير موافق	٠		٪٠			١	٪٢,٩
		موافق إلى حد ما	٠		٪٠			٣	٪٨,٨
		موافق	٥		٪١٠٠			٣٠	٪٨٨,٣
		المجموع	٥		٪١٠٠			٣٤	٪١٠٠

٥. نوعية الجمهور الذي استهدفته الحملات الانتخابية:

أظهرت الدراسة الميدانية (أنظر الجدول رقم ١٣)، أنَّ أغلبية كبيرة من النواب وبنسبة بلغت (٨١,٦٪)، قد تواصلوا مع الجمهور بصفة عامة. وقد حظيت شريحة الشباب باهتمامٍ وتركيز كبيرين من قبل النواب وبنسبة (٧٤,٣٪). وجاء بعد ذلك جمهور النخبة وقادة الرأي وكذلك المرأة وبنسبة (٥٦,٤٪)، وبعد ذلك جاء جمهور العمال وبنسبة (٤٨,٧٪).

الجدول رقم (١٣). نوعية الجمهور المستهدَف من الحملات الانتخابية

النخبة وقادة الرأي	غير موافق	٤	١٠,٣٪
	موافق إلى حد ما	١٣	٣٣,٣٪
	موافق	٢٢	٥٦,٤٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
الشباب	غير موافق	١	٢,٦٪
	موافق إلى حد ما	٩	٢٣,١٪
	موافق	٢٩	٧٤,٣٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
العمال	غير موافق	٤	١٠,٣٪
	موافق إلى حد ما	١٦	٤١٪
	موافق	١٩	٤٨,٧٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪
الجمهور العام	غير موافق	٠	٠٪
	موافق إلى حد ما	٧	١٨,٤٪
	موافق	٣١	٨١,٦٪
	المجموع	٣٨	١٠٠٪
المرأة	غير موافق	١	٢,٦٪
	موافق إلى حد ما	١٦	٤١٪
	موافق	٢٢	٥٦,٤٪
	المجموع	٣٩	١٠٠٪

مناقشة نتائج الدراسة ودلالاتها:

أسفرت الدراسة الحالية عن العديد من النتائج المهمة حول دور وسائل الاتصال في حملات الانتخابات النيابية في مملكة البحرين عام ٢٠١٤ والوسائل الاتصالية المستخدمة فيها، تستدعي الوقوف عندها وبيان مدلولاتها، وتسهيلاً لعرضها فقد صُنِّفت في البنود الآتية:

(١) استحواذ وسائل التواصل الاجتماعي على اهتمام كبير من النواب، وتأتي في مقدمة هذه الوسائل التي جرى استخدامها بدرجة كبيرة وسيلة (الواتساب)، حيث بلغت نسبة المستخدِمين لها (٨٩,٧٪)، تلا ذلك وسيلة (الإنستقرام) وبنسبة بلغت (٨٧,٢٪)، وهو ما يضع وسيلتي (الواتساب)، و(الإنستقرام)، في مقدمة وسائل التواصل الاجتماعي استخداماً واهتماماً من جانب النواب. ويعود اهتمام النواب بهذه الوسائل إلى عُلُوِّ تأثيرها وسرعة انتشارها وتزايد عدد متابعيها؛ وذلك بسبب انتشار استخدام الهواتف الذكية بصورة واسعة من قِبَل مختلف أطياف المجتمع البحريني؛ مما ساعد على التواصل على أوسع نطاق مع أكبر شريحة ممكنة من الجمهور، ومع ما تتميز به هذه الوسائل من سهولة الاستخدام من قبل المرسل والمتلقِّي مهما بلغت ثقافتهما واستيعابهما لها. وهذا يختلف عما توصل إليه الباحث رمضان (٢٠٠٠)، حيث أوضح أنَّ الوسائل الاتصالية الأكثر استخدامًا هي إعلانات الطرق والندوات والمحاضرات، ويختلف أيضًا عما توصل إليه عريقات (٢٠٠٨)، في أن المهرجانات الانتخابية هي أكثر الوسائل الاتصالية التي تعرّض لها الشباب أثناء الحملة الإعلامية.

(٢) توصلت الدراسة إلى أنّ النواب استخدموا أشكال الاتصال الجمعي استخداماً واضحاً على نحوٍّ مكَّنهم من توظيفه في حملاتهم الانتخابية توظيفاً جيداً. وقد تمثلت أشكال الاتصال الجمعي في الخطب، والندوات في المجالس، والديوانيات، والمقرات الانتخابية وغيرها. ولا شك أنّ وسائل الاتصال لاسيما الخَطابة لها تأثير كبير على الجمهور العربي عموماً والبحريني خصوصاً، إذ من خلالها يصل النواب إلى شرائح أخرى عدة قد لاتهتم بوسائل التواصل الاجتماعي، فضلًا عما لهذه الوسائل من خصوصية ترتبط تاريخيًا بالثقافة العربية والمجتمع العربي.

(٣) استخدام النواب بصورة لافتة وكبيرة للرسائل النصية على الهواتف النقالة، إذ بلغت نسبة الذين استخدموا هذه الوسيلة (٨٧,٢٪). وهذا يبيِّن بوضوح أهمية الدور الذي تؤدِّيه الهواتف الذكية في هذه الانتخابات، ودور الرسائل النصية في التواصل المستمر والخاص بين النائب والناخب، وذلك يعود إلى سهولة استخدامه، وقلة تكاليفه نسبيًا، وسرعة وصول الرسائل النصية إلى المتلقين.

(٤) اعتماد وسائل الاتصال الشخصي لِما تكتسبه من أهمية كبرى ومؤثرة في الحملات الانتخابية، حيث أفاد أكثر من (٧٤٪) من النواب بحرصهم على مباشرة الزيارات الشخصية للناخبين والجمهور. وقد اعتمد النواب على وسائل الاتصال الشخصي للتواصل مع الناخبين بدرجة أساسية؛ لِما لها من تأثير قوي ومردود إيجابي لصالح النواب، سواء فيما يتعلق بالتعرف عن قرب على ملاحظات أو (مؤخذات) الناخبين تجاه النائب، ومن ثمّ تداركها من خلال التحاور، والمشافهة، ووضع النقاط على الحروف، والرد على ما يثار من شبهات وشائعات عبر إجابات شافية وتَحاوُر ونقاش يحصل من خلاله تصحيح المفاهيم والمعلومات الخاطئة. ثم إنه من خلالها يُتَعرف على ميول الناخبين، ومن ثمَّ كيفية التعامل معها وتوجيهها لصالح النائب، وهو ما لا يمكن أنْ يحصل إلا من خلال هذا اللون من الاتصال، والذي يُعَرِّفه خبراء الاتصال بأنّه اتصال يتضمن مواجهه مباشرة بين القائم بالاتصال والمستقبِل تؤدّي إلى التغيير في سلوك المستقبِل واتجاهاته (عودة، ١٩٧١). لذلك فقد أدّى الاتصال الشخصي بأشكاله المختلفة دوراً مهماً في الانتخابات النيابية البحرينية لعام ٢٠١٤، وخصوصًا في المحافظات أو المدن والقرى والمناطق التي تغلُب عليها سِمَة المحافظة، على العادات والتقاليد والتواصل المجتمعي القوي والترابط العائلي، حيث بيَّنت الدراسة أنّ النواب من محافظة المحرق قد أجمعوا وبنسبة (١٠٠٪)، على جدوى اعتماد الزيارات وذلك من خلال لقاء النائب مباشرة برؤوس العائلات والنُّخَب وقادة الرأي داخل مجتمعاتهم. وهذا يتفق تمامًا مع ما توصل إليه القاضي (١٩٨٦)، بشأن تأثير الاتصال الشخصي وقادة الرأي العام على القرار الانتخابي للناخبين في البيئة المصرية.

(٥) كشفت الدراسة أنّ نسبة لا بأس منها من النواب (٤٨,٧٪)، استخدموا الصحف في دعايتهم الانتخابية، وهذا يتوافق مع دراسة العيد (٢٠٠٦)، والتي أوضح فيها ارتفاع نسبة قراءة الصحف لدى الجمهور البحريني.

(٦) كشفت الدراسة ندرة أو ضآلة استخدام النواب لجهازي التلفاز والراديو وعدم اللجوء إليهما أو الاستعانة بهما بوصفهما من الوسائل الاتصالية في دعايتهم الانتخابية، حيث بلغت نسبة الذين لم يستعينوا بالراديو أو لم يستخدموه أبداً (٥٦,٤٪)، والذين لم يستعينوا بالتليفزيون أو لم يستخدموه أبدًا بلغت نسبتهم (٦١,٥٪). ويرجع ذلك إلى ارتفاع تكلفة الإعلانات في الراديو والتليفزيون، فضلاً عن أنَّ الجهازين ملك للدولة، ولا توجد محطات تليفزيون أو إذاعة خاصة ومستقلة بمملكة البحرين تعمل بنظام الاستثمار والتسويق في مجال الإعلان، إضافة إلى أنّ توافر هذا العدد من وسائل الاتصال المشار إليها

بكثافة وتعدُّد وتنوُّع لا يفرض بالضرورة على النائب حتمية استخدامها جميعاً حتى ولو سمحت إمكاناته المادية بذلك، وإنّما يختار الوسيلة التي تتفق خصائصها مع طبيعة الجمهور المستهدَف من المرشح داخل دائرته (محمد، ٢٠٠١). وهذا يتفق إلى حدٍّ ما مع الدراسة التي أجراها عريقات (٢٠٠٨) إذ حلت وسيلة التعرض للتلفزيون في مراتب متأخرة من اهتمام الجمهور. كما تتفق نتائج الدراسة الحالية مع النتائج التي توصّل إليها مصطفي (٢٠٠١)، في أنّ البرامج التلفزيونية المخصصة لتغطية العملية الانتخابية لم تنجح في الوصول إلى الفئات المختلفة من الجماهير.

(٧) فيما يتعلق بالنواب المنتمين إلى الجمعيات السياسية والذين بلغت نسبتهم (١٢,٨٪)، فإنّ أبرز وسائل التواصل الاجتماعي التي كان التركيز عليها واستخدامها من جانبهم هي: (التويتر)، و(الفيسبوك)، و(الواتساب)، وبنسبة عالية جداً الإنستقرام. ويدل ذلك على الخبرة المتوفرة للمنتسبين للجمعيات بأهمية هذه الوسائل الاتصالية في وقتنا الحاضر وفي مخاطبة الجماهير بأسهل وأسرع وأوفر الطرق.

(٨) تعدُّ الزيارات والاتصال المباشر بين النواب والناخبين أهم مقوِّم من مقوِّمات نجاح الحملات الانتخابية لأعضاء المجلس النيابي البحريني. وهذا مما يؤكِّد أهمية وسائل الاتصال الشخصي بالذات في المجتمع البحريني الذي يحترم ويقَدِّر التواصل المباشر.

(٩) إجماع النواب من النساء على أنّ أهم مقوِّم من مقومات نجاح الحملات الانتخابية هو التخصص، والعلم، وامتلاك الثقافة، والخبرة. ويفسر هذه النتيجة أنَّ كل النساء من النواب عند قراءة سِيَرهن الذاتية تبيَّن أنّهن ذوات مستويات عالية من التعليم، وأنَّ حالتهن المادية أكثر من جيدة، فمن بينهن البروفيسورة في إدارة الأعمال وذات المنصب المرموق، والمحامية والمديرة لمؤسسة تعليمية، كما أنَّ من بينهن سيدة أعمال. أجمعن على أهمية التخصص والعلم وتوفُّر المقدرة المالية في الحملات الانتخابية. وتجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن نسبة النساء لم تتعد (٨٪) من النواب.

(١٠) أفاد أكثر من (٩٤٪) من النواب باعتمادهم بدرجة أساسية في حملتهم الانتخابية على وسائل الاتصال المختلفة. فإذا ما قارنَّا هذه النتيجة بمستويات النواب التعليمية العالية فإنّها ستدلُّ على وعيهم الكبير بأهمية وسائل الاتصال، وما يمكن أن تقدّمه للنواب من عون وانتشار وذِيعُ صِيت لمساعدتهم على الإقناع وتوصيل رسائلهم الإعلامية. كما أسهمت وسائل الاتصال بصورة ملموسة حسب رأيهم في نجاحهم بالانتخابات النيابية.

(١١) تَرَكَّز اهتمام النواب بتوصيل الأفكار والبرامج التي يحملونها للناخبين، وعدّوا ذلك الدافع الرئيس لهم لاستخدام وتفعيل الوسائل الاتصالية

المختلفة في حملاتهم الانتخابية، وهذا يشير بوضوح إلى أهمية البرنامج الانتخابي لدى النائب والجمهور، لذلك اعتمد النواب بصورة أساسية على وسائل الاتصال لتوصيل برنامجهم من خلالها إلى أكبر قدر ممكن من الجمهور.

(١٢) تعدّد المؤشرات التي يقيس بها النواب رد فعل الناخبين على رسائلهم الإعلامية، ولعل أهمها، تعليقات الناخبين على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، وكذلك ملاحظات رواد المجالس التي يُبدونها للنواب شخصياً أو لأحد العاملين أو المتعاونين معهم. وهذه النتيجة توضح مرة أخرى أهمية وسائل التواصل الاجتماعي وأهمية وجدوى وسائل الاتصال الشخصي في الانتخابات النيابية البحرينية.

(١٣) اهتم النواب كثيراً بالجمهور بصفة عامة، بيد أنّ فئة أو شريحة الشباب كانوا في مقدمة هذا الجمهور الذي استهدفته الحملات الانتخابية. وتدل هذه النتيجة على أنّ للشباب دوراً كبيرًا في الانتخابات في الخليج العربي عموماً وفي البحرين خصوصاً، حيث إن مجتمعات الخليج العربي تقوم على قاعدة سكانية فتية واسعة نسبتها (٦٧,٣٪)، وأنّ الفئات العمرية الواقعة في ما يُعرف بالفئة الشبابية والتي تمتد أعمارها من ١٥ إلى ٤٠ سنة يشكلون مالا يقل عن ٤٥٪ من الجسم السكاني المحلي. كما ذكرت الإحصاءات أنّ معظم سكان دول مجلس التعاون الخليجي هم دون سن الـ٢٥ سنة، وأنه من المتوقع أن تكون نسبة عدد الشباب ممن هم دون سن الـ٢٥ حوالي (٥٤٪)، من إجمالي عدد السكان في دول مجلس التعاون بحلول عام ٢٠٢٠م (جريدة الوسط، ٢٠١٤م).

(١٤) الغالبية العظمى من النواب هم من الذكور، إذ بلغت نسبتهم أكثر من (٩٢٪). ولا شك أنّ هذه النتيجة تشير بوضوح إلى أنّ مشاركة المرأة في العمل السياسي ماتزال بحاجة إلى دفعة قوية، حتى يصبح تمثيلها معبِّراً عن نسبة النساء العددية في المجتمع البحريني، وخصوصاً بعد ارتقاء مستوى المرأة البحرينية فكرياً ومهنياً، ومساهمتها الفاعلة والملموسة في العديد من المجالات العلمية والعملية، ومن ثم مشاركتها الرجل في النهوض بشأن الوطن وتطوره. وقد باتت المرأة تمثل حوالي (٥٠٪) من أفراد ومكونات المجتمع البحريني وبجميع فئات السن، ولاسيما فئة السكان البحرينيين البالغين سن العمل والإنتاج (انظر كتيِّب المرأة البحرينية في أرقام).

(١٥) امتلاك نسبة عالية من النواب مؤهلات جامعية تصل إلى ما يقارب من (٩٠٪)، أي لم يكن منهم من لا يحمل مؤهلاً علمياً. وهذا يشير إلى ارتفاع المستوى العلمي للنواب، الأمر الذي من شأنه أن يساعد على تقديم أداء نيابي فاعل ومؤثر من خلال الأعضاء ذوي الكفاءة والمؤهلات العلمية الرفيعة.

(١٦) من اللافت أنّ أكثر من (٥٦٪) من النواب يترشحون لأول مرة في الانتخابات النيابية، مما قد يشير إلى أنّهم أقل خبرة وتمرُّساً ودراية بطبيعة الأشكال الاتصالية المستخدمة في إدارة الحملات الانتخابية وكيفية تفعيلها في أوساط الناخبين، إلا إذا عمدوا إلى الاستعانة بأشخاص ذوي خبرات وكفاءات ومؤسسات يختارونها في هذا المجال، وهذا ما لم يحصل كما تبيَّن من إجاباتهم على الاستبانة. ويتضح أيضاً من خلال النظر في (الجدول رقم ١٠)، المتعلق بمقومات نجاح حملات النواب الانتخابية، والذي يكشف أنّ أكثر من ثلث المبحوثين لم يعمدوا إلى الاستعانة بمؤسسة أو جهة متخصصة تتمتع بالخبرة الإعلامية والانتخابية، واقتصر أمر استخدام هذا النوع من المؤسسات والاستعانة بها على الثلث منهم فقط.

(١٧) انتهت الدراسة إلى أنّ الغالبية العظمى من النواب مستقلون، بمعنى أنهم لا ينتمون لأية جمعية سياسية، وبلغت نسبتهم أكثر من (٨٧٪)، وهذا مما يدل على أن أغلب الناخبين البحرينيين يرغبون في انتخاب النواب المستقلين. على أن هذا الوضع ربما يُفضي إلى أن يصبح المجلس جزراً منعزلة، بسبب عدم وجود برنامج مشترك وانسجام وتواؤم بين النواب المستقلين الذين يأتون من خلفيات متعددة ومتباينة، مما يجعل من الصعوبة بمكان إيجاد أرضيات مشتركة سريعة وناجزة وقَدْر من التفاهم والتنسيق فيما بينهم؛ لمقارعة السلطة التنفيذية ببرامج مكينة ورصينة ومشتركة وواضحة من أجل تحقيق طموحات وتطلعات جمهور ناخبيهم.

ملخص النتائج

كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج العامة، نعرضها على النحو الآتي:

(١) جاءت وسائل الاتصال الاجتماعي وبالأخص (الإنستقرام)، و(الواتساب)، في مقدمة الوسائل الاتصالية التي استخدمها النواب أعضاء المجلس النيابي البحريني لعام ٢٠١٤ في حملاتهم الانتخابية.

(٢) أظهرت الدراسة أنّ الراديو والتلفزيون كانا في ذيل الوسائل الاتصالية التي اعتمد عليها النواب.

(٣) أكّدت الدراسة على أهمية وسائل الاتصال الشخصي، حيث جاءت في مقدمة وسائل الاتصال التي اعتمدها النواب عند التواصل مع الشرائح المختلفة من الجمهور وبالأخص النخبة، وقادة الرأي، والمرأة، والشباب، ومع مراعاة المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي للناخبين.

(٤) توصلت الدراسة إلى أنّ أغلب النواب يرون أنّ وسائل الاتصال المختلفة لها تأثير إيجابي في تواصلهم مع الناخبين.

(٥) كشفت الدراسة أنّ الدافع الرئيس للنواب لاستخدام الوسائل الاتصالية المختلفة هو تعريف برنامجهم الانتخابي للناخبين، وتوصيل الأفكار والرؤى التي يحملها النواب إلى الجماهير بالدرجة الأولى.

(٦) توصلت الدراسة إلى أن أغلب النواب كان لديهم أساليب لمعرفة رد فعل الناخبين على رسائلهم الإعلامية أثناء حملاتهم الانتخابية، وجاء في مقدمة هذه الأساليب تعليقات الناخبين على وسائل التواصل الاجتماعي.

(٧) كشفت الدراسة بأن الزيارات والتواصل من قبل النائب مع الناخبين تعد أهم مقومات نجاح حملاتهم الانتخابية.

(٨) أظهرت الدراسة أنّ جمهور الشباب قد نال المرتبة الأولى في اهتمامات النواب من بين شرائح جمهور الناخبين، في حين جاءت فئة الأطفال في مرتبة متأخرة من اهتماماتهم.

(٩) توصلت الدراسة إلى أنّ هناك إجماعاً بين النواب المنتمين للجمعيات السياسية على أهمية وفاعلية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

(١٠) أجمعت النساء من أعضاء مجلس النواب أنَّ التخصص العلمي، والثقافة، والخبرة للنواب أهم مقوِّم من مقومات نجاح الحملات الانتخابية.

(١١) كشفت الدراسة أنّ أعمار أغلب النواب كانت في سن الشباب وأن معظمهم من الذكور، وأن أغلبهم كذلك من أصحاب المؤهلات الجامعية، ولم يكن من بينهم أمي أو من لا يحمل مؤهلاً.

(١٢) أثبتت الدراسة أن أغلب النواب يترشحون لأول مرة في الانتخابات النيابية، وأن أغلبهم مستقلون ولا ينتمون لأية جمعية سياسية.

توصيات ومقترحات الدراسة

استناداً إلى نتائج الدراسة يوصي الباحثان بما يلي:

١- ضرورة إقامة دورات علمية لتأهيل المترشحين للانتخابات النيابية وتدريبهم على كيفية استخدام وسائل الاتصال المختلفة في الحملات الانتخابية، وكيفية التعامل مع وسائل الإعلام المحلية والإقليمية والعالمية.

٢- ضرورة إفساح المجال وإعطاء المساحة والفرصة الكافية لجميع المرشحين كي يظهروا عبر وسائل الإعلام الجماهيري، وخصوصًا الإذاعة والتلفزيون المملوكتين للدولة، وذلك تحقيقًا لمبدأ تكافؤ الفرص في المجال الإعلامي، وعملًا أيضًا بمبدأ المساواة بين جميع المرشحين وذلك لتوصيل برامجهم الانتخابية ولكي يتعرف عليهم الناخبون.

٣- تشجيع النساء ذوات المؤهلات العليا على الترشح، حيث تكون فرصة نجاحهن عالية.

٤- ضرورة عمل مجموعة من الدراسات أبرزها: الحملات الدعائية وأساليبها وكيفية مواجهتها من قبل المنافسين، وأبرز الموضوعات والقضايا التي تحملها وسائل الاتصال المختلفة، وأبرز الأساليب التي استخدمها الأعضاء في وسائل اتصالهم لكسب الناخبين، وهل تعتمد هذه الأساليب على العاطفة أو المنطق أو التخويف أو غيرها؟

المراجـــع

المراجع العربية

البحارنة، حسين محمد. (٢٠٠٦). *دول الخليج العربي الحديثة، علاقتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها.* (الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: دار الكنوز الأدبية.

البشر، محمد بن سعود. (١٩٩٦). *مقدمة في الاتصال السياسي.* الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان.

تطور النظام الدستوري في مملكة البحرين. (٢٠٠٦). المنامة، مملكة البحرين: *مطبوعات مجلس النواب.*

الجاسم، محمد عبدالقادر والشاعر، سوسن علي. (٢٠٠٠).

البحرين: *قصة الصراع السياسي* ١٩٠٤-١٩٥٦ (الطبعة الأولى). الكويت: دولة الكويت: المؤلف.

الجريدة الرسمية. (٢٠١٤). (العدد رقم ٣١٧٦، ٢٥-٩-٢٠١٤). المنامة، مملكة البحرين: هيئة شؤون الإعلام.

جريدة الوسط. (٢٠١٤). (العدد رقم ٤٢٤٧، ٢٤-٤-٢٠١٤). *الأمن الوطني والأمن الإقليمي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية: رؤية من الداخل.* المنامة، مملكة البحرين: مطبعة جريدة الوسط.

حاتم، محمد عبدالقادر. (١٩٨٧). *الإعلام والرعاية نظريات وتجارب.* القاهرة، جمهورية مصر العربية: مكتبة الأنجلو المصرية.

حجاب، محمد منير. (١٩٩٨). *الرعاية السياسية وتطبيقاتها قديمًا وحديثًا.* (ج١). القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار الفجر للنشر والتوزيع.

حجاب، محمد منير. (٢٠٠٧). *إدارة الحملات الانتخابية، طريقك للفوز في الانتخابات.* القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار الفجر للنشر والتوزيع.

حسين، سمير محمد. (١٩٩٩). *بحوث الإعلام* (الطبعة الثالثة). القاهرة، جمهورية مصر العربية: عالم الكتب.

حمادة، بسيوني إبراهيم. (١٩٩٤). العلاقة بين الإعلاميين والسياسين في الوطن العربي. *سلسلة عالم الفكر. الكويت، دولة الكويت* المجلد٢٣، العددان الأول والثاني. ص ١٦٧-١٧٥. الكويت، دولة الكويت.

حمزة، ريا يوسف. (٢٠٠٢). *التجربة البرلمانية الأولى في البحرين، المجلس التأسيسي والمجلس الوطني ١٩٧٢-١٩٧٥* (الطبعة الأولى). المنامة، المملكة البحرين: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

الخليفة، مي محمد. (٢٠٠٠). *تشارلز بلجريف، السيرة والمذكرات (١٩٢٦-١٩٥٧)*، (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ديوبولدب، فان دالين. (١٩٩٠). *مناهج البحث في التربية وعلم النفس* (الطبعة الرابعة). ترجمة محمد نبيل نوفل، وسلمان الخفيري، الشيخ وطلعت منصور غربال، وسيد أحمد عثمان. القاهرة، جمهورية مصر العربية: مكتبة الأنجلو المصرية.

رمضان، أحمد مال الله. (٢٠٠٩). *تأثير الحملات الانتخابية النيابية على توجهات الناخب البحريني: دراسة ميدانية*. رسالة ماجستير غير منشورة. المنامة، مملكة البحرين: الجامعة الأهلية.

رمضان، شعبان أحمد. (٢٠١٤). *النظام الدستوري البحريني*. القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار الكتب القانونية.

الرميحي، محمد. (١٩٨٤). *البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي* (الطبعة الثانية). الكويت، دولة الكويت: شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.

الزياني، أمل إبراهيم. (١٩٦٦). *البحرين بين الاستقلال السياسي والانطلاق الدولي* (الطبعة الثانية). المنامة، مملكة البحرين: المؤلف.

شمس الدين، فتحي. (٢٠١٣). *الاتصال السياسي*. القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار النهضة العربية.

طهبوب، فائق حمدي. (١٩٨٣). *تاريخ البحرين السياسي، ١٧٨٣-١٨٧٠* (الطبعة الأولى). الكويت، دولة الكويت: منشورات ذات السلاسل.

العالم، صفوت محمد. (١٩٨٧). *وسائل وأساليب الدعاية الانتخابية في النظم المختلفة*. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة، جمهورية مصر العربية: جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

عبدالحميد، محمد. (١٩٩٣). *دراسة الجمهور في بحوث الإعلام* (الطبعة الأولى). القاهرة، جمهورية مصر العربية: عالم الكتب.

عبدالحميد، محمد (٢٠٠٠). *البحث العلمي في الدراسات الإعلامية* (الطبعة الأولى). القاهرة، جمهورية مصر العربية: عالم الكتب.

عريقات، أحمد محمد. (٢٠٠٨). *دور التلفزيون الأردني في توعية الشباب أثناء الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٧*. رسالة ماجستير غير منشورة. عمان، الأردن: كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا.

عليوه، السيد. (٢٠٠٠). *تخطيط وإدارة الحملة الانتخابية: دليل المرشح الناجح* (الطبعة الثالثة). القاهرة، جمهورية مصر العربية: أكاديمية القرار للتعليم المدني.

عمر، السيد محمد وأبو عامود، محمد سعد. (٢٠١٢). *النظام السياسي البحريني* (الطبعة الأولى). المنامة، مملكة البحرين: جامعة العلوم التطبيقية.

العيد، عبدالعزيز محمد. (٢٠٠٦). *استخدامات الجمهور في مملكة البحرين لوسائل الإعلام والإشباعات المتحققة منها* (الطبعة الأولى). المنامة، مملكة البحرين: وزارة الإعلام، إدارة المطبعة الحكومية.

عودة، محمود. (١٩٧١). *أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي: دراسة ميدانية في قرية مصرية*. القاهرة، مصر: دار المعارف.

فارس، صقر عيد. (٢٠٠٨). *الأبعاد التاريخية والقانونية لميثاق العمل الوطني* (الطبعة الأولى). المنامة، مملكة البحرين: المؤلف.

القاضي، أمجد بدر منصور. (٢٠٠٢). *أساليب الدعاية الانتخابية وتأثيرها على السلوك الانتخابي في المملكة الأردنية الهاشمية*. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة، جمهورية مصر العربية: جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

القاضي، محمد كمال. (١٩٨٦). *وسائل وأساليب الاتصال في الدعاية الانتخابية في مصر: دراسة تطبيقية لانتخابات الفصل التشريعي الثالث لمجلس الشعب المصري*. رسالة ماجستير غير منشورة. القاهرة، جمهورية مصر العربية: جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

القاضي، محمد كمال. (١٩٩٥). *الدعاية الانتخابية: دراسة نظرية تطبيقية* (الطبعة الأولى). القاهرة، جمهورية مصر العربية: دار النمر للطباعة.

المجلس الأعلى للمرأة. (السنة غير مذكورة). كتيب *المرأة البحرينية في أرقام*. المنامة، مملكة البحرين: الأمانة العامة للمجلس الأعلى للمرأة: المؤلف.

مجلس النواب. (٢٠١٣). *المجموعة التشريعية*. المنامة، مملكة البحرين: الأمانة العامة لمجلس النواب: المؤلف.

محمد، حمزة سعد. (٢٠٠١). *الدعاية الانتخابية: انتخابات مجلس الشعب المصري عام ٢٠٠٠* . القاهرة، مصر: صحيفة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية.

المشهداني، محمد والمدرس، مروان. (السنة غير مذكورة). *القانون الدستوري البحريني*. المنامة، مملكة البحرين: مطبعة جامعة البحرين.

المصالحة، محمد حمدان. (٢٠٠٢). *الاتصال السياسي مقترب نظري.. تطبيقي* (الطبعة الثانية). عمان، الأردن: دار وائل للنشر.

مصطفى، هويدا. (٢٠٠١). استطلاع آراء عينة من النخبة السياسية والإعلامية حول التغطية التلفزيونية لانتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٠. *المجلة المصرية لبحوث الرأي العام*، كلية الإعلام-جامعة القاهرة، العدد الأول، المجلد الثاني (يناير-مارس).

نخلة، أميل. (٢٠٠٦). *البحرين: التطور السياسي في مجتمع متحدث* (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار الكنوز الأدبية.

نعمان، محمد جلال. (٢٠٠٧). *النظام السياسي في مملكة البحرين: الإصلاح في إطار الهوية* (الطبعة الثانية). المنامة، مملكة البحرين: مركز البحرين للدراسات والبحوث.

اليحياوي، يحيى. (٢٠١٣). في *تجاذبات العلاقة بين الإعلام والاتصال والسياسة*. الدوحة، قطر: مركز الجزيرة.

يوسف، محمود. (٢٠٠٠). دور العلاقات العامة في الحملات الانتخابية. *المجلة المصرية لبحوث الرأي العام*، كلية الإعلام-جامعة القاهرة، العدد الثاني (أبريل، يونيو)، ص.٥٩-١٣٧.

المراجع الأجنبية:

Bates, T. (1984). *Broadcasting in Education: An Evaluation (Media Studies).* London, U.K: Constable.

Cheng, J. (1982). *The Educational Function of Mass Communication in the Economical Countries*. In Proceedings of the sixth Asian-pacific Cultural Scholars' Convention. taipel, Republic of China: Asian Pacific Parliamentarians Union.

Chitura, I. (1978). *Educational Radio and Television in Japan. Educational Broadcasting International*, British Council, England, 11(3), 155-170.

Hornick, R. C. (1988). *Development Communication: Information, Agriculture, and Nutrition in the Third Word.* New York, USA: Longman Inc.

Rao, L. (1966). *Communication and Development. Minneapolis*, USA: University of Minnesota Press.

Robert, Pradip (1988). *Educational Broadcasting*, Communication Research Trends, 9 (4),1-14.

Ruggles, R. H. (1982). *Learning at a Distance and New Techology.*Vancouver, CANADA: Educational Research Institute of British Columbia.

Schramm, W. (1964). *Mass Media and National Development. Stanford*, California and Unesco, Paris. California, U.S.A: The Stanford University Press.

Whitelock, A. (2010). *The influence of promotional activity and different electoral systems on voter turn*.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

قسيمة اشتراك بمجلة جامعة الملك سعود

تاريخ تعبئة القسيمة (بالتاريخ الميلادي): / / ٢٠م

اسم المشترك (رباعي): .....

اسم الجهة/الشركة (للجهات الحكومية/الشركات): .....

العنوان: ..... صندوق بريد: ..... الرمز البريدي: .....

المدينة: ..... الدولة: ..... الهاتف: ..... الفاكس: .....

البريد الإلكتروني: .....

اسم المجلة المطلوب الاشتراك فيها:

☐ الآداب (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم التربوية (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم الهندسية (عددان في السنة)
☐ العلوم الزراعية (عددان في السنة)
☐ اللغات والترجمة (عددان في السنة)
☐ السياحة والآثار (عددان في السنة)
☐ علوم طب الأسنان (عددان في السنة)
☐ الدراسات الإسلامية (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم الإدارية (عددان في السنة)
☐ العلوم (عددان في السنة)
☐ العمارة والتخطيط (عددان في السنة)
☐ علوم الحاسب والمعلومات (عددان في السنة)
☐ الحقوق والعلوم السياسية (عددان في السنة)

عدد المجلات: ( )
عدد النسخ: ( )

مدة الاشتراك: ☐ سنة ☐ سنتان

نوع الاشتراك: ☐ فردي ☐ حكومي ☐ قطاع خاص

طريقة الدفع: ☐ نقداً ☐ شيك مصدق (مرفق) ☐ حوالة

تكلفة الشحن: ( )

إجمالي المبلغ: ..... التوقيع: .....

قيمة الاشتراكات: الاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية (١٥) ريالاً سعودياً لكل عدد أو ما يعادله بالعملة الأجنبية يضاف إليه أجور البريد.

جميع مراسلات الاشتراك والتبادل على العنوان التالي

دار جامعة الملك سعود للنشر – جامعة الملك سعود – ص. ب. ٦٨٩٥٣ الرياض ١١٥٣٧
هاتف ١١٤٦٧٢٨٧٠(٩٦٦+) فاكس ١١٤٦٧٢٨٩٤(٩٦٦+) البريد الإلكتروني ksupress@ksu.edu.sa
موقع الدار http://ksupress.ksu.edu.sa

دار جـــامـــعـــــة
الملك سـعـود للنشـر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

Subscription Form for the Journal of King Saud University

Date: ……/……/20

Name: ……...
Company Name (Public/Private): ……
Address: …… P.O. Box: …… Zip Code: ……...
City: …… Country: …… Tel.: …… Fax: ……..
E-mail: ……..
Name of Branch of JKSU:

- ☐ Arts (3 issues a year)
- ☐ Educational Sciences (3 issues a year)
- ☐ Engineering Sciences (biannual)
- ☐ Agricultural Sciences (biannual)
- ☐ Languages and Translation (biannual)
- ☐ Tourism and Archaeology (biannual)
- ☐ Dental Sciences (biannual)
- ☐ Islamic Studies (3 issues a year)
- ☐ Administrative Sciences (biannual)
- ☐ Science (biannual)
- ☐ Architecture and Planning (biannual)
- ☐ Computer and Information Sciences (biannual)
- ☐ Law and Political Science (biannual)

No. of Issues: ( )
No. of Copies: ( )
Length of Subscription: ☐ 1 Year ☐ 2 Years
Type of Subscription: ☐ Individual ☐ Governmental ☐ Private Sector
Method of Payment: ☐ Cash ☐ Cheque ☐ Bank Transaction
Shipping Cost: ( )
Total Cost: ……
Signature: ……...

Annual Subscription Rates: Within the Kingdom SAR 15.00 for each issue or its equivalent in a foreign currency (excluding postage).

All subscription and exchange correspondences should be addressed to:

King Saud University Press, King Saud University, P.O. Box 68953, Riyadh 11537, Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: +966 11 4672870 Fax: +966 11 4672894
E-mail: ksupress@ksu.edu.sa Website: http://ksupress.ksu.edu.sa

Marotta, G. (2008). Lenition in Tuscan Italian (gorgia toscana). *Lenition and fortition*, 235-270.

Martínez-Celdrán, E. (2008). Some chimeras of traditional Spanish phonetics. *Paper presented at the Selected Proceedings of the 3rd Conference on Laboratory Approaches to Spanish Phonology*.

McCarthy, J. J. (1999). Sympathy and phonological opacity. *Phonology, 16*(03), 331-399.

McCarthy, J. J. (2007). *Hidden generalizations: phonological opacity in Optimality Theory*: Equinox.

McCarthy, J.J. and Prince, A. (1995). Faithfulness and reduplicative identity. In J. Beckman, L. Dickey, and S. Urbanczyk (eds.), *Papers in Optimality Theory. UMOP* 18: 249-384. Amherst: GLSA.

Rakhieh, B. A. (2009). *The Phonology of Ma'ani Arabic: Stratal Or Parallel OT*. PhD thesis. University of Essex.

Roca, I. (1994). *Generative Phonology*. Routledge.

Sheffer, H. (1995). Visibility and Abstract Form: Evidence from Spirantization in Modern Hebrew. *University of Pennsylvania Working Papers in Linguistics, 2*(2), 11.

Staroverov, P. (2014). Opacity in Lardil: stratal vs. serial derivations in OT. *Druck: MD*.

Sutton, E. (1976). *The Persian Meters*: Cambridge: Cambridge University Press.

Temkin Martínez, M. (2008). Exceptionality and Variation in Modern Hebrew. *Paper presented at the West Coast Conference on Formal Linguistics (WCCFL)*.

Trask, R. L. (2000). *The dictionary of historical and comparative linguistics*: Psychology Press.

Yu, A. C. (1999). Postvocalic spirantization: typology and phonetic motivation. *Paper presented at the Proceedings of the 35th Meeting of the Chicago Linguistics Society*.

position, e.g. /vod$_3$.dan/ 'conscience→ [vo$_3$.dan]. This process occurs through two rules, voicing and spirantization, where the second rule, spirantization, counterfeeds the first one. In other words, the first rule applies too late to create environment for the second rule, i.e. counterfeeding.

Parallel OT, as an OT model, is capable of analyzing feeding, as a transparent rule interaction due to input-output mapping. Intermediate stages are not necessary to map input onto output. However, this OT model is unable to account for opacity when dealing with counterfeeding order in the same dialect. It is apparent that the spirantization of voiced alveopalatal affricate /d$_3$/ in the postvocalic position demands intermediate stages, compared to the spirantization of /G/. The incursion of ranking constraints in Parallel OT as well as Correspondence Theory does not show counterfeeding interaction. Furthermore, when using Sympathy Theory, having different sympathy constraints in each opaque process, results in the proliferation of sympathy constraints. Consequently, Stratal OT is revealed to be the OT model that is most capable of dealing with opacity with reference to counterfeeding order in Sabzevari.

Acknowledgment

The researcher is very grateful to the Research Center in the Faculty of Arts at King Saud University for funding this research.

References

Aldaghi, A., & Tavakoli, N. (2011). Major phonetic processes in Sabzevari Dialect. *Theory and Practice in Language Studies, 1*(3), 292-301.

Baković, E. (2011). Opacity and ordering. *The handbook of phonological theory, ed. by J. Goldsmith*: Oxford: Wiley-Blackwell.

Bermúdez-Otero, R. (1999). Opacity: evidence from West Germanic Gemination. *Paper presented at the Spring Meeting of the Linguistics Association of Great Britain, Manchester.*

Bermúdez-Otero, R. (2008). Stratal optimality theory. *Oxford Studies in Theoretical Linguistics). Oxford: Oxford University Press. Partly available at [http://myweb. tiscali. co. uk/bermudez/Stratal_Optimality_Theory. htm]*.

Boudlal, A. (2001). *Constraint interaction in the phonology and morphology of Casablanca Moroccan Arabic.* PhD thesis. Université Mohammed V.

Gabbard, K. M. (2010). *A phonological analysis of Somali and the guttural consonants*. BA Linguistics Honors Thesis, The Ohio State University.

Garoma, E. T. (2012). Phonology of Yem: Phonological processes. *Journal of Language and Culture Vol, 3*(6), 117-125.

Grenon, I. (2005). The status of the sound [z] in Japanese. *Revue Langues et Linguistique, 31*, 64-90.

Hayes, B. (1979). The rhythmic structure of Persian verse. *EDEBIYAT 4*, 193-242.

Idsardi, W. J. (1997). Sympathy creates chaos. *Ms., University of Delaware*.

Idsardi, W. J. (2000). Clarifying opacity. *Linguistic review, 17*(2/4), 337-350.

Itô, J., & Mester, A. (2003). On the sources of opacity in OT: Coda processes in German. *The syllable in optimality theory*, 271-303.

Kager, R. (1999). *Optimality Theory*: Cambridge University Press.

Kambuziya, A., & Mobaraki, M. (2013). Lenition in Persian Phonological System. *Research on Humanities and Social Sciences, 3*(17), 83-91.

Kaplan, A. (2010). Phonetic Motivations for Intervocalic Spirantization in Romance. In *5th Conference on Laboratory Approaches to Romance Phonology*.

Kiparsky, P. (1997a). Remarks on denominal verbs. *Complex predicates, 64*, 473-499.

Kiparsky, P. (1997b). The rise of positional licensing. *Parameters of morphosyntactic change, ed. Ans van Kemenade and Nigel Vincent*, 460-494.

Kiparsky, P. (2000). Opacity and cyclicity. *Linguistic review, 17*(2/4), 351-366.

Kiparsky, P. (2003). Syllables and moras in Arabic. *The syllable in optimality theory*, 147-182.

Kiparsky, P., & Fujimura, O. (1973). *Phonological representations*: TEC Company.

Kul, M. (2007). The principle of least effort within the hierarchy of linguistic preferences: External evidence from English. *Unpublished PhD dissertation, Adam Mickiewicz University, Poznań*.

Lewis, A. M. (2001). *Weakening of intervocalic/p, t, k/in two Spanish dialects: Toward the quantification of lenition processes.* PhD thesis. University of Illinois at Urbana-Champaign.

As shown in stratum 1 in (23), candidate (b) has been distinguished as optimal since it is compatible with the *V-AFFRICATE, MAX-IO, and *FORTITION constraints. These constraints, on the other hand, are subject to violations by candidates (a), (c), and (d). Candidate (a) violates the *V-AFFRICATE constraint, even though this candidate is the most faithful output to the input/vod$_3$.dan/, whereas the violation of the same constraint is avoided by candidates (c) and (d) but these candidates are prevented from being optimal because candidate (c) violates the *FORTITION constraint and candidate (d) violates the MAX-IO constraint. The candidates of the input /va$_3$.dan/ undergo evaluation in stratum 2.

Stratum 2: *V-VOICED UVULAR STOP>>SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>*FORTITION>>*GEM>>*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]>>DEP-IO>>*SPIRANTIZATION

/vo$_3$.dan /	***V-VOICED UVULAR STOP**	**SYLLCON**	***V-AFFRICATE**	**MAX-IO**	**SSP**	***VOICED UVULAR STOP-V**	***FORTITION**	***GEM**	***[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]**	**DEP-IO**	***SPIRANTIZATION**
vo$_3$.dan									*		
vo.dan				*!							
vo$_3$. $_3$an								*!			*

In stratum 2 in (24), candidate (a) which is the most faithful output to the input /vo$_3$.dan / has become optimal since it satisfies the MAX-IO and *GEM constraints. Candidate (b) is not selected as optimal due to its violation of MAX-IO. Candidate (c) fails to be optimal due to violation of the *GEM constraint.

To sum up, Stratal, as an OT model, has been revealed as an OT approach that is capable of accounting for opacity with reference to counterfeeding order in Sabzevari. In other words, transparent interaction rules can be analysed using OT models including Classic OT, Correspondence Theory, and Sympathy Theory. However, Classic OT and Correspondence Theory are unable to address opacity. Sympathy Theory could solve the problem of opacity but it still has a problematic issue regarding different sympathy constraints in each level when dealing with opaque rules; this results in proliferation of sympathy constraints according to Kiparsky (2000) and Rakhieh (2009).

5. Conclusion

Spirantization in Sabzevari targets a voiced uvular stop /G/ in the postvocalic position before a voiceless obstruent. This process occurs in a feeding order. The first rule is to devoice /G/ due to the adjacent voiceless obstruent since there is no voice uvular stop in Sabzevari where spirantization could happen. As a result, there is no choice but to devoiced a voiced uvular stop in order to apply spirantization, e.g. */saGf/* 'ceiling'→ devoicing rule *saqf* → spirantization [saχf]. Spirantization also targets a voiced alveo-palatal affricate in the intervocalic

Stratum 2: *V-VOICED UVULAR STOP>>SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>*FORTITION>>*GEM>>*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]>>DEP-IO>>*SPIRANTIZATION

/va$_3$d /	*V-VOICED UVULAR STOP	SYLLCON	*V-AFFRICATE	MAX-IO	SSP	*VOICED UVULAR STOP-V	*FORTITION	*GEM	*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]	DEP-IO	*SPIRANTIZATION
va$_3$d									*		
vad				*!							
va$_{33}$								*!			*

In stratum 2 in (22), candidate (a) is determined as the optimal output of the input /va$_3$d/ since it has no violations of the MAX-IO and *GEM constraints, compared to candidates (b) and (c). Candidate (b) fails to be optimal due to the violation of the MAX-IO constraint while candidate (c) conforms to the MAX-IO constraint but cannot be optimal because it violates the *GEM constraint. The sets of constraints in stratum 1 and 2 are used in the next tableaux to deal with counterfeeding order with reference to the input /vod$_3$.dan/ 'conscience'.

Stratum1: *V-VOICED UVULAR STOP>>SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>*FORTITION>>*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]>>DEP-IO>> *SPIRANTIZATION>>*GEM

/vod$_3$.dan/	*V-VOICED UVULAR STOP	SYLLCON	*V-AFFRICATE	MAX-IO	SSP	*VOICED UVULAR STOP-V	*FORTITION	*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]	DEP-IO	*SPIRANTIZATION	*GEM
a. vod$_3$.dan			!	*							
b. va$_3$.dan								*		*	
c. vad.dan							* !				*
d. vo.dan				* !							

Stratal OT (Kager 1999: 283)

Input

↓

Stratum 1 Gen_1 $Eval_1$

↓

Stratum n Gen_n $Eval_n$

↓

Output

In the representation above, the output of stratum 1 serves as the input of the following stratum. The next tableaux account for counterfeeding order using Stratal OT.

Stratum1: *V-VOICED UVULAR STOP>>SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>*FORTITION>>*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]>>DEP-IO>> *SPIRANTIZATION>>*GEM

/va$_3$d/	***V-VOICED UVULAR STOP**	**SYLLCON**	***V-AFFRICATE**	**MAX-IO**	**SSP**	***VOICED UVULAR STOP-V**	***FORTITION**	***[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]**	**DEP-IO**	***SPIRANTIZATION**	***GEM**
va$_3$d			*!								
va$_3$d								*		*	
vadd							*!				*
vad				*!							

In stratum 1 in (21), candidate (b) is identified as the optimal output of the input /va$_3$d/ 'joy' because it conforms to the *V-AFFRICATE, MAX-IO, and *FORTITION constraints. Candidates (a), (c), and (d) are prohibited from being optimal due to the violations of the constraints that are, on the other hand, satisfied by candidate (b). A postvocalic affricate [d$_3$] in candidate (a) leads to the violation of the *V-AFFRICATE constraint, whereas the violation of the same constraint is avoided by candidate (c) through the fortition of the postvocalic affricate [d$_3$] which consequently results in the violation of the *FORTITION constraint. Candidate (d) complies with the *V-AFFRICATE and *FORTITION constraints by the deletion of the postvocalic affricate [d$_3$]. However, this type of deletion fails to escape from violation of the MAX-IO constraint. The optimal candidate (b) will be shown in the next stratum 2 as the input and its candidates are evaluated in the same stratum.

*** V-VOICED UVULAR STOP>> SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>>*VOICED UVULAR STOP-V>>DEP-IO>>*COMPLEX$_{COD}$>>SPIRANTIZATION>>*GEM**

/va$_3$d /	*V-VOICED UVULAR STOP	SYLLCON	*V-AFFRICATE	MAX-IO	SSP	*VOICED UVULAR STOP-V	*FORTITION	*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]	DEP-IO	*SPIRANTIZATION	*GEM
va$_3$d								*!			
vad				*!							
va$_{33}$										*	*

Tableau (19) shows the inability of Parallel OT to manage phonological opacity since the wrong candidate (c) has been determined as optimal while the optimization of candidate (a), as the desired output, is precluded by the violation of the *[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP] constraint.

The inability of Parallel OT to handle phonological opacity is agreed by several scholars including Idsardi (1997, 2000), Kager (1999), McCarthy (1999), and Kiparsky (2000, 2003). **"**As OT is currently understood, though, constraint ranking and violation cannot explain all instances of opacity. Unless further refinements are introduced, OT cannot contend successfully with any non-surface-apparent generalizations nor with a residue of non-surface-true generalizations**"** (McCarthy 1999:2).

Correspondence Theory, as an output-output faithfulness model, has been criticized by McCarthy (1999) and Kiparsky (2000, 2003). According to McCarthy (1999), this model does not provide a complete solution to the opacity problem. Therefore, it is not useful to adhere to this model in order to account for counterfeeding in Sabzevari.

Sympathy Theory was introduced by McCarthy (1999) as an OT model which could be utilized to solve the problem of opacity. This model has encountered objections from some scholars including Idsardi (1997), Kiparsky (2000), Ito and Mester (2003). For instance, Kiparsky (2000) observes that this model is not appropriate to analyse the opaque interaction of stress and vowel epenthesis in Palestinian Arabic. By using this model, each different opaque process requires a different sympathy constraint which yields a propagation of sympathy constraints (Kiparsky 2000).

In contrast to previous OT models, Stratal OT is devoted to tackling the problems of opacity which have not been solved by Classic OT, Correspondence, or Sympathy Theory, according to Kiparsky (1997a,1997b,2000,2003), Bermúdez-Otero (1999, 2008), McCarthy (1999), and Staroverov (2014). In other words, the Stratal model in OT is considered to be an ad hoc solution to the problems stemming from opaque rules. In this model, according to Kager (1999), the input is directly mapped onto the output. Kager (1999) states that stages between input and output have different sets of OT constraints; there is no unified set of OT constraints. The representation below shows how Stratal OT works.

(transparent rule interactions) since they lead to surface-true generalization and do not require reference to intermediate steps between input and output, compared to *counterfeeding* and *counterbleeding*. In other words, intermediate steps between the input and the output are superfluous when dealing with transparent rule interactions, whereas these steps are required in opaque interactions.

Parallel OT is used to deal with the case of counterfeeding order in (13). Accordingly, the candidates of the input /va□d/ 'joy' undergo analysis in the next tableau:

*** V-VOICED UVULAR STOP>> SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>DEP-IO>>*COMPLEX$_{COD}$>>SPIRANTIZATION>>*GEM**

/vad$_3$d/	***V-VOICED UVULAR STOP**	**SYLLCON**	***V-AFFRICATE**	**MAX-IO**	**SSP**	***VOICED UVULAR STOP-V**	***FORTITION**	***[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]**	**DEP-IO**	***SPIRANTIZATION**	***GEM**
vad$_3$d			*!								
vad$_3$d								*		*	
vadd							*!				*
vad				*!							

Tableau (18) determines candidate (b) as optimal since it has no violations of the *V-AFFRICATE, MAX-IO, or *FORTITION constraints. The *V-AFFRICATE constraint is subject to violation by candidate (a). As a result, this candidate is prevented from being optimal. The same constraint, on the other hand, is satisfied by candidates (c) and (d). Candidate (c) avoids the violation of the *V-AFFRICATE constraint through a regressive assimilation which targets the postvocalic affricate [d$_3$]. However, this type of assimilation results in the violation of the *FORTITION constraint. Therefore, this candidate fails to be optimal. Candidate (d) sees the deletion of postvocalic affricate [d$_3$] in order to conform to the *V-AFFRICATE and *FORTITION constraints. Unfortunately, this candidate does not comply with the MAX-IO constraint against any type of deletion. For this reason, this candidate cannot achieve optimization.

Tableau (18) shows that Parallel OT can account for the first rule in the counterfeeding order in (13). The same set of constraints is used to account for the second rule in the same counterfeeding order by evaluating the candidates of the input /va$_3$d/.

constraints are subject to violation by candidates (a), (b), (c), and (e). For instance, candidate (a) and (c) violate the *V-VOICED UVULAR STOP. Consequently, these candidates are eliminated from being optimal. The constraint ,*V-VOICED UVULAR STOP, however, is satisfied by candidate (b) through the devoicing of [G] which is, in turn, violates the SSP constraint due to the second member of the final consonant cluster [f] being more sonorous than the member closest to the nucleus [q]. Therefore, sonority rises again in the coda position. Likewise, candidate (e) avoids the violation of the *V-VOICED UVULAR STOP constraint through the deletion of [G] which consequently results in the violation of the MAX-IO constraint. The same set of constraints is used to analyse the candidates of the input /taG.sir/ 'guilty' in the next tableau:

*** V-VOICED UVULAR STOP>> SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>> *VOICED UVULAR STOP-V>>DEP-IO>>*COMPLEX$_{COD}$>>SPIRANTIZATION>>*GEM**

/taG.sir/	*V-VOICED UVULAR STOP	SYLLCON	*V-AFFRICATE	MAX-IO	SSP	*VOICED UVULAR STOP-V	*FORTITION	*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]	DEP-IO	*SPIRANTIZATION	*GEM
taG.sir	*!										
taG.Gir	*!										*
taq.sir		*!					*				
d. taχ.sir										*	
e. ta.sir				*!							

Candidate (d) is distinguished in tableau (14) as the optimal output because it avoids the violations of *V-VOICED UVULAR STOP, MAX-IO, and SYLLCON constraints, compared to the rest of the candidates. Candidates (a) and (b) violate the *V-VOICED UVULAR STOP constraint. Therefore, these candidates fail to be optimal. The violation of the same constraint is avoided by candidate (c) through the devoicing of [G]. However, the violation of the SYLLCON constraint prevents candidate (c) from being assigned as the optimal output since the sonority in this candidate consequently rises across the syllable boundary; the coda of non-final syllable [q] is less sonorous than the onset of the following syllable [s]. Candidate (e) fails to avoid the violation of the MAX-IO constraint. For this reason, it cannot be determined as optimal.

According to tableaux (16) and (17), Parallel OT can effortlessly account for feeding, as a transparent rule interaction, because feeding interaction yields surface-true generalization. Therefore, the intermediate derivational stage is unnecessary. This statement is supported by McCarthy (2007:103) and Rakhieh (2009:24) who agree on Parallel OT being able to deal with *feeding* and *bleeding* interactions

OT constraints:

a. DEP-IO (McCarthy & Prince 1995):
Every segment of S_2 has a correspondent in S_1 (S_2 is "dependent on" S_1).

b. *FORTITION
This constraint is against changing segments from a fricative to stop, an approximant to a fricative, or a voiced to a voiceless sound.

c. *GEM (Boudlal, 2001)
Geminates are not prohibited.

d. MAX-IO (McCarthy & Prince 1995):
Every segment of S_1 has a correspondent in S_2.

e. SONORITY SEQUENCING PRINCIPLE (SSP) (Roca 1994):
The sonority profile of the syllable must slope outwards from the peak.

f. *SPIRANTIZATION
Stops and affricates should not be changed to fricatives (fricativization).

g. Syllable Contact (SYLLCON) (Bat El, 1996:302)
The onset of a syllable must be less sonorous than the last segment in the immediately preceding syllable, and the greater the slope in sonority the better.

h. *V-AFFRICATE
Post-vocalic affricates are prohibited.

i. *[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]
A fricative should not be followed by a voiced stop.

j. *VOICED UVULAR STOP-V
A voiced uvular stop is prohibited in the onset.

k. *V-VOICED UVULAR STOP
A voiced uvular stop is prohibited in the post-vocalic position.

The candidates of the input /saGf/ 'ceiling' are evaluated in the following tableau:

*** V-VOICED UVULAR STOP>>SYLLCON>>*V-AFFRICATE>>MAX-IO>>SSP>>*VOICED UVULAR STOP-V>>*FORTITION>>*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]>>DEP-IO>> *SPIRANTIZATION>>*GEM**

/SaGf/	*V-VOICED UVULAR STOP	SYLLCON	*V-AFFRICATE	MAX-IO	SSP	*VOICED UVULAR STOP-V	*FORTITION	*[VOICED FRICATIVE] [VOICED STOP]	DEP-IO	*SPIRANTIZATION	*GEM
saGf	*!										
saqf					*!		*				
saGG	*!										*
d. saχf										*	
e. saf				*!							

Tableau (16) identifies candidate (d) as the optimal output of the input /saGf/ since it satisfies highly-ranked constraints including *V-VOICED UVULAR STOP, MAX-IO, and SSP. these

$$\begin{bmatrix} +\text{ voice} \\ +\text{ delay release} \\ -\text{ continuant} \\ +\text{ consonant} \\ -\text{ sonorant} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{ voice} \\ -\text{ delay release} \\ +\text{ continuant} \\ +\text{ consonant} \\ -\text{ sonorant} \end{bmatrix} \text{ / Nucleus } _____$$

The second rule, spirantization, counterfeedss the first rule, voicing, in order to achieve the surface form. For instance, the output [va$_3$d] of the input /va$_3$d/ 'joy' is derived by the second rule, spirantization, which counterfeeds voicing, as the first rule. Consider the counterfeeding order:

Counterfeeding Order in Sabzevari

Underlying	a. /va$_3$d/ 'joy'	b. /vod$_3$.dan/ 'conscience'
Voicing rule:	-	-
Spirantization Rule:	va$_3$d	vo$_3$.dan
Surface	[va$_3$d]	[vo$_3$.dan]

Here, unlike the feeding order in (10), the second rule, spirantization, counterfeeding the first rule, voicing, applied too late to create environment for the second rule. Counterfeeding in (13) is considered to be one of the opaque rule interactions while feeding in (10) is a transparent rule interaction. According to Kiparsky (1973:79), phonological opacity originates from *counterfeeding* and *counterbleeding* interactions, as shown in (14):

Opacity definition (Kiparsky 1973:79)
A phonological Rule *P* of the form *A*→*B*/ *C*_____*D* is opaque if there are surface structures with any of the following characteristics:

a. instances of *A* in the environment *C*_____*D*,
b. instances of *B* derived by *P* that occurs in the environments other than *C*_____*D*.

Within the definition of opacity in (14), the statement (14.a) refers to counter feeding, also known as *over application opacity* while (14.b) is attributed to counter bleeding, termed as *under application opacity*. According to Baković (2011), counter feeding and counter bleeding are inverses of transparent rule interactions, feeding and bleeding, where counter bleeding would be bleeding if the two rules B and A were ordered in the opposite way while counter feeding would feeding if the two rules B and A were in the opposite order (Baković 2011). The next section is devoted to analyse Phonological derivations yielded by spirantization in Sabzevari using OT.

4. The Analysis of Spirantization and Derivations in Sabzevari Using OT.

Parallel OT can effortlessly deal with the case of feeding in (10) because the input can be mapped onto the output without adhering to intermediate steps between the input and output.(1) To demonstrate, the candidates of the input /saGf/ 'ceiling' undergo analysis of Parallel OT in the next tableau using the constraints below:

(1) Rakhieh (2009:24) states that transparent rule interactions including *feeding* and *bleeding* can be dealt with using Parallel OT since the input can be mapped onto the output with no reference to intermediate steps between them, compared to opaque processes such as *counter feeding* and *counter bleeding*.

The changing of the voiced uvular stop /G/ to a voiceless uvular fricative [χ] is a two-step process. The first rule creates the environment where the second rule is applied i.e. feeding order. The first rule is the devoicing of /G/ when it is adjacent to a voiceless consonant. This rule is shown in (8) below:

Devoicing Rule:

$$\begin{bmatrix} +\text{voice} \\ +\text{pharyngeal} \\ -\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} -\text{voice} \\ +\text{pharyngeal} \\ -\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} / _____ \begin{bmatrix} -\text{voice} \\ +\text{consonant} \end{bmatrix}$$

The second rule, spirantization, is applied to devoiced consonants that follow a nucleus (vowel) as shown below:

Spirantization Rule:

$$\begin{bmatrix} -\text{voice} \\ +\text{pharyngeal} \\ -\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} -\text{voice} \\ +\text{pharyngeal} \\ +\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} / \text{Nucleus}_____$$

The first rule, devoicing, feeds into the occurrence of the second rule, spirantization. This derivation is explained in (10):

Feeding Order in Sabzevari

Underlying	/saGf/	'ceiling'
Devoicing Rule:	saqf	
Spirantization Rule	saχf	
Surface	[saχf]	

A voiced alveo-palatal affricate in Sabzevari is changed to a voiced alveo-palatal fricative through two processes, voicing and spirantization rules. This type of spirantization is also found in other languages including Tuscan Italian (Marotta (2008) and Yem (Gramoa 2012), as discussed in section 2. The voicing rule in Sabzevari is shown below:

$$\begin{bmatrix} -\text{voice} \\ +\text{delay release} \\ -\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} \rightarrow \begin{bmatrix} +\text{voice} \\ +\text{delay release} \\ -\text{continuant} \\ +\text{consonant} \\ -\text{sonorant} \end{bmatrix} / _____ \begin{bmatrix} +\text{voice} \\ +\text{consonant} \end{bmatrix}$$

The second rule, spirantization, targets a voiced alveo-palatal affricate that comes after a nucleus, as shown below:

a. CV b. CVV c. CVC d. CVVC e. CVCC

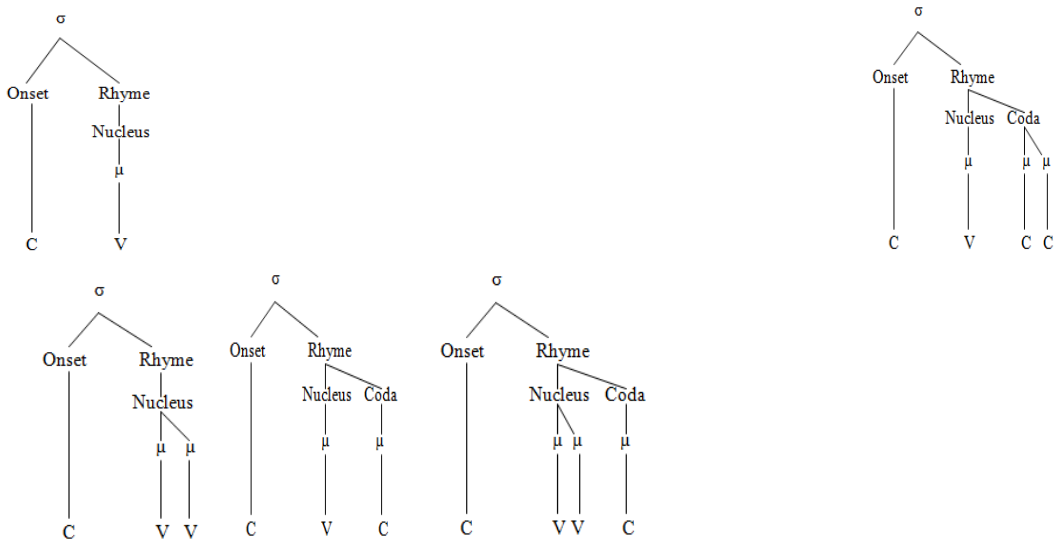

As shown in (6), onsets and nuclei are found in every syllable type in Sabzevari, unlike codas. A bi-consonant cluster is permitted in the coda position, while it is not tolerated in the onset position. With regard to the weight of syllables, moraicity (syllable weight unit) is counted from nuclei and codas but does not extend to onsets because they are weightless. For instance, there is one mora linked to a nucleus in the CV syllable. Therefore, this syllable is deemed light while the two moras found in the CVV and CVC syllable make them heavy syllables. The two moras in the CVC syllable are linked to a nucleus and a coda, while the long vowel in the CVV syllable fills two slots which are linked to two moras. The syllable types CVVC and CVCC are known as trimoriac syllables since they have three moras assigned to nuclei and codas. For instance, in the CVVC syllable, three moras are linked to a long vowel nucleus and a coda. The CVCC syllable has three moras linked to a single nucleus and a complex coda, i.e. a final consonant cluster. Now that Sabzevari syllable structure is clear, the next section addresses spirantization and phonological derivations in this dialect with reference to Parallel and Stratal OT.

3. Spirantization and Derivations in Sabzevari

As discussed in the literature review, spirantization is known as the process of fricativization of plosives mostly with reference to the works of Sheffer (1995), Temkin Martínez (2008), Gabbard (2010), Kaplan (2010),Garoma (2012), and Kambuziya and Mobaraki (2013). Kambuziya and Mobaraki (2013) conducted a study on Sabzevari dialect in which they state that fricativization in Sabzevari targets the voiced uvular stop /G/; this consonant is changed to a voiceless uvular fricative /χ/. Consider the following examples:

	Standard Persian	Sabzevari dialect	Meaning
a.	/naG ʃ e/	[naχ ʃ e]	‘map’
b.	/saGf/	[saχf]	‘ceiling’
c.	/taGsir/	[taχsir]	‘guilty’
d.	/naG ʃ /	[naχ ʃ]	‘figure’

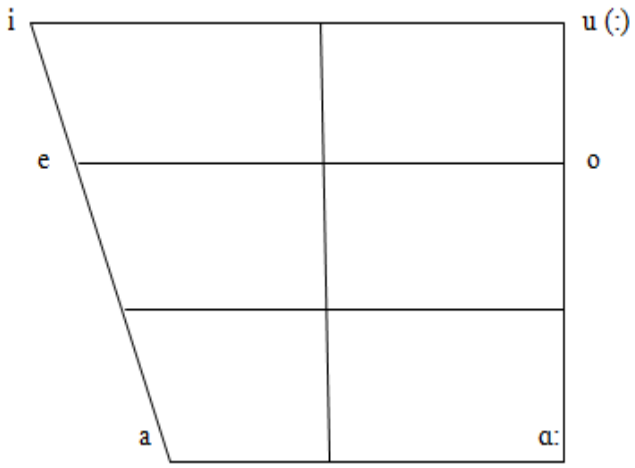

Sabzevari has also seven diphthongs, /ay/,/αy/, /ey/, /oy/, /aw/, /uy/, and /ow/. These diphthongs are illustrated in the following examples:

(2)

a.	/may/	'wine'
b.	/pey.van/	'link'
c.	/doy.yom/	'second'
d.	/kaw ʃ/	'shoe'
e.	/dem.pyi/	'slipper'
f.	/tow/	'fever'
g.	/mur.buy/	'Morbouy (A desert plant with yellow flowers)

In conclusion, the total number of vowels in Sabzevari is 14; 5 short vowels and 2 long vowels plus 7 diphthongs. After demonstrating consonants and vowels in this dialect, the next section is devoted to syllable structure in Sabzevari.

3.3 Sabzevari Syllable Structure

Syllable structures in Sabzevari are divided into light, heavy, and superheavy. For instance, a light syllable is of the form CV while heavy syllables are of the forms CVC and CVV. Superheavy syllables are CVVC, CVCC, and CVVV. Accordingly, this dialect allows simple onsets as in Standard Persian (Elwell-Sutton 1976 and Hayes 1979). Simple and complex codas are optional in Savbzevari since there are some syllables that lack this constituent including CV, CVV, and CVVV. Nuclei either simple or complex are obligatory in Sabzevari syllable structures. Regarding the weight of syllables, the syllable CV is light because a nucleus is assigned with one mora (syllable weight unit). CVV is a heavy syllable since it has two moras linked to its nuclei. Likewise, two moras are linked to the nucleus and the coda of a CVC syllable. This shows that CVC and CVV are heavy because they are bimoraic, compared to CV as a monomoraic syllable. Superheavy syllables including CVVC, CVCC, and CVVV are trimoraic, i.e. having three moras. Consider the following representations:

sonorants. Obstruents are represented by stops, fricatives, and manners, whereas sonorants are nasals, till, lateral, and glide. Consider the following examples below:

Standard Persian	Sabzevari dialect	Meaning
/pune/	/pina/	'Pennyroyal'
/baha:r/	/boha:r/	'spring'
/tonba:n/	/tembo/	'pants'
/domal/	/dembal/	'abscess'
/keta:b/	/kota:b/	'book'
/goftam/	/koftom/	'I said'
/ʔa:taʃ/	/ʔalaʃ/	'fire'
/tʃarb/	/tʃarob/	'fat'
/dʒen/	/dʒend/	'Jinn'
/vazn/	/vazen/	'weight'
/sevvom/	/sejjom/	'third'
/zohr/	/zoher/	'noon'
/henel/	/ʃener/	'mantle'
/vadʒd/	/vaʒd/	'joy'
/χa:ne/	/χana/	'home'
/hame/	/hamma/	'all'
/magar/	/mege/	'unless'
/naqʃe/	/neχfa/	'map'
/donba:l/	/domba:l/	'trace'
/rande/	/randa/	'grate'
/ja?ni:/	/ja:ne/	'that is'
/raf.tam/	/be.raf.tum/	'I went'

After demonstrating the consonant inventory in this dialect, the next subsection presents the vowels found in Sabzevari.

3.2 Vowel Inventory in Sabzevari

The dialect has 5 short vowels, /i/, /e/, /a/, /o/, and /u/, and 2 long vowels, /u:/, and /ɑ:/ (Aldaghi & Tavakoli 2011). Consider the following examples:

a. /busi/ 'kissed'
b. /bezg:t/ 'ill-natured'
c. /tʃu/ 'wood'
d. /ʒdo/ 'soul'
e. pahen/ 'wide'
f. /dombq:l/ 'trace'
g. /bu:m/ 'roof'

Long and short vowels in Sabzevari are shown in the vowel chart below:

(2013) agree that a voiced uvular stop /G/ that is adjacent to a voiceless stop is transmitted to a voiceless uvular fricative [χ] through two phonological rules, i.e. assimilation plus lenition. The tendency of assimilation is to change a voiced uvular stop /G/ to a voiced uvular stop [q]. Lenition which targets a voiceless uvular stop /q/ results in a voiceless uvular fricative [χ]. These processes are known as feeding order. With respect to Kambuziya and Mobaraki (2013), fricativization in Sabzevari can also be shown in the change from affricates to fricatives, e.g., /va d_3/→ [va$_3$d] 'Joy'. Marotta (2008) states that palatal affricates / d_3 / and /t*ʃ*/ spirantize in the postvocalic position (intervocalic in traditional terminology) with reference to Tuscan Italian, e.g., /a,mid$_3$fi/→[a□mi:fi] 'friends', /a d_3 t*ʃ* nte/→[a□3ɛɛɛnte] 'agent'. Likewise, Gramoa (2012) notes that spirantization is applied to affricates that come before fricatives, e.g. /ʔačeč-sa/→ [ʔačessa] 'fourth'. Here, the consonant /č/ that is adjacent to a fricative /s/ undergoes a regressive assimilation. Therefore, the /č/ consonant spirantizes as [s] in the surface form. Up to now, researchers have not accounted for this phenomenon using Parallel or Stratal OT in order to analyse the stages or levels between the underlying form /G/ and the surface form [χ]. Therefore, this paper aims to shed light on these phonological processes.

2. Sabzevari Dialect

Sabzevari dialect is one of the varieties of Persian spoken in Sabzevar which is located in Northeast Iran, in Khorasan Razavi province. Sabzevar is bounded by the Joghatay Mountains on the north and Koomish on the south. Sabzevari dialect is spoken by most people in Sabzevar and neighboring villages, whereas varieties of Turkish and Kurmanjj are prevalent in more northern Villages (Aldaghi & Tavakoli 2011).

3.1 Consonant Inventory in Sabzevari

The 23 consonants of Sabzevari are gathered in the table below:

(1) Manner and place of articulation of consonants in Sabzevari

	bilabial	**labio-dental**	**dental**	**alveolar**	**post-alveolar**	**palatal**	**velar**	**uvular**	**pharyngeal**	**glottal**
Stops	p b		t d				k g	q		ʔ
Fricative		f v		s z	ʃ 3			χ	ħ ʔ	h
Affricate					tʃ d_3					
Nasal	m			n						
Trill				r						
Lateral				l						
Glide						j				

In table (1), consonants in Sabzevari are organized according to their places and manners of articulation. The places of articulation are set horizontally while the manners of articulation are set vertically, depending on the degree of sonority and the degree of obstruction formed by articulators. For instance, with regard to manners of articulation, stops are the first group due to the degree of sonority as well as the obstruction; these consonants are the least sonorous and they form full blockage by articulators. A glide, on the other hand, is as a semivowel, is the most sonorous and neither forms full obstruction nor partial obstruction by articulators. In other words, articulators approach each other but they form no obstruction. Accordingly, with reference to the manners of articulation, it is possible to divide consonants into two groups: obstruents and

Introduction

Lenition (weakening), according to Trask (2000) and Lewis (2001), is any phonological change in which a strong segment becomes less consonant-like. This phonological change has various processes including voicing, devoicing, flapping, gliding, degemination, deaspiration, loss (deletion), and so on (Grenon 2005). Cross-linguistically, one of the widespread lenition processes which will be discussed in this study is known as ***spirantization***, i.e. fricativization. Spirantization has aroused the attention of scholars who focus on segmental phonology. Some of them argue that spirantization is a process which conducts the change of plosives to fricatives with no change to the place of articulation while others believe that this process is relevant to the change from plosives to glides regardless of place of articulation. Some studies suggest that spirantization is merely the change of affricates to fricatives which belong to the same place of articulation. These statements are discussed in detail in the next section.

This paper aims to investigate spirantization and phonological derivations in Sabzevari dialect using both Parallel and Stratal OT in order to decide which version of OT is capable of accounting for phonological derivations in this dialect. Furthermore, the second aim of this paper is to illuminate whether spirantization is restricted to the transmission from plosives to fricatives or whether it extends to approximants with reference to Sebzevari dialect. To achieve these aims, it is important to address the following questions: **"**To what extent is spirantization applied in Sabzevari dialect?**"** and **"**How can we account for phonological derivations resulting from spirantization using OT?**"**

In the next section, I will introduce some previous studies that have addressed spirantization cross-linguistically. Following that is a section providing background knowledge about the phonology of Sabzevari. The fourth section involves the analysis of spirantization and phonological derivations in light of Parallel and Stratal OT in order to determine which model is able to account for phonological derivations resulting from this process, i.e. transparent vs. opaque rule interactions. The final section, the conclusion, gives a summary of this paper and its findings.

1. Literature Review

The spirantization of obstruents has been considered by scholars including Sheffer (1995), Yu (1995), Kul (2007) Martínez-Celdrán (2008), Temkin Martínez (2008), Gabbard (2010), Kaplan (2010), Garoma (2012), and Kambuziya and Mobaraki (2013). Yu (1999) states that spirantization is merely transforming a stop consonant to a weak fricative or an approximant, e.g., /d/→ [ð] or /d/→ /l/. This suggests that spirantization is not restricted to the lenition of a stop to a weak fricative, rather it can involve changing plosives to approximants such as [l] or [w]. According to Kul (2007), spirantization functionally reduces a stop to a fricative or an approximant, e.g. *tee* /t̲i:/→ [f̲i:]. Despite the fact that the term *spirant* is a synonym of *fricative*, Martínez-Celdrán (2008) claims that the use of the term *spirant* for fricative is obsolete: The true meaning of *spirantization* is a process of weakening where a plosive merely turns into a spirant approximant rather than a fricative. According to Martínez-Celdrán (2008), there would be no weakening if a plosive turned into a fricative. His point of view is based on the idea that the traditional confusion between approximants and fricatives originates from the claim that spirantization is a change from a plosive to a fricative, while he believes that spirantization is a change from a plosive to an approximant.

Conversely, spirantization is cross-linguistically restricted to the transforming of plosives into fricatives, according to Sheffer (1995), Temkin Martínez (2008), Gabbard (2010), Kaplan (2010), Garoma (2012), and Kambuziya and Mobaraki (2013). Sheffer (1995) demonstrates some issues of spirantization in Hebrew and observes that this process is limited to stop consonants and their environments. For instance, the transformation of stop consonants to fricatives occurs when these consonants are in the prevocalic and postvocalic positions. Temkin Martínez (2008) presents spirantization in Modern Hebrew and notes that prevocalic and postvocalic stops undergo spirantization in this variety of Hebrew, e.g. /pizer/→ [**f̲**izer] 'scattered', /katab/→ [kata**v̲**] 'wrote'.

However, this process is not restricted to prevocalic and postvocalic position, but also targets voiced plosives in the intervocalic position. This statement is supported by Gabbard's (2010) work on the phonology of Somali, which states that plosives /b/,/d/,g/, and /q/ spirantize as fricatives [β],[ð],[y], and [8], e.g. /la:b/→ [la:βo] 'chest'. Gabbard's (2010) analysis of spirantization in Somali is supported by Kaplan (2010) whose study on intervocalic lenition notes that intervocalic stops undergo spirantization. In other words, intervocalic stops are transmitted to fricatives which have the same place of articulation, e.g., /VPV/→ [VfV], /VbV/→ [VβV]. Likewise, Graoma (2012) who has worked on the phonology of Yem states that spirantization is applied to non-fricative sounds in the intervocalic position to change them to fricatives, e.g. /karaba/→ [karaβa] 'blackness'.

On the other hand, Kambuziya and Mobaraki

الاحتكاكية في الأصوات الساكنة والاشتقاقات الفونولوجية في اللهجة السبزوارية الفارسية: الطبقية أو التوازي في النظرية التفاضلية

مفلح القحطاني

الأستاذ المساعد بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١١/ ١٢/ ١٤٣٧هـ؛ وقبل في ١/ ٦/ ١٤٣٨هـ)

الكلمات المفتاحية: اللهجة السبزوارية، الاحتكاكية، التوازي والطبقية في النظرية التفاضلية، معاكسة الاتصال.

ملخص البحث: تناقش هذه الدراسة العلاقة بين الاحتكاكية في الأصوات والاشتقاقات الفونولوجية في اللهجة السبزوارية والتي يُتحدث بها في إقليم سبزوار الواقع في شمال شرق إيران. هذه العلاقة تُحلَّل باستخدام نموذجين من نماذج النظرية التفاضلية؛ لمعرفة أيٍّ من هذين النموذجين قادر على تفسير الاشتقاقات الفونولوجية الناتجة عن الاحتكاكية في الأصوات في اللهجة السبزوارية الفارسية. لذلك كان الهدف من هذه الدراسة هو توضيح النموذج الأمثل من نماذج النظرية التفاضلية القادر على تحليل الاشتقاقات الفونولوجية، إمَّا التوازي أو الطبقية. وجُمِعت المعلومات لهذه الدراسة من مصادر عدة منها: بعض الكتب والمقالات والرسائل العلمية. وتتلخص هذه الدراسة في أنَّ الاحتكاكية في الأصوات في اللهجة السبزوارية تطبق على الصوت الساكن الحلقي الجهوري الذي /G/ المجاور للأصوات الساكنة المهموسة. بمعنى الاحتكاكية للصوت الساكن الحلقي الجهوري /G/ يحصل عن طريق القوانين الفونولوجية المتتابعة كالتجريد من الجهورية والاحتكاكية. إذ يهيئ قانون التجريد من الجهورية البيئة؛ لتطبيق قانون الاحتكاكية وهذا ما يُسمَّى بالاشتقاق الافتراضي. وهناك جانب آخر من الاحتكاكية والذي يضم تحويل الصوت الجهوري المركب /ʒ/ إلى الصوت الجهوري الاحتكاكي [dʒ] من خلال قانون التجهير وقانون الاحتكاكية، إذ إنَّ القانون الثاني الاحتكاكية، يعمل على منع تطبيق القانون الأول، التجهير، وهذا ما يُسمَّى بمعاكسة الاتصال. ويعدُّ التوازي في النظرية التفاضلية ذا قدرة على تحليل الاشتقاق الافتراضي المتمثل بتحويل الصوت الساكن الجهوري إلى الصوت الحلقي المهموس [x]، ولكن ليس بقدرة التوازي في النظرية التفاضلية.

حل مشكلة الغموض (الكمدة)، والتي تتمثل في تحويل الصوت الجهوري؛ المركب /dʒ/ إلى الصوت الجهوري الاحتكاكي [ʒ] لهذا السبب تعدُّ الطبقية في النظرية التفاضلية الحل الوحيد لتحليل هذا الغموض في اللهجة السبزوارية.

Journal of Arts, Vol. 30, January (1), pp1-18 , king Saudi University, Riyadh (2018 /1439H.)

Spirantization and Phonological Derivations in Sabzevari Persian: Parallelism or Stratalism in Optimality Theory

Mufleh Alqahtani

Assistant Professor in Theoretical Linguistics (Phonology), Department of English Language , College of Arts , King Saud University

(Received 11/12/1437H; Accepted for publication 1/6/1438H)

Keywords: Sabzevari dialect; Spirantization; Parallel and Stratal OT; feeding; counterfeeding.

Abstract: This study discusses the relationship between spirantization and phonological derivations in Sabzevari dialect, which is spoken in the Sabzevar area of Northeast Iran. This relationship is accounted for using Parallelism and Stratalism in Optimality Theory (OT) in order to determine which OT model can best address the phonological derivations found in spirantization in that dialect. Therefore, the purpose of this research is to illuminate whether Parallel OT is capable of the analysis of phonological derivations or alternatively whether Stratal OT can be used. The data of this study were taken from extant literature including books, theses, and articles. The data were undergone analysis using Optimality Theory, as a framework. Also, I referred to some videos on YouTube peculiar to this dialect and its speakers in order to verify the data that have been already gained from extant literature. This paper concludes that spirantization in Sabzevari dialect targets voiced uvular stop /G/ adjacent to voiceless obstruents; the spirantization of /G/ is accomplished by two phonological rules, devoicing and spirantization where the first rule, devoicing, is feeding the second rule, spirantization, i.e. feeding order. Another aspect of spirantization in this dialect includes the change of a voiced alveopalatal affricate /d_3/ to a voiced alveopalatal fricative [3] through two phonological rules, voicing and spirantization, where the second rule, spirantization, counterfeeds the first rule, voicing, i.e. counterfeeding order. While Parallel OT can effortlessly account for the feeding order shown in the spirantization of a voiced uvular stop /G/, this model fails to account for the counter feeding order shown in the spirantization of a voiced alveopalatal affricate / d_3/, since counter feeding order requires reference to intermediate steps between the input and output. Therefore, Stratal OT is demonstrated as an ad hoc solution to the opacity problem in Sabzevari, i.e. counter feeding.

- **A Conversation Analysis of Address Terms in Broadcast Interviews**

  Abdulrahman Al-Fahad *198*

- **The Role of Mass Communication in the Parliamentary Elections' Campaigns in the Kingdom of Bahrain in 2014: A Field Study**

  Ali Ahmed Abdullah ; Shoaib Abdelmoneim Elghobashy *220*

English Section

Articles:

- **Spirantization and Phonological Derivations in Sabzevari Persian: Parallelism or Stratalism in Optimality Theory**

  Mufleh Alqahtani *1-18*

Contents

Arabic Section

Articles:

- **The Speech Act of Compliment: A Study of Syntactic Constructions and Expressional «Styles Used on Facebook standard science»**

  Hatem Obid ; Zekra Al kabeli 4

- **«Very sorry, my friend»: apologize methods the Arabic language learners**

  Mohammed Nasser Ali Al-Reyashi 32

- **Reflection of Khayyam opinions in Al-Talasim ode from Elia Abu Madi**

  Amin Mogadasi ; Sabri Ahmadian ; Abubakr Mahmoudi 68

- **The Manifestations of the Syntax Theory for Commentatars: An Empircal Syudy on The Adjectival Styles in The Quranic Context**

  Ali Salama Abdel Halim Abu Sharif 90

- **The Formation of Language: In Erwa bin Hezam's Poetry**

  Horia Mohammed Alotaibi 114

- **«Yousuf Alkhal's role in the Critical Modernity Movement»**

  Adnan Ali Mohammad Al Shriem 142

- **"The Palm Tree and the Camel": A critical Reading**

  Omar AbdullAziz Alsaif 162

d. Footnotes are exclusively used for explanatory comments. They must be referred to through upper case serially ordered numbers inside the text. References in footnotes, whenever necessary, must be mentioned in the same way as in the text, i.e. through the author's surname followed by the date of publication. Footnotes must be inserted under a line at the bottom of every page.

8. It is the Authors' duty to ensure that papers are written in good style before submission, with no typos or grammatical mistakes.
9. Material Published in the Journal do not necessarily express King Saud University's policy.
10. Authors are provided with 25 free copies of their published papers.

Publication Procedures:

- Papers are electronically submitted through the Journal's website, under the icon "request for publication", by filling the requested forms according to the given steps. Papers submitted in a printed form or through e-mail are not accepted.
- Submission of the paper through the Journal's website is an automatic pledge by the author/authors that the paper has not been, is not, and will not be submitted for publication in any other journal until completion of the present refereeing procedures.
- The Journal's Editorial Committee reserves the complete right for a preliminary reviewing of articles submitted, before deciding if they are suitable for refereeing or be rejected.
- All papers accepted by the Journal's Editorial Committee are subject to confidential scientific refereeing.
- Papers are submitted for refereeing by two experts in the field. If the latter's ruling is different, papers will be sent to a third referee whose decision is final.
- Papers for which amendments are required by the referees are sent back to authors for changes.
- Once a paper is accepted, it must be published in no other journal, whether electronically or in paper form, without a written permission by the Journal's Editor in Chief.
- Authors of papers rejected are informed of the decision without explaining the reasons thereof.

4. No mention of the Author›s (or Authors›) name or any references thereto are accepted inside the paper or any of its footnotes or list of references. The term Author (or Authors) may be used instead.

5. Each paper must include a list of Keywords (six at most) defining its subject and major issues. This list must follow the Author›s CV and precede the Arabic and English abstracts.

6. Norms of the World List of Scientific Periodicals must be used for abbreviations related to the names of periodicals and to international unit systems (e.g. cm, mm, m, km, cm2, ml, mg, kg, etc.)

7. References must be cited not through footnotes but within the text through (authors› names and date of publication). Each paper must be followed by an alphabetical list of references, with Arabic and non-Arabic sources listed separately. Bibliographical data must be mentioned as follows:

   a. the author›s name and date of publication, between brackets, inside the text; and the author›s surname followed by his first and other (fully or abbreviated) names written in black characters, in the reference list, followed by the book title in italics, the edition, place and date of publication (e.g. Al Misri, Wahid Atia. *Introduction to Bio-Operation Engineering*. Riyadh: King Saud University, 1425 AH).

   b. Papers are cited through the author's name and date of publication, between brackets, inside the text; and the author's surname followed by his first and other (fully or abbreviated) names written in black characters, in the reference list, followed by the full paper title between quotation marks, the name of the periodical, abridged and in italics, the volume number, the issue number (between brackets), and the year of publication (also between brackets).(e.g. Faqiha, Anis Ibn Hamza. "The modeling of a highly volatile compound". *King Saud University Journal (Engineering Sciences),* vol. 15, no (1), (2003), 13-27.

   c. If the reference is an unpublished thesis, it must be included in the list of references under the Author's surname followed by his first and other names, the thesis title, degree for which it was submitted, the country, department, college, university and year of submission. (e.g. Al-Kinani, Dhafer Mushabib: The self in ancient Arabic Literary Criticism, a PhD thesis, Saudi Arabia, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, 1430 AH).

Publication Regulations

The Journal of Arts accepts previously unpublished papers, written in both English and Arabic, in the fields of arts and humanities, namely in: communication studies, history, geography, social studies, Arabic language and literature, English language and literature, library and information sciences.

Material received is published under the following sections:

- **Research papers:** this section includes original papers prepared in specialized academic subjects related to the Journal's fields of interest and must represent an addition to the field.
- **Interventions:** this section consists of brief scientific essays written in specific subjects predetermined by the Journal and published under the rubric "Topic of the Issue".
- **Critical reviews:** this includes a number of critical synopses of books, papers, and scientific articles.
- **Reports:** this section includes reports on conferences, symposia and similar academic events related to the Journal's fields of interest.
- **Theses abstracts:** under this section, the Journal publishes abstracts of Master and PhD theses related to its fields of interest and which have a special methodological and practical value as to their approach and results.

Instructions to authors:

1. Papers submitted must not exceed (10 thousand) words, including both the Arabic and English abstracts, as well as the list of references. Interventions, reviews, reports, synopses, and theses abstracts must not exceed (6 thousand) words.
2. Every material submitted for publication must include an Arabic and English abstract not exceeding (200 words) each.
3. Details of the author›s CV (name, position, department, college, university, as well as the title of the paper) must be included in both Arabic and English, on a separate sheet, introducing the paper.

Correspondence

Journal of Arts - College of Arts
P.O. Box 2456, Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel. : 011-4675408, Fax. : 011-4675402

E-mail: arts-mag@ksu.edu.sa

Website: http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts

Subscription and exchange

King Saud University Press, King Saud University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

P.O. Box: 68953, Postal Code: 11537

Price per issue: 15 SAR or its equivalent (excluding postage).

Journal of Arts

The Journal of Arts is a refereed periodical journal, published by King Saud University; three times a year in January, May and September.

It Publishes manuscripts, in both Arabic and English languages, that have not been previously published. Those include Researches, Reviews, scientific conferences and symposia reports, and theses abstracts, in the fields of: media, history, geography, social studies, Arabic language and literature, English language and literature, Library and Information Science.

The first volume was published under the title "Journal of the Faculty of Arts" in the year 1390 AH/1970. It continued annually until turned into a half-yearly since Volume XI In 1409 AH/1989, and the title was changed to "Journal of King Saud University: Arts".

Since Jumada 2th 1434H (May 2013), the journal publishing frequency has increased to become thrice a year.

Vision

To be a leading journal that is classified among the most famous international databases specialized in publishing refereed research in Arts and Humanities.

Mission

Publishing refereed researches in accordance with distinguished professional international standards in Arts and Humanities.

Objectives

1- To be an academic reference for researchers in Arts and Humanities.
2- Meeting the needs of researchers at the local, regional and international levels for publishing in Arts and Humanities.
3- Contributing to building the knowledge-based society through publishing high quality research of Arts and Humanities that would contribute to the development and progress of the society.

Journal of Arts

Refereed Scientific Periodical, published by King Saud University

Advisory Board

Prof. Bassiouni Hamada
Cairo University

Prof. Houcine Abdel-Aziz Loued
Tunis University

Prof. Suleiman bin Abdul-Rahman Althi`eib
Ksu University

Prof. Abdullah Aloeinah
Mohammed V University

Prof. Fawzia bint Abdullah AbuKhaled
Ksu University

Prof. Mary Layoun
University of Wisconsin, Madison

Editor-in-Chief

Prof. Abdullah Ahmmad Al-Taher

Editorial Manager

Prof. Khaled Abdulkarim Basendi

Editorial Board

Prof. Ibrahim Saleh AlFallay

Prof. Abdullah Saad Hamad Aljasir

Prof. Maha Saleh Abdurrhman Al- Mayman

Prof. AAbdulwahab Muhammad Abalkhail

Prof. Abdullah Muhammad Almutawa

Prof. Nayef Thinyyan Alsaud

Secretay

Hamoud M.alsuhaimi **Habeeb Hussain Ali** **Mukhtar Jawad AL saleh**

Secretary & Production

Majed Mohammed Albahr **Abdullah Kamil Rabab'ah**

© 2018 (1439H.) King Saud University

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission form King Saud University Press.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

Journal of Arts

Refereed Scientific Periodical

Published by
King Saud University

Volume 30, Issue No.1
January 2018 \ Rabi Al-Thani. 1439H

http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts
arts-mag@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

IN THE NAME OF ALLAH,
MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL